الجزء الثالث

عجايب الآثار في التراجم والأخبار

عبد الرحمن الجبرتي

عجايب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الثالث)

عجايب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الثالث)

تأليف
عبد الرحمن الجبرتي



عجايب الآثار في التراجم والأخبار (الجزء الثالث)

عبد الرحمن الجبرتي

رقم إيداع ٢٠١٣/٤٠٣١
تدمك: ٤ ٢٥٠ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ +   **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

المحتويات

واستهلت سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف (١٧٧٨م)

في يوم الخميس سابع المحرم حضر إسماعيل كتخدا عزبان وبعض صناجق إسماعيل بك.

وفي يوم السبت تاسعه وصل إسماعيل بك وعدى من معادي الخبيري ودخل إلى مصر وذهب إلى بيته، وكثر الهرج في الناس بسبب حضوره ومن وصل قبله على هذه الصورة، ثم تبين الأمر بأن حسن بك الجداوي وخشداشينه وهم رضوان بك وعبد الرحمن بك وسليمان كتخدا وتبعهم حسن بك سوق السلاح وأحمد بك شنن وجماعة الفلاح بأسرهم وكشاف ومماليك وأجناد ومغاربة، خامر الجميع على إسماعيل بك بمن معه وطلب مصر حتى وصلها في أسرع وقت وهو في أشد ما يكون من القهر والغيظ، وأصبح يوم الأربعا فأرسل إسماعيل بك ومنع المعادي من التعدية.

وفي يوم الاثنين طلعوا إلى القلعة وعملوا ديوانًا عند الباشا وحضر الموجودون من الأمرا والوجاقلية والمشايخ، وتشاوروا في هذا الشأن فلم يستقر الرأي على شيء، ونزلوا إلى بيوتهم وشرعوا في توزيع أمتعتهم وتعزيل بيوتهم واضطربت أحوالهم وطلب إسماعيل بك تجار البهار والمباشرين، وطلب منهم دراهم سلفة، فدخل عليهم الخبيري وأخبره بأن الجماعة القبليين وصلت أوايلهم إلى البساتين، وبعضهم وصل إلى بر الجيزة بالبر الآخر.

فلما تحقق ذلك أمر بالتحميل، وخرجوا من مصر شيًّا فشيًّا من بعد العصر إلى رابع ساعة من الليل، ونزلوا بالعادلية وذلك ليلة الثلاثا رابع عشر المحرم، وهم إسماعيل بك وصناجقة إبراهيم بك قشطة وحسين بك وعثمان بك طبل وعثمان بك قفا التور وعلي بك الجوخدار وسليم بك وإبراهيم بك طنان وإبراهيم أوده باشه وعبد الرحمن أغا مستحفظان وإسماعيل كتخدا عزبان ويوسف أغا الوالي وغيرهم، وباتت الناس في وجل، وأصبح يوم الثلاثا وأشيع خروجهم ووقع النهب في بيوتهم، وركبوا في صبح ذلك اليوم

وذهبوا إلى جهة الشام؛ فكانت مدة إمارة إسماعيل بك وأتباعه على مصر في هذه المرة ستة أشهر وأيامًا بما فيها من أيام سفره إلى قبلي ورجوعه.

وعدى مراد بك ومصطفى بك وآخرون في ذلك اليوم، وكذلك إبراهيم أغا الوالي الذي كان في أيامهم وشق المدينة ونادى بالأمان، وأرسل إبراهيم بك يطلب من الباشا «محمد باشا عزت» فرمانًا بالإذن بالدخول، فكتب لهم الباشا فرمانًا وأرسله صحبة ولده وكتخدايه وهو سعيد بك.

فدخل بقية الأمرا يوم الأربعا ما عدا إبراهيم بك فإنه بات بقصر العيني، ودخل يوم الخميس إلى داره وصحبته إسماعيل أبو علي كبير من كبار الهوارة.

وفي يوم الأحد ثامن عشر طلعوا إلى الديوان وقابلوا الباشا، وخلع عليهم خلع القدوم ونزلوا إلى بيوتهم.

وفي يوم الخميس حادي عشرينه طلعوا أيضًا إلى الديوان، فخلع الباشا على إبراهيم بك، واستقر في مشيخة البلد كما كان، واستقر أحمد بك شنن صنجقًا كما كان، وتقلد عثمان أغا خازندار، وإبراهيم بك صنجقية وهو الذي عرف بالأشقر، وقلدوا مصطفى كاشف المنوفية صنجقية أيضًا، وعلي كاشف أغات مستحفظان، وموسى أغا من جماعة علي بك واليًا كما كان أيام سيده.

وفي أواخره وردت أخبار بأن إسماعيل بك ومن معه وصلوا إلى غزة، واستقر المذكورون بمصر علوية ومحمدية، والعلوية شامخة على المحمدية ويرون المنة لأنفسهم عليهم، والفضيلة لهم بمخامرتهم معهم، ولولا ذلك ما دخلوا إلى مصر، ولا يمكن المحمدية التصرف في شيء إلا بإذنهم ورأيهم بحيث صاروا كالمحجور عليهم لا يأكلون إلا ما فضل عنهم.

وفي يوم الخميس ثامن شهر جمادى الأولى حضر إلى مصر إبراهيم بك أوده باشه من غزة مفارقًا لإسماعيل بك، وقد كان أرسل قبل وصوله يستأذن في الحضور، فأذنوا له وحضر وجلس في بيته، وتخيل منه رضوان بك وقصد نفيه فالتجأ إلى مراد بك وانضم إليه وقال له مراد بك: لا تخش من أحد؛ فحرك ذلك ما كمن في صدور العلوية، فلما كان يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى ركب مراد بك وخرج إلى مرمى النشاب منتفخًا من القهر مفكرًا في أمره مع العلوية، فحضر إليه عبد الرحمن بك وعلي بك الحبشي من العلوية، فعندما أراد عبد الرحمن بك القيام عاجله مراد بك ومن معه وقتلوه، وفر علي بك الحبشي وغطى رأسه بفوقانيته وانزوى في شجر الجميز فلم يروه، فلما ذهبوا ركب

وسار مسرعًا حتى دخل على حسن بك الجداوي في بيته وركب مراد بك وذهب إلى بيته، واجتمع على حسن بك أغراضه وعشيرته وأحمد بك شنن وسليمان كتخدا وموسى أغا الوالي وحسن بك رضوان أمير الحاج وحسن بك سوق السلاح وإبراهيم بك بلفيا، وكرنكوا في بيت حسن بك الجداوي بالداوودية، وعملوا متاريس في ناحية باب زويلة وناحية باب الخرق والسروجية والقنطرة الجديدة.

واجتمع على مراد بك خشداشينه وعشيرته وهم: مصطفى بك الكبير ومصطفى بك الصغير وأحمد بك الكلارجي، وركب إبراهيم بك من قبة العزب وطلع إلى القلعة وملك الأبواب وضرب المدافع على بيت حسن بك الجداوي، ووقع الحرب بينهم بطول نهار يوم السبت، وغلقت الأسواق والحوانيت، وباتوا على ذلك ليلة الأحد ويوم الأحد. والضرب من الفريقين في الأزقة والحارات رصاص ومدافع وقرابين، ويزحفون على بعضهم تارة ويتأخرون أخرى، وينقبون البيوت على بعضهم؛ فحصل الضرر للبيوت الواقعة في حيزهم من النهب والحرق والقتل، ثم إن المحمدية تسلق منهم طايفة من الخليج وطلعوا من عند جامع الحين من بين المتاريس، وفتحوا بيت عبد الرحمن أغا من ظاهره وملكوه وركبوا عليه المدافع وضربوا على بيت الجداوي، فعند ذلك عاين العلوية الغلب فركبوا وخرجوا من باب زويلة إلى باب النصر، والمحمدية خلفهم شاهرين السيوف يحجبون بالخيل، فلما خرجوا إلى الخلا التقوا معهم، فقتل حسن بك رضوان أمير الحاج وأحمد بك شنن وإبراهيم بك بلفيا المعروف بشلاق وغيرهم أجناد وكُشَّاف ومماليك، وفر حسن بك الجداوي ورضوان بك وكان ذلك وقت القايلة من يوم الأحد، وكان يومًا شديد الحر، ولم يقتل أحد من المحمديين سوى مصطفى بك الكبير أصابته رصاصة في كتفه انقطع بسببها أيامًا ثم شفي.

وأما حسن بك ورضوان بك فهربا في طايفة قليلة، وخرج عليهما العربان فقاتلوهما قتالًا شديدًا وتفرقا من بعضهما، وتخلص رضوان بك وذهب في خاصته إلى شيبين الكوم.

وأما حسن بك الجداوي فلم تزل العرب تحاوره حتى أضعفوه وتفرق من حوله، وشيخ العرب سعد صحصاح يتبعه ويقول له: أين تذهب يا ابن الملعون ونحو ذلك، ثم حلق عليه رتيمة شيخ عرب بلي فتقنطر به الحصان في مبلة كتان، فقبضوا عليه وأخذوا سلاحه وعروه وكتفوه وصفعه رتيمة على قفاه ثم سحبوه بينهم ماشيًا على أقدامه وهو حاف، وأرسلوا إلى الأمرا بمصر يخبرونهم بالقبض عليه، وكان السيد إبراهيم شيخ بلقس لما بلغه ذلك ركب إليه وخلصه من تلك الحالة وفك كتافه وألبسه ثيابًا وأعطاه دراهم ودنانير.

فلما بلغ الخبر إبراهيم بك ومراد بك أرسلوا له كاشفا فلما حضر إليه وواجهه لاطفه، فقال له: إلى أين تذهب بي؟ فقال له: محل ما تريد. فلما دخل إلى مصر سار إلى بولاق ودخل إلى بيت الشيخ أحمد الدمنهوري، فركب جماعة كثيرة من المحمدية وذهبوا إلى بولاق وطلبوه فامتنع عن إجابتهم، فلم يجسروا على أخذه قهرًا من بيت الشيخ؛ فداخله الوهم وطلع إلى السطح ونط إلى سطح آخر ولم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة الكتان، فصادف أحد المماليك فضربه وأخذ حصانه وركبه وذهب رامحًا بمفرده، وأشيع هروبه فركبت الأجناد وحلقوا عليه الطرق فصار يقاتل من يدركه، ولم يجد طريقا مسلوكًا إلى الخلا فدخل المدينة وذهب إلى بيت إبراهيم بك فوجده جالسًا مع مراد بك، فاستجار بإبراهيم بك فأجاره وأمنه ومكث في بيته خمسة أيام وهو كالمختل في عقله مما قاساه من معاينة الموت مرارًا.

ثم رسموا له أن يذهب إلى جدة وأرسلوه إلى السويس في يوم الأربعاء ثامن عشرين جمادى الأولى في محفة، فلما نزل بالمركب أمر الريس أن يذهب به إلى القصير فامتنع فأراد قتله فذهب بالمركب إلى القصير فطلع إلى الصعيد.

وأما حسن بك سوق السلاح فإنه التجأ إلى حريم إبراهيم بك، وعلي بك الحبشي وسليمان كتخدا دخلوا إلى مقام سيدي عبد الوهاب الشعراني، وحمزة بك ذهب إلى بيته؛ لكونه كان بطالًا فلم يداخله الرعب كغيره، وهرب موسى أغا الوالي إلى شبرا.

ثم إنهم رسموا بنفي علي بك الحبشي وحسن بك وسليمان كتخدا إلى رشيد، وأحضروا موسى أغا الوالي إلى بيته بشفاعة علي أغا مستحفظان، وأرسلوا لرضوان بك الإذن بالإقامة في شيبين وبنى له بها قصرًا على البحر، وجلس فيه وانقضت هذه الحادثة الشنيعة.

(وفي يوم الخميس غاية جمادى الأولى) عملوا ديوانًا بالقلعة، وقلدوا أيوب بك الكبير صنجقية، وكان إسماعيل بك رفعها عنه ونفاه إلى دمياط ثم نقله إلى طندتا، فلما رجع خشداشينه مع العلوية طلبوه إلى مصر وأرادوا رد صنجقيته فلم يرض حسن بك الجداوي فأقام بمصر معزولًا حتى وقعت هذه الحادثة فرجع كما كان، وقلدوا أيوب بك كاشف خازندار محمد بك أبي الدهب كما كان صنجقية أيضًا وعرف بأيوب بك الصغير، وقلدوا سليمان بك أبانبوت صنجقية أيضًا كما كان، وقلدوا إبراهيم أغا الوالي سابقًا صنجقية، وركبوا في مواكبهم إلى بيوتهم وضربت لهم الطبلخانات.

(وفي يوم الخميس سابع جمادى الثانية) طلعوا إلى الديوان وقلدوا سليمان أغا مستحفظان سابقًا صنجقية، وقلدوا يحيى أغا خازندار مراد بك صنجقية أيضًا، وقلدوا علي أغا خازندار إبراهيم بك صنجقية أيضًا، وهو الذي عرف بعلي بك أباظة.

وفيه حضر إلى مصر سليمان كتخدا الشرايبي كتخدا إسماعيل بك وعلى يده مكاتبة من إسماعيل بك، مضمونها يريد الإذن بالتوجه إلى إخميم وإلى السرو ورأس الخليج يقيم هناك ويبقى إبراهيم بك قشطة بمصر رهينة ويكون وكيله في تعلقاته وقبض فايضه، والصلح أحسن وأولى؛ فعملوا ديوانًا وأحضروا المشايخ والقاضي وعرضوا عليهم تلك المكاتبة واشتوروا في ذلك؛ فانحط الرأي بأن يرسلوا له جوابًا بالسفر إلى جدة من السويس ويطلقوا له في كل سنة أربعين كيسًا وستة آلاف إردب غلال وحبوب، وأن يرسل إبراهيم بك صهره كما قال إلى مصر ويكون وكيلًا عنه ومن بصحبته من الأمرا يحضرون إلى مصر بالأمان، ويقيمون برشيد ودمياط والمنصورة ونحو ذلك، وأرسلوا المكاتبة صحبة سليم كاشف تمرلنك أخي إسماعيل بك المقتول وآخرين.

وفيه رسموا نفي إبراهيم بك أوده باشا وسليمان كتخدا الشرايبي، وكان أشيع تقليد إبراهيم بك الصنجقية في ذلك اليوم، وتهيأ لذلك وحضر في الصباح عند إبراهيم بك، فلما دخل رأى عنده مراد بك فاختليا معه فأخرج إبراهيم بك من جيبه مكتوبًا مسكوه عليه من إسماعيل بك خطابًا له مضمونه أنه: بلغنا ما صنعت من إيقاع الفتنة بين الجماعة وهلاك الطايفة الخاينة، وفيه أن يأخذ من الرجل المعهود كذا من النقود يوزعها على جهات كناها له وربنا يجمعنا في خير.

فلما تناوله من إبراهيم وقرأه قال في الجواب: كل منكم لا يجهل مكايد إسماعيل بك وأنكر ذلك بالكلية. فلم يقبلوا عذره ولم يصدقوه وقام وذهب إلى بيته، فأرسلوا خلفه محمد كتخدا أباظة فأخذه وصحبته مملوكين فقط ونزل به إلى بولاق ونفوه إلى رشيد، وكذلك نفوا سليمان كتخدا الشرايبي واحتاطوا بموجود إبراهيم بك.

(وفي يوم الاثنين حادي عشر جمادى الثانية) وصل إبراهيم باشا والي جدة وذهب إلى العادلية، وجلس هناك بالقصر حتى شهلوه وسفروه إلى السويس بعدما ذهبوا إليه وودعوه، وكان سفره يوم الأحد سابع عشر جمادى الثانية، وفي ذلك اليوم حضر جماعة من الأجناد من ناحية غزة من الذين كانوا بصحبة إسماعيل بك.

(وفي يوم الثلاثا تاسع عشر) ركب الأمرا وطلعوا إلى باب الينكجرية والعزب، وأرسلوا إلى الباشا كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة والترجمان وكاتب حوالة وبعض الاختيارية يأمرونه بالنزول إلى بيت حسن بك الجداوي وهو بيت الداوودية، فلما قالوا له ذلك قال: وأي شيء ذنبي حتى أعزل؟ فرجعوا أخبروهم بما قاله الباشا، فأمروا أجنادهم بالركوب

فطلعوا إلى حوش الديوان واجتمعوا به حتى امتلأ منهم؛ فارتعب الباشا منهم فركب من ساعته ونزل من القلعة إلى بيت الداوودية، وأحضروا الجمال وعزلوا متاعه في ذلك اليوم. فكانت مدة ولايته سنتين وثلاثة أشهر.

(وفي يوم الجمعة حادي عشرين شهر رجب الموافق لعاشر مسرى القبطي) كان وفاء النيل المبارك.

(وفي يوم الاثنين) ثاني عشرين شهر شعبان حضر من أخبر أن جماعة من الأجناد حضروا من ناحية غزة، وصحبتهم عبد الرحمن أغا مستحفظان على الهجن ومروا من خلف الجرة وذهبوا إلى قبلي، وتخلف عنهم عبد الرحمن أغا في حلوان لغرض من الأغراض ينتظره من مصر؛ فركب من ساعته مراد بك في عدة وذهبوا إلى حلوان ليلًا على حين غفلة واحتاطوا بها وبدار الأوسية وقبضوا على عبد الرحمن أغا وقطعوا رأسه، ورجع مراد بك وشق المدينة والرأس أمامه على رمح، ثم أحضروا جثته إلى بيته الصغير بالكعكيين وغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته وصلوا عليه بالمارداني، ثم ألحقوا به الرأس في الرميلة ودفنوه بالقرافة ومضى أمره، وزاد النيل في هذه السنة زيادة مفرطة حتى انقطعت الطرقات من كل ناحية واستمر إلى آخر توت.

وفي أواخر رمضان هرب رضوان بك علي من شبين الكوم وذهب إلى قبلي، فلما فعل ذلك عينوا إبراهيم بك الوالي فنزل إلى رشيد وقبض على علي بك الحبشي وسليمان كتخدا وقتلهما، وأما إبراهيم بك أوده باشا فهرب إلى القبطان واستجار به.

(وفي تاسع عشر شوال) خرج المحمل والحجاج صحبة أمير الحاج رضوان بك بلفيا، وسافر من البركة في يوم الثلاثا سابع عشرين شوال.

وفيه جاءت الأخبار بورود إسماعيل باشا والي مصر إلى سكندرية.

(وفي يوم الخميس تاسع عشرين شوال) ركب محمد باشا عزت من الداوودية، وذهب إلى قصر العيني ليسافر.

(وفي يوم الاثنين ثالث القعدة) نزل الباشا في المراكب وسافر إلى بحري.

(وفي منتصف شهر ذي القعدة المذكور) نزل أرباب العكاكيز، وهم: علي أغا كتخدا جاوجان، وأغات المتفرقة، والترجمان، وكاتب حوالة، وأرباب الخدم؛ وسافروا لملاقاة الباشا الجديد.

وأما من مات في هذه السنة من أعيان العلما والمشاهير ١١٩٢ (١٧٧٨م)

مات الشيخ الإمام العلامة المتفنن أوحد الزمان وفريد الأوان أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري المذاهبي الأزهري، ولد بدمنهور الغربية سنة ألف وماية وواحد، وقدم الأزهري وهو صغير يتيم لم يكفله أحد فاشتغل بالعلم وجال في تحصيله واجتهد في تكميله، وأجازه علما المذاهب الأربعة وكانت له حافظة ومعرفة في فنون غريبة وتآليف، وأفتى على المذاهب الأربعة، ولكن لم ينتفع بعلمه ولا بتصانيفه لبخله في بذله لأهله ولغير أهله، وربما يبيح في بعض الأحيان لبعض الغربا فوايد نافعة، وكان له دروس في المشهد الحسيني في رمضان يخلطها بالحكايات وبما وقع له حتى يذهب الوقت.

وولي مشيخة الجامع الأزهر بعد وفاة الشيخ الحفني، وهابته الأمرا لكونه كان قوَّالًا للحق أمارًا بالمعروف سمحًا بما عنده من الدنيا.

وقصدته الملوك من الأطراف وهادته بهدايا فاخرة، وساير ولاة مصر من طرف الدولة كانوا يحترمونه، وكان شهير الصيت عظيم الهيبة منجمعًا عن المجالس والجمعيات، وحج سنة سبع وسبعين وماية وألف مع الركب المصري، وأتى ريس مكة وعلماها لزيارته وعاد إلى مصر. وقد مدحه الشيخ عبد الله الإدكاوي بقصيدة يهنيه بذلك يقول فيها:

لقد سُررنا وطاب الوقت وانشرحت ... صدورنا حيث صح العَود للوطن
فالعود أحمد قالوه وقد حمدت ... بدأ وعودًا مساعيكم بلا غبن
فأنت أمجدنا وأنت أرشدنا ... وأنت أحمدنا في السر والعلن
دعانا أرخوه ثم أوحدنا ... قد بر حجك يا علامة الزمن

قرأ المترجم علي أفقه الشافعية في عصره عبد ربه بن أحمد الديوي: شرح المنهج وشرح التحرير، وعلى الشهاب الخليفي نصف المنهج، وشرح ألفية العراقي في المصطلح، وعلى أبي الصفا الشنواني شرحي التحرير والمنهج، والخطيب على أبي شجاع، وإيساغوجي، وشرح الأربعين لابن حجر، وشرح الجوهرة لعبد السلام، وعلى عبد الدايم الأجهوري بن قاسم، والآجرومية وشرحها، والقطر، والأزهرية، وشرح الورقات للمحلي.

وحضر على الشمس الإطفيحي دروسًا من البخاري، وبعضًا من التحرير، وبعضًا من الخطيب، وكمل على الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي نصف المنهج بعد وفاة الخليفي،

وبعضًا من الشمايل، وبعضًا من شرح الأربعين لابن حجر، وعلى الشيخ عبد الوهاب الشنواني ابن قاسم والأزهرية، وعلى الشيخ عبد الجواد المرحومي ألفية ابن الهايم في الفرايض بشرح شيخ الإسلام، وشباك ابن الهايم، ورسالة في علم الأرتماطيقي للشيخ سلطان.

وعلى الشمس الغمري شرح البهجة الوردية لشيخ الإسلام، وشرح الرملي على الزبد، والمواهب للقسطلاني، وسيرة كل من ابن سيد الناس والحلبي، والجامع الصغير للسيوطي مع شرح المناوي عليه، وشرح التائية للفرغاني، وشرح السعد على تصريف العزي.

وعلى عبد الجواد الميداني الدرة والطيبة، وشرح أصول الشاطبية لابن القاصح، والأربعين النووية، والأسماء السهروردية، وبعضًا من الجواهر الخمس للغوث.

وعلى الورزازي شرح الصغرى والكتاني عليه، وبعضًا من شرح الكبرى مع اليوسي، وبعضًا من مختصر خليل ولامية الأفعال، وعلى الشهاب النفراوي دروسًا من الجوهرة والأشموني.

وعلى عبد الله الكنكسي القطر والشذور والألفية والتوضيح، وشرح السلم، وشرح مختصر السنوسي مع حاشية اليوسي، والمختصر والمطول، والخزرجية والكافي، والقلصادي والسخاوية والتلمسانية، وألفية العراقي، وبعض مسلم، وأجازه في بقية الكتب الستة، وفي ورد شيخه مولاي عبد الله السلجماسي الشريف.

وعلى محمد بن عبد الله السلجماسي شرح الكبرى مع حاشية اليوسي والتلخيص، ومتن الحكم، وبعضًا من صحيح البخاري.

وعلى السيد محمد السلموني شيخ المالكية متن العزية والرسالة ومختصر خليل وشرحه للزرقاني، ودروسًا من الخرشي والشبرخيتي، وأجازه بجميع مروياته وبالإفتا في مذهب مالك.

وعلى الفقيه محمد بن عبد العزيز الزيادي الحنفي متن الهداية، وشرح الكنز للزيلعي، والسراجية في الفرايض والمنار.

وعلى السيد محمد الريحاوي متن الكنز والأشباه والنظاير، وشيًّا من المواقف من بحث الأمور العامة.

وأخذ عن الزعتري الميقات والحساب والمجيب والمقنطرات والمنحرفات وبعضًا من اللمعة.

وعلى السحيمي منظومة الوفق المخمس وروضة العلوم.

وعلى الشيخ سلامة الفيومي أشكال التأسيس والجغميني، وعلى عبد الفتاح الدمياطي لقط الجواهر ورسالة قسطا بن لوقا في العلم بالكرة ورسالة ابن المشاط في الأسطرلاب ودر ابن المجدي.

وله شيوخ آخرون كالشهاب أحمد بن الخبازة والشيخ حسام الدين الهندي وحسين أفندي الواعظ والشيخ أحمد الشرفي والسيد محمد الموفق التلمساني ومحمد السوداني ومحمد الفاسي ومحمد المالكي، كذا في برنامج شيوخه المسمى باللطايف النورية في المنح الدمنهورية. وأما مؤلفاته فمنها: حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون، ومنتهى الإرادات في تحقيق الاستعارات، وإيضاح المبهم في معاني السلم، وإيضاح المشكلات من متن الاستعارات، ونهاية التعريف بأقسام الحديث الضعيف، والحذاقة بأنواع العلاقة، وكشف اللثام عن مخدرات الأفهام على البسملة، وحسن التعبير لما للطيبة من التكبير في القراءات العشر، وتنوير المقلتين بضيا أوجه الوجه بين السورتين، والفتح الرباني بمفردات ابن حنبل الشيباني، وطريق الاهتدا بأحكام الإمامة والاقتدا على مذهب أبي حنيفة، وإحيا الفؤاد بمعرفة خواص الأعداد، والدقايق الألمعية على الرسالة الوضعية، ومنع الأثيم الحاير على التمادي في فعل الكباير، وعين الحياة في استنباط المياه، والأنوار الساطعات على أشرف المربعات وهو الوفق المئيني، وحلية الأبرار فيما في اسم علي من الأسرار، وخلاصة الكلام على وقف حمزة وهشام، والقول الصريح في علم التشريح، وإقامة الحجة الباهرة على هدم كنايس مصر والقاهرة، وفيض المنان بالضروري من مذهب النعمان، وشفاء الظمآن بسر قلب القرآن، وإرشاد الماهر إلى كنز الجواهر، وتحفة الملوك في علم التوحيد والسلوك منظومة ماية بيت، وإتحاف البرية بمعرفة العلوم الضرورية، والقول الأقرب في علاج لسع العقرب، وحسن الإنابة في إحيا ليلة الإجابة وهي ليلة النصف من شعبان، والزهر الباسم في علم الطلاسم، ومنهج السلوك إلى نصيحة الملوك، والمنح الوفية في شرح الرياض الخليفية في علم الكلام، والكلام السديد في تحرير علم التوحيد، وبلوغ الأرب في اسم سيد سلاطين العرب، وغير ذلك وغالبها رسايل صغيرة الحجم منشورة ومنظومة اطلعت على غالبها.

اجتمع الفقير على المترجم قبل وفاته بنحو سنتين، ولما عرفني تذكر الوالد وبكى وعصر عينيه وصار يضرب بيده على الأخرى ويقول: ذهب إخواننا ورُفَقَانا، ثم جعل يخاطبني بقوله: يا ابن أخي ادع لي. وكان منقطعًا بالمنزل، وأجازني بمروياته ومسموعاته، وأعطاني برنامج شيوخه ونقلته، ولم يزل حتى تعلل وضعف عن الحركة.

وتوفي يوم الأحد عاشر شهر رجب من السنة المذكورة، وكان مسكنه ببولاق، وصُلِّيَ عليه بالأزهر بمشهد حافل جدًّا، وقرئ نسبه إلى أبي محمد البطل الغازي، ودفن بالبستان، وكان آخر من أدركنا من المتقدمين.

ومات الإمام العلامة المحقق والفهامة المدقق شيخنا الشيخ مصطفى بن محمد بن يونس الطائي الحنفي، ولد بمصر سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف، وتفقه على والده وبه تخرج، وبعد وفاة والده تصدر في مواضعه ودرس وأفتى، وكان إمامًا ثبْتًا متقنًا مستحضرًا مشاركًا في العلوم والرياضيات فرضيًّا حيسوبًا، وله مؤلفات كثيرة في فنون شتى تدل على رسوخه، وكتب شرحًا على الشمايل وحاشية على الأشموني أجاد فيها، وكان رأسًا في العلوم والمعارف، توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى.

ومات سيدي أبو مفلح أحمد بن أبي الفوز بن الشهاب أحمد بن أبي العز محمد بن العجمي ويعرف بالشيشيني، وكان كاتب الكنى بمنزل السادات الوقائية، وكان إنسانًا حسنًا بهيًّا، ذا تودد ومروة، وعنده كتب جيدة يعير منها لمن يثق به للمطالعة والمراجعة، توفي يوم السبت آخر المحرم.

ومات شيخنا الإمام القطب وجيه الدين أبو المراحم عبد الرحمن الحسيني العلوي العيدروسي التريمي نزيل مصر، ولد بعد الغروب ليلة الثلاثا تاسع صفر سنة خمس وثلاثين وماية وألف، والده مصطفى بن شيخ مصطفى بن علي زين العابدين بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن القطب الأكبر عبد الله العيدروس بن أبي بكر السكران بن القطب عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن محمد مقدم التربة بتريم، بن علي بن محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله بن أحمد العراقي بن عيسى النقيب بن محمد بن علي بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه فاطمة ابنة عبد الله الباهر بن مصطفى بن زين العابدين العيدروس، وأرخه سليمان بن عبد الله باجرمي بقوله:

لله من سيد أتى بيوم سعيد
ضاء الزمان به نعم الحبيب المجيد
يا نعم من وافد بكل خير مديد
إن الصفى المصطفى اللوذعي الرشيد

واستهلت سنة اثنتين وتسعين وماية وألف (١٧٧٨م)

تــاريــخ مــيــلاده أتـى شريـف سـعيد

وبها نشأ على عفة وصلاح في حجر والده وجده، وأجازه والده وجده وألبساه الخرقة وصافحاه، وتفقه على السيد وجيه الدين عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وأجازه بمروياته.

وفي سنة ثلاث وخمسين وماية ألف توجه صحبة والده إلى الهند، فنزلا بندر الشحر واجتمع بالسيد عبد الله بن عمر المحضار العيدروس فتلقن منه الذكر وصافحه وشابكه وألبسه الخرقة، وأجازه إجازة مطلقة مع والده، ووصلا بندر سورت واجتمع بأخيه السيد عبد الله الباصر، وزارا من بها من القرابة والأوليا، ودخلا مدينة بروج فزار محضار الهند السيد أحمد بن الشيخ العيدروس، وذلك ليلة النصف من شعبان سنة واحد وستين، ثم رجعا إلى سورت وتوجه والده إلى تَرِيم وترك المترجم عند أخيه وخاله زين العابدين بن العيدروس، وفي أثنا ذلك رجع إلى بلاد جادة، وظهرت له في هذه السفرة كرامات عدة، ثم رجع إلى سورت وأخذ إذ ذاك من السيد مصطفى بن عمر العيدروس، والحسين بن عبد الرحمن بن محمد العيدروس، والسيد محمد فضل الله العيدروس إجازة بالسلاسل والطرق وألبسه الخرقة، ومحمد فاخر العباسي، والسيد غلام علي الحسيني، والسيد غلام حيدر الحسيني، والبارع المحدث حافظ يوسف السورتي، والعلامة عزيز الله الهندي، والعلامة غياث الدين الكوكبي وغيرهم، وركب من سورت إلى اليمن فدخل تريم وجدد العهد بذوي رحمه، وتوجه منها إلى مكة للحج، وكانت الوقفة نهار الجمعة، ثم زار جده ﷺ، وأخذ هناك عن الشيخ محمد حياة السندي وأبي الحسن السندي وإبراهيم بن فيض الله السندي والسيد جعفر بن محمد البيتي ومحمد الداغستاني، ورجع إلى مكة فأخذ عن الشيخ السند السيد عمر بن أحمد وابن الطيب وعبد الله بن سهل وعبد الله بن سليمان ما جرمي وعبد الله بن جعفر مدهر ومحمد باقشير، ثم ذهب إلى الطايف وزار الحبر بن عباس ومدحه بقصايد، واجتمع إذ ذاك بالشيخ السيد عبد الله ميرغني وصار بينهما الود الذي لا يوصف.

وفي سنة ثمان وخمسين أذن له بالتوجه إلى مصر، فنزل إلى جدة وركب منها إلى السويس، وزار سيدي عبد الله الغريب ومدحه بقصيدة، وركب منها إلى مصر، وزار الإمام الشافعي وغيره من الأولياء، ومدح كلًّا منهم بقصايد هي موجودة في ديوانه وفي رحلته، وهرعت إليه أكابر مصر من العلما والصلحا وأرباب السجاجيد والأمرا، وصارت له معهم المطارحات والمذاكرات ما هو مذكور في رحلته، وممن أتى إليه زايرًا شيخ

وقته سيدي عبد الخالق الوفائي فأحبه كثيرًا، ومال إليه لتوافق المشربين، وألبسه الخرقة الوفائية وكنَّاه أبا المراحم بعد تمنع كثير، وأجازه أن يكني من شاء فكنى جماعة كثيرة من أهل اليمن بهذه الإجازة.

وفي سنة تسع وخمسين سافر إلى مكة صحبة الحج، وتزوج ابنة عمه الشريفة علوية العيدروسية، وسكن بالطايف وابتنى بالسلامة دارًا نفيسة، ومدح الحبر بقصايد طنانة، ثم عاد إلى مصر ثانيًا في سنة اثنتين وستين مع الحج، فمكث بها عامًا واحدًا وعاد إلى الطايف.

وفي سنة أربع وستين أتاه خبر وفاة والده، ثم ورد مصر في سنة ثمان وستين ومكث بها عامًا ثم عاد إلى مكة مع الحج، وفي عام اثنتين وسبعين تزوج الشريفة رقية ابنة السيد أحمد بن حسني باهرون العلوية ودخل بها، وولد منها ولده السيد مصطفى في سنة ثلاث وسبعين، وفي سنة أربع وسبعين عاد إلى مصر بعياله صحبة الحج.

فألقى عصاه واستقر به النوى. وجمع حواسه لنشر الفضايل وأخلاها عن السوى، وهرعت إليه الفُضَلا للأخذ والتلقي، وتلقى هو عن كل من الشيخ الملوي والجوهري والحفني وأخيه يوسف، وهم تلقوا عنه تبركًا، وصار أوحد وقته حالًا وقالًا مع تنويه الفضلا به، وخضعت له أكابر الأمرا على اختلاف طبقاتهم وصار مقبول الشفاعة عندهم لا ترد رسايله ولا يرد سايله، وطار صيته في المشرق والمغرب، وفي أثنا هذه المدة تعددت له رحلات إلى الصعيد الأعلى وإلى طندتا وإلى دمياط وإلى رشيد وإسكندرية وفوة وديروط، واجتمع بالسيد علي الشاذلي، وكل منهما أخذ عن صاحبه، وزار سيدي إبراهيم الدسوقي، وله في كل هؤلاء قصايد طنانة، ثم سافر إلى الشام فتوجه إلى غزة ونابلس ونزل بدمشق ببيت الجناب حسين أفندي المرادي، وهرعت إليه عُلَمَا الشام وأدباها وخاطبوه بمدايح، واجتمع بالوزير عثمان باشا في ليلة مولد النبي ﷺ في بيت السيد علي أفندي المرادي، ثم رجع إلى بيت المقدس وزار وعاد إلى مصر وتوجه إلى الصعيد، ثم عاد إلى مصر وزار السيد البدوي ثم ذهب إلى دمياط كعادته في كل مرة، ثم رجع إلى مصر، ثم توجه إلى رشيد ثم الإسكندرية، ومنها إلى إسلامبول، فحصل له بها غاية الحظ والقبول، ومدح بقصايد وهرعت إليه الناس أفواجًا ورتب له في جوالي مصر كل يوم قرشان، ولم يمكث بها إلا نحو أربعين يومًا وركب منها إلى بيروت ثم إلى صيدا، ثم إلى قبرص ثم إلى دمياط، وذلك غاية شعبان سنة تسعين، ثم دخل المنصورة وبات بها ليلة، ثم دخل مصر في سابع عشر رمضان، وكان مدة مكثه في الهند عشرة أعوام، وحج سبع عشرة مرة منها

ثلاث بالجمعة، وسفره من الحجاز إلى مصر ثلاث مرات وللصعيد ست مرات، ولدمياط ثماني مرات، ومن قصايده في مدح ابن عباس — رضي الله عنهما — سنة تسع وخمسين قوله:

قسمًا بسوسن خده ووروده ... وبثغره الألمى وطيب وروده
وبعسجد من وجنتيه وفضة ... من جسمه وبلؤلؤ في جيده
وبأحمر من خده وبأسمر ... من قده وبأبيض من سوده
وبنون حاجبه ونور جبينه ... وضحى محياه وليل جعيده
بالنجم بل والبدر بل والشهب من ... أقراطه وحجولة وعقوده
بالراح والياقوت والرمان من ... أردافه وشفاهه ونهوده
بزمرد وسجنجل وملوز ... من شامتيه وصدره ووصيده
وبكامل وبوافر من حسنه ... وطويله وبسيطه ومديده
وسحاب عشق القلب مع وَسْمِيِّه ... ووليه وبروقه ورعوده
وبظُلمه وبظَلمه وبخصره ... وبردفه وبنوده ونجوده
وبناعس من جفنه وبنغمة ... فاقت على الشحرور من تغريده
إن الملاح الغانيات بأسرها ... من حسنه الأشهى كبعض عبيده
عشقي له وتغزلي فيه كما ... مدحي لسامي الحب في معبوده
غوث بدايته نهاية غيره ... سار الورى بنزوله وصعوده
مولاي عبد الله نجل السيد ... العباس مفرد دهره ووجوده

وهي طويلة، ومن كلامه رحمه الله تعالى:

حجاب وحسبي أن أقول حجاب ... ذهاب به يحلو لنا وإياب
وراح وأما كاسها وحبابها ... خطاء بها يعلو الورى وصواب
وحيرة قدس عمت الكل حبذا ... أناس لديها بالمحاضر غابوا
وذات جمال إن ضللنا بشعرها ... هدتنا بوجه ما عليه نقاب
وكشف ما كشف وكم ها هنا عنت ... أسود لها فوق المجرة غاب
لك الله يا سلمى سلي عن صبابتي ... وصيب دموع ما حكته سحاب

وجودي بموتي يا حياتي لكي به　　يعلي لكلي في الوجود جناب
وما ثم ما يخفاك عني وإنما　　يلذ سؤال في الهوى وجواب
إذا خاطبت معناك روى ترنحت　　بخمر جمال ما حكاه شراب
وإن مثلت مرآك مالت كأنها　　بها حل من فيك الشهي رضاب

وله أيضًا:

طاب شربي لخمر تلك الكئوس　　فأدرها لنا حياة النفوس
هاتها هاتها فقد راق وقتي　　بين روح به السرور جليسي
هاتها فالزمان قد طاب حتى　　غطس القلب في الجمال النفيس
واسقني يا حياة روحي وسري　　وامزجَنْها من ريقك المأنوس

ومنها:

غبت عنِّي بها فدعني أغنِّي　　إن في ذا المقام حطيت عيسي
صاح إني من سكرتي غير صاح　　فعلام الملأم للعيدروسي

ومن كلامه رحمه الله تعالى:

قف بي على كثب العقيق وبانه　　إن كنت ذا شوق إلى كثبانه
وابذل غزير الدمع في أرجائه　　حتى تسير السفن في غدرانه
وتحل من دريه ولجينه　　يا طرفي المفتون في غزلانه
وتحل بالوردي بين وروده　　وتحل بالعقيان في عقيانه
ومتيم عبثت به نار الهوى　　وأسالت الطوفان من أجفانه
قالوا: صبيب الدمع يخمد ناره　　وهو الذي أذكى لظى نيرانه
يهوى معانقة الرماح؛ لأنها　　تحكي ابتسام لماه في لمعانه
ويزيده ذكر العذيب وبارق　　شوقًا لسكر ثغره وجمانه

وهي طويلة ومنها:

راحت دراري الأفق تهوي قربه   فتنزلت عقدًا لدى أعكانه
وتبلج المريخ فوق خدوده   لما تدلى النجم في آذانه
لو شاهد المجنون طلعة وجهه   ما قال ليلى غير بعض قيانه
ولو اعتزت أهل المحاسن لم تقل   إلا بأن الكل من عبدانه
ولو استعان المزن بارق ثغره   ما مجَّ غير الشهد في سيلانه

ومن كلامه وهي بديعة جدًّا:

أما الفؤاد فكله صب   مثل الدموع جميعها صب
ويح الحشاشة حشوها حَرَق   وهي التي بالدمع ما تخبو
من لي بأغيد كله ملح   قاسى الفؤاد قوامه الرطب
قمر وقامته ومقلته   يخشاهما العسالُ والعضبُ
قالوا: كما الورقاء قلت لهم: أنى تساوى العجم والعرب؟!
هيهات يحكي الخمر ريقته   وهو الذي لمزاجها يصبو
والغور في المعنى له نبأ   من خصره إذ أذهل اللب
حسبتْه شمس الأفق طلعتها   وتوهمتْه بدرها الشهب
يا غصن قامته على كفل   قف لي وقل لي: هذه الكتب

ومنها:

في خده النعمان معتكف   وبثغره قطر الندى العذب
وبنافع ضحاك مبسمه   ومبرد من يشتهي يحبو

(ومنها في المدايح):

أبياته في الشرق ما ذكرت   إلا ويرقص عندها الغرب

إلى أن قال:

وإليك بكرًا عن مشاغرة   زفت ولا عار ولا ذنب
وفصالها والحمل في زمن   نزر تكوَّن أيها الحِب
فاستجلها عذراء غانية   واسلم ودم يسمو بك الصحب

(وقال في مراسلة للشيخ الحفني قدس الله سره):

سلام لم يزل من عيدروسي   على الحفني مقدام الهموس
جمال الدين والدنيا فأكرم   بتاج الأوليا شمس الشموس
شريف الذات والأوصاف صنوي   حبيبي منيتي جالي عكوسي
أخي في الحسن والمعنى جميعًا   ملاذي عمدتي محيي النفوس
أدام الله ذاك الغوث ذخرًا   على رغم الأعادي والنحوس
وأبقاه لنا حصنًا حصينًا   لكي تحيا به كل الغروس
به أنسي به صفوي دوامًا   به روحي حوى أحلى لبوس
وصلِّ الله مولانا على من   به نسقي مصونات الكئوس
وآل والصحاب ذوي المزايا   وأرباب المعارف والدروس

(وله مشجر في يوسف):

يا مخجل البدر في خباه   يا من به العاشقون تاهوا
وحق خديك يا حبيبي   إن الحلى فيك منتهاه
سبحان منشيك في جمال   ما تشبع العين لو تراه
فاشطح على الشمس والدراري   واسطح على البدر في سماه

وله مطرز في إبراهيم:

أخلاي خلونا عن الشبه والضد   على أن إثبات الوصال نفي ضدي
بربكم حلوا من الخصر مشكلًا   أعندكم الغوري يحكم في نجد

رعى الله ظبيًا كم رعاني وكم رعى فؤادي وما راع الحشاشة بالضد
أقام لأغصان الخمائل دولة وأزهارها بالوجنتين وبالقد
هو البدر إلا أنه غير غارب هو البحر بحر الحسن لا زال في المد
يمينًا بخال عمه في شقيقه بأني رأيت المسك ينبت بالورد
محياه والخدان ركني وكعبتي وحاجبه محراب شكري والحمد

وطلب منه المراسلة إلى علي باشا الحكيم من مصر إلى الروم، فكتب: الحمد لله البديع الحكيم، والصلاة والسلام على الصدر العظيم حمدًا لرب منعم حكيم، مولًى عليٍّ راحم كريم، ثم الصلاة والسلام النامي، على النبي صاحب الإنعام، وآله الكرام والأصحاب، والأوليا الكل والأنجاب، وبعد فالسلام والتحيهْ، في حالة الصباح والعشيهْ، يهدي إلى خدن المقام العالي، مولى الأجلة كعبة المعالي، شمس المعالي واحد الصداره، سامي المزايا مفخر الوزاره، أعني علي الذات والصفاتِ، أكرم به فيما مضى وآتي، بعد الدعاء الصالح المكرر، إلى علا ذاك الوداد الأكبر، وصفتي الإخلاص والمحبه، وذاك من شأني مع الأحبه، وإنني بحمد دب كافي، ومن معي في حلة العوافي، لا زلتم في أمن رب غافر، وكل أحباب ذوي البشائر، ودمتم للكل نفعًا صافي، حصنًا حصينًا من ذوي الخلاف؛ إذ أنتم أهل السماح السامي وجودكم كالغيث زاه طامي، كذا سلامي للذي لديكم، من كل محسوب غدا عليكم، لا سيما الأحفاد والأولاد، أكرم بهم من سادة أمجاد، وشيخنا البكري والخضيري، نسل الإمام العارف الزبير وكاتب الديوان سامي القدر، خدن العلا والاهتدا والذكر، وترجمان الفضل والأسرار، أخي حسين عمدة الأخيار، أدامكم للكل رب الكل، ولا برحتم في ربوع الفضل، وهذه أبيات عيدروسي، وقيتكم بالواحد القدوسي، لا زلتمو في الصفو والسعادة، بجاه طه معدن الإفادة، صلى عليه الله والصحابه، والآل أهل المجد والقطابه.

وأنشدني شيخنا العلامة أبو الفيض السيد مرتضى، قال: أنشدني السيد عبد الرحمن العيدروس لنفسه وأنا نزيله بالطايف سنة ست وستين وماية ألف قوله:

تجلى وجود الحق في كل صورة لذا هو عين الكل من غير ريبة
تجلى بنا المولى فنحن مظاهر لوحدته العليا فَجُلْ في طريقتي
وما ثم غير باعتباره ظهوره بقاص ودان جل مولى الخليقة
أخي أثبت الأعيان وانف وجودها وذق وحدة راقت لأهل الحقيقة

وقل: ليس مثل الله شيء وإنه السميع البصير اشهده في كل ريبة
ونزه وشبه واعرف الكل كي ترى عرائس جمع الجمع في خير هيئة

وهي طويلة. قال: وأخبرني أنها من العقايد المكنونة، وسألته عن قوله: أثبت الأعيان فقال: المراد إثباتها في العلم؛ ولذا يعبر عنها بالأعيان الثابتة.

(ووردت) مراسلة من السيد سليمان بن يحيى الأهلي مفتي الشافعية بزبيد إلى المشار إليه بطلب الإجازة له ولأولاده، فكتب إجازة غراء في منظومة بديعة دالية طويلة أكثر من أربعين بيتًا، وله منظومات كثيرة ومقاطيع وموشحات مثبتة في دواوينه ومؤلفاته كثيرة، منها: مرقعة الصوفية ستون كراسًا، ومرآة الشموس في سلسلة القطب العيدروس خمسون كراسًا، والفتح المبين على قصيدة العيدروس فخر الدين خمس وعشرون كراسًا، وله عليها شرحان آخران: أحدهما ترويح الهموس من فيض تشنيف الكوس، وتشنيف الكوس من حميا ابن العيدروس، وفتح الرحمن بشرح صلاة أبي الفتيان ست كراريس، وذيل الرحلة خمس كراريس، والترقي إلى الغرف من كلام السلف والخلف عشر كراريس، والرحلة عشر كراريس، والعرف العاطر في النفس والخاطر، وتنميق السفر ببعض ما جرى له بمصر خمس كراريس، وعقد الجواهر في فضل آل بيت النبي الطاهر، ونفايس الفضول المقتطفة من ثمرات أهل الوصول ثماني كراريس، والجواهر السبحية على المنظومة الخزرجية اثنتا عشرة كراسة، والمنهج العذب في الكلام على الروح والقلب كراستان، وديوان شعره سماه ترويح البال وتهييج البلبال عشر كراريس، وإتحاف الخليل في علم الخليل أربع كراريس، والعروض في علمي القافية والعروض أربع كراريس، والنفحة الأنسية في بعض الأحاديث القدسية، وحديقة الصفافي في مناقب جده عبد الله بن مصطفى، وتنميق الطروس في أخبار جده شيخ بن عبد الله العيدروس، وإرشاد العناية في الكتابة تحت بعض آية، ونفحة الهداية في التعليق، وله ثلاث كتابات على بيتي المعية، وهما:

أعط المعية حقها والزم له حسن الأدب
واعلم بأنك عبده في كل حال وهو رب

الأولى: إرشاد ذي اللوذعية على بيتي المعية.

الثانية: إتحاف ذوي الألمعية في تحقيق معنى المعية.

الثالثة: النفحة الألمعية في تحقيق معنى المعية، ونثر اللآلي الجوهرية على المنظومة الدهرية، والتعريف بتعدد شق صدره الشريف، وإتحاف الذايق بشرح بيتي الصادق، ورفع الإشكال في جواب السؤال، والإرشادات السنية في الطريقة النقشبندية، والنفحة العلية في الطريقة القادرية، وإتحاف الخليل بمشرب الجليل الجميل، والنفحة المدنية في الأذكار القلبية والروحية والسرية، وتمشية القلم ببعض أنواع الحكم، وتشنيف الأسماع ببعض أسرار السماع، ورفع الستارة عن جواب الرسالة، والبيان والتفهيم لمتبع ملة إبراهيم، وشرح بيتي ابن العربي وهما:

إنـمـا الـكـون خـيـال وهو حق في الحقيقة
كل مـن يـفـهـم هـذا حاز أسرار الطريقة

وتحرير مسألة الكلام على ما ذهب إليه الأشعري الإمام، وفتح العليم في الفرق بين الموجب وأسلوب الحكيم، وقطف الزهر من روض المقولات العشر، ورشحة سرية من نفحة فخرية، وتعريف الثقات بمباشرة شهود وحدة الأفعال والصفات والذات، ورشف السلاف من شراب الأسلاف، والقول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه، وبسط العبارة في إيضاح معنى الاستعارة، والمتن للعارف الطنتداوي، وكتب عليه الشيخ يوسف الحفني حاشية، ونفحة البشارة في معرفة الاستعارة، وشرحه العلامة الشيخ محمد بن الجوهري، ومتن لطيف في اسم الجنس والعلم، وشرحه الشيخ أبو الأنوار بن وفا، وتشنيف السمع ببعض لطايف الوضع، وشرحه الشيخ عبد الرحمن الأجهوري شرحين مبسوطين، وإتحاف السادة الأشراف بنبذة من كلام سيدي عبد الله باحسين السقاف، وشرح على قصيدة بالحزمة، وحاشية على إتحاف الذايق، وشرح على العوامل النحوية لم يتم، وسلسلة الذهب المتصلة بخير العجم والعرب، وحزب الرغبة والرهبة، والاستغاثة العيدروسية، وشرحها الشيخ عبد الرحمن الأجهوري، ومرقعة الفقها، وذيل المشرع الروي في مناقب بني علوي لم يكمل، والإمدادات السنية في الطريقة النقشبندية، وغير ذلك.

ولما كثر عليه الواردون من الديار البعيدة وصاروا يتلقون عنه طرق الصوفية وكان هو في أغلب أوقاته في مقام الغطوس أمر شيخنا السيد محمد مرتضى أن يجمع أسانيده في كتاب، فألف باسمه كتابًا في نحو عشر كراريس وسماها النفحة القدسية بواسطة البضعة العيدروسية، وذلك في سنة إحدى وسبعين، وقد نقل منها نسخ كثيرة وعم بها

النفع، ولم يزل يعلو ويرقى إلى أن توفي ليلة الثلاثاء ثاني عشر محرم من هذه السنة، وخرجوا بجنازته من بيته الذي تحت قلعة الكبش بمشهد حافل، وصُلي عليه بالجامع الأزهر وقُري نسبه على الدكة، وصلى عليه إمام الشيخ أحمد الدردير، ودفن بمقام ولي الله العتريس تجاه مشهد السيدة زينب، ورثي بمَرَاثٍ كثيرة ربما يأتي ذكرُها في تراجم العصريين، ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله.

ومات الوجيه المبجل عبد السلام أفندي بن أحمد الأزرجاني مدرس المحمودية، كان إمامًا فاضلًا محققًا له معرفة بالأصول، قرأ العلوم ببلاده وأتقن في المعقول والمنقول، وقدم مصر ومكث بها مدة، ولما كمل بناء المدرسة المحمودية بالحبانية تقرر مدرسًا فيها، وكان يقرأ فيها الدرر لملا خسرو، وتفسير البيضاوي، ويورد أبحاثًا نفيسة، وكان في لسانه حبسة وفي تقريره عسر، وبآخرة تولى إمامتها، وتكلف في حفظ بعض القرآن وجَوَّدَهُ على الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المقرئ، وابتنى منزلًا نفيسًا بالقرب من الخلوتي، وكان له تعلق بالرياضيات وقرأ على المرحوم الوالد أشياء من ذلك، واقتنى آلات فلكية نفيسة بيعت في تركته. مات بعد أن تعلل بالحصبة أيامًا في يوم الثلاثا سادس جمادى الأولى من السنة، ولم يخلف بعده في المحمودية مثله وجاهة وصرامة واحتشامًا وفضيلة، رحمه الله.

ومات الإمام العلامة والحبر الفهامة الشيخ أحمد بن عيسى بن محمد الزبيري الشافعي البراوي، ولد بمصر وبها نشأ وقرأ الكثير على والده وبه تفقه، وحضر دروس مشايخ الوقت في المعقول والمنقول، وتمهر وأنجب وعد من أرباب الفضايل، ولما توفي والده أجلس مكانه بالجامع الأزهر واجتمع عليه طلبة أبيه وغيرهم واستمرت حلقة درس والده على ما هي عليه من العظم والجلالة والرونق وإفادة الطلبة، وكان نعم الرجل صلاحًا وصرامة، توفي بطندتا في ليلة الأربعا ثالث شهر ربيع الأول فجأة، وجِي به إلى مصر فغُسِّلَ في بيته وصلي عليه بالأزهر، ودفن عند والده بتربة المجاورين، رحمه الله.

ومات الوجيه المبجل بقية السلف سيدي عامر ابن الشيخ عبد الله الشبراوي، تربى في عز ودلال وسيادة ورفاهية، وكان نبيلًا نبيهًا إلا أنه لم يلتفت إلى تحصيل المعارف والعلوم، ومع ذلك كان يقتني الكتب النفيسة ويبذل فيها الرغايب، واستكتب عدة كتب بخط المرحوم الشيخ حسن الشعراوي المكتب، وهو في غاية الحسن والنورانية. ومن ذلك مقامات الحريري وشروحها للزمزمي وغيره، وجلدها وذهبها ونقشوا اسمه في البصمات

المطبوعات في نقش الجلود بالذهب، وعندي بعض على هذه الصورة، ورسم باسمه الشيخ محمد النشيلي عدة آلات فلكية وأرباع وبسايط وغير ذلك، واعتنى بتحريرها وإتقانها، وأعطاه في نظير ذلك فوق مأموله، وحوى من كل شيء أظرفه وأحسنه مع أن الذي يرى ذاته يظنه غليظ الطبع، توفي — رحمه الله — يوم الجمعة تاسع عشرين المحرم من السنة.

ومات العلامة الفقيه الفاضل الشيخ محمد سعيد بن محمد صفر بن محمد بن أمين المدني الحنفي نزيل مكة والمدرس بحرمها تفقه على جماعة من فضلا مكة، وسمع الحديث على الشيخ محمد بن عقيلة والشيخ تاج الدين القلعي وطبقتهما، وبالمدينة الشيخ أبي الحسن السندي الكبير وغيره، وكان حسن التقرير لما يمليه في دروسه، حضره السيد العيدروس في بعض دروسه وأثنى عليه، وفي آخر عمره كف بصره حزنًا على فقد ولده، وكان من نجبا عصره أرسله إلى الروم وكان زوجًا لابنة الشيخ ابن الطيب فغرق في البحر، وفي أثناء سنة أربع وسبعين وماية وألف ورد مصر، ثم توجه إلى الروم على طريق حلب فقرأ هناك شيًّا من الحديث، وحضره علماها ومنهم السيد أحمد بن محمد الحلوي وذكره في جملة شيوخه، وأثنى عليه ورجع إلى الحرمين وقطن بالمدينة المنورة، ومن مؤلفاته الأربعة: أشعار في مدح النبي المختار ﷺ، وله قصيدة مدح بها الشيخ العيدروس، ولما حج الشيخ أحمد الحلوي في سنة تسعين اجتمع به بالمدينة المنورة، وذاكره بالعهد القديم فهش له وبش واستجاز منه ثانيًا فأجازه، ولم يزل على حاله المرضية من عبادة وإفادة حتى توفي في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

ومات الأمير عبد الرحمن أغا أغات مستحفظان وهو من مماليك إبراهيم كتخدا، وتقلد الأغوية في سنة سبعين كما تقدم، واستمر فيها إلى سنة تسع وسبعين، فلما نفي علي بك النفية الأخيرة عزله خليل بك وحسين بك وقلدوا عوضه قاسم أغا، فلما رجع علي بك ولاه ثانيًا وتقلد قاسم أغا صنجقًا فاستمر فيها إلى سنة ثلاث وثمانين فعزله وقلد عوضه سليم أغا الوالي، وقلد موسى أغا واليًا عوضًا عن سليم المذكور وكلاهما من مماليكه، وأرسل المترجم إلى غزة حاكمًا وأمره أن يتحيل على سليط ويقتله، وكان رجلًا ذا سطوة عظيمة وفجور، فلم يزل يعمل الحيلة عليه حتى قتله في داره وأرسل برأسه إلى علي بك بمصر، وهي أول نكتة تمت لعلي بك في الشام وبها طمع في استخلاص الشام، فلما حصلت الوحشة بين محمد بك وسيده علي بك انضوى إلى محمد بك، فلما استبد بالأمر قلده أيضًا الأغوية فاستمر فيها مدته، ولما مات محمد بك انحرف عليه مراد بك

وعزله وولى عوضه سليمان أغا وذلك في سنة تسعين، ولما وقعت المنافرة بين إسماعيل بك والمحمدية انضم إلى إسماعيل بك ويوسف بك واجتهد في نصرتهما وصار يكر ويفر ويجمع الناس، ويعمل المتاريس ويعضد المتاريس ويعمل الحيل والمخادعات ويذهب ويجي الليل والنهار حتى تم الأمر، وهرب إبراهيم بك ومراد بك واستقر إسماعيل بك ويوسف بك فقلداه الأغوية أيضًا، فاستمر فيها مدته فلما خرج إسماعيل بك إلى الصعيد محاربًا للمحمديين تركه بمصر فاستقل بأحكامها، وكذلك مدة غياب محمد بك بالشام، فلما خان العلوية إسماعيل بك وانضموا إلى المحمدية ورجع إسماعيل بك على تلك الصورة — كما ذكر — خرج معه إلى الشام إلى أن تفرق أمرهم، فأراد التحول إلى جهة قبلي فانضم معه كثير من الأجناد والمماليك وساروا إلى أن وصلوا قريبًا من العادلية، فأرسل مملوكًا له أسود ليأتيه بلوازم من داره ويأتيه بحلوان فإنه ينتظره هناك، وحلوان كانت في التزامه وعدى من خلف الجبل ونزلوا بحلوان وركبوا وساروا وتخلف هو عنهم للقضاء المقدر ينتظر خادمه فبات هناك، وحضر بعض العرب وأخبر مراد بك فأرسل الرصد لذلك العبد وركب هو في الحال وأتاه الرصد بالعبد في طريق ذهابه فاستخبره فأعلمه بالحقيقة بعد التنكر، فسار مستعجلًا إلى أن أتى حلوان واحتاط بها وهجمت طوايفه على دوار الأوسية وأخذوه قبضًا باليد وعروه ثيابه حتى السراويل، وسحبوه بينهم عريانًا مكشوف الرأس والسوأتين وأحضروه بين يدي مراد بك، فلما وقعت عينه عليه أمر بقطع يديه وسلموه لسواس الخيل يصفعونه ويضربونه على وجهه، ثم قطعوا رقبته حزًّا بسكين ويقولون له: انظر قرص البرغوث يذكرونه قوله لمن كان يقتله: لا تخف يا ولدي إنما هي كقرصة البرغوث ليسكن روع المقتول على سبيل الملاطفة فكانوا يقولون له ذلك على سبيل التبكيت، ودخل مراد بك في صبحها برأسه أمامه على رمح ودفن كما ذكر، ولم يأت بعده في منصبه من يدانيه في سياسة الأحكام والقضايا والتحيلات على المتهومين حتى يقروا بذنوبهم، وكان نقمة الله على المعاكيس وخصوصًا الخدمة الأتراك المعروفين بالسراجين.

واتفق له في مبادي ولايته أنه تكرر منه أذيتهم فشكوا منه إلى حسين بك المقتول فخاطبه في شأنهم فقال له: هؤلاء أقبح خلق الله وأضرهم على المسلمين وأكثرهم نصارى ويعملون أنفسهم مسلمين ويخدمونكم ليتوصلوا بذلك إلى إيذا المسلمين، وإن شككت في قولي أعطني إذنًا بالكشف عليهم لأميز المختون من غيره. فقال له الصنجق: افعل ما بدالك، فلما كان في ثاني يوم هرب معظم سراجين الصنجق ولم يتخلف منهم إلا من كان

مسلمًا ومختونًا وهو القليل؛ فتعجب حسين بك من فطانته، ومن ذلك الوقت لم يعارضه في شيء يفعله، وكذلك علي بك ومحمد بك. ولما خالف محمد بك على سيده وانفصل عنه وذهب إلى قبلي وانضم إليه خشداشه أيوب بك تعاقدا وتحالفا على المصحف والسيف، ونكث أيوب بك العهد وقضى محمد بك عليه قطع يده ولسانه، أرسل إليه عبد الرحمن أغا هذا ففعل به ذلك، ولما حضر إليه ليمثل به ودخل إليه وصحبته الجلاد فتمنى بين يديه وقال: يا سلطانم أخوك أمر فيك بكذا وكذا فلا تؤاخذني فإني عبدكم ومأموركم، وصار يقول للجلاد: ارفق بسيدي ولا توله ونحو ذلك. ولما ملك محمد بك ودخل مصر أرسله إلى عبد الله بك كتخدا الباشا الذي خامر على سيده، وانضم إلى علي بك فذهب إليه وقبض عليه ورمى عنقه في وسط بيته، ورجع برأسه إلى مخدومه وباشر الحسبة مدة مع الأغاوية، وكان السوقة يحبونه، وتولى ناظرًا على الجامع الأزهر مدة، كان يحب العلما ويتأدب مع أهل العلم ويقبل شفاعتهم، وله دهقنة وتبصر في الأمور، وعنده قوة فراسة وشدة حزم حتى غلب القضا على حزمه، عفا الله عنه.

ومات الأمير عبد الرحمن بك وهو من مماليك علي بك وصناجقه الذين أَمَّرَهُم ورقاهم فهو خشداش محمد بك أبي الدهب وحسن بك الجداوي وأيوب بك ورضوان بك وغيرهم. وكان موصوفًا بالشجاعة والإقدام فلما انقضت أيام علي بك وظهر أمر محمد بك خمل ذكره مع خشدشينه إلى أن حصلت الحادثة بين المحمديين وإسماعيل بك، فرد لهم إمرياتهم إلا عبد الرحمن هذا فبقي على حاله مع كونه ظاهر الذكر، فلما كان يوم قتل يوسف بك وكان هو أول ضارب فيه وهرب في ذلك اليوم من بقي من المحمديين وأخرج باقيهم منفيين فردوا له صنجقيته كما كان، ثم طلع مع خشداشينه لمحاربتهم بقبلي ثم والسوا على إسماعيل بك وانضموا إليهم ودخلوا معهم إلى مصر كما ذكر، ثم وقع بينهم التحاقد والتزاحم على إنفاذ الأمر والنهي، وكان أعظم المتحاقدين عليهم مراد بك وهم له كذلك، وتخيل الفريقان من بعضهم البعض، وداخل المحمدية الخوف الشديد من العلوية إلى أن صاروا لا يستقرون في بيوتهم فلازموا الخروج إلى خارج المدينة والمبيت بالقصور، فخرج إبراهيم بك وأتباعه إلى جهة العادلية، ومراد بك وأتباعه إلى جهة مصر القديمة، فلما كان يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى أصبح مراد بك منتفخ الأوداج من القهر فاختلى مع من يركن إليهم من خاصته وقال لهم: إني عازم في هذا اليوم على طلب الشر مع الجماعة. قالوا: وكيف نفعل؟ قال: نذهب إلى مرمى النشاب ولا بد أن يأتينا منهم من يأتي، فكل من حضر عندنا منهم قتلناه ويكون ما يكون بعد ذلك. ثم

ركب ونزل بمساطب النشاب وجلس ساعة، فحضر إليه عبد الرحمن بك المذكور وعلي بك الحبشي فجلسا معه حصة ومراد بك يكرر لأتباعه الإشارة بضربهما وهم يهابون ذلك، ففطن له سلحدار عبد الرحمن بك فغمز سيده برجله فهم بالقيام فابتدره مراد بك وسحب بالته وضربه في رأسه، فسحب الآخر بالته وأراد أن يضربه فألقى بنفسه من فوق المسطبة إلى أسفل، وعاجل أتباع مراد بك عبد الرحمن بك وقتلوه، وفي وقت الكبكبة غطى علي بك الحبشي رأسه بجوخته واختفى في شجر الجميز، وركب في الحال مراد بك وجمع عشيرته وأرسل إلى إبراهيم بك فحضر من القبة إلى القلعة، وكان ما ذكر، واستمر عبد الرحمن بك مرميًّا بالمسطبة حتى حضر إليه أتباعه وشالوه ودفنوه بالقرافة.

ومات الأمير أحمد بك شنن وأصله مملوك الشيخ محمد شنن المالكي شيخ الأزهر، فحصل بينه وبين ابن سيده وحشة ففارقه ودخل في سلك الجندية، وخدم علي بك وأحبه ورقاه وأمَّرَه إلى أن قلده كتخدا الجاويشية فلم يزل منسوبًا إليه ومنضمًّا إلى أتباعه، وتقلد الصنجقية وصاهره حسن بك الجداوي، وتزوج بابنته وبنى لها البيت بدرب سعادة ولم يزل حتى قتل في هذه الواقعة، وكان فيه لين جانب ظاهري، ويعظم أهل العلم ويظهر لهم المحبة والتواضع.

ومات الأمير إبراهيم بك طنان وهو من مماليك حسن أفندي مملوك إبراهيم أفندي المسلماني، وكانوا عدة وعزوة معروفين ومشهورين في البيوت القديمة، ومنهم مصطفى جربجي وأحمد جربجي، ثم لما ظهر أمر علي بك انتسبوا إليه وخرجوا مع محمد بك عندما ذهب لمحاربة خليل بك كشكش ومن معهم بناحية المنصورة، فوقع في المقتلة أحمد جربجي المذكور، وأعجب بهم محمد بك في تلك الواقعة فأحبهم وضمهم إليه ولازموه في الأسفار والحروبات، ولما خالف على سيده علي بك وهرب إلى الصعيد خرجوا معه كذلك، ومات مصطفى جربجي على فراشه بمصر أيام علي بك وصار كبيرهم والمشار إليه فيهم إبراهيم جربجي، فلما رجع محمد بك وتعين في رياسة مصر قلده صنجقًا ونوه بشأنه وأنعم عليه وأعطاه بلادًا مضافة إلى بلاده منها سندبيس ومنية حلفة وباقي الأمانة، وكان عسوفًا ظالمًا على الفلاحين لا يرحمهم، وله مقدم من أقبح خليقة الله من منية حلفة فيغري بالفلاحين ويسجنهم ويعذبهم ويستخلص لمخدومه منهم الأموال ظلمًا وعدوانًا، فلما حصلت تلك الحادثة وهرب إبراهيم بك المذكور مع إسماعيل بك اجتمع الفلاحون على ذلك المقدم وقتلوه وحرقوه بالنار، وكان إبراهيم بك هذا ملازمًا على زيارة ضرايح الأوليا في كل جمعة يركب بعد صلاة الصبح إلى القرافة ويزور قبور البستان وقبور

أسلافه، ثم يذهب إلى زيارة الشافعي ويخرج منه ماشيًا فيزور الليث وما جاورهما من المشاهد المعروفة كيحيى الشيبة والسادات الثعالبة والعز وابن حجر وابن جماعة وابن أبي جمرة وغير ذلك، وكان هذا دأبه في كل جمعة، ولما وقعت الحوادث خرج مع إسماعيل بك إلى غزة، فلما سافر إسماعيل بك ونزل البحر تخلف عنه، ومات ببعض ضياع الشام، وظهر له بمصر ودايع أموال لها صورة.

ومات الأمير إبراهيم بك بلفيا المعروف بشلاق وهو مملوك عبد الرحمن بلفيا بن إبراهيم بك، وعبد الرحمن أغا هذا هو أخو خليل بك، وكان علي بك ضمه إليه وأعجبه شجاعته فقلده صنجقًا وصار من جملة صناجقه وأمرايه ومحسوبًا منهم، فلما حصلت هذه الحادثة كان فيهم وقتل معهم.

ومات الأمير الكبير حسن بك رضوان أمير الحاج وهو مملوك عمر بك بن حسين رضوان، تقلد الصنجقية بعد موت سيده وجلس في بيته وطلع أميرًا بالحج سنة ثمان وسبعين وتسع وسبعين، وعمل دفتر دار مصر ثم عزل عنها، وطلع بالحج في سنة إحدى وثمانين وسنة اثنتين وثمانين، وقلدوا رضوان بك مملوكه صنجقًا، فلما تملك علي بك نفى رضوان بك هذا فيمن نفاهم في سنة واحد وثمانين ثم رده ثم نفاه مع سيده بعد رجوعه من الحج في سنة ثلاث وثمانين إلى مسجد وصيف، ثم نقل إلى المحلة الكبرى فأقام إلى سنة إحدى وتسعين، فكانت مدة إقامته بالمحلة نحو ثماني سنين، فلما تملك إسماعيل بك أحضره إلى مصر وقلده إمارة الحج سنة إحدى وتسعين كما ذكر، فلما انضم العلوية إلى المحمدية ورجعوا إلى مصر وهرب إسماعيل بك بمن معه إلى الشام لم يخرج معه، وبقي بمصر لكونه ليس من قبيلتهم، وانضوى إلى العلوية كغيره لظنهم نجاحهم فوقع لهم ما وقع، وقتل مع أحمد بك شنن بشبرا وأتوا بهما إلى بيوتهما وكل منهما ملفوف في قطعة خيمة، ودفن حسن بك المذكور عليه رحمة الله، وكان أميرًا جليلًا مهذبًا كريم الأخلاق لين الجانب يحب أهل الصلاح والعلم، وعاشر بالمحلة صاحبنا الفاضل اللبيب الأديب الشيخ شمس الدين السمربائي الفرغلي وأحبه واغتبط به كثيرًا وأكرمه وحجزه عنده مدة إقامته بالمحلة، ومنعه عن الذهاب إلى بلده إلا لزيارة عياله فقط في بعض الأحيان ثم يعود إليه سريعًا، ويستوحش لغيابه عنه فكان لا يأتنس إلا به. وللشيخ شمس الدين فيه مدايح ومقامات وقصايد، فمن ذلك ما ضمنه في مزدوجته نفحة الطيب في محاسن الحبيب، ولرقتها وسلاستها أوردتها هنا وهي:

يقول شمس الدين فتح لبًّا   الفرغلي شهرة ونسبا
الشافعي مذهبًا وحسبا   الأحمدي طريقة وأدبا
السمربائي من هواه عذري

سبحان من في العالمين ولى   مليك حسن بالبها تجلى
وأورث العشاق طرًّا ذلًّا   فهم حيارى في الورى أذِلَّا
دموعهم فوق الخدود تجري

وقد تعالى خالق البرايا   ومجزل الخيرات والعطايا
من لم يؤاخذ قط بالخطايا   من هام في مهامه البلايا
وخاض بحرًا يا له من بحر!

وجل من أودع في الجفون   فنون سحر حركت سكوني
وأظهرت لواعج الشجون   من كل قلب واله مفتون
بحب زيد في الهوى وعمرو

وعز من قد صاغ من تراب   ظبيًا حلا في حبه اغترابي
ولذَّ لي في عشقه عذابي   أواه لو يسمح باقترابي
من وجهه الوضاح ترب البدر

أحمد فهو الذي قد وفقا   عباده لعشق غزلان النقا
وقد كساهم حلة من التقى   وخصهم بالعتق في يوم اللقا
من حر نار سعرت في الحشر

والشكر في السراء والضراء   لعالم الجهر مع الخفاء
مصور الجنين في الأحشاء   ومنقذ الغرقى من البلاء
ومنزل اليسرين بعد العسر

ثم الصلاة والسلام سرمدا   على الرسول الهاشمي أحمدا
وآله وصحبه ذوي الهدى   ما أنَّ ذو وجد وغنَّى منشدا
من رجز منظم كالدر

وتابعيهم أنجم الهدايه   وأبحر العلوم والروايه
ومن يليهم معدن الولايه   ما عاشق قد أظهر الشكايه
من نار حب قد ذكت في الصدر

وبعد فاسمع يا أخا الفنون معانيًا تنبيك عن شجوني
سطرتها من أدمع الجفون لكي يراها قرة العيون
أعني به سلطان هذا العصر
مولى الورى من قد حلا بين الملا وفي صلاح العصر أضحى مرسلا
ريم أعار الظبي طرفًا أكحلا غصن أمد البان قدًّا أكملا
ومن محياه ضياء الفجر
ظبي يصيد الأسد في الغابات ويزدري الأقمار في الهالات
إن مر بالصهباء في الحانات أو طاف بالدنان والسقاة
تمايلت سكرًا بغير خمر
بقده قد أخجل المرانا وأعجز الأبطال والشجعانا
بلحظه لقد سبى الغزلانا وكم هدى بوجهه حيرانا
إلى الهدى في البر ثم البحر
ترب الهلال الأهيف الفريد صنو الغزال الأغيد الوحيد
بحر الجمال الوافر المديد نهر الكمال الفاضل المفيد
كنز الرجا إنسان عين الدهر
من حبه قد صنته عن غيره ولم أبح وحقه بسره
لكنه مذ راعني بهجره جعلت نفسي تحت طوع أمره
عبدًا له في النهي ثم الأمر
هذا وجل القصد من أهل الأدب ومن لهم في العلم والفضل الرتب
أن يكتبوا لما أقول بالذهب ويسمعوا قضية هي السبب
في نظم ما قد صغته من در
قد كنت فيما مر من أيامي مولعًا بالحب والغرام
أهوى مليح القد والقوام ومن لماه العذب كالمدام
وخده الوردي مثل الجمر
وأعشق الظبي الأغن الأغيد من قده مثل الغصون أميد
ووجهه له الملوك سجد إذا رأته الأسد خوفًا ترعد
من لحظة وما حوى من سحر

لا سيما من كان في دلاله　　كيوسف الصديق في جماله
أو غصن بان ماس في اعتداله　　أو بدر تم لاح في كماله
في أربع في الشهر بعد العشر

وأشتهي مليحة الطباع　　جميلة الأخلاق والأوضاع
ونزهة الأبصار والأسماع　　من كل في أوصافها يراعي
وحسنها قد حار فيه فكري

كحيلة العينين كالحوراء　　إذا تثنت حار فيها الرائي
حديثها أشهى من الصهباء　　إلى النفوس أو زلال الماء
عند الهجير في اشتداد الحر

أسيلة الخدين كم إليها　　مالت نفوس العاشقين تيها
هيفا مليك الغيد يشتهيها　　ثقيلة الأرداف ليس فيها
عيب يرى إلا نحول الخصر

هذا وكم في الأهيف المصان　　أبديت نظمًا محكم المباني
أبهى من الياقوت والمرجان　　مترجمًا عما حوى جناني
من لاعج بين الحشا والصدر

وكم على وصل الملاح الغيد　　أشقيت نفسي في الفيافي البيد
وجئت للآفاق كالطريد　　وليس لي في الحب من رشيد
يدلني على صلاح أمري

وكم ليال بتها ذا حزن　　في سجن من أضحى أمير الحسن
وأدمعي في وجنتي كالمزن　　وعاذلي في الحب ليس يثني
عليَّ خيرًا بعد طول صبري

وكم نواح نحت فيها وحدي　　في غفلة الواشين خوف الصد
ولم أرى صبًّا حليف وجد　　يكون عوني في بلوغ قصدي
من مفرد عن لوعتي لا يدري

وكم مضيق في الهوى وَلَجتُه　　ومغلق بحيلتي فتحته
وبحر عشق زاخر قد خضتُه　　ومهمه جنح الدجى قطعتُه
الأسد خلفي في الفيافي تجري

وكم شجاع في هوى من أهوى　　ألبسته ثوب الضنا والبلوى

قد بات في سجن الأسى والشكوى   وما له يومًا سمعت دعوى
ومات في قيد الجفا والضر
وكم أويقات مضت في أنس   مُسامري فيها حبيب النفس
والكاس يجلى بيننا كالشمس   وليس ندري يومنا من أمس
سكرى ولم نخش ولاة الأمر
وكم سمعت الناي والأوتارا   مع رفقة قد تخجل الأقمارا
وكم بلغت القصد والأوطارا   وبت ليلي أنظم الأشعارا
في أهيف ألمى نقي الثغر
وكم خلعت في الهوى عذارا   وسامرتني في الدجى عذارى
وكنت في الغرام لا أجارى   كأن لي عند الحسان ثارا
أخذته في غفلة من دهري
وكم قطفت وردة الخدود   وفزت بالضم من القدود
هذا وما حلت عن العهود   ولا تعديت عن الحدود
في نشوتي وغشيتي وسكري
وكم سبحت في بحار الغي   جهلًا ولم أخش عذاب الحي
ورحت مع نشر الهوى والطي   في حب ربات البها ومي
وعلوة ذات العلى والقدر
وكم إلى العصيان قد سارعت   ولارتكاب الإثم قد بادرت
وخالقي بالذنب قد بارزت   وسيدي لأمره خالفت
وقد نسيت وحشتي في قبري
وكم عصيت في الهوى رحماني   وملت مع نفسي إلى الخسران
وكم أطعت في الدجى شيطاني   ولم أراع جانب الديان
حتى انقضى عمري وضاع أجري
وكم نصوح خلته عذولا   وعالم حسبته جهولا
ومرشد ظننته ضليلا   وذو انتباه لم يكن غفولا
نبذته في الحب خلف ظهري
وكم لأعمال الهدى رفضت   وعهد رب العرش قد نقضت
وكم لجلباب الحيا أمطت   وفي سبيل اللهو قد ركضت

خيول وجدي فهي فيه تجري
وكم أضعت الفرض والمندوبا   في حب شيء لم يكن مطلوبا
وكم أطعت الحب والمحبوبا   ولم أزل عن الهدى محجوبا
وليس عندي ذرة من بر
وكم رتعت في ميادين الهوى   وضل قلبي والفؤاد قد غوى
وملت عن طرق الرشاد والدوا   ولم أراقب من على العرش استوى
سبحانه من عالم بالسر
وكم إلى اللذات قد سعيت   بأرجل حالا وما ونيت
وكم عن الطاعات قد سهيت   وعن سبيل الغي ما انتهيت
ولم أقدم خوف رب الحشر
حتى رأيت عسكر الشباب   ولَّى وصار العمر في اضطراب
والشيب حط رحله ببابي   وابيض فودي ودنا اغترابي
من منزلي إلى مضيق قبري
وأكثر الإخوان والأقران   قد انطووا سبحان ذي الغفران
وكلما يدعونني شيطاني   أجيبه حالًا بلا تواني
حتى تحملت عظيم الوزر
وكَلَّ مِنِّي كاتب الشمال   وملَّ عني صاحبي ومالي
ولم أفق من سكرتي لحالي   حتى دهاني حادث الليالي
وشيبت رأسي خطوب الدهر
وعندما قد سطرت عيوبي   واسود وجه الشيب من ذنوبي
وكان ما قد كان في الغيوب   ولم أنل بين الورى مطلوبي
وفاتني حقًّا عظيم الأجر
ندمت حيث لا يفيد الندم   لا سيما إذ زل مني القدم
لكن لرب العرش في ذا حكم   يحتار فيها الخصم ثم الحكم
والحاذق النحرير شيخ العصر
وتبت عما كان مني في القدم   وما به علي قد جرى القلم
وأدمعي تنهل في جنح الظلم   كأنها البحر الخضم والديم
على الذي ضيعته من عمري

وقلت: يا نفس إلى مولاك تضرعي كي تنمحي شقواك
وتلهمي بعد الشقا تقواك فإن مولًى في الحشا ربَّاك
يمحو عن العاصين كل وزر
ويغفر الآثام والذنوبا ويستر الزلات والعيوبا
ويجبر الألباب والقلوبا ويجمع الطالب والمطلوبا
في جنة حصباؤها من در
فبادرت نفسي إلى المتاب من بعد فرط اللهو والتصابي
وأدمعي تنهل كالسحاب على الذي قد ضاع من شبابي
في خزية وفرية وإصر
ولم أزل في غاية الصلاح أجيب طوعًا داعي الفلاح
ولم أطع في الخير من لواحي هذا وكم جددت من نواح
على ليال قد مضت في خسر
وحين سار الكوكب المنير من مصر والعلا له بشير
وسعده أمامه يسير كأنه في عصره وزير
أو يوسف الحسن عزيز مصر
أعني به أمير ذي اللواء وصاحب العز مع الهناء
ذا الطلعة البهية الحسناء والحكم والآداب والحياء
والمجد والقدر العلي والفخر
بحر الندى من اسمه السامي حسن وقلد الأجياد أطواق المنن
ومن على الحج الشريف مؤتمن وحبه في كل قلب قد سكن
لا سيما أهل التقى والبر
وحل بالمحلة الكبيره كأنه شمس الضحى المنيره
وخيرة المولى أجل خيره طافت به خلائق كثيره
لأنه أمير هذا العصر
وشاع في البلدان والآفاق حلوله فيها بالاتفاق
وجهت وجي أرتجي التلاقي وأجتني مكارم الأخلاق
ممن تحلى بالعطا والبشر
وقدر الرحمن باجتماعي على جميل الذات والطباع

رأيــتــه حــقًّــا بــلا نــزاع أجــل داع لــلــرشــاد داعــي
ودرة يــتــيــمــة فــي الــدهــر
وعــنــدمــا عــايــنــتــه أمــيــرا مــفــخــمًــا مــعــظــمًــا كــبــيــرا
مــهــذبًــا مــؤدبًــا وقــورا مــبــجــلًا مــكــرمًــا شــكــورا
لــربــه فــي الــسـر ثــم الــجــهــر
علــقــت آمــالــي بــه فــي الــحــال ولــم أحــل عــن حــبــه بــحــال
ولــم أمــل لــغــيــره بــمــال ولــم أبــح بــســره لــخــالــي
ولـم أفـضـل غـيـره فـي عـصـري
وقـمـت فـي مـرضـاتـه امـتـثـالا لأمــره ونــهــيــه إجــلالا
لـم أسـتـمـع فـي حـبـه مـقـالا ولــم أوري عــاذلــي مــلالا
في غربتي عن معهدي وقصري
وبـيـنـمـا نـمـر فـي الـمـحـلـه مــع ســادةٍ أئــمــة أجــلــه
رأيـت فـي ربـوعـهـا الـمـظـلـه بـدرًا مـنـيـرًا يـكـسـف الأهـلـه
ونــوره يــفــوق كــل بــدر
ظبيًا إذا ما مر يحلو بالميل غصنًا إذا ما ماس يزري بالأسل
سلطان حسن عز قدرًا بالدول من قاسه بالشمس في برج الحمل
فـلـيس قـطـعًا بـالـقـيـاس يدري
مــعــربًــا ولــحــظــه هــنــدي مــكــمــلًا وقــدره تــركــي
مــهــذبًــا وحــســنــه بــهــي مــؤدبًــا وعــقــلــه وهــبــي
كـأنـه يـوسـف هـذا الـعـصـر
مـحـجـبًـا عـن أعـيـن الـعـشـاق مـمـنـعًـا عـن مـقـلـة الـمـشـتـاق
مـا مـثـلـه فـي الـروم والـعـراق ولا بــلاد الــشــام بــاتــفــاق
ولا بــمــكــة ولا بــمــصــر
عن حـفـظـه لـقـد سـهـا رضـوان فـفـر واشـتـاقـت لـه الـجـنـان
إذا تــثــنــى حــارت الــولــدان أو مـاس تـيـهًـا قـالـت الأغـصـان
يا خـجـلـتـي هـذا بـقـدي يـزري!
وعــنــدمــا عــايــنــتــه غــزالا يـمـيـس فـي ثـوب الـبـهـا دلالا

أو بدر تم بالضيا تلالا   أو غصن بان قد رنا ومالا
أو خلقة قد صاغها ذو الأمر
أيقنت أن الله قد أنشاه   لي فتنة فقلت: جل الله
تبارك الرحمن ما أحلاه   من أغيد في عصره لولاه
ما لذَّ لي في الحب نظم النثر
ولا حلا لي في الهوى تذللي   وراق لي في حسنه تغزلي
ولم أكن عن الورى بمعزل   وما رثت لي من جفاء عذَّلي
ورق لي وجدًا صميم الصخر
وقلت: حاشا ربنا يعذب   من في هوى هذا الرشا يعذب
ظبي تلافى في هواه أقرب؛   لأنه عن أعيني محجب
وكم حجاب دونه وستر
ما حيلتي مري به أبلاني   وفي بحار عشقه رماني
إن جاد لي بقربه زماني   من غير واش فيه قد دهاني
بكيده ومكره والسحر
ناديته بالله يا حبيبي   رفقًا بصب والهٍ كئيب
ولا تطع مقالة الرقيب   في عاشق متيم غريب
دموعه فوق الخدود تجري
يبيت ليله يبث الشكوى   لعالم السر الخفي والنجوى
وعنده من الهوى والشجوى   ما لا تطيقه جبال رضوى
وما انتهى في العد تحت حصر
قد حرمت طيب الكرى عيناه   وحملُ أثقال الهوى أعياه
وقلبه مما به أواه   وأنت يا ظبي النقا تياه
عن لوعة المشتاق لست تدري
بحق سقمي فيك يا طبيبي   بغربتي عن منزلي الرحيب
بما أنا فيه من النحيب   لا تجعل الحرمان من نصيبي
ولا تعاتبني بفرط الهجر
بحق ما في مهجتي من الهوى   وما بقلبي من تباريح الجوى

صل مغرمًا أضره طول النوى ولم يجد لدائه يومًا دوا
إلا اللقا مع ابتسام الثغر
بحق سهدي في الدجى ووجدي وأدمعي من فوق صحن خدي
وما أقاسي فيك يا ابن ودي من الأسى مع الجفا والصد
دع القلا بالله واغنم أجري
بحق عصياني عليك اللاحي وسوء حظي فيك وافتضاحي
وما بأحشائي من الجراح جد بالرضا والعفو والسماح
وأمر بعرف يا شقيق البدر
بحق نوحي والظلام فاحم وليس عندي في الديار راحم
بعاذلي لي فيك كم يزاحم قد عرفتني قدره الملاحم
عطفًا ففي هواك عيل صبري
بحق صبري والتقى وديني وحسن ظني فيك مع يقيني
بحرقتي وأدمعي ترويني وفرقتي وأنت لا تدنيني
من بابك العالي الرفيع القدر
بحق من أغراك في تلافي وأظهر الوفاق في خلافي
وحسن الهجران والتجافي وبالذي قد شاع من عفافي
في ملة العشاق سهل أمري
بحق من أعطاك خلقًا حسنا وأحرم الجفون فيك الوسنا
وبالذي أذهب عنك الحزنا وصير القلب الجريح سكنا
لذاتك الحسناء يسر عسري
بحق من ولاك في البريه سلطانَ حسن كامل المزيه
بما أنا فيه من البليه في بكرة النهار والعشيه
وأنت في أوج البها والفخر
بحق من رقاك للمعالي وفي هواك تيم الموالي
وسلسل الدموع كاللآلي من أعيني في حالك الليالي
خذ لي بثأري منك واقبل عذري
بقدرك المنصور ذي الدلال وحسنك الهادي من الضلال

ووجهك الرشيد ذي الجمال وخالك السفاح ذي الجلال
رفقًا بمأمون الوفا ذي السر
بلحظك المهند الصقيل وطرفك المدعج الكحيل
بخدك المورد الأسيل وثغرك المنظم الجميل
وريقك الأحلى الرحيق العطر
لا تجعل الصدود لي جوابا ولا على الأبواب لي حجابا
فإن جسمي في هواك ذابا وقلبي المضنى عليك شابا
وعبرتي فيك كموج البحر
واعطف على مضناك فهو حقًّا مما دهاه فيك مات عشقا
وارحم عليلًا من جفاك رقًّا بين الربوع والطلول ملقى
على فراش حشوه من جمر
واسمح بقطف وردة الخدود ورشف ثغر باسم منضود
وضم قد عادل مملود ودع ملام العاذل الحسود
في صبك المضنى حليف القهر
ولا تطع في هجره اللواحي فإنه سكران فيك صاحي
ووجده قد شاع في النواحي وما عليه قط من جناح
في الحب يا ريم الفلا يا بدري
هذا وما أحلاه حين مالا تهزه ريح الصبا دلالا
وافتر تيهًا وانثنى وقالا أعد على مسامعي مقالا
من جنسه فروع علم السحر
فقلت: حالي فيك ليس يخفى فلا تكلفني أعيد حرفا
واقنع بما ذكرت فهو أشفى لعلة بين الضلوع تخفى
قد صنتها عن عاذلي ذي الشر
فقال لي: إن كنت بي معنى ومحسنًا بي في الغرام ظنًّا
صف بعض حسني أيها المعنى فإن من أحب ظبيًا غنى
من رمل أو من قوافي الشعر
فقلت: وصفي فيك يا غزالي وردي وتسبيحي مدى الليالي
لله كم قد صنعت من لآلي في حسنك الموصوف بالكمال

وأنت في تيه البها والفخر
وقمت فيه خالع العذار وبائع الحياء والوقار
ووصفه به بين الورى شعاري هذا وكم في عشقه أداري
من لائم ومن حسود غمر
وصرت فيه مدنفًا عليلا متيمًا وخاضعًا ذليلا
ولم أجد لي في الهوى خليلا وكلما له أقم دليلا
في حبه يقول: لست أدري
وكلما أبدي له غرامي ولوعتي وشدة الأسقام
وفكرتي وكثرة الأحلام وصبوتي فيه على الدوام
يقول: دعني قد جهلت قدري
وقائل: صف حسن من تهواه فإن فيه العاشقين تاهوا
فقلت: يا سبحان من سواه من نطفة وجل من ولاه
سلطان حُسْنٍ تاجه من در
جماله ماذا أقول فيه؟ وحسنه من ذا يشك فيه؟
ووصفه قد جل عن شبيه ظبي ليوث الغاب تختشيه
له أسارى في قيود الهجر
وبعده جبينه وضاح كأنه من ضوئه مصباح
أو بدر تِم نوره فضاح أو كوكب دري أو مصباح
أو الثريا مع طلوع الفجر
وحاجباه تحت ذا الجبين قد شابها في الرسم حرف النون
وهيجا بين الورى جفوني وأظهرا في حبه شجوني
وألبساني فيه ثوب الضر
وفرقه كم فيه من معاني لمن غدا في عشقه يعاني
وهدبه حدث عن السنان أو حية تسعى بلا تواني
هذا وكم في طيه من نشر
وطرفه السقيم ذو الفقار مهند يروم أخذ الثار
لو كان فيه العشق باختياري ما بت فيه خالع العذار

ولـم أبـح بـيـن الـورى بـالـسـر

ولـحـظـه مـنـه استـجـار قـلـبـي لأنـــه عــن الــمــنــون يــنــبــي
كم فـيـه ظـلـمًا مات من مـحـب وكـم غـريـق فـي بـحـار الـحـب

لـم يـهـتـدي فـي سـيـره لـلـبـر

وخـده مـنـه الـورود تـجـنـى كـأنـه زهـر الـربـيـع حـسـنـا
أو جـنـة لـهـا الـفـؤاد حـنـا أو روضـة فـيـهـا الـهـزار غـنـى

من الصبا عند ابتسام الزهر

وخـالـه فـي الـوجـنـة الـبـهـيـه قـد قـام يـدعـو سـائـر الـبـريـه
هـذا وكم في الحب من بلـيـه أقــلــه يــقــود لــلــمــنــيــه

من كان في عشق الحسان يدري

وثـغـره حـدث عـن الـصـبـاح إذا بـدا عـن فـالـق الإصـبـاح
عن الضيا والكوكب الوضاح عن الشفا عن شارح المصباح

عن ابن بسام عن ابن الزهري

وســنــه حــدث عــن الــلآلــي والجوهر الفرد الثمين الغالي
أو عـقـد در عـز عـن مـثـال قد صاغه الخلاق ذو الجلال

وزانـه بـالـنـظـم بـعـد الـنـثـر

وريـقـه أشـهـى إلـى الـنـفـوس من خـمـرة تـدار فـي الـكـئـوس
سـقـاتـهـا أبـهـى من الـشـمـوس ونـشـرهـا أذكـى مـن الـعـروس

وريـحـهـا يـفـوق كـل عـطـر

وجــيــده تــيــهًــا إذا لــواه خـرت سـجـودًا عـنـده الـجـبـاه
وقـال فـيـه الـعـاشـق الأواه: مـا حـيـلـتـي فـيـمـن بـراه الـلـه

مـن فـضـة أو عـسـجـد أو تـبـر

وقـده فـي الـلـيـن والـتـثـنـي كـغـصـن بـان أثـمـر الـتـمـنـي
أواه يـا ويـلاه قـد فـتـنـي بـعـجـبـه والـتـيـه والـتـجـنـي

وقـامـة فـاقـت جـمـيـع الـسـمـر

وعـطـفـه الـمـيـاس في اعـتـدالـه كـأنـه الـنـسـيـم فـي اعـتـلالـه
من قاسه بالبدر في كماله أو بالقضيب الرطب في اعتداله

تبت يداه من فتى لا يدري
لو كان مثلي فاتن الحسان فريد هذا العصر والأوان
يمسي سمير الوجد والأشجان وفي بحار الذل والهوان
أضحى غريقًا دمعه كالنهر
أو بات في قيد الهوى العذري تبكي عليه باكيات الحي
ويندب الأطلال في العشي وحبه لزينب ومي
ألبسه ثوب الضنا والضر
لكنت منه قد بلغت قصدي وفي هواه قد ملكت رشدي
ولم أعامَل بالجفا والصد ولم أقابل بعد ذا بالضد
من سيد حكمته في أمري
لكنه سلطان أهل عصره فريد وقته وحيد دهره
والناس طرًّا تحت طي أمره له عبيد في قيود هجره
يخشونه في سرهم والجهر
وكالرشا والظبي في النفار والليث في مهامه القفار
لم يرع يومًا حرمة الجوار ولم يخف من عالم الأسرار
في قتلتي من دون أهل عصري
هذا وكم أبديت من مقال منظم كالدر واللآلي
أشهى إلى النفوس من زلال في حب هذا الظبي والغزال
لعله بالوصل يشفي ضري
ويعفو عما صاغه بناني من محكم البديع والبيان
فإنني في خدمة الحسان ومدحة الأحباب والإخوان
أنفقت عمرًا يا له من عمر!
فهاكها جواهرًا يتيمه ودرة في كنزها عديمه
نظمتها من فكرتي القديمه وأدمعي من الهوى كديمه
على خدودي في الدياجي تجري
ثم الصلاة والسلام النامي على الرسول المصطفى التهامي
وآله وصحبه الكرام ما قال شمس في ابتدا الكلام
أرجوزة قد صاغها من در

واستهلت سنة اثنتين وتسعين وماية وألف (١٧٧٨م)

ولأديب العصر الشيخ قاسم مدايحُ في المترجم، ومنها الموشح المشهور بين أهل المغاني والآلاتية من نواه، وهو:

فـيـك كـل مـا أرى حـسـنْ   مـذ رأيـت شـكـلـك الـحـسـنْ
جـل مـن بـه عـلـيـك مـنْ   أيـهـا الـذي الـصـدود سـنْ
مـن لـسـيـف أدعـجـيـك سـن   مـذ حـرمـت مـقـلـتـي الـوسـن

سلسلة

مـدمـعـي دمًـا عـنـدمـا هـمـا   روى باللما ظما من تألما

دور

إن صـبـك الـنـحـيـل أن   جُـنَّ كـلـمـا الـظـلام جَـن
بـالـشـجـا يـنـوح والـشـجـن
صـل فـتـى لـه الـهـوى فـتـن   يـا أخـا الـهـلال والـفـتـن
والــغــزال الأغــيــد الأغــن

دور

نـزهـة الـفـؤاد والـنـظـر   عـنـبـري خـالـه خـفـر
روضـة الـجـمـال والـنـظـر
وجــهــه كـأنـه الـقـمـر   فـي غـيـاهـب مـن الـشـعـر
فـوق غـصـن قـده ظـهـر

سلسلة

مفرد البها زها أخجل المها   يا أولي النهى وها الجسم قدها

دور

الـرجـاخـيـر مـؤتـمـن   جـاء بـالـفـروض والـسـنـن
أرتـجـي بـحـقـه الـمـنـن   والـبـقـا عـلـى مـدى الـزمـن
لـلأمـيـر ذي الـلـوى حـسـن

سنة ثلاث وتسعين ومایة وألف (١٧٧٩م)

(في يوم السبت خامس المحرم) وصل إلى مصر إسماعيل باشا والي مصر وبات ببر إنبابة ليلة السبت المذكور، وركب الأمرا في صبحتها وقابلوه ورجعوا، وعدى الآخر وركب إلى العادلية وجلس بالقصر وتولى أمر السماط مصطفى بك الصغير.

(وفي يوم الثلاثا ثامن المحرم) ركب الباشا بالموكب ودخل من باب النصر، وشق القاهرة وطلع إلى القلعة، وعملوا له شنكًا ومدافع، ووصل الخبر بنزول إسماعيل بك إلى البحر وسفره من الشام إلى الروم وغاب أمره.

(وفي أواخر شهر ربيع الأول) وقعت حادثة بالجامع الأزهر بين طايفة الشوام وطايفة الأتراك بين المغرب والعشا، فهجم الشوام على الأتراك وضربوهم فقتلوا منهم شخصًا وجرحوا منهم جماعة، فلما أصبحوا ذهب الأتراك إلى إبراهيم بك وأخبروه بذلك فطلب الشيخ عبد الرحمن العريشي مفتي الحنفية والمتكلم على طايفة الشوام وسأله عن ذلك، فأخبره عن أسماء جماعة وكتبهم في ورقة وعرفه أن القاتلين تغيبوا وهربوا ومتى ظهروا أحضرهم إليه، ولما توجه من عنده تفحص إبراهيم بك عن مسميات الأسما فلم يجد لهم حقيقة، فأرسل إلى الشيخ أحمد العروسي شيخ الأزهر وأحضر بقية المشايخ وطلب الشيخ عبد الرحمن فتغيب ولم يجده؛ فاغتاظ إبراهيم بك ومراد بك وعزلوه عن الإفتا، وأحضروا الشيخ محمد الحريري وألبسوه خلعة ليكون مفتي الحنفية عوضًا عن الشيخ عبد الرحمن، وحثوا خلفه بالطلب ليخرجوه من البلدة منفيًّا فشفع فيه شيخ السادات، وهرب طايفة الشوام بأجمعهم وسمر الأغا رواقهم ونادوا عليهم، واستمر الأمر على ذلك أيامًا، ثم منعوا المجادلة والطبرية من دخول الرواق، ويقطع من خبزهم مایة رغيف تعطى للأتراك دية المقتولين، وكتب بذلك محضر باتفاق المشايخ والأمرا وفتحوا الرواق، ومرض الشيخ العريشي من قهره وتوفي رابع جمادى الأولى.

وفي أواخر شهر جمادى الثانية توفي الشيخ محمد عبادة المالكي.

وفيه جاءت الأخبار بأن حسن بك ورضوان بك قوي أمرهم وجمعوا جموعًا وحضروا إلى دجرجا، والتف عليهم أولاد همام والجعافرة وإسماعيل أبو علي فتجهز مراد بك وسافر قبله أيوب بك الصغير، ثم سافر هو أيضًا فلما قربوا من دجرجا ولى القبالي وصعدوا إلى فوق، فأقام مراد بك في دجرجا إلى أوايل رجب، وقبض على إسماعيل أبي علي وقتله ونهب ماله وعبيده وفرق بلاده على كشافه وجماعته.

وفي منتصف شهر رجب ظهر بمصر وضواحيها مرض سموه بأبي الركب وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال، وهو عبارة عن حمى ومقدار شدته ثلاثة أيام وقد يزيد على ذلك وينقص بحسب اختلاف الأمزجة، ويحدث وجعًا في المفاصل والركب والأطراف ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ويبقى أثره أكثر من شهر، ويأتي الشخص على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الإنسان دماغه وركبه ويذهب بالعرق والحمام وهو من الحوادث الغريبة.

(وفي عشرين رجب) وصل مراد بك من ناحية قبلي وصحبته منهوبات وأبقار وأغنام كثيرة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه الموافق لثاني شهر مسري القبطي أوفَى النيل المبارك ثم زاد في ليلتها زيادة كثيرة حتى علا على السد وجرى الماء في الخليج بنفسه، وأصبح الناس فوجدوا الخليج جاريًا وفيه المراكب فلم تحصل الجمعية ولم ينزل الباشا على العادة.

(وفي أواخر شهر شعبان) وصل إلى مصر قابجي باشا وبيده أوامر بعزل إسماعيل باشا عن مصر ويتوجه إلى جدة، وأن إبراهيم باشا والي جدة يأتي إلى مصر، وفرمان آخر بطلب الخزينة.

(وفي شهر شوال) وصلت الأخبار بموت علي بك السروجي وحسن بك سوق السلاح بغزة.

(وفي يوم الخميس ثامن عشر شوال) عمل موكب المحمل وخرج الحجاج، وأمير الحاج مراد بك وخرج في موكب عظيم وطلب كثير وتفاخر، وماجت مصر وهاجت في أيام خروج الحج بسبب الأطلاب وجمع الأموال وطلب الجمال والبغال والحمير، وغصبوا بغال الناس ومن وجدوه راكبًا على بغلة أنزلوه عنها وأخذوها منه قهرًا، فإن كان من الناس المعتبرين أعطوه ثمنها وإلا فلا، وغلت أسعارها جدًّا ولم يعهد حج مثل هذه

السنة في كل شيء، وسافر فيه خلايق كثير من ساير الأجناس، وسافر صحبة مراد بك أربع صناجق وهم: عبد الرحمن بك عثمان، وسليمان بك الشابوري، وعلي بك المالطي، وذو الفقار بك، وأمرا وأغوات، وغير ذلك أكابر كثيرة وأعيان وتجار.

وفيه حضر واحد أغا وعلى يده تقرير لإسماعيل باشا على مصر كما كان، وكان لما أتاه العزل نزل من القلعة في غرة رمضان وصام رمضان في مصر العتيقة، ولما انقضى رمضان تحول إلى العادلية ليتوجه إلى السويس ويذهب إلى جدة حسب الأوامر السابقة؛ فقدر الله بموت إبراهيم باشا وحضر التقرير له بالولاية ثانيًا، فركب في يوم الاثنين سادس القعدة وطلع إلى القلعة من باب الجبل.

وأما من مات في هذه السنة من الأعيان ١١٩٣ (١٧٧٩م)

مات الشيخ الفقيه الإمام الفاضل شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن عمر العريشي الحنفي الأزهري، ولد بقلعة العريش من أعمال غزة، وبها نشأ وحفظ بعض المتون، ولما مر عليه الشيخ العارف السيد منصور السرميني في بلده وجده متيقظًا نبيهًا وفيه قوة استعدادية وحافظة جيدة، فأخذه صحبته في صورة معين في الخدمة وورد معه مصر فكان ملازمًا له لا يفارقه، وأذن له بالحضور في الأزهر فكان يحضر دروس الشيخ أحمد البيلي وغيره في النحو والمعقول، ولما توجه السيد المشار إليه إلى البلاد تركه ليشتغل بالعلم فلازم الشيخ أحمد السليماني ملازمة جيدة، وحضر عليه غالب الكتب المستعملة في المذهب، وحضر دروس الشيخ الصعيدي والشيخ الحفني، ولقنه الذكر وأجازه وألبسه التاج الخلوتي، ثم اجتمع بالمرحوم الوالد حسن الجبرتي ولازمه ملازمة كلية ودرجه في الفتوى ومراجع الأصول والفروع، وأعانه على ذلك وجدان الكتب الغريبة عند المرحوم؛ فترونق ونوه بشأنه وعرفه الناس، وتولى مشيخة رواق الشوام وبه تخرج الحقير في الفقه، فأول ما حضرت عليه متن نور الإيضاح للعلامة الشرنبلالي، ثم متن الكنز وشرحه لملا مسكين، والدر المختار شرح تنوير الأبصار، ومقدار النصف من الدرر، وشرح السيد علي السراجية في الفرايض، وكان له قوة حافظة وجودة فهم وحسن ناطقة فيقرر ما يطالعه من المواد عن ظهر قلبه من حفظه بفصاحة من غير تلعثم ولا تركيز، وحج في سنة تسع وسبعين من القلزم منفردًا متقشفًا، وأدرك بالحرمين الأخيار، وعاد إلى مصر وحصلت له جذبة في سنة ست وثمانين، وترك عياله وانسلخ عن حاله وصار يأوي إلى الزوايا والمساجد ويلقي دروسًا من الشفا وطرق القوم وكلام سيدي محيي الدين والغزالي، ثم تراجع قليلًا وعاد إلى حالته الأولى.

ولما توفي مفتي الحنفية الشيخ أحمد الحماقي تعين المترجم في الإفتا وعظم صيته وتميز على أقرانه، واشترى دارًا حسنة بالقرب من الجامع الأزهر، وهي التي كانت سكن الشيخ الحفني في السابق وتعرف بدار القطرسي، وتردد الأكابر والأعيان إليه وانكبت عليه أصحاب الدعاوى والمستفتون، وصار له خدم وأتباع وفراشون وغير ذلك، وسافر إلى إسلامبول بعد موت الأمير محمد بك لقضا بعض الأغراض، وقرا هناك كتاب الشفا ورجع إلى مصر، وكان كريم النفس سمحًا بما في يده يحب إطعام الطعام ويعمل عزايم للأمرا ويخلع عليهم الخلع، ولما زاد انحطاط الشيخ أحمد الدمنهوري وتبين قرب وفاته وفراغ أجله تاقت نفس المترجم لمشيخة الأزهر إذ هي أعظم مناصب العلما، فأحب الاستيلا عليها والتوصل إليها بكيفية وطريقة، فحضر مع شيخ البلد إبراهيم بك إلى الجامع الأزهر وجمع الفقها والمشايخ وعرفهم أن الشيخ أحمد الدمنهوري أقامه وكيلًا عنه.

وبعد أيام توفي الشيخ الدمنهوري فتعين هو للمشيخة بتلك الطريقة وساعده استمالة الأمرا وكبار الأشياخ والشيخ أبو الأنوار السادات وما مهده معهم في تلك الأيام وكاد يتم الأمر، فانتدب لنقض ذلك بعض الشافعية الخاملين وذهبوا إلى الشيخ محمد الجوهري وساعدهم وركب معهم إلى بيت الشيخ البكري، وجمعوا عليهم جملة من أكابر الشافعية مثل: الشيخ أحمد العروسي والشيخ أحمد السمنودي والشيخ حسن الكفراوي وغيرهم، وكتبوا عرضحال إلى الأمرا مضمونه أن مشيخة الأزهر من مناصب الشافعية وليس للحنفية فيها قديم عهد أبدًا، وخصوصًا إذا كان أفاقيًّا وليس من أهل البلدة، فإن الشيخ عبد الرحمن كذلك، وموجود في العلما الشافعية من هو أهل لذلك في العلم والسن، وأنهم اتفقوا على أن يكون المتعين لذلك الشيخ أحمد العروسي، وختم الحاضرون على ذلك العرضحال وأرسلوه إلى إبراهيم بك ومراد بم فتوقفوا وأبوا، وقال إبراهيم بك: أي شيء هذا الكلام؟! أمر فعله الكبار يبطله الصغار، ولأي شي أن الحنفية لا يتقدمون في المشيخة على الشافعية الحنفية؟! أليسوا مسلمين ومذهب النعمان أقدم المذاهب، والأمرا حنفية والقاضي حنفي والوزير حنفي والسلطان حنفي؟!

وثارت فيهم العصبية وشددوا في عدم النقض، ورجع الجواب للمشايخ بذلك فقاموا على ساق وشدد الشيخ محمد الجوهري في ذلك وركبوا بأجمعهم وخرجوا إلى القرافة وجلسوا بجامع الإمام الشافعي وباتوا به، وكان ذلك ليلة الجمعة واجتماع الناس للزيارة، فهرعت الناس واجتمع الكثير من العامة ينظرون فيما يئول إليه هذا الأمر، وكان للأمرا

اعتقاد وميل للشيخ محمد بن الجوهري وكذلك نساهم وأغواتهم بسبب تعففه عنهم وعدم دخول بيوتهم ورد صلاتهم، وتميز بذلك عن جميع المتعممين؛ فسعى أكثرهم في إنفاذ غرضه وراجعوا مراد بك وأوهموه حصول العطب له ولهم أو ثوران فتنة في البلد، وحضر إليهم علي أغا كتخدا الجاويشية وحاججهم وحاججوه، ثم قام وتوجه وحضر مراد بك أيضًا للزيارة فكلمه الشيخ محمد وقال: لا بد من فروة نلبسها للشيخ العروسي وهو يكون شيخًا على الشافعية وذاك شيخًا على الحنفية، كما أن الشيخ أحمد الدردير شيخ المالكية والبلد بلد الإمام الشافعي، وقد جينا إليه وهو يأمرك بذلك، وإن خالفت يخشى عليك.

فما وسعه إلا أنه أحضر فروة وألبسها للشيخ العروسي عند باب المقصورة، وركب مراد بك متوجهًا وركب المشايخ وبينهم الشيخ العروسي وذهبوا إلى إبراهيم بك، ولم يكن الأمرا رأوا الشيخ العروسي ولا عرفوه قبل ذلك، فجلسوا مقدار مسافة شرب القهوة وقاموا متوجهين ولم يتكلم إبراهيم بك بكلمة، فذهب الشيخ العروسي إلى بيته وهو بيت نسيبه الشيخ أحمد العريان واجتمع عليه الناس وأخذ شأنه في الظهور. واحتد العريشي وذهب إلى الشيخ السادات والأمرا فألبسوه فروة أيضًا فتفاقم الأمر وصاروا حزبين، وتعصب للمترجم طايفة الشوام للجنسية وطايفة المغاربة لانضمام شيخهم الشيخ أبي الحسن القلعي معه من أول الأمر، وتوعدوا من كان مع الفرقة الأخرى وحذروهم ووقفوا لمنعهم من دخول الجامع، وابن الجوهري يسوس القضية ويستميل الأمرا وكبار المشايخ الذين كانوا مع العريشي مثل الشيخ الدردير والشيخ أحمد يونس وغيرهم.

واستمر الأمر على ذلك نحو سبعة أشهر إلى أن أسعفت العروسي العناية ووقعت الحادثة المذكورة بين الشوام والأتراك، واحتد الأمرا للأتراك الجنسية وأكدوا في طلب المحاققة، وتصدى العريشي للشوام للذب عنهم وحصل منه ما حصل لأجل خلاصهم، فعند ذلك انطلقت عليه الألسن وأصبح الصديق عدوًّا وانحرف عنه الأمرا وطلبوه فاختفى وعين لطلبه الوالي وأتباع الشرطة وعزلوه من الإفتا أيضًا، وحضر الأغا وصحبته الشيخ العروسي إلى الجامع للقبض على الشوام فاختفوا وفروا وغابوا عن الأعين، فأغلقوا رواقهم وسمروه أيامًا ثم اصطلحوا على الكيفية المذكورة آنفًا، وظهر العروسي من ذلك اليوم وثبتت مشيخته ورياسته، وخمل العريشي وأمروه بلزوم بيته ولا يقارش في شيء ولا يتداخل في أمر فعند ذلك اختلى بنفسه وقال: الآن عرفت ربي. وأقبل على العبادة والذكر وقراءة القرآن، ونزلت له نزلة في أنثييه من القهر فأشاروا عليه بالفصد وفصدوه فازداد

تألمه، وتوفي ليلة الخميس سابع جمادى الأولى من السنة، وجهز بصباحه وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، وحضره مراد بك وكثير من الأمرا وعلي أغا كتخدا الجاويشية، ودفن برحاب السادة الوفائية وذلك بعد الحادثة بتسعة وثلاثين يومًا، رحمه الله تعالى.

ومن آثاره رسالة ألفها في سر الكنى باسم السيد أبي الأنوار بن وفا أجاد فيها ووصلت إلى زبيد، وكتب عليها الشيخ عبد الخالق بن الزين حاشية وقرظ عليها الشيخ العروسي والشيخ الصبان، وله غير ذلك.

ومات الشريف السيد قاسم بن محمد التونسي، كان إمامًا في الفنون وله يد طولى في العلوم الخارجية مثل الطب والحرف، وكان معه وظيفة تدريس الطب بالبيمارستان المنصوري، وتولى مشيخة رواق المغاربة مرتين، الأولى استمر فيها مدة وفي تلك المدة حصلت الفتن ثم عزل منها، وأعاد الدروس في مدرسة السيوفيين المعروفة الآن بالشيخ مطهر، وله تقريظ على المدايح الرضوانية جمع الشيخ الإدكاوي أحسن فيه، وكان ذا شهامة وصرامة في الدين، صعبًا في خلقه، وربما أهان بعض طايفة النصارى عند معارضتهم له في الطريق، وأهين بسبب ذلك من طرف بعض الأمرا وتحزبت له العلما، وكادت أن تكون فتنة عظيمة ولكن الله سلم. توفي بعد أن تعلل كثيرًا وهو متولي مشيخة رواقهم وهي المرة الثانية، وكان له باع في النظم والنثر، فمنها مدايحه في الأمير رضوان كتخدا الجلفي، له فيه عدة قصايد فرايد مذكورة في الفوايح الجنانية.

ومات الإمام الفهامة الألمعي الأديب واللوذعي النجيب الشيخ محمد الهلباوي الشهير بالدمنهوري، واشتغل بالعلم حتى صار إمامًا يقتدى به، ثم اشتغل بالطريق وتلقن الأسما وأخذت عليه العهود وصار خليفة مجازًا بالتلقين والتسليك وحصل به النفع، وكان فقيهًا دراكًا فصيحًا مفوهًا أديبًا شاعرًا له باع طويل في النظم والنثر والإنشا، ولما تملك علي بك بعد موت شيخه الحفني طلبه إليه وجعله كاتب إنشائه ومراسلاته، وأكرمه إكرامًا كثيرًا ومدحه بقصايد، ولم يزل منضويًا إليه مدة دولته، ومن كلامه مدحًا في شيخه المشار إليه:

تبارك الله ما أحلاك من بشر ... يحن سمعي إلى رؤياك مع بشري
ما الشمس وقت ضحاها إن ظهرت لنا ... في حلة السر لا في حلة القمر
تهدي نفايس أنفاس وتخطف أر ... واح الملاح بأسنى مشهد عطر
أفديك بالنفس بل بالروح يا أملي ... يا لب قلبي ويا سمعي ويا بصري

يا محكم الذكر إن الفكر أتعبني … في حسنك الكامل السامي عن النظر
يا درة في خبايا الغيب قد سترت … عن العيون وغابت عن فؤاد سري
سبحانك الله ما الحفني ذا بشر … لكنه ملك قد جاء للبشر
محجب عن عيون الواصلين فما … بال الخليين من سر ومن ثمر
يا نفس إن تصلحي وقتًا لحضرته … لكن عسى توجد الأشيا على قدر
هذا الفريد الذي نادى الزمان به … فسار كل أسير نحو مقتدر
جلت محاسنه عن كل ما وصفوا … فليس يحصرها لب من الغرر
فكيف وهو وحيد الدهر شافعه … والحال يغنيك يا خالي عن الخبر
وهو الذي ورثته الأنبيا رتبًا … فضلًا من الله لا بالجد والسهر
علمًا وحلمًا وتوفيقًا ومكرمة … وحسن حال مع التسليم للقدر
ورحمة وشفاء للأنام كذا … مزيد شكر وإكرام لمقتتر
به توسلت للرحمن في كرب … قد أوقعت مهجتي في لجة الخطر
وبت في شدة لم تدر غايتها … مقلب القلب والأعضاء في سقر
صحيح وجد ضعيف القلب منقطعًا … عن حسن ما رمت موقوفًا على الخطر
مسلسل الحزن دمعي مرسل أبدًا … موضوع قدر ومتروكًا بلا وطر
ودبج الدمع لما بات متصلًا … بمهجة أدرجت في السقم والضرر
مفكر الذهن مع تدليسه عقلًا … حظي ولحظي وصفوي عاد في كدر
ولم أجد غير مرفوع المقام عز … يز الجاه مولى الندى في البدو والحضر
مشهور آلائه كم أنقذت مهجًا … عن مبهم الخطب والأسواء وهو حري
وحسن أخلاقه في الكون متفق … عليه مؤتلف للروح والبصر
فارحم غريبًا من الآمال يا سندي … بالمصطفى المجتبى المختار من مضر
صلى عليه إله العرش ما سجعت … ورقاء فوق غصون البان في السحر
والآل والصحب ما شمس النهار بدت … وزينت قامة الأغصان بالزهر
أو ما الذليل الدمنهوري فيك شدا … تبارك الله ما أحلاك من بشر!

ومن كلامه مدحًا في مخدومه علي بك:

أقسم صدقًا بالكتاب المجيد بأن حامي مصر فرد سعيد
للحكم بالعدل غدًا راجعًا ولا تقل: ذلك رجع بعيد
ذكراه في الأقطار قد أنبتت جنات إسعاف وحب الحصيد
مليك إحسان لمن يرتجي صاف لورد أحرارهم والعبيد
أغاث ملهوفًا أعان الذي عانده الدهر بعزم شديد
يصغي إلى المظلوم حتى إذا تم مقالًا مده ما يريد
كم أوقعت أحكامه ظالمًا في لجة الذل وحق الوعيد
أمن أهل الفقر من خيفة فأصبحوا في طيب عيش رغيد
أراحهم من كل شر كما أبعد عنهم كل باغ مريد
أمسى معاديه شقيًّا ومن ولاه بالإخلاص فهو السعيد
لو كان للسيف مضي عزمه ما كانت النار تذيب الحديد
أو كان يحكي السهم آراءه لم يخطئ الأغراض رامي البعيد
حاز كمالات فلم يحصها نطق وقد فاز بوصف حميد
لطفًا وإسعافًا ندى سطوة وهمة عالية وقصد سديد
أضحى به دين الهدى عاليًا مؤيدًا شرعًا مجيدًا مفيد
بعزمه مستنصرًا قاطعًا بسيفه أمال باغ عنيد
يا حافظ الوادي الحجازي قد دان لك الأقصى فسل ما تريد
أنت مليك العصر لا شك في قولي وقولي ما عليه شهيد
وباسمك الأقطار قد شرفت فأنت بين الناس بدر وحيد
سيرتك الحسنا بها سرت الـ ـرُّكبان في الدنيا فدم في مزيد
وافتك أعياد تسر الورى شرقًا وغربًا قربها والبعيد
وألسن الأنس لقد أرخت ذكر على الجاه عيد جديد

ومات السيد قاسم بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن عامر بن عبد الله بن جبريل بن كامل بن حسن بن عبد الرحمن بن عثمان بن رمضان بن شعبان بن أحمد بن رمضان بن محمد بن القطب أبي الحسن علي بن محمد بن أبي تراب علي بن أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي جعفر محمد

بن الحسن بن الحسن بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، أحد الأشراف الصحيحي النسب بمصر فجده أبو جعفر يعرف بالثج لثجثجة في لسانه، وحفيده الحسين بن إبراهيم يعرف بابن بنت الرويدى، وحفيده علي بن محمد مدفون بالصعيد في بلد يقال له دمشا وباشم، والمترجم هو والد السيدين الجليلين إسماعيل وإبراهيم المتقدم ذكرهما، صحَّح هذا النسب شيخنا السيد محمد مرتضى كما ترى، وكان حمام البابا في ملكه ممَّا خلفه له سلفه فكان يجلس فيه، وكان شيخًا مهيبًا معمرًا منور الشيبة كريمَ الأخلاق متعففًا مُقْبِلًا على شأنه، رحمه الله تعالى.

ومات الإمام العارف الصوفي الزاهد أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن سعيد بن حم الكتاني السوسي ثم التونسي، ولد بتونس ونشأ في حجر والده في عفة وصلاح وعفاف وديانة، وقرأ عليه وعلى شيخ الجماعة سيدي محمد الغرباوي وعلى آخرين، وتكمل في العلوم والمعارف مع صفاء ذهنه وسرعة إدراكه وتوقد خاطره وكمال حافظته، وكان والده يحبه ويعتمد على ما يقوله في تحرير نقله، ويصرح بذلك في أثناء درسه ويقول: أخبرني أحمد بكذا وكذا، وقال لي كذا وكذا. وقد بلغ المترجم من الصلاح والتقوى إلى الغاية، واشتهر أمره في بلاد إفريقية اشتهارًا كليًّا حتى أحبه الصغير والكبير، وكان منفرِدًا عن الناس منقبضًا عن مجالسهم فلا يخرج عن محله إلا لزيارة ولي أو في العيدين لزيارة والده، وكان للمرحوم علي باشا والي تونس فيه اعتقاد عظيم، وعرض عليه الدنيا مرارًا فلم يقبلها، وعرضت عليه تولية المدارس التي كانت بيد والده فأعرض عنها وتركها لمن يتولاها، وعكف نفسه على مذاكرة العلوم مع خواصِّ أصحابه، ومطالعة الكتب الغريبة، واجتمع عنده منها شيء كثير، وكان يرسل في كل سنة قايمة إلى شيخنا السيد مرتضى فيشتري له مطلوبه، وكان يكاتبه ويراسله كثيرًا، ورأيت في بعض مراسلاته استشهادات كثيرة منها:

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة ... ولكن تفيض القدر عند امتلاها

ومنها:

أصبحت فيهم غريب الشكل منفردًا ... كبيت حسان في ديوان سحنون

ومنها:

أمد كفي لحمل الكاس من رشا وحاجتي كلها في حامل الكاس

ومات الفقيه الأديب الماهر أحمد بن عبد الله بن سلامة الإدكاوي نزيل الإسكندرية، وأمه شريفة من ذرية السيد عيسى بن نجم خفير بحر البرلس، كان حسن المحاورة ولديه فضل ويحفظ كثيرًا من الأشيا منها المقامات الحريرية وغيرها من دواوين الشعر، وناب عن القضا في الثغر مدة، وكان يتردد إلى مصر أحيانًا وجمع عدة دواوين شعرية من المتقدمين والمتأخرين نحو المايتين وطالع كثيرًا منها مما لم يملكه، ولم يزل على حالة مرضية حتى توفي بالثغر سنة تاريخه.

ومات الشيخ الصالح المعمر خالد أفندي بن يوسف الديار بكري الواعظ، كان يعظ الأتراك بمكة على الكرسي، ثم ورد مصر ولازم حضور الأشياخ بمصر والوعظ للأتراك، وحضر معنا كثيرًا على شيخنا السيد محمد مرتضى في دروس الصحيح بجامع شيخون في سنة ألف ومائة وتسعين، وفي الأمالي والشمايل في جامع أبي محمود الحنفي، وأخبر أنه دخل دمشق وحضر دروس الشيخ إسماعيل العجلوني وأجازه، وأدرك جلة الأشياخ بديار بكر والرها وأرزوم، وكان رجلًا صالحًا منكسرًا وله مرأى حسن، ولا زال على طريقته في الحب والملازمة حتى مرض أيامًا وانقطع في بيته، ومات في رابع جمادى الأولى.

ومات الشيخ الفقيه الكامل والنجيب الفاضل أحد العلما الأعلام وأوحد فضلا الأنام الشيخ محمد بن عبادة بن بري العدوي، ينتهي نسبه إلى علي أبي صالح المدفون بالعلوة في بني عدي، قدم إلى مصر سنة أربع وستين ومائة وألف، وجاور بالأزهر وحفظ المتون، ثم حضر شيوخ الوقت ولازم دروس علما العصر، ومهر في الفنون وتفقه على علما مذهبه من المالكية، مثل: الشيخ علي العدوي، والشيخ عمر الطحلاوي، والشيخ خليل، والشيخ الدردير، والبيلي، وأخذ المعقولات عن شيخه الشيخ علي العدوي الصعيدي وغيره، ولازمه ملازمة كلية، وانتسب إليه حسًّا ومعنى وصار من نجبا تلامذته، ودرس الكتب الكبار في الفقه والمعقول، ونوه الشيخ بفضله وأمر الطلبة بالأخذ عنه، وصار له باع طويل وذهن وقَّاد وقلم سيال وفصاحة في اللسان والتقرير وصواب في التحرير وقوة استعداد واستحضار وسليقة. ومن تآليفه: حاشية على شذور الذهب لابن هشام متداولة بأيدي الطلبة نافعة، وحاشية على مولد النبي ﷺ للغيطي وابن حجر والهدهدي، وحاشية على

شرح ابن جماعة في مصطلح الحديث، وحاشية عجيبة على جمع الجوامع وعلى السعد والقطب وعلى أبي الحسن، وحاشية على شرح الخرشي وعلى فضايل رمضان، وكتابة محررة على الورقات والرسالة العضدية، وعلى آداب البحث والاستعارات. ولم يزل يملي ويقري ويفيد ويحرر ويجيد حتى وافاه الحمام، وتوفي في أواخر شهر جمادى الثانية من السنة بعد أن تعلل بعلة الاستسقا سنينًا، وكان يقرأ ليالي المواسم مثل نصف شعبان والمعراج وفضايل رمضان وغير ذلك نيابة عن شيخه الشيخ علي الصعيدي العدوي، ويجتمع بدرسه الجم الكثير من طلبة العلم والعامة، رحمه الله.

ومات الأمير علي بك السروجي وهو من مماليك إبراهيم كتخدا وإشراقات علي بك، أمَّره وقلده الصنجقية بعد موت سيدهم، ولقب بالسروجي لكونه كان ساكنًا بخط السروجية، ولما أمره علي بك هو وأيوب بك مملوكه ركب معمها إلى بيت خليل بك بلفيا، وخطب لعلي بك هذا أخت خليل بك وهي ابنة إبراهيم بلفيا الكبير وعقد عقده عليها، ثم خطب لأيوب بك ابنة خليل بك فقال له خليل بك: اعفني يا بك. فقال: لا بد من ذلك. فقال: تريد تخرب دياري فإني لا قدرة لي على تشهيل الاثنتين في آن واحد. فقال: أنا أساعدك فلا يضيق صدرك من شي، وعقد للأخرى على أيوب بك في ذلك المجلس، وشربوا الشربات وفرقوا المحارم والهدايا وانصرفوا وعملوا العرس بعد أن جهزهما بما يليق بأمثالهما وزفوا واحدة بعد أخرى إلى الزوج، ولما حصلت الوحشة بين المحمدية وإسماعيل بك انضم إلى إسماعيل بك لكونه خشداشه وخرج إلى الشام صحبته، فلما سافر إسماعيل بك إلى الديار الرومية تخلف المترجم مع من تخلف، ومات ببعض ضياع الشام كما ذكر.

ومات أيضًا الأمير حسن بك المعروف بسوق السلاح لسكنه في تلك الخطة ببيت الست البدوية، وأصله مملوك صفية جارية الشيخ أبي المواهب البكري، وكان ابن أخيها فاشترته واستمر في خدمة الشيخ أبي المواهب إلى أن مات فسلك في طريق الأجناد، وخدم علي بك إلى أن جعله كاشفًا في جهة من الجهات القبلية، فأقام بها إلى أن خالف محمد بك على سيده علي بك، وذهب إلى قبلي واجتمعت عليه الكشاف والأجناد، وكان حسن هذا من جملة من حضر إليه بماله ونواله وخيامه، وحضر محمد بك إلى مصر وملكها من سيده علي بك، ولم يزل حسن هذا في خدمة محمد بك أبي الدهب فرقاه في الخدم والمناصب وصنجقه، ولم يزل في الإمارة مدة محمد بك وأتباعه إلى أن خرج مع من خرج صحبة إسماعيل بك، ومات ببعض ضياع الشام، والله الموفق.

سنة أربع وتسعين ومائة وألف (١٧٨٠م)

فيها في يوم الخميس حادي عشر صَفَر دخل الحجاج إلى مصر وأمير الحاج مراد بك، ووقف لهم العربان في الصفرة والجديدة وحصروا الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات، ومات كثير من الناس والغز والأجناد ونهبت بضايع وأحمال كثيرة، وكذلك من الجمال والدواب والعرب بأعلى الجبال والحج أسفل كل ذلك والحج ساير.

(وفي يوم الخميس ثالث شهر رجب) اجتمع الأمرا وأرسلوا إلى الباشا أرباب العكاكيز وأمروه بالنزول من القلعة معزولًا، فركب في الحال ونزل إلى مصر العتيقة ونقلوا عزاله ومتاعه في ذلك اليوم واستلموا منه الضربخانة، وعمل إبراهيم بك قايمقام مصر، فكانت مدة ولاية إسماعيل باشا في هذه المرة ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام، وكان أصله ريس الكتاب بإسلامبول من أرباب الأقلام، وكان مراد بك هذا أصله من مماليكه فباعه لبعض التجار في معاوضة وحضر إلى مصر ولم يزل حتى صار أميرها، وحضر سيده هذا في أيام إمارته، وهو الذي عزله من ولايته، ولكن كان يتأدب معه ويهابه كثيرًا ويذكر سيادته عليه، وكان هذا الباشا أعوج العنق للغاية، وكان قد خرج له خراج فعالجه بالقطع فعجزت العروق وقصرت فاعوج عنقه وصارت لحيته عند صدره ولا يقدر على الالتفات إلا بكليته، إلا أنه كان ريسًا عاقلًا صاحب طبيبة ويحب الموانسة والمسامرة، ولما حضر إلى مصر وسمع بأوصاف شيخنا الشيخ محمود الكردي فأحبه واعتقده وأرسل له هدية وأخذ عليه العهد بواسطة صديقنا نعمان أفندي وكان به آنسًا، وقلده أمين الضربخانة، ولما أخذ العهد على الشيخ فأقلع عن استعمال البرش وألقاه بظروفه، وقلل من استعمال الدخان، وكان يقول: لو كنت أقدر على تركه لتركته. وكان عنده أصناف الطيور المليحة الأصوات، وعمل بستانًا لطيفًا في الفسحة التي كانت بداخل السراية زرع بها أصناف الزهور والغراس والورد والياسمين والفل وبوسطه قبة على أعمدة من الرخام وحولها

حاجز من السلك النحاس الرفيع الأصفر وبداخلها كثير من عصافير القنارية، وعمل لهم أوكارًا يأوون إليها ويطيرون صاعدين هابطين بداخل القبة، ويطرب لأصواتهم اللطيفة وأنغامهم العذبة وذلك خلاف ما في الأقفاص المعلقة في المجالس، وتلك الأقفاص كلها بديعة الشكل والصنعة، ولما أنزلوه على هذه الصورة انتهب الخدم تلك الطيور والأقفاص، وصاروا يبيعونها في أسواق المدينة على الناس.

وفي يوم الجمعة عاشر شعبان الموافق لسابع مسرى القبطي أوفى النيل المبارك وكسر السد في صبحها يوم السبت بحضرة إبراهيم بك قايمقام مصر والأمرا.

وفي أواخر شعبان شرع الأمرا في تجهيز تجريدة، وسفرها إلى جهة قبلي لاستفحال أمر حسن بك ورضوان بك، وأنه انضم إليهم كثير من الأجناد وغيرهم، وذهب إليهم جماعة إسماعيل بك وهم: إبراهيم بك قشطة وعلي بك الجوخدار وحسين بك وسليم بك من خلف الجبل، فعندما تحققوا ذلك أخذوا في تجهيز تجريدة وأميرها مراد بك وصحبته سليمان بك أبو نبوت وعثمان بك الأشقر ولاجين بك ويحيى بك وطلبوا الاحتياجات واللوازم وحصل منهم الضرر، وطلب مراد بك الأموال من التجار وغيرهم مصادرة، وجمعوا المراكب وعطلوا الأسباب وبرزوا بخيامهم إلى جهة البساتين.

وفيه حضر من الديار الرومية أمير أخور وعلى يده تقرير لإسماعيل باشا على السنة الجديدة فوجده معزولًا وأنزلوه في بيت بسويقة العزى.

وفي يوم الخميس عشرين شوال كان خروج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج مصطفى بك الصغير.

وأما من مات في هذه السنة

مات السيد الأجل الوجيه الفاضل السيد محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم بن مصطفى بن القطب الكبير سيدي محمد دمرداش الخلوتي، ولد بزاوية جده ونشأ بها، ولما توفي والده السيد عثمان جلس مكانه في خلافتهم وسار سيرًا حسنًا مع الأبهة والوقار وترداد الأفاضل إليه على عادة أسلافه، وكان يعاني طلب العلم مع الرفاهية وبعض الخلاعة، ولازم المرحوم الوالد هو وأولاده السيد عثمان والسيد محمد المتولي الآن في مطالعة الفقه الحنفي وغيره في كل يوم بالمنزل، ويحضرون أيضًا بالأزهر وعلى الأشياخ المترددين عليهم بالزاوية مثل: الشيخ محمد الأمير، والشيخ محمد العروسي، والشيخ محمد بن إسماعيل النفراوي، والشيخ محمد عرفة الدسوقي، وغيرهم،

وكان إنسانًا حسن العشرة والمودة، توفي في رابع عشر رمضان من السنة ودفن بزاويتهم عند أسلافهم.

ومات الفقيه النبيه المتقن المتفنن الأصولي النحوي المعقولي الجدلي الشيخ مصطفى المعروف بالريس البولاقي الحنفي، كان في الأصل شافعي المذهب ثم تحنف وتفقه على الشيخ الإسقاطي والسيد سعودي والدلجي، وحضر المعقولات على الشيخ علي الصعيدي والشيخ علي قايتباي والإسكندراني، وكان ملازمًا للسيد سعودي فلما توفي لازم ولده السيد إبراهيم ولم تطل أيامه، فلما مات لازم الشيخ الوالد حسن الجبرتي ملازمة كلية في المدينة وبولاق وكان يحبه لنجابته واستحضاره ونوه بشأنه ولاحظه بأنظاره، وأخذ له تدريس الحنفية بجامع السنانية وجامع الواسطي، وعاونه في أمور من الأحكام العامة ببولاق حتى اشتهر ذكره بها، وعظم شأنه عند أهلها وصار بيته مثل المحكمة في القضايا والدعاوى والمناكحات والخصومات، وكان فيه شهامة وقوة جنان وصلابة، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

ومات الولي الصالح الفاضل الشيخ عبد الله بن محمد بن حسين السندي نزيل المدينة المنورة المشهور بجمعة، وحضر دروس الشيخ محمد حياة السندي وغيره من الواردين، وجاور بالمدينة نحوًا من أربعين سنة وانتفع به طلبة المدينة واشتهرت بركته، فكل من قرأ عليه شيًّا فتح الله عليه وصار من العلما، وكان ذا كرم ومروة وحيا وشفقة توفي في هذه السنة.

ومات الشيخ الصالح الوجيه أحمد بن عبد الله الرومي الأصل المصري المكتب الخطاط الملقب بالشكري، جوَّد الخط على جماعة من المشاهير ومهر فيه حتى برع وأجيز وأجاز على طريقتهم ونسخ بيده عدة مصاحف ودلايل الخيرات وغير ذلك، وانتفع به الناس انتفاعًا عامًّا واشتهر خطه في الآفاق وأجاز لجماعة، وكان وجيهًا منور الشيبة يلوح عليه سيما الصلاح والتقوى نظيف الثياب حسن الأخلاق مهذبًا متواضعًا، توفي عشية يوم الأربعا ثالث جمادى الأولى من السنة، وصلي عليه بالأزهر ودفن بالقرافة، رحمه الله تعالى.

سنة خمس وتسعين ومائة وألف (١٧٨٠م)

في منتصف المحرم قبض إبراهيم بك على إبراهيم أغا بيت المال المعروف بالمسلماني وضربه بالنبابيت حتى مات، وأمر بإلقاه في بحر النيل فألقوه وأخرجه عياله بعد أيام من عند شبرا، فأتوا به إلى بيته وغسلوه وكفنوه ودفنوه، ولم يعلم لذلك سبب.

وفي يوم السبت سادس عشر صفر نزل الحجاج ودخلوا إلى مصر صحبة المحمل، وأمير الحاج مصطفى بك في يوم الثلاثاء تاسع عشره.

وفيه جاءت الأخبار بأن إسماعيل بك وصل من الديار الرومية إلى أدرنه، وطلع من هناك ولم يزل يتحيل حتى خلص إلى الصعيد، وانضم إلى حسن بك ورضوان بك وباقي الجماعة.

وفي أواخر شهر صفر وصلت الأخبار من ناحية قبلي بأن مراد بك خنق إبراهيم بك أوده باشا، قيل إنه اتهمه بمكاتبات إلى إسماعيل بك وحبس جماعة آخرين خلافه.

وفيه وصلت الأخبار بورود باشا إلى ثغر سكندرية واليًا على مصر، وهو محمد باشا ملك.

وفي سادس جمادى الأولى وصل مراد بك ومن معه إلى مصر وصحبته إبراهيم بك قشطة صهر إسماعيل بك، أحد صناجق إسماعيل بك بعدما عقد الصلح بينه وبينهم، وأحضر هؤلاء صحبته رهاين، وأعطى لإسماعيل بك إخميم وأعمالها، وحسن بك قنا وقوص وأعمالها، ورضوان بك إسنا، ولما تم الصلح بينه وبينهم على ذلك أرسل لهم هدايا وتقادم وأحضر صحبته من ذكر، فكانت مدة غيابه ثمانية أشهر وأيامًا، ولم يقع بينهم مناوشات ولا حرب، بل كانوا يتقدمون بتقدمه ويتأخرون بتأخره حتى تم ما تم.

وفي منتصف شهر جمادى الأولى سافر علي أغا كتخدا الجاويشية وأغات المتفرقة والترجمان وباقي أرباب الخدم لملاقاة الباشا في بر إمبابة.

وفي غرة شهر رجب وصل الباشا إلى بر إنبابة وبات هناك، وعدت الأمرا في صبحها للسلام عليه، ثم ركب إلى العادلية.

وفي يوم الاثنين ركب الباشا بالموكب من العادلية، ودخل من باب النصر، وشق من وسط المدينة، وطلع إلى القلعة، وضربوا له المدافع من باب الينكجرية، وكان وجيهًا جليلًا منور الوجه والشيبة.

وفي يوم الخميس عملوا الديوان، وحضر الأمرا والمشايخ وقري التقليد بحضرتهم وخلع على الجميع الخلع المعتادة.

وفي يوم الأحد المبارك ليلة النصف من شعبان الموافق لأول مسرى القبطي كان وفا النيل المبارك، ونزل الباشا وكسروا السد بحضرته على العادة صبح يوم الاثنين.

ذكر من مات في هذه السنة من الأيمة والأعيان

توفي شيخنا الإمام العارف كعبة كل ناسك عمدة الواصلين وقدوة السالكين صاحب الكرامات الظاهرة والإشارات الباهرة، شيخنا وأستاذنا الشيخ محمود الكردي الخلوتي، حضر إلى مصر متجردًا مجاهدًا مجتهدًا في الوصول إلى مولاه زاهدًا كل ما سواه، فأخذ العهد وتلقن الذكر من الأستاذ شمس الدين الحفني، وقطع الأسما وتنزلت عليه الأسرار وسطعت على غرته الأنوار، وأفيض على نفسه القدسية أنواع العلوم اللدنية.

وله رسالة في الحكم ذكر أن سبب تأليفه لها أنه رأى الشيخ محيي الدين العربي — رضي الله عنه — في المنام أعطاه مفتاحًا وقال له: افتح الخزانة، فاستيقظ وهي تدور على لسانه ويرد على قلبه أنه يكتبها. قال: فكنت كلما صرفت الوارد عني عاد إلي فعلمت أنه أمر إلهي، فكتبتها في لمحة يسيرة من غير تكلف كأنما هي تملى على لساني من قلبي، وقد شرحها خليفته شيخ الإسلام والمسلمين سيدي الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر شرحًا لطيفًا جامعًا مانعًا، استخرج به من كنوز معانيها ما أخفاها فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وشرحها أيضًا أحد خلفايه الأستاذ العلامة السيد عبد القادر بن عبد اللطيف الرافعي البياري العمري الحنفي الطرابلسي — شكر الله صنيعهما — ذكر في أولها ترجمة الأستاذ كما سمعه من لفظه أن مولده ببلدة صاقص من بلاد كوران، ونشأ في المجاهدة وهو ابن خمس عشرة سنة صايم الدهر محيي الليل كله في مسجد ببلدته معروف حتى اشتهر أمره وقصده الناس بالزيارة، فهجر ذلك المكان وصار يأوي الخراب خارج بلدته بحيث لا يشعر به أحد.

وأخبرني غير مرة أنه كان لا يغمه بالليل إلا سماع صوت الديكة لإنذارها بطلوع النهار لما يجده في ليله من المواهب والأسرار.

وكان جل نومه في النهار، وكثيرًا ما كان يجتمع بالخضر — عليه السلام — فيراه بمجرد ما ينام فيذكر الله معه حتى يستيقظ، وكان لا يفتر عن ذكر الله لا نومًا ولا يقظة.

وقال مرة: جميع ما في كتب إحياء العلوم للغزالي عملت به قبل أن أطالعه، فلما طالعته حمدت الله تعالى على توفيقه إياي وتوليته تعليمي من غير معلم.

وكان كثير التقشف من الدنيا يأكل خبز الشعير وفي بيته يصنع خبز خاص من دقيق البر، وكثيرًا ما كان يلومه أخوه على ذلك وكان أخوه الكبير كثير اللوم له على ما يفعله من مجاهداته وتقشفاته.

ولما مات والده ترك ما يخصه من إرثه لهم، وكان والده كثير المال والخير، وعليق دوابه في كل ليلة أكثر من نصف غرارة من الشعير.

ولما صار عمره ثماني عشرة سنة رأى في منامه الشيخ محمد الحفناوي فقيل له: هذا شيخك، فتعلق قلبه به وقصده بالرحلة حتى قدم مصر واجتمع به وأخذ عنه الطريق الخلوتية، وسلك على يديه بعد أن كان على طريقة القصيري — رضي الله عنه.

وقال له في مبدأ أمره: يا سيدي إني أسلك على يديك ولكن لا أقدر على ترك أوراد الشيخ القصيري فأقرأ أوراده وأسلك طريقتك؟

فأجابه الشيخ إلى ذلك ولم يشدد عليه في ترك أوراد الشيخ القصيري لما عرفه من صدقه مع المذكور، فلازمه مدة طويلة ولقنه أسماء الطريقة السبعة في قطع مقاماتها، وكتب له إجازة عظيمة شهد له فيها بالكمال والترقي في مقامات الرجال، وأذن له بالإرشاد وتربية المريدين.

فكان الشيخ في آخر أمره إذا أراد أحد أن يأخذ عنه الطريق يرسله إلى الشيخ محمود، ويقول لغالب جماعته: عليكم بالشيخ محمود فإني لولا أعلم من نفوسكم ما أعلم لأمرتكم كلكم بالأخذ عنه والانقياد إليه.

ولما قدم شيخ شيخه السيد مصطفى البكري لازمه وأخذ عنه كثيرًا من علم الحقايق، وكان كثير الحب فيه، فلما رآه لا يقرأ أوراد الطريقة الخلوتية ويقتصر على أوراد القصيري عاتبه في ذلك، وقال له: أيليق بك أن تسلك على أيدينا وتقرا أوراد غيرنا؟ إما أن تقرأ أورادنا وإما أن تتركنا.

فقال: يا سيدي أنتم جعلكم الله رحمة للعالمين وأنا أخاف من الشيخ القصيري إن تركت أوراده، وشي لازمته في صغري لا أحب أن أتركه في كبري.

فقال له السيد البكري: استخر الله وانظر ماذا ترى لعل الله يشرح صدرك.

قال: فاستخرت الله العظيم ونمت فرأيت النبي ﷺ والقصيري عن يمينه والسيد البكري عن يساره وأنا تجاههم، فقال القصيري للرسول ﷺ: يا رسول الله أليست طريقتي على طريقتك؟ أليست أورادي مقتبسة من أنوارك؟ فلِم يأمر السيد البكري هذا بترك أورادي؟ فقال السيد البكري: يا رسول الله رجل سلك على أيدينا وتولينا تربيته أيحسن منه أن يقرأ أوراد غيرنا ويهجر أورادنا؟ فقال الرسول — عليه السلام — لهما: أعمِلا فيه القرعة، واستيقظ الشيخ من منامه فأخبر السيد البكري، فقال له السيد: معنى القرعة انشراح صدرك انظره واعمل به، قال الشيخ — رضي الله عنه: ثم بعد ليلة أو أكثر رأيت سيدي أبا بكر الصديق — رضي الله عنه — في المنام، وهو يقول لي: يا محمود خليك مع ولدي السيد مصطفى، ورأى ورد السحر الذي ألفه المذكور مكتوبًا بين السماء والأرض بالنور المجسم كل حرف منه مثل الجبل، فشرح الله بعد ذلك صدره ولازم أوراد السيد البكري وأخذ من أوراد القصيري ما استطاع.

وأخبر — رضي الله عنه — أنه رأى حضرة الرسول ﷺ في بعض المرائي وكان جمع الفقرا في ليلة مباركة وذكر الله تعالى بهم إلى الفجر، وكان معه شي قليل من الدنيا فورد على قلبه وارد زهد ففرق ما كان معه على المذكورين، وفي أثناء ذلك صرخ من بين الجماعة صارخ يقول: الله بحال قوي، فلما فرغوا قال للشيخ: يا سيدي سمعت هاتفًا يقول: يا شيخ محمود ليلتك قبلت عند الله تعالى، قال: ثم إني بعد ما صليت الفجر نمت فرأيت رسول الله ﷺ قال لي: يا شيخ محمود ليلتك قبلت عند الله تعالى وهات يدك حتى أجازيك، فأخذ ﷺ بيد الشيخ والسيد البكري حاضر بالمجلس فأخذ يده ووضع يده الشريفة بين يديهما، وقال أريد أن أخاوي بينك وبين السيد البكري، وأتخاوى معكما، الناجي منا يأخذ بيد أخيه، فاستيقظ فرحًا بذلك، فلم يلبث إلا يسيرًا ورسول السيد البكري يطلبه فتوضأ وذهب إلى زيارته، وكان من عادته أنه يزوره كل يوم ولا يدخل عليه إلا على طهارة، فلما رآه قال له: ما أبطاك اليوم عن زيارتنا؟

فقال له: يا سيدي سهرنا البارحة الليل كله فنمت وتأخرت عنكم.

فقال له السيد: هل من بشارة أو إشارة؟

فقلت: يا سيدي البشارة عندكم.

فقال: قل ما رأيت.

قال: فتعجبت من ذلك، وقلت: يا سيدي رأيت كذا وكذا.

فقال: يا ملا محمود منامك حق وهذه مبشرة لنا ولك، فإنه ﷺ ناج قطعًا ونحن ببركته ناجون، ومناقبه — رضي الله عنه — كثيرة لا تحصر.

وكان كثير المرأى لرسول الله ﷺ، قل ما تمر به ليلة إلا ويراه فيها، وكثيرًا ما يرى رب العزة في المنام، ورآه مرة يقول له: يا محمود إني أحبك وأحب من يحبك، فكان — رضي الله عنه — يقول: من أحبني دخل الجنة، وقد أُذن لي أن أتكلم بذلك.

وأما مجاهداته فالديمة المدرار كما قالت عائشة — رضي الله عنها — في جنابه ﷺ: «كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع عمل رسول الله ﷺ».

وبلغ من مجاهداته — رضي الله عنه — أنه لما ضعف عن القيام في الصلاة لعدم تماسكه بنفسه صنع له خشبة قايمة يستند عليها ولم يدع صلاة النفل قايمًا فضلًا عن الفرض، ولم يدع صلاة الليل والوظايف التي عليه مرتبة في حال من الأحوال، وكان لا ينام من الليل إلا قليلًا، وكان ربما يمضي عليه الليل وهو يبكي، وربما تمر عليه الليلة كلها وهو يردد آية من كتاب الله تعالى.

وكثيرًا ما كان يقتصر على الخبز والزيت، ويُوكل في بيته خواص الأطعمة، وكان غالب أكله الرز بالزيت وتارة بالسمن البقري، وقل ما تراه في خلوته أو مع أصحابه إلا وهو مشغول في وظايف أوراد.

وقال لي مرة: ربما أكون مع أولادي ألاعبهم وأضاحكهم وقلبي في العالم العلوي في السماء الدنيا أو الثانية أو الثالثة أو العرش، وكثيرًا ما كان تفيض على قلبه معرفة الحق — سبحانه وتعالى — فيجعل يبكي ولا يشعر به جليسه.

وقلت يومًا للعارف بالله تعالى خليفته سيدي محمد بدير القدسي من كرامات الأستاذ أنه لا يسمع شيًّا من العلم إلا حفظه ولا يزول من ذهنه ولو بعد حين، فقال لي — رضي الله عنه: بل الذي يعد من كرامات الشيخ أنه لا يسمع شيئًا من العلم النافع إلا ويعمل به في نفسه ويداوم عليه، فقلت: صدقت هذا والله حاله.

وكنت مرة أسمعته رياض الرياحين لليافعي فلما أكملته قال لي بمحضر من أصحابه: هل يوجد الآن مثل هؤلاء الرجال المذكورين في هذا الكتاب تكون لهم الكرامات؟ فقال له بعض الحاضرين: الخير موجود يا سيدي في أمة الرسول — عليه الصلاة والسلام — فقال الشيخ: قد وقع لي في الطريق أبلغ من ذلك، وأحكي لكم عما وقع لي في ليلتي هذه، كنت قاعدًا أقرا في أورادي فعطشت وكان الزمن صيفًا والوقت حارًّا وأم الأولاد نايمة فكرهت أن أوقظها شفقة عليها فما استتم هذا الخاطر حتى رأيت الهوا قد تجسم

لي ما، حتى صرت كأني في غدير من الما، وما زال يعلو حتى وصل إلى فمي، فشربت ما لم أشرب مثله، ثم إنه هبط حتى لم يبق قطرة ما ولم يبتل مني شي، وبردت ليلة في ليالي الشتا بردًا شديدًا، وأنا قاعدًا أقرا في وردي وقد سقط عني حرامي الذي أتغطى به — وكان إذا سقط عنه غطاه لا يستطيع أن يرفعه بيده لضعف يده — قال: فأردت أن أوقظ أم الأولاد فأخذتني الشفقة عليها، فما تم هذا الخاطر حتى رأيت كانونًا عظيمًا ملآنًا من الجمر وضع بين يدي، وبقي عندي حتى دفي بدني وغلب وهجُ النار عليَّ، فقلت في سري: هذه النار حسية أم هي خيال؟ فقربت أصبعي منها فلذعتني، فعلمت أنها كرامة من الله تعالى ثم رفعت.

والحاصل أن مناقبه — رضي الله عنه — لا تكاد تنحصر، وكان لكلامه وقع في النفوس عظيم إذا تكلم كأنما كلماته خرزات نظمن في جيد حسناء، لا ينطق إلا بحكمة أو موعظة أو مسايل دينية أو حكاية تتضمن جوابًا عن سؤال يسأله بعض الحاضرين بقلبه، ولا تكاد تسمع في مجلسه ذكر أحد بسو، وكان كثير الشفقة والرحمة على خلق الله لا سيما أرباب الذنوب والمعاصي، كثير التواضع كثير الإحسان للفقرا والمساكين لا يمسك من الدنيا شيًّا، جميع ما يأتيه ينفقه في طاعة الله.

ما أمسك بيده درهمًا ولا دينارًا قط آخذًا بالورع في جميع أموره، ليس له هم إلا أمور الآخرة لا يهتم لشأن الدنيا أقبلت أو أدبرت، كفاه الله مئونة الدنيا، عنده خادم يقبض ما يأتي له من الدنيا، ويصرف عليه فلا يزيد ذلك على حاجته ولا ينقص شيًّا.

قال السيد شارح الرسالة: خدمته نحو عشر سنوات ما رأيته ارتكب صغيرة قط، وللأستاذ — رضي الله عنه — رسالة سماها السلوك لأبناء الملوك، وهي صورة مكتوب من إملاه أرسله إلى رجل من أعيان المغرب يقال له ابن الظريف وكان الشيخ — رضي الله عنه — أرسل له جوابًا عن مكاتبة أرسلها فأرسل مراسلة أخرى والتمس الجواب ويكون متضمنًا بعض النصايح، فأملى تلك المراسلة فبلغت نحو ست كراريس، وصارت كتابًا عظيم النفع سارت به الركبان وانتفع به القاصي والدانِ، وكتب عليه كثير من العلما منهم مولانا السيد عبد القادر شارح الرسالة تقريظًا، وهي هذه القصيدة الفريدة:

بحمدك يا مولاي يرتاح ناطقه — وتبدو لأرباب اليقين بوارقه
ومنك أتانا الفيض والفضل والهدى — وجاد بمكنون اللدنيُّ وادقه
ومن يك عن إذن تكلم بالهدى — تحلت لآذان الأنام حقايقه

فما كل وعظ في القلوب مؤثر ولا كل روض الفضل تزهو شقايقه
فسبحان من أجرى حقايق فضله بقلب أولي العرفان فاعتز ناطقه
إذا حل سر الله في قلب عارف تجلت على عرش القلوب رقايقه
فأهدى إلى الأسماع جوهر حكمة يزول بها عن كل قلب عوايقه
ولي حجة فيما أقول دليلها يريك طريق الرشد قد لاح بارقه
رسالة مولانا المحقق قصدها فأهدت لعرب الغرب نورًا مشارقه
لسيدنا المحمود في كل خصلة على خلق المختار جاءت خلايقه
يخاطب ابنًا للظريف معرضًا بمن شاع عنه العدل مذ صاح ناطقه
ولم يك كل بالخصوص مراده ولكن سبيل الهدي شتى طرايقه
كذلك أهل الله شأن خطابهم خصوص ولكن بالعموم علايقه
وإن كان جدواها وأكبر نفعها يعم ملوك العدل دامت حدايقه
فلله ما أجلى وأحلى كلامه وفي ضربه الأمثال عدل يصادقه
يحث بها جدًّا على كل خصلة سناها كسى الإشراق للشمس رايقه
مكارم أخلاق النبيين قد حكت وفي سوقها التأثير للقلب نافقه
فمبدؤها تعظيم علم وأهله ودفع اعتراض عنهم خاب طارقه
فهم نظموا سلك الشريعة كاملًا ولولاهمُ ما لاح للهدي بارقه
وحض على تبجيل آل محمد وفرقان رب العالمين يوافقه
بتطهيرهم قد نص من قبل خلقهم وما بعد هذا الحق إلا عوايقه
حكاية عبد الله إبن مبارك تنبه وسنانًا دراها مرافقه
وعوضه مولاه عن كل درهم بديناره دنيا وأخراه معتقه
كذلك أهل الله عظم قدرهم وأوصى بهم برًّا إليهم سوابقه
فيا حبذا لما هدانا برشده لتوقير أشياخ كذا الطفل لاحقه
وقال: اتقي يا صاحبي الله أولًا بنفسك ثم الأهل تنمو حدايقه
وكن راحم الأتباع وانظر إليهمُ ببرك والإحسان ينبيك ذايقه
ومن جملة الأهل البنون فكن بهم رؤوفًا رحيمًا يممتك مرافقه
كذلك كل الخلق كالطفل قبل أن يشموا سنا العرفان مذ فاح عابقه
وعمم خلق الله حتى تأكدت وصيته للأرض دامت حقايقه
وفي خلع بشر للنعال دقيقة يضيق بها فهمي جلتها دقايقه

ما زال نصحًا ينظم الدر نثره ... وينثر در الفيض من جاد رايقه
إلى أن أزاح الوهم عنا بنصحه ... حديث به نور النبي يصادقه
حديث شريف أقدسي منزه ... رواه على القدر وارتاح ناشقه
كعقد جمان فوق جيد جميلة ... إلهية حسنًا لها الحسن فايقه
به لا إله إلا الله حصنًا منيعة ... ومن حل هذا الحصن فالله رامقه
تضمن ضربًا للمثال الذي غدا ... تحير أرباب الفهوم مناطقه
سقانا به خمرًا ولا خمر يحتسى ... زجاجته رقت وراقت رقايقه
فبالله هل عين رأت مثل مثله ... وهل سمعت أذن كلامًا يطابقه
محاكاته مع تاجر في مدينة ... وإبن أمير ثم حبر يصادقه
ثلاثة أقمار يدلون للهدى ... إلى ملك قد نار بالفهم حاذقه
فلله ما أحلى بديع كلامهم ... يلين قلبًا للجمادات ناطقه
فهديهم هدي النبي محمد ... وفي روض هذا الهدي صفت نمارقه
وفيه حديث حير اللب ذكره ... وكدر صافي العيش فينا ورايقه
روته فتوحات الإله لعبده ... محمد محيي الدين راقت حقايقه
هدانا به للحشر والنشر واللقا ... وذكرنا يومًا تهول مضايقه
زواجر وعظ الحق فيه تألفت ... يعانقها نظم الهدى وتعانقه
فلولا أزاح الله عنا بفضله ... بذكر حديث للجنان يلاصقه
لذابت قلوب خشية من وعيده ... وفتتها داعي المنون وطارقه
فوالله ما أدري وإن كنت داريًا ... أفي الموت شك أم أنا الآن ذايقه؟
فيا من يروم الفوز يوم معاده ... ويرغب أن تنزاح عنه عوايقه
رسالة مولانا عليك بوردها ... ففي وردها ورد الهدى وشقاقه
حكاياتها روض الرياحين قد حكت ... حنينًا بها شهدًا به التذ ذايقه
مواعظها أحيت قلوبًا دوارسًا ... كما الغيث أحيا الأرض بالهطل رايقه
تنبِّهنا من غفلة الغي كلما ... تلونا بها معنى بديعًا طرايقه
سقتنا حميا الحب من حان نظمها ... فلله ما أحلى من السحر فايقه
سكرنا بها لما أديرت كئوسها ... علينا سنا واستنشق العرف ناشقه
هي المن والسلوى لكل موفق ... يسابق أفراس الهدى وتسابقه
وفي عالم التمثال شمت مسطرًا ... لها حسن اسم يعرف الفضل رامقه

وذلك تتميم وإكمال في سلو ك طريق للكمال رقايقه
جوامع كلم الحق فيها تجمعت ونلنا بها جمعًا وفرقًا نفارقه
عليك بها يا من يروم هداية هي العروة الوثقى فلله واثقه
لأمثالها في القلب أمثل موقع يطابق ما يعنى بها وتطابقه
فلا لفظ إلا من كلام مسدد يسود به بين البرية نامقه
بها رد عجز الدهر فينا لصدره فلا غرو أن وافى من الدهر رايقه
على أنها جل الكرامة حيث ما بها شجر الإلهام أينع سابقه
وليست كما التأليف جمع مشتت تسطر قد ما جاد بالنقل سارقه
ولكن قلوب عاكفات لربها بما جاد يمليها ويعرف ذايقه
فخذها دليلًا حيثما الركب قد سرى وحث على السعي الإلهي سايقه
فلا زال منشيها يؤم ويقتدى كما أم بيت الله بالعز وامقه
ودامت عيون الفيض تجري بقلبه فيشرب منها كل صاد وشايقه
وصلى إلهي ثم سلم دايما على المصطفى ما يرتجى العفو نامقه
خويدم قطب الوقت منشي رموزها تسربل بالغفران ما سح وادقه

وكتب عليها العلامة الشيخ مصطفى الصاوي قوله:

مريد الرضا أقبل فقد لاح بشره وقاح بطيب الهدى في الكون نشره
إذا جاء نصر الله والفتح أينعت ثمار التجلي للقلوب وزهره
وبعد فهذي حلية الزهد والتقى وحلة رشد جل بالحق قدره
رسالة صدق وهي للخلق رحمة وغوث وغيث جاد بالنور قطره
لها معجزات خارقات بواهر يباهي بها نجم العلاء وزهره
وآياتها تتلى وتملى على الورى بحسن انتظام زين الطرس سطره
مواعظ جلت عن هداية مرشد وحلت صميم السر فازداد سره
جواهر لفظ يملأ القلب حسنه وزاجر وعظ يقرع السمع زجره
عرائس قد زفت إلى أهل مغرب فمن نورها ساد المشارق قطره
تدار على الألباب أسجاع وعظها فيسمع نظم الدر منها ونثره
بها حكم للعالمين بهية يضيء بها من داخل القلب فجره

أقامت لنا في الهدى أقوى أدلة ... يرام بها خير الإله وبره
إذا ما جلاها الفكر أهدت لذي النهي ... بديع بيان جاء بالحق سحره
نروح بأرواح العقول فتجتلي ... بها كل فكر في المحاسن فكره
وأشرق في نور الضمير ضياؤها ... فمن نورها نور الضمير ونوره
وتظهر من نور المعارف بهجة ... يزاح بها عن حامل الإصر إصره
وتنشر من عين المعاني عناية ... يحف بها سرد المريد وجهره
وتبرز إبريز المعارف للفتى ... ويملأ منها بالعوارف صدره
نعرفه كيف السبيل إلى الهدى ... وتهدي الصراط المستقيم يمره
تفيض عليه من لطيف لطايف ... ومن ساير الأغيار يطلق أسره
ومن كان لله العظيم دعاؤه ... تساوى له وصل القريب وهجره
ومن كان نطق الحق طي لسانه ... تفجر عن عين الحقيقة بحره
ومن شأنه الإخلاص ما قط شانه ... على حسد لوم المليم ومكره
تأمل معانيها وشاهد جمالها ... وأسكن مبانيها الفؤاد تسره
فما هي إلا جنة روح فوحها ... وفوح نسيم يطرد العسر يسره
وكيف ومنشيها خلاصة ذي الهدى ... إمام النهي قطب الزمان ووتره
ومركز سر الدايرات بأسرها ... ونقطة وحدات الأوان وفخره
وقيوم أعلام الهدى وأحيدها ... وحيد الملا شمس الوجود وبدره
ومعدن أسرار الولاية كلها ... وكنز كمالات الولاء ودره
ومعنى صفات اللطف والصنح والبها ... ومن هديه فتح الإله ونصره
وبحرية الأمواج تقذف بالهدى ... وبر وفي للذي خان دهره
وحافظ دين الله فهو دليله ... وصحة إسلام به ساد عصره
وكعبة هدي حجه فيه مغنم ... وقبلة رشد قصدها جل أجره
وملهم أهل الرشد ذكرًا مباركًا ... فمن أجل ذا قد شاع في الكون ذكره
وأعني به المولى الذي عم فضله ... وليَّ الولا المحمود في الصوف سيره
لديه غيوب الكائنات شواهد ... ولم لا وقد زال الحجاب وستره
وسدته للطالبين ملاثم ... وعدته للقاصد الأجر ذخره
قديمًا روينا عن صحاح حديثه ... فلما رأينا طابق الذكر خبره

سقاه بكاس القرب من حضراته شراب التداني الصرف فالأمر أمره
أفاض عليه الله إمداد جوده فقابله حمد الإله وشكره
وألبسه من نوره حلل التقى فكان له نور المهابة ستره
فمن لم يشاهد في محيا جماله مشاهد أقطاب ففي الطمس عذره
فأقسم حقًّا أنه الفرد في الورى ومن دونه رق الأنام وحره
ألست ترى عين المعارف تنجلي لظاهره من باطن زاد طهره
وقلد أهل الشرق والغرب أنعمًا يقل مداد البحر في الكتب حصره
وأستاذنا الكردي قطب زمانه ومظهر مكنون الوجود وحبره
أدام لنا الرحمن طول حياته وطال لنا ضمن السلامة عمره
عبيدك يا مولاي يرجوك للذي يحط به يوم القيامة وزره
ويرجو الرضا من فيض فضلك في غد إذا هاله يوم المعاد وحشره

وكانت وفاة الأستاذ — رضي الله عنه — ثالث المحرم من هذه السنة، وتولى غسله الشيخ سليمان الجمل وصلي عليه بالأزهر، ودفن بالصحرا بجوار شيخه السيد مصطفى البكرى — رضي الله عنهما.

ومات الأديب الماهر واللبيب الشاعر الشيخ علي بن عنتر الرشيدي، كان متضلعًا فصيحًا مفوهًا له موشحات ومقاطيع كثيرة، ونظم البحور الستة عشر كلها بالاقتباس منها قوله في الطويل:

أطلت الجفا فاسمح بوصلك يا رشا ولا تبدلنْ وعد الكئيب بضده
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل ولا تحسبن الله مخلف وعده

وقال في المديد ومنه الاكتفاء:

في مديد الهجر قال اللواحي دع هواه فالغرام جنون
فاعلاتن فاعلن فاعلاتن واصطبر عن حبه قلت كونوا

وقال في الكامل:

كملت محاسن منيتي فهديت في روض غدا في وجنتيه نضيرا
متفاعلن متفاعلن متفاعلن وكفى بربك هاديا ونصيرًا

وقال في الرجز:

ارجز فإني في هوى حلو اللما مسبى الورى أضحيت صبًّا هايما
مستفعلن مستفعلن مستفعلن إن قل صبري قال صبري قل وما

وقال في الوافر:

بوافر لوعتي صل يا غزالي فكل متيم فان وبالي
مفاعلتن متفاعلتن فعولن ويبقى وجه ربك ذو الجلال

وقال في البسيط:

بسطت في شادن حلو اللما غزلي وقلت: جد لي بوصل منك يا أملي
مستفلن فاعلن مستفعلن فعلن فقال لي: خلق الإنسان من عجل

وقال في الرمل:

قد رملت الوصف فيه قائلًا مذبدًا الهندى من أهدابه
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن قل هو الرحمن آمنا به

وقال في الخفيف:

خفف الهجر عن فؤاد كليم وأمل كأس الوصال لي يا نديمي
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن وتوكل على العزيز الرحيم

إلى آخر البحور ومن شعره تشطير البيتين من بين المصراعين:

ليت الملاح وليت الراح لو جعلا	على ذرى شاهق بالنجم ممتسك
أو في محل السها أو في المعارج أو	في جبهة الأسد أو في قبة الفلك
كي لا يطوف بحانات سوى أسد	لفض ختم معاني سرها فتك
ولا يمنع سقلى بذي هيف	ولا يقبل ذا حسن سوى ملك

ومن نظمه هذا التشطير:

سل الفضل أهل الفضل قدمًا ولا تسل	بخيلًا وجانبه وخذ عنه معزلا
ويمم كريمًا عاش في العز واطرح	غلامًا ربى في الذل ثم تمولا
فلو جادت الدنيا عليه بأسرها	ومقداره للفرقدين قد اعتلى
وجئت إليه في اضطرار سألته	تذكر ما قاسى من الذل أولا

وله ديوان شعر مشهور، ولم يزل حتى مات بالثغر في ربيع الأول من السنة.

ومات الشيخ الصالح الدين بقية السلف ونتيجة الخلف الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد المنعم بن أبي السرور البكري الشافعي شيخ سجادة البكرية بمصر، كان صاحب همة ومروة وديانة وعفاف ومحبة وإنصاف، وتولى بعد موت أبيه فسار سيرًا وسطًا مع صفاء الباطن، وكان الغالب عليه الجذب والصلاح والسلوك على طريق أهل الفلاح مع أوراد وأذكار يشتغل بها، توفي يوم السبت ثاني عشر ربيع الثاني من السنة وصلي عليه بالجامع الأزهر بمشهد حافل، ودفن عند أسلافه قرب مقام الإمام الشافعي رضي الله عنه.

ومات الإمام الفصيح المعتقد الشهير الذكر الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد السلام الريس الزمزمي المكي الشافعي موقت حرم الله الأمين، ولد بمكة سنة عشر وماية وألف، وسمع من ابن عقيلة وعمر بن أحمد بن عقيل والشيخ سالم البصري والشيخ عطا الله المصري وابن الطيب، وحضر على الشيخ أحمد الأشبولي الجامع الصغير وغيره، وأخذ عن السيد عبد الله ميرغني ومن الواردين من أطراف البلاد، كالشيخ عبد الله الشبراوي والشيخ عمر الدعوجي والشيخ أحمد الجوهري، وأجازه شيخنا السيد عبد الرحمن العيدروس بالذكر على طريقة السادة النقشبندية، وألف باسمه رسالة سماها

البيان والتعليم لمتبع ملة إبراهيم، ذكر فيها سنده وأجازه السيد مصطفى البكري في الخلوتية، وجعله خليفته في فتح مجالس الذكر وفي ورد السحر، ولازم المرحوم الوالد حسن الجبرتي سنة مجاورته بمكة، وهي سنة خمس وخمسين ملازمة كلية وأخذ عنه علم الفلك والأوفاق والاستخراجات والرسم وغير ذلك ومهر في ذلك، واقتنى كتبًا نفيسة في ساير العلوم بددها أولاده من بعده وباعوها بأبخس الأثمان.

وكان عنده من جملة كتبه زيج الراصد الجديد السمرقندي نسخة شريفة بخط العجم في غاية الجودة والصحة والإتقان، وعليها تقييدات وتحريرات وفوايد شريفة لا يسمح الدهر بمثل تلك النسخة، وكنت كثيرًا ما أسمع من المرحوم الوالد ذكرها ومدحها، ويقول: ليس في الدنيا إلا نسختي ونسخة الشيخ إبراهيم الزمزمي ونسخة حسن أفندي قطة مسكين، ولا يعتمد على غيرهم في الصحة؛ لأنهم كتبوا وصححوا في عهد الراصد، ونسخة الوالد مكتوب عليها بخط رسم شاه ما نصه: قد اشترينا هذا الكتاب في دار سلطنة هراة باثني عشر ألف دينار، وتحت ذلك اسمه وختمه.

فلما كان في سنة ست وتسعين ورد علينا بعض الحجاج الجزايرية، وسألني عن كتب يشتريها من جملتها الزيج المذكور، وأرغبني في زيادة الثمن فلم تسمح نفسي بشي من ذلك، ثم سافر إلى الحج ورجع وأتاني ومع خادمه رزمة كبيرة فوضعها بين أيدينا وفتحها، وأخرج منها نسخة الزيج المذكورة وفرجني عليها.

وقال: أيهما أحسن نسختك التي ضننت بها أو هذه؟

وكنت لم أرها قبل ذلك، فرأيتها شقيقتها وتزيد عنها في الحسن صغر حجمها وكثرة التقييدات بهامشها وطيارات كثيرة بداخلها في المسايل المعضلة مثل التسييرات والانتهاءات والثمودرات وغير ذلك، وجميعها بحسن الخط والوضع فرأيتها المخدرة التي كشف عنها القناع، وإنما هي المعشوقة بالسماع، فقلت له: كيف وصلت إلى هذه اليتيمة؟ وما مقدار ما دفعته فيها من المهر والقيمة؟

فأخبرني أنه اشتراها من ابن الشيخ بعشرين ريالًا وكتاب المجسطي وكتاب التبصرة وشرح التذكرة ونسخة البارع في غاية الجودة وزيج ابن الشاطر وغير ذلك من الكتب التي لا توجد في خزاين الملوك، وكلها بمثل ذلك الثمن البخس، فقضيت أسفًا وأخذ الجميع مع ما أخذ وذهب إلى بلاده، وهكذا حال الدنيا.

ولم يزل المترجم على حالة حميدة، واشتهر أمره في الآفاق وعرف بالصلاح والفضل وأتته الهدايا والمراسلات من جميع الأطراف والجهات حتى لحق بربه — عز وجل — في سابع عشر ربيع الأول من السنة.

ومات الشيخ الفاضل الصالح أحمد بن محمد الباقاني الشافعي النابلسي، سمع الأولية من محمد بن محمد الخليلي ورافق الشيخ السفاريني في بعض شيوخه من أهل البلد، وأجازه السيد مصطفى البكري في الورد والطريقة، ورد مصر أيام تولية المرحوم مصطفى باشا طوقان وكان له مذاكرة حسنة وورع وصلاح وعبادة وانتفع به الطلبة في بلاده، ثم عاد إلى بلاده فتوفي في ثالث جمادى الثانية.

ومات الأجل المفوه الشريف الفاضل السيد حسين بن شرف الدين بن زين العابدين بن علا الدين بن شرف الدين بن موسى بن يعقوب بن شرف الدين بن يوسف بن شرف الدين بن عبد الله بن أحمد أبي ثور بن عبد الله بن محمد بن عبد الجبار الثوري المقدسي الحنفي، جده الأعلى أحمد بن عبد الله دخل حين فتح بيت المقدس راكبًا على ثور فعرف بأبي ثور، وأقطعه الملك العزيز عثمان بن يوسف بن أيوب دير ماريقوص وبه دفن، وذلك في سنة خمسماية وأربعة وتسعين، وجده الأدنى زين العابدين وأمه الشريفة راضية بنت السيد محب الدين محمد بن كريم الدين عبد الكريم بن داوود بن سليمان بن محمد بن داوود بن عبد الحافظ بن أبي الوفا محمد بن يوسف بن بدران بن يعقوب بن مطر بن السيد زكي الدين سالم الحسيني الوفائي البدري المقدسي، ومن هنا جاء لحفيدة المترجم الشرف، وهي أخت الجد الرابع للسيد علي المقدسي، ويعرف المترجم أيضا بالعسيلي وكأنه من طرف الأمهات، ولد ببيت المقدس وبها نشأ وقرأ شيًّا من المبادي، ثم ارتحل إلى دمشق فحضر دروس الشيخ إسماعيل العجلولي ولازمه وأجازه بمروياته، وجود الخط على مستعد زاده فمهر فيه وكتب بخطه أشيا، ودخل مصر ونزل في رواق الشوام بالأزهر، وأقبل على تحصيل العلم والمعارف فحضر دروس مشايخ الوقت كالشبراوي والحفني والجوهري، ولازم السيد البليدي واستكتب حاشية على البيضاوي، وسافر إلى الحرمين وجاور بهما، وأخذ عن الشيخ محمد حياة والشيخ ابن الطيب ثم قدم مصر وتوجه منها لدار ملك الروم، وأدرك بها بعض ما يروم، وعاشر الأكابر وعرف اللسان التركي، وصار منظورًا إليه عند الأعيان، ثم قدم مصر مع بعض أمرا الدولة في أثناء سنة اثنتين وسبعين وماية وألف، وانضوى إلى الشيخ السيد محمد أبي هادي بن وفا وكان صغير السن فألفه وأحبه وأدبه وصار يذاكره بالعلم واتحد معه حتى صار مشارًا إليه في الأمور معولًا عليه في المهمات.

ولما تولى نقابة السادة الأشراف مضافة إلى خلافة الوفائية كان هو كالكتخدا له في أحواله معتمدًا عليه في أفعاله وأقواله، وداوم على ذلك برهة من الزمان وهو نافذ الكلمة

مسموع المقال حسن الحركات والأحوال، إلى أن توفي الشيخ المشار إليه فضاقت مصر عليه فتوجه إلى دار السلطنة وقطنها واتخذها دارًا وسكنها، وأقبل على الإفادة ونشر العلوم بالإعادة.

وبلغني أنه كتب في تلك الأيام شرحًا على بعض متون الفقه في مذهب الإمام، وصار مرجع الخواص والعوام مقبولًا بالشفاعة عند أرباب الدولة حتى وافاه الحمام في هذه السنة — رحمه الله — وكان أودع جملة من كتبه بمصر، فأرسل بوقفها برواق الشوام فوضعوها في خزانة لنفع الطلبة.

ومات الفقيه العلامة الصالح المعمر الشيخ عبد الله بن خزام أبو الطوع الفيومي المالكي، أخذ ببلده عن الشيخ سلامة الفيومي، وغيره، وقدم الجامع الأزهر فأخذ عن فضلا عصره، وهو أحد من يشار إليه في بلده بالفضل، وتولى الإفتا فسار بغاية التحري، وبلغني من تواضعه أنه كان يأتي إليه أحد العوام فيقول له: حاجتي في بلد كذا فقم معي حتى نقضيها. فيطيعه ويذهب معه الميلين والثلاثة، ويقضيها وقد تكرر ذلك منه، وكان له في كل يوم صدقات الخبز على الفقرا والمساكين يفرقها عليهم بيده ولا يشمئز، وكانت له معرفة تامة في علم المذهب وغيره من الفنون الغريبة كالفلك والهيئة والميقات وعنده آلات لذلك، وكان إنسانًا حسنًا جامعًا لأدوات الفضايل.

توفي يوم الجمعة حادي عشر ربيع الثاني من السنة، ولم يخلف بعده مثله.

ومات الفاضل الصالح الشيخ علي بن محمد الحباك الشافعي الشاذلي، تفقه على الشيخ عيسى البراوي وبه تخرج، وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد كشك وإليه انتسب، ولما توفي جعل شيخًا على المريدين وسار فيهم سيرًا مليحًا، وكان يصلي إمامًا بزاوية بقلعة الجبل، وكان شيخًا حسن العشرة لطيف المجاورة طارحًا للنكات متواضعًا، وقد صار له مريدون وأتباع خاصة غير أتباع شيخه، توفي في يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان من السنة.

ومات من الأمرا الأمير إبراهيم بك أوده باشه خنقه مراد بك، عفا الله عنه والمسلمين.

سنة ست وتسعين ومائة وألف (١٧٨١م)

فيها في صفر نزل مراد بك وسرح بالأقاليم البحرية وطاف البلاد بالشرقية، وطلب منهم أموالًا وفرد عليهم مقادير من المال عظيمة وكلفا، وحق طرق معينين وغير ذلك ما لا يوصف، ثم نزل إلى الغربية وفعل بها كذلك ثم إلى المنوفية.

وفي منتصف شعبان ورد أغا بطلب محمد باشا ملك إلى الباب ليتولى الصدارة فنزل من القلعة إلى قصر العيني وأقام بقية شهر شعبان ونزل في غرة رمضان وسافر إلى سكندرية، فكانت مدة ولايته ثلاثة عشر شهرًا ونصفًا، وهاداه الأمرا ولم يحاسبوه على شي، ونزل في غاية الإعزاز والإكرام.

وكان من أفاضل العلما متضلعًا من ساير الفنون، ويحب المذاكرة والمباحثة والمسامرة وأخبار التواريخ وحكايات الصالحين وكلام القوم، وكان طاعنا في السن منور الشيبة متواضعًا، وحضر الباشا الجديد في أواسط رمضان ونزل إليه الملاقاة وحضر إلى مصر في عاشر شوال وطلعوه قصر العيني فبات به، وركب بالموكب في صبحها ومر من جهة الصليبية وطلع إلى القلعة وذلك على خلاف العادة.

وفيه جاءت الأخبار على أيدي السفار الواصلين من إسلامبول بأنه وقع بها حريق عظيم لم يسمع بمثله واحترق منها نحو الثلاثة أرباع، واحترق خلق كثير في ضمن الحريق وكان أمرًا مهولًا، وبعد ذلك حصل بها فتنة أيضًا ونفوا الوزير عزت محمد باشا، وبعض رجال الدولة.

وفي ليلة السبت ثامن عشر القعدة هرب سليم بك وإبراهيم بك قشطة، وتبعهم جماعة كثيرة نحو الثمانين وخرجوا ليلًا على الهجن وجرايد الخيل وذهبوا إلى الصعيد وأصبح الخبر شايعًا بذلك، فارتبك إبراهيم بك ومراد بك ونادى الأغا والوالي بترك الناس المشي من بعد العشا.

ذكر من مات في هذه السنة

وأما من توفي في هذه السنة من الأعيان:

توفي الأستاذ الوجيه العظيم السيد محمد أفندي البكري الصديقي نقيب السادة الأشراف بالديار المصرية، كان وجيهًا مبجلًا محشتمًا، سار في نقابة الأشراف سيرًا حسنًا مع الإمارة وسلوك الإنصاف وعدم الاعتساف، ولما توفي ابن عمه الشيخ أحمد شيخ السجاد البكرية تولاها بعده بإجماع الخاص والعام مضافة لنقابة الأشراف، فحاز المنصبين وكمل له الشرفان، ولم يقم في ذلك إلا نحو سنة ونصف.

وتوفي يوم السبت عاشر شعبان فحضر مراد بك إلى منزله، وخلع على ولده السيد محمد أفندي ما كان على والده من مشيخة السجاد البكرية ونقابة الأشراف وجهز وكفن وخرجوا بجنازته من بيتهم بالأزبكية، وصلوا عليه بالجامع الأزهر في مشهد حافل ودفن بمشهد أجداده بالقرافة.

ومات الشريف العفيف الوفي الصديق محمد بن زين باحسن جمل الليل الحسيني باعلوي التريمي الأصل نزيل الحرمين، سكن بهما مدة واتصل بخدمة الشيخ القطب السيد الشيخ باعبود فلوحظ بأنظاره، وكان يحترمه ويعترف بمقامه. ويحكي عن بعض مكاشفاته وارداته وصحب كلًّا من القطب السيد عبد الله مدهر، وعارفة وقتها الشريفة فاطمة العلوية والشيخ محمد بن عبد الكريم السمان، والشيخ عبد الله ميرغني وجماعة كثيرين من السادة والواردين على الحرمين من الأفاضل، وله محاورة لطيفة ولديه محفوظة، ومعرفة بدقايق علم الطب وسليقة في التصوف، ورد إلى مصر سنة إحدى وثمانين وماية وألف وهو عايد من الروم واجتمع بأفاضلها وعاشر شيخنا السيد محمد مرتضى وأفاده وأرشده إلى أمور مهمة، وسافر صحبته لزيارة الشهدا بدمياط، ولاقاه أهلها بالاحترام.

ثم توجه إلى الحرمين الشريفين، وأقام هناك واجتمع به الشيخ محمد الجوهري وآخاه في الصحبة، وكان مع ما أعطي من الفضايل يتجر بالبضايع الهندية، ويتعلل بما يتحصل منها وبآخره سافر إلى الديار الهندية وبها توفي في هذه السنة.

ومات العمدة الفاضل واللوذعي الكامل الرحلة الداركة بقية السلف الورع الصالح الزاهد الشيخ موسى بن داود الشيخوني الحنفي إمام جامع شيخون وخطيبه وخازن كتبه، وكان إنسانًا حسنًا عظيم النفس منور الشيبة ضخم البدن فقيهًا مستحضرًا للمناسبات مهذب النفس لين الجانب تقيًّا معتقدًا، ولما وقف الأمير أحمد باشجاويش

كتبه التي جمعها وضعها بخزانة كتب الوقف تحت يد المترجم لاعتقاده فيه الديانة والصيانة، رحمهما الله تعالى.

سنة سبع وتسعين وماية وألف (١٧٨٢م)

فيها تسحب أيضًا جماعة من الكشاف والمماليك وذهبوا إلى قبلي فشرعوا في تجهيز تجريدة، وعزم مراد بك على السفر، وأخذ في تجهيز اللوازم، فطلب الأموال فقبضوا على كثير من مساتير الناس والتجار والمتسببين وحبسوهم وصادروهم في أموالهم وسلبوا ما بأيديهم، فجمعوا من المال ما جاوز الحد ولا يدخل تحت العد.

وفي منتصف ربيع الآخر برز مراد بك للسفر وأخرج خيامه إلى جهة البساتين، وخرج صحبته الأمير لاچين بك وعثمان بك الشرقاوي وعثمان بك الأشقر وسليمان بك أبو نبوت وكشافهم ومماليكهم وطوايفهم وسافروا بعد أيام.

وفي أواخر جمادى الثانية وردت الأخبار بأن رضوان بكم قرابة علي بك حضر إلى مراد بك وانضم إليه، فلما فعل ذلك انكسرت قلوب الآخرين وانخذلوا ورجعوا القهقرى ورجع مراد بك أيضًا إلى مصر في منتصف شهر رجب، وترك هناك مصطفى بك الشرقاوي وعثمان بك الأشقر.

وفي يوم الخميس سادس عشرين رجب اتفق مراد بك وإبراهيم بك على نفي جماعة من خشداشينهم وهم: إبراهيم بك الوالي وأيوب بك الصغير وسليمان بك الأغا، ورسموا لأيوب بك أن يذهب إلى المنصورة فأبى وامتنع من الخروج، فذهب إليه حسن كتخدا الجربان كتخدا مراد بك واحتال عليه، فركب وخرج إلى غيط مهمشة ثم سافر إلى المنصورة.

وأما إبراهيم بك الوالي فركب بطوايفه ومماليكه وعدى إلى بر الجيزة فركب خلفه علي بك أباظة ولاچين بك وحجزوا هجنه وجماله عند المعادي، وعدوا خلفه فأدركوه عند الأهرام فاحتالوا عليه وردوه إلى قصر العيني، ثم سفروه إلى ناحية السرو ورأس الخليج.

وأما سليمان بك فإنه كان غايبًا بإقليم الغربية والمنوفية يجمع من الفلاحين فردًا وأموالًا ومظالم فلما بلغه الخبر رجع إلى منوف، فحضر إليه المعينون لنفيه وأمروه بالذهاب إلى المحلة الكبرى، فركب بجماعته وأتباعه فوصل إلى مسجد الخضر، فاجتمع بأخيه إبراهيم بك الوالي هناك، فأخذه صحبته وذهبا إلى جهة البحيرة.

وفي يوم الأحد غاية شهر رجب طلع الأمرا إلى الديوان، وقلدوا خمسة من أغوات الكشاف صناجق وهم: عبد الرحمن خازندار إبراهيم بك سابقًا وقاسم أغا كاشف المنوفية سابقًا وعرف بالموسقو، وهو من مماليك محمد بك وإشراق إبراهيم بك وحسين كاشف وعرف بالشفت بمعنى اليهودي، وعثمان كاشف ومصطفى كاشف السلحدار، وهؤلاء الثلاثة من طرف مراد بك.

وفي شهر شعبان وردت الأخبار من ثغر الإسكندرية بوصول باشا إلى الثغر واسمه محمد باشا السلحدار واليًا على مصر، فنزل الباشا القديم من القلعة إلى القصر بشاطي النيل.

وفي أواخر شعبان وصل سلحدار الباشا الجديد بخلعة قايمقامية لإبراهيم بك.

وفيه وصلت الأخبار بأن سليمان بك وإبراهيم بك رجعوا من ناحية البحيرة إلى طندتا، وجلسوا هناك وأرسلوا جوابات إلى الأمرا بمصر بذلك، وأنهم يطلبون أن يعينوا لهم ما يتعيشون به.

وفيه أرسلوا خلعة إلى عثمان بك الشرقاوي بأن يستقر حاكمًا بجرجا، وطلبوا مصطفى بك وسليمان بك أبانبوت وعثمان بك الأشقر للحضور إلى مصر، فحضروا واستقر عثمان بك الشرقاوي بجرجا.

وفي غرة رمضان هرب سليمان بك الأغا وإبراهيم بك الوالي من طندتا وعدوا إلى شرقية بلبيس ومروا من خلف الجبل وذهبوا إلى جهة الصعيد، ورجع علي كتخدا ويحيى كتخدا سليمان بك إلى مصر بالحملة والجمال وبعض مماليك وأجناد.

وفي أواخر رمضان هرب أيضًا أيوب بك من المنصورة وذهب إلى الصعيد أيضًا، وتواترات الأخبار بأنهم اجتمعوا مع بعضهم واتفقوا على العصيان، فأرسلوا لهم محمد كتخدا أباظة وأحمد أغا جمليان وطلبوهم إلى الصلح ويعينون لهم أماكن يقيمون بها ويرسلون لهم احتياجاتهم، فأبوا ذلك، فطلبوا عثمان بك الشرقاوي ومصطفى بك للحضور فامتنعا أيضًا، وقالا: لا نحضر ولا نصصلح إلا إن رجع إخواننا رجعنا معهم ويردون لهم إمرياتهم وبلادهم وبيوتهم ويبطلوا من صنجقوه وأمروه عوضهم.

فلما حضر الجواب بذلك شرعوا في تجهيز تجريدة وأخذوا يفتشون أماكن الأمرا المذكورين، فأخذوا ما وجدوه بمنزل مصطفى بك واتهموا أناسًا بأمانات وودايع لمصطفى بك وعثمان بك الشرقاوي، منهم الدالي إبراهيم وغيره، فجمعوا بهذه النكتة أموالًا كثيرة حقًّا وباطلًا.

وفي يوم الخميس عشرين شهر شوال كان خروج المحمل والحجاج وأمير الحاج مصطفى بك الكبير، ولما انقضى أمر الحج برزوا للتجريدة وأميرها إبراهيم بك الكبير وجمعوا المراكب وحجزوها من أربابها، وعطلوا أسباب التجار والمسافرين وجمعوا الأموال كما تقدم من المصادرات والملتزمين والفلاحين وغير ذلك، وكان أمرًا مهولًا أيضًا، وبعد أيام وصل الخبر بأن إبراهيم بك ضمنهم للصلح واصطلح معهم، وأنه واصل صحبتهم جميعًا.

في سادس عشر ذي القعدة حضر إبراهيم بك ووصل بعده الجماعة ودخلوا إلى مصر وسكنوا في بيوت صغار، ما عدا عثمان بك ومصطفى بك فإنهم نزلوا في بيوتهم، وحضر صحبتهم أيضًا علي بك وحسين بك الإسماعيلية، فلم يعجب مراد بك ما فعله إبراهيم بك ولكن أسره في نفسه ولم يظهره، وركب للسلام على إبراهيم بك فقط في الخلا ولم يذهب إلى أحد من القادمين، وسكن الحال على ذلك أيامًا.

وشرع إبراهيم بك في إجرا الصلح وصفا الخاطر بينهم وبين مراد بك، وأمرهم بالذهاب إليه فذهبوا إليه وسلموا عليه، ثم ركب هو الآخر إليهم ما عدا الثلاثة المعزولين، وكل ذلك وهو ينقل في متاع بيته وتعزيل ما فيه، ثم إنه ركب في يوم الجمعة وعدى إلى جزيرة الدهب وتبعه كشافه وطوايفه، وأرسل إلى بولاق وأخذ منها الأرز والغلة والشعير والبقسماط وغير ذلك، فأرسل له إبراهيم بك لاچين بك وسليمان بك أبانبوت؛ ليردوه عن ذلك فنهرهم وطردهم فرجعوا، ثم إنه عدى إلى ناحية الشرق وذهب إلى قبلي وتبعه أغراضه وأتباعه وحملته من البر والبحر.

وفي هذه السنة قصر مد النيل وانهبط قبل الصليب بسرعة فشرقت الأراضي القبلية والبحرية وعزت الغلال بسبب ذلك، وبسبب نهب الأمرا وانقطاع الوارد من الجهة القبلية وشطح سعر القمح إلى عشرة ريالات الإردب، واشتد جوع الفقرا.

ووصل مراد بك إلى بني سويف وأقام هناك وقطع الطريق على المسافرين، ونهبوا كل ما مر بهم في المراكب الصاعدة والهابطة.

ذكر من مات في هذه السنة

وأما من مات في هذه السنة من الأعيان:

توفي الفقيه النبيه العمدة الفاضل حاوي أنواع الفضايل الشيخ أحمد ابن الشيخ الصالح شهاب الدين أحمد بن محمد السجاعي الشافعي الأزهري، ولد بمصر ونشأ بها وقرا على والده وعلى كثير من مشايخ الوقت، وتصدر للتدريس في حياة أبيه وبعد موته في مواضعه، وصار من أعيان العلما، وشارك في كل علم وتميز بالعلوم الغريبة، ولازم الوالد وأخذ عنه علم الحكمة الهندية وشرحها للقاضي زاده قراءة بحث وتحقيق والجغميني ولقط الجواهر والمجيب والمقنطر وشرح أشكال التأسيس وغير ذلك، وله في تلك الفنون تعاليق ورسايل مفيدة، وله براعة في التأليف ومعرفة باللغة وحافظة في الفقه.

ومن تآليفه: شرح على دلايل الخيرات كالحاشية مفيد، وشرح على أسماء الله الحسنى قرظ عليه الشيخ عبد الله الإدكاوي رحمه الله تعالى، فقال: سبحان من اختص بالأسماء الحسنى والصفات الحسنا وجعل سره سبحانه في أسمائه وعلمها لأوليائه، فمن تعلق بها أو تخلق فقد تمسك من سببها بالحظ الأوفر والكبريت الأحمر، هذا وكان ممن منحه الله أسرارها، وأظهر أنوارها، فأوضح من معانيها ما خفي ومنح طلابها كنزًا يتنافس في مثله أنبل الفضلا وأفضل النبلا، أحمد الاسم، محمود الصفات، على الفعل حسن القول والذات، نجل العالم العلامة العمدة الفهامة كعبة الأفضال وقبلة الإجلال من تقصر عن تعداد محاسنه ولو طولت باعي: مولانا الشيخ أحمد السجاعي حفظ الله عليه نجله الرشيد وأراه منه ما يسر القريب والبعيد، وحين لمحت عيني ما كتب مما حقه أن يرقم بدل الحبر بالذهب عوذته بالله عن كل حسود، وعلمت أنه — إن شاء الله تعالى — سيسود، وتطأ أخمصه أعناق الأسود، وقلت:

شبهت تأليفك يا سيدي بعقد در ربه رصفه
جمعت فيه الدر لكنه در ثمين عز ما أشرفه
أعيذ بالله وأسمائه أحمدنا الفاضل من ألفه

ومن كلام المترجم:

إن البلاء هو اجتماع الناس　　كم أودعوا قلبًا عظيم الباس
فاعذر هديت من الورى متحذرًا　　من شرهم بالله رب الناس

ومن قوله:

لي فيكمُ ود قديم والذي　　يحيي الخلايق وهو حقًّا ربنا
زال العنا عنه ونال بحبكم　　كل الهنا مع الغنى وله المنى

ومن كلامه:

رام العواذل لا نالوا مرامهمُ　　مني السلو عن المحبوب ذي الكحل
فقلت كلا فقالوا هل لذا أمد　　فقلت لا زالت حتى ينقضى أجلى

ومن كلامه:

غزال غزاني باللحاظ البواتر　　وصاد فؤادي بالخدود النواضر
وجسمي أضناه بحسن قوامه　　وإني لأخشى من سهام النواظر

ومن كلامه في جواب قصيدة أرسلها له الإمام الأديب محمد بن رضوان الصلاحي رحمه الله تعالى:

أيها الشادن الذي صاد قلبي　　بلحاظ قد أوقدت نار حرب
وغزاني بأسهم الطرف حقًّا　　وأطال الهجران فازداد كربي
كن عطوفًا على محب معنى　　ذا ولوع وطالبًا نيل قرب
هل وصال به دواء للب　　ذاب وجدًا وهام في كل شعب؟
ما سوى القرب يرتجى يا غزالًا　　قد سبى بالبها له كل صب
هل يجوز القتال منكم لعبد　　صب من عينه الدما أي صب
ليس لي في السوى مراد وإني　　ذو غرام وذاك يا حب دأبي

تعرف الوجد يا منى القلب قطعًا ثم تبدى الجفا لتحرق لبى
ضقت ذرعًا من التصابي وإني طالب للخلاص من شر عطبي

وهي طويلة ومنها:

ليس قصدي لنظمه أن أضاهي إنما قد دعا لذلك حبي
لا تؤاخذ بما به من قصور إن شأن الكريم غفر لذنب

ومن قوله:

لي فيكمُ ود قديم يعرف باق إلى يوم اللقا لا يكسف
يهواكم يا آل بيت محمد قلب بكم يرجو الحوادث تكشف

ورأيت له جوابًا عن اللغز للدماميني في الفاعل وهذا هو اللغز:

أيا علماء الهند إنيَ سايل فمنوا بتحقيق به يظهر السر
أرى فاعلًا بالفعل أعرب لفظه بجر ولا حرف يكون به الجر
وليس بمحكي ولا بمجاور لدى الخفض والإنسان للبحث يضطر
فهل من جواب عندكم أستفيده فمن بحركم لا زال يستخرج الدر

فأجاب المترجم بقوله:

جوابك يا نحرير خذه موضحًا أتى حين هاج الصنبر فادر يا حبر
لقد أعربوا بالكسر لفظة صنبر إذ الفعل في معنى لمصدره جروا
مضاف إلى ذا الفاعل اعلم فإنه مراد لذي الألغاز جاد به الفكر
وليس الذي في الحج يدفع سايلًا وكن حاذقًا فالعلم يسمو به القدر

قلت: وأصل هذا الإشكال في قول طرفة بن العبد حيث قال:

بـجـفـان تـعـتـري نـاديـنـا   من سديف حين هاج الصنبر

إذ هو مروي بكسر الباء وسكون الراء للوقف مع أن الصنبر ضبطه كجر حل لاسم يوم من أيام برد العجوز فاستشكلوا هذا، وقد أجاب جماعة بأنه لغة غريبة، وقيل بل أخطأ فيه، ووجهه ابن جني بأن هاج فعل قصد به المصدر وأضيف إلى فاعله وهو الصنبر فهو مجرور بكسرة نقلت عند الوقف للباء قبلها بلغة غريبة ولا خطأ وهذا هو الذي ألغز فيه الدماميني، وكان المناسب للمجيب أن يصرح في جوابه أنه مما وجهه ابن جني لئلا يتوهم أنه من مبتكراته، وقد راعى ذلك الإمام العلامة سيدنا محمد بن أحمد الجوهري، فقال:

أيا ماجدًا حاز المفاخر كلها   ولا زال منهلًا بجرعاتك القطر
ترى الفاعل المنوي إضافة فعله   ومذ قصدوا بالفعل مصدره جروا
كذا قاله الحبر ابن جني موجهًا   لطرفة هاج الصنبر وهو صنبر
وذاك بنقل الجر للباء قبله   لدى الوقف فاحفظ ما أجاد به الفكر

وسمع المترجم معنا كثيرًا على شيخنا السيد محمد مرتضى من الأمالي وعدة مجالس من البخاري وجزء ابن شاهد الجيش، والعوالي المروية عن أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر المسماة بسلسلة الذهب وغير ذلك.

ومن فوايد المترجم أنه رأى في المنام قايلًا يقول له: من قال كل يوم يا الله يا جبار يا قهار يا شديد البطش ثلثماية وستين مرة أمن من الطاعون.

توفي ليلة الاثنين سادس عشر صفر من السنة بعد أن تعلل بالاستسقا، وصلي عليه بالغد بالجامع الأزهر ودفن عند أبيه بالبستان، رحمه الله تعالى.

ومات الشيخ الصالح الناسك الصوفي الزاهد سيدي أحمد بن علي بن جميل الجعفري الجزولي السوسي من ولد جعفر الطيار، ولد بالسوس واشتغل بالعلم قليلًا على علما بلاده ثم ورد إلى مصر في سنة اثنتين وثمانين وماية وألف فحج ورجع وقرأ معنا على الشيخ الوالد كثيرًا من الرياضيات مع مشاركة سيدي محمد وسيدي أبي بكر ولدي الشيخ التاودي بن سودة حين وردا مع أبيهما في تلك السنة للحج والشيخ سالم القيرواني، ثم

غلب عليه الجذب فساح وذهب إلى الروم مجاهدًا وأصيب بجراحات في بدنه وعولج حتى بري، وتعلم اللغة التركية وعرضت عليه الدنيا فلم يقبلها، والغالب عليه إخفاء الحال.

وورد إلى مصر في سنة إحدى وتسعين، وتزوج بمصر وأقام بها مع كمال العفة والديانة وسلامة الباطن والانجماع عن الناس مع صفا الخاطر والذوق المتين والميل إلى كتب الشيخ الأكبر والشعراني وزيارة القرافتين في كل جمعة على قدميه، أخبر سيدي محمد بن عبد السلام بن ناصر أنه لقيه قبل موته بيومين، فسأل عن حاله، فقال: يا فلان إني أحببت لقا الله تعالى، توفي في ثالث ربيع الأول من السنة، ودفن بالقرافة، رحمه الله تعالى.

ومات العمدة العلامة والحبر الفهامة قدوة المتصدرين ونخبة المتفهمين النبيه المتفنن الشيخ محمد بن إبراهيم بن يوسف الهيتمي السجيني الشافعي الأزهري، الشهير بأبي الإرشاد، ولد سنة أربع وخمسين وماية وألف، وحفظ القرآن وتفقه على الشيخ المدابغي والبراوي والشيخ عبد الله السجيني، وحضر دروس الشيخ الصعيدي وغيره، وأجازه أشياخ العصر وأفتى ودرس، وتولى مشيخة رواق الشراقوة بالأزهر بعد وفاة خاله الشيخ عبد الرءوف، واشتهر ذكره وانتظم في عداد المشايخ المشار إليهم بالأزهر وفي الجمعيات والمجالس عند الأمرا ونظار الأزهر وفي الأخيار، وله مؤلفات في الفنون وكتب حاشية على الخطيب علي أبي شجاع إلا أنها لم تكمل ورسايل في مستصعبات المسايل بالمنهج، وصنف رسالة تتعلق بندا المؤمنين بعضهم بعضًا في الجنة، توفي في أواخر ذي القعدة وأرخه أديب العصر قاسم بقوله:

محمد السجيني انتسابا ... سليل الفضل ذو الفخر الصميم
سعى في عفو مولاه مجدًّا ... إلى دار المقامة والنعيم
عليه سحايب الرضوان دامت ... مع الغفران والفوز العظيم
وفي دار الكرامة أرخوه ... أبو الإرشاد في كرم الكريم

ومات الإمام الهمام والعلامة المقدام المتقن المتفنن المفيد الشيخ يوسف الشهير برزة الشافعي الأزهري، أحد العلما المحصلين والأجلا المفيدين تفقه على الشيخ العلامة الشيخ أحمد رزة وإليه انتسب وبه اشتهر، وحضر على كل من الشيخ الحفني والشيخ أحمد البجيرمي والشيخ عيسى البراوي، ودرس الفقه والمعقول بالأزهر وأفاد وأفتى، وصار في عداد المتصدرين المشار إليهم مع الانجماع والحشمة والكمال والرياسة وحسن الحال،

ولم يتداخل كغيره في الأمور المخلة، ولم يزل مقبلًا على شأنه حتى توفي في عاشر جمادى الأولى من السنة.

ومات الشيخ الصالح والورع علي بن عبد الله مولى الأمير بشير جلبه مولاه من بلاد الروم وأدبه وحبب إليه السلوك، فلازم الشيخ الحفني ملازمة كلية وأخذ عنه الطريق وحضر دروسه، وسمع الصحيح على السيد مرتضى بتمامه في منزله بدرب الميضاة بالصليبة، وكذلك مسلم وأبو داود وغير ذلك من الأجزاء الحديثية ومسلسلات ابن عقيلة بشروطها وغالبها بقراءة السيد حسين الشيخوني.

وكان إنسانًا حسنًا حلو المعاشرة كثير التودد لطيف الصحبة مكرمًا محسنًا خيِّرًا له بر وصدقات خفية، توفي في يوم الأحد تاسع عشرين رجب، بعد أن تعلل بالفتق عن كبر، وصلي عليه بسبيل المؤمنين ودفن بالقرب من شيخنا محمود الكردي بالصحرا، وكان منور الوجه والشيبة وعليه جلالة ووقار وهيبة يلوح عليه سيما الصلاح والتقوى، رحمه الله تعالى.

ومات الشيخ الصالح عيسى بن أحمد القهاوي الوقاد بالمشهد الحسيني وخادم النعال بالموضع المذكور، وكان رجلًا مسنًّا سخيًّا بما يملك مطعامًا للواردين من الغربا المنقطعين، وأدرك جماعة من الصالحين، وكان يحكي لنا عليهم أمورًا غريبة، وله مع الله حال وفي فهم كلام القول ذوق حسن، وللناس فيه اعتقاد عظيم.

وفي آخره أعجزه الهرم والقعود فتوجه إلى طندتا في آخر ربيع الثاني ومكث هناك برحاب سيدي أحمد البدوي إلى أن توفي في يوم الأربعا ثاني عشر جمادى الثانية، ودفن عند مقام الولي الصالح سيدي عز الدين خارج البلد في موضع كان أعده السيد محمد مجاهد لنفسه فلم يتفق دفنه فيه.

ومات العلامة الفاضل المحدث الصوفي الشيخ أحمد بن أحمد بن أحمد بن جمعة البجرمي الشافعي، قرأ على أبيه وحضر دروس العشماوي والعزيز والجوهري والشيخ أحمد سابق والحفني وآخرين، ودرس وأكب على إقراء الحديث، وألف في الفن وانتفع به الناس، وكان يسكن في خانقاه سعيد السعدا مع سكون الأخلاق، والانجماع عن الناس وملازمة محله، ومن شعره ما أرسله إلى شيخنا السيد العيدروس حين قدومه إلى مصر في سنة ثمان وخمسين وماية وألف.

لاحت بمصر طليعة السعد التي طابت بها مجنى وزال نحوسها

وسرى بها طيب السرور فأينعت وصفت لدى حسن اللقاء كئوسها
وألب حين أقام فيها العيدرو س سرورها وحلا لذاك جلوسها
أعنيه للرحمن أفضل عابد ضحكت له طلق الورى وعبوسها
أمت حماة أولو الفضايل والتقى وبداره السامي أنيخت عيسها

ولا زال يفيد ويسمع حتى وافاه الحمام في يوم الجمعة ثاني رمضان، وكانت جنازته خفيفة لاشتغال الناس بالصيام، وكان يخبر عن والده أن جنازته كانت خفيفة، رحمه الله.

ومات الفاضل المبجل سيدي عيسى چلبي بن محمود بن عثمان بن مرتضى القفطانجي الحنفي المصري، ولد بمصر ونشا نشوًا صالحًا في عفاف وصلاح وديانة وملازمة لحضور دروس الأشياخ، وتفقه على فضلا وقته مثل الشيخ الوالد والشيخ حسن المقدسي، وأخذ العربية والكلام عن الشيخ محمد الأمير والشيخ أحمد البيلي وغيرهما، واقتنى كتبًا نفيسة، وكان منزله موردًا للفضلا وكان يعزم عليهم ويعمل لهم الضيافات في كل عام ببستان خارج مصر يعرف ببستان القفطانجي ورثه عن آبائه، وكان نعم الرجل مودة وصيانة، رحمه الله تعالى وسامحه.

سنة ثمان وتسعين ومایة وألف (١٧٨٢م)

فيها في المحرم سافر مراد بك إلى منية بن خصيب مغضبًا وجلس هناك.

وفيه حضر إلى مصر محمد باشا والي مصر فأنزلوه بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطي النيل فأقام به يومين، ثم عملوا له موكبًا وطلع إلى القلعة من تحت الربع على الدرب الأحمر.

وفي منتصفه اتفق رأي إبراهيم بك والأمرا الذين معه على إرسال محمد البكري والشيخ أبي الأنوار شيخ السادات والشيخ أحمد العروسي شيخ الأزهر إلى مراد بك؛ ليأخذوا خاطره ويطلبوه للصلح مع خشداشينهم، ويرجع إليهم ويقبلوا شروطه ما عدا إخراج أحد من خشداشينهم.

فلما سافروا إليه وواجهوه وكلموه في الصلح فتعلل بإعذار وأخبر أنه لم يخرج من مصر إلا هروبًا وخوفًا على نفسه، فإنه تحقق عنده توافقهم على غدره، فإن ضمنتم وحلفتم لي بالأيمان أنه لا يحصل لي منهم ضرر وافقتكم على الصلح وإلا فدعوني بعيدًا عنهم.

فقالوا له: لسنا نطلع على القلوب حتى نحلف ونضمن، ولكن الذي نظنه ونعتقده عدم وقوع ذلك بينكم؛ لأنكم إخوة ومقصودنا الراحة فيكم وبراحتكم ترتاح الناس وتأمن السبل فأظهر الامتثال ووعد بالحضور بعد أيام، وقال لهم: إذا وصلتم إلى بني سويف يرسلون لي عثمان بك الشرقاوي وأيوب بك الدفتردار لأشترط عليهم شروطي، فإن قبلوها توجهت معهم وإلا عرفت خلاصي معهم.

وانفصلوا عنه على ذلك وودعوه وسافروا وحضروا إلى مصر في ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر صفر، وفي ذلك اليوم وصل الحجاج إلى مصر ودخل أمير الحج مصطفى بك بالمحمل في يوم الأحد.

وفي يوم السبت مستهل ربيع الأول خرج الأمرا إلى ناحية معادي الخبيري، وحضر مراد بك إلى بر الجيزة وصحبته جمع كبير من الغز والأجناد والعربان والغوغا من أهل الصعيد والهوارة، ونصبوا خيامهم ووطاقهم قبالتهم في البر الآخر، فأرسل إليه إبراهيم بك عبد الرحمن بك عثمان وسليمان بك الشابوري وآخرين في مركب، فلما عدوا إليه فلم يأذن لهم في مقابلته وطردهم ونزل أيضًا كتخدا الباشا وصحبته إسماعيل أفندي الخلوتي في مركب أخرى ليتوجهوا إليه أيضًا لجريان الصلح، فلما توسطوا البحر ووافق رجوع الأولين ضربوا عليهم بالمدافع فكادت تغرق بهم السفن ورجعوا وهم لا يصدقون بالنجاة.

فلما رأى ذلك إبراهيم بك ونظر امتناعه عن الصلح وضربه بالمدافع فأمر هو الآخر بضرب المدافع عليهم نظير فعلهم، وكثر الرمي بينهم من الجهتين على بعضهم البعض، وامتنع كل من الفريقين عن التعدية إلى الجهة الأخرى، وحجزوا المعادي من الطرفين، واستمر الحال بينهم على ذلك من أول الشهر إلى عشرين منه، واشتد الكرب والضنك على الناس وأهل البلاد، وانقطعت الطرق القبلية والبحرية برًّا وبحرًا وكثر تعدي المفسدين وغلت الأسعار وشح وجود الغلال وزادت أسعارها.

وفي تلك المدة كثر عبث المفسدين وأفحش جماعة مراد بك في النهب والسلب في بر الجيزة، وأكلوا الزروعات ولم يتركوا على وجه الأرض عودًا أخضر، وعين لقبض الأموال من الجهات وغرامات الفلاحين، وظن الناس حصول الظفر لمراد بك واشتد خوف الأمرا بمصر منه.

وتحدث الناس بعزم إبراهيم بك على الهروب، فلما كان ليلة الخميس المذكور أرسل إبراهيم بك المذكور خمسة من الصناجق وهم: سليمان بك الأغا وسليمان بك أبو نبوت وعثمان بك الأشقر وإبراهيم بك الوالي وأيوب بك، فعدوا إلى البر الآخر بالقرب من إنبابة ليلًا وساروا مشاة، فصادفوا طابورًا فضربوا عليهم بالبندق فانهزموا منهم وملكوا مكانهم، وذلك بالقرب من بولاق التكرور، كل ذلك والرمي بالمدافع متصل من عرضي إبراهيم بك.

ثم عدى خلفهم جماعة أخرى ومعهم مدفعان وتقدموا قليلًا قليلًا من عرضي مراد بك وضربوا على العرضي بالمدفعين فلم يجبهم أحد، فباتوا على ذلك وهم على غاية من الحذر والخوف.

وتتابع بهم طوايفهم وخيولهم، فلما ظهر نور النهار نظروا فوجدوا العرضي خاليًّا وليس به أحد وارتحل مراد بك ليلًا وترك بعض أثقاله ومدافعه، فذهبوا إلى العرضي وأخذوا ما وجدوه وجلسوا مكانه ونهب أوباشه المراكب التي كانت محجوزة للناس.

وعدى إبراهيم بك وتتابعوا في التعدية وركبوا خلفهم إلى الشيمي فلم يجدوا أحدًا، فأقاموا هناك السبت والأحد والاثنين والثلاثاء، ورجع إبراهيم بك وبقية الأمرا إلى مصر ودخلوا بيوتهم.

وانقضت هذه الفتنة الكذابة على غير طايل، ولم يقع بينهم مصاف ولا مقاتلة وهرب مراد بك وذهب بمن معه يهلكون الزروع حصادًا ويسعون في الأرض فسادًا.

(وفي أواخر شهر جمادى الأولى) اتفق رأي إبراهيم بك على طلب الصلح مع مراد بك فسافر لذلك لاچين بك وعلي أغا كتخدا جاوجان، وسبب ذلك أن عثمان بك الشرقاوي وأيوب بك ومصطفى بك وسليمان بك وإبراهيم بك الوالي تحزبوا مع بعضهم، وأخذوا ينقضون على إبراهيم بك الكبير واستخفوا بشأنه وقعدوا له كل مرصد، وتخيل منهم وتحرز، وجرت مشاجرة بين أيوب بك وعلي أغا كتخدا جاوجان بحضرة إبراهيم بك وسبه وشتمه وأمسك عمامته وحل قولانه، وقال له: ليس هذا المنصب مخلدًا عليك؛ فاغتاظ إبراهيم بك لذلك وكتمه في نفسه، وعز عليه علي أغا؛ لأنه كان بينه وبينه محبة أكيدة ولا يقدر على فراقه، فشرع في إجرا الصلح بينه وبين مراد بك، فاجتمع إليه الأمرا وتكلموا معه، وقالوا له: كيف تصنع؟ قال: نصطلح مع أخينا أولى من التشاحن ونزيل الغل من بيننا لأجل راحتنا وراحة الناس ويكون كواحد منا، وإن حصل منه خلل أكون أنا وأنتم عليه.

وتحالفوا على ذلك، وسافر لاجين بك وعلي أغا، وبعد أيام حضر حسن كتخدا الجربان كتخدا مراد بك إلى مصر، واجتمع بإبراهيم بك ورجع ثانيًا، وأرسل إبراهيم بك صحبته ولده مرزوق بك طفلًا صغيرًا ومعه الدادة والمرضعه، فلما وصلوا إلى مراد بك أجاب بالصلح وقدم لمرزوق بك هدية وتقادم ومن جملتها بقرة لابنتها رأسان.

وفي عاشر رجب حضر مرزوق بك وصحبته حسن كتخدا الجربان فأوصله إلى أبيه ورجع ثانيًا إلى مراد بك، وشاع الخبر بقدوم مراد بك وعمل مصطفى بك وليمة وعزم من بصحبته، وأحضر لهم آلات الطرب واستمروا على ذلك إلى آخر النهار.

(وفي ثاني يوم) اجتمعوا عند إبراهيم بك، وقالوا له: كيف يكون قدوم مراد بك ولعله لا يستقيم حاله معنا؟ فقال لهم: حتى يأتي فإن استقام معنا فيها وإلا أكون أنا وأنتم عليه، فتحالفوا وتعاهدوا وأكدوا المواثيق.

فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بك إلى غمازة فركب إبراهيم بك على حين غفلة وقت القايلة في جماعته وطايفته، وخرج إلى ناحية البساتين ورجع من الليل وطلع إلى القلعة وملك الأبواب ومدرسة السلطان حسن والرميلة والصليبة والتبانة، وأرسل إلى الأمرا الخمسة يأمرهم بالخروج من مصر وعين لهم أماكن يذهبون إليها: فمنهم من يذهب إلى دمياط ومنهم من يذهب إلى المنصورة وفارسكور، فامتنعوا من الخروج واتفقوا على الكرنكة والخلاف، ثم لم يجدوا لهم خلاصًا؛ بسبب أن إبراهيم بك مالك القلعة وجهاتها، ومراد بك واصل يوم تاريخه وصحبته السواد الأعظم من العساكر والعربان، ثم إنهم ركبوا وخرجوا بجمعيتهم إلى ناحية القليوبية، ووصل مراد بك لزيارة الإمام الشافعي، فعندما بلغه خبر خروجهم ذهب من فوره من خلف القلعة ونزل على الصحرا، وأسرع في السير حتى وصل إلى قناطر أبي المنجا ونزل هناك، وأرسل خلفهم جماعة فلحقوهم عند شبرا شهاب وأدركهم مراد بك والتطموا معهم، فتقنطر مراد بك بفرسه فلحقوه وأركبوه غيره فعند ذلك ولَّى راجعًا وانجرح بينهم جماعة قلايل، وأصيب سليمان بك برصاصة نفذت من كتفه ولم يمت، ورجع مراد بك ومن معه إلى مصر على غير طايل، وذهب الأمرا الخمسة المذكورون وعدوا على وردان وكان بصحبتهم رجل من كبار العرب يقال له طرهونة يدلهم على الطريق الموصلة إلى جهة قبلي، فسار بهم في طريق مقفرة ليس بها ماء ولا حشيش يومًا وليلة حتى كادوا يهلكون من العطش، وتأخر عنهم أناس من طوايفهم وانقطعوا عنهم شيًّا فشيًّا إلى أن وصلوا إلى ناحية سقارة، فرأوا أنفسهم بالقرب من الأهرام فضاق خناقهم وظنوا الوقوع، فأحضروا الهجن وأرادوا الركوب عليها والهروب ويتركوا أثقالهم، فقامت عليهم طوايفهم وقالوا لهم: كيف تذهبون وتتركونا مشتتين؟ وصار كل من قدر على خطف شي أخذه وهرب، فسكنوا عن الركوب وانتقلوا من مكانهم إلى مكان آخر.

وفي وقت الكبكبة ركب مملوك من مماليكهم وحضر إلى مراد بك وكان بالروضة فأعلمه الخبر، فأرسل جماعة إلى الموضع الذي ذكره له فلم يجدوا أحدًا فرجعوا، واغتم أهل مصر لذهابهم إلى جهة قبلي لما يترتب على ذلك من التعب، وقطع الجالب مع وجود القحط والغلا، وبات الناس في غم شديد.

فلما طلع نهار يوم الأربعا حادي عشرين رجب شاع الخبر بالقبض عليهم، وكان من أمرهم أنهم لما وصلوا إلى ناحية الأهرام ووجدوا أنفسهم مقابلين البلد أحضروا الدليل وقالوا له: انظر لنا طريقًا نسلك منه فركب لينظر في الطريق وذهب إلى مراد بك وأخبره

بمكانهم، فأرسل لهم جماعة فلما نظروهم مقبلين عليهم ركبوا الهجن وتركوا أثقالهم وولوا هاربين، وكانوا أكمنوا لهم كمينًا فخرج عليهم ذلك الكمين ومسكوا بزمامهم من غير رفع سلاح ولا قتال، وحضروا بهم إلى مراد بك بجزيرة الدهب فباتوا عنده، ولما أصبح النهار أحضر لهم مراد بك مراكب، وأنزل كل أمير في مركب وصحبته خمسة مماليك وبعض خدام، وسافروا إلى جهة بحري فذهبوا بعثمان بك وأيوب بك إلى المنصورة ومصطفى بك إلى فارسكور وإبراهيم بك الوالي إلى طندتا، وأما سليمان بك فاستمر ببولاق التكرور حتى برأ جرحه.

وفي منتصف شهر رمضان اتفق الأمرا المنفيون على الهروب إلى قبلي، فأرسلوا إلى إبراهيم بك الوالي ليأتي إليهم من طندتا وكذلك إلى مصطفى بك من فارسكور، وتواعدوا على يوم معلوم بينهم، فحضر إبراهيم بك إلى عثمان بك وأيوب بك خفية في المنصورة، وأما مصطفى بك فإنه نزل في المراكب وعدى إلى البر الشرقي بعد الغروب وركب وسافر، فركب خلفه رجل يسمى طه شيخ فارسكور، وكان بينه وبين مصطفى بك حزازة وأخذ صحبته رجلًا يسمى الأشقر في نحو ثلثماية فارس وعدوا خلفه فلحقوه آخر الليل والطريق ضيقة بين البحر والأرز المزروع فلم يمكنهم الهروب ولا القتال.

فأراد الصنجق أن يذهب بمفرده فدخل في الأرز بفرسه فانغرز في الطين، فقبضوا عليه هو وجماعته، فعروهم وأخذوا ما كان معهم وساقوهم مشاة إلى البحر وأنزلوهم المراكب وردوهم إلى مكانهم محتفظين عليهم، وأرسلوا الخبر إلى مصر بذلك.

وأما الجماعة الذين في المنصورة فإنهم انتظروا مصطفى بك في الميعاد فلم يأتهم ووصلهم الخبر بما وقع له، فركب عثمان بك وإبراهيم بك وساروا وتخلف أيوب بك بالمنصورة، فلما قربوا من مصر سبقتهم الرسل إلى سليمان بك فركب من الجيزة وذهب إليهما وذهبوا إلى قبلي، وأرسل مراد بك محمد كاشف الألفي وأيوب كاشف فأخذا مصطفى بك من فارسكور وتوجها به إلى ثغر إسكندرية وسجنوه بالبرج الكبير، وعرف من أجل ذلك بالإسكندراني.

وأحضروا أيوب بك إلى مصر وأسكنوه في بيت صغير وبعد أيام ردوه إلى بيته الكبير وردوا له الصنجقية أيضًا في منتصف شوال.

وفي يوم الاثنين سادس شهر شوال الموافق لتاسع عشر مسرى القبطي كان وفا النيل المبارك، ونزل الباشا يوم الثلاثا في عربة وكسر السد على العادة.

وفي يوم الاثنين حادي عشرين شوال كان خروج المحمل صحبة أمير الحاج مصطفى بك الكبير في موكب حقير جدًّا بالنسبة للمواكب المتقدمة، ثم ذهب إلى البركة في يوم

الخميس، وقد كان تأخر مبلغ من مال الصرة وخلافها، فطلب ذلك من إبراهيم بك فأحاله على مراد بك من الميري الذي طرفه وطرف أتباعه، فقال: نعم طرفي ذلك لكنه قبض فردة البلاد واختص بها ولم آخذ منها إلا قدرًا يسيرًا، وكانوا قبل ذلك قرروا فردة على البلاد وقبضها إبراهيم بك ولم يأخذ منها مراد بك إلا أقل من مأموله وقصده يقطع ما عليه من الميري لذلك فلم يلتفت إبراهيم بك لقوله وأحال عليه أمير الحاج، وركب من البركة راجعًا إلى مصر وتركه وإياه، فلم يسع مراد بك إلا الدفع وتشهيل الحج وعاد إلى مصر وخرج إلى قصره بالروضة وأرسل إلى الجماعة الذين بالوجه القبلي، فلما علم إبراهيم بك بذلك أرسل إليه يستعطفه وترددت بينهما الرسل من العصر إلى بعد العشا، ونظر إبراهيم بك فلم يجد عنده أحدًا من خشداشينه.

واجتمعوا كلهم على مراد بك فضاق صدره وركب إلى الرميلة، فوقف بها ساعة حتى أرسل الحملة صحبة عثمان بك الأشقر وعلي بك أباظة، وصبر حتى ساروا وتقدموا عليه مسافة ثم سار نحو الجبل وذهب إلى قبلي وصحبته علي أغا كتخدا الجاويشية وعلي أغا مستحفظان والمحتسب وصناجقه الأربعة، فلما بلغ مراد بك ركوبه وذهابه ركب خلفهم حصة من الليل ثم رجع إلى مصر وأصبح منفردًا بها، وقلد قايد أغا أغات مستحفظان، وصالح أغا الوالي القديم جعله كتخدا الجاويشية وحسن أغا كتخدا ومصطفى بك محتسب.

وأرسل إلى محمد كاشف الألفي ليحضر مصطفى بك من محبسه بثغر إسكندرية، ونادى بالأمان في البلد وزيادة وزن الخبز وأمر بإخراج الغلال المخزونة لتباع على الناس.

وفي ليلة الثلاثا خامس القعدة حضر مصطفى بك ونزل في بيته أميرًا وصنجقًا على عادته كما كان.

وفيه قلد مراد بك مملوكه محمد كاشف الألفي صنجقًا، وكذلك مصطفى كاشف الإخميمي صنجقًا أيضًا.

وفي يوم الأحد سابع عشر القعدة حضر عثمان بك الشرقاوي وسليمان بك الأغا وإبراهيم بك الوالي وسليمان بك أبو نبوت، وكان مراد بك أرسل يستدعيهم كما تقدم، فلما حضروا إلى مصر سكنوا بيوتهم كما كانوا على إمارتهم.

وفي أواخره وصل واحد أغا من الدولة وبيده مقرر للباشا على السنة الجديدة فطلب الباشا الأمرا لقراءته عليهم فلم يطلع منهم أحد، وأهمل ذلك مراد بك ولم يلتفت إليه.

وفي يوم الجمعة رابع عشر الحجة رسم مراد بك بنفي رضوان بك قرابة علي بك الكبير الذي كان خامر على إسماعيل بك وحسن بك الجداوي وحضر مصر صحبة مراد

بك كما تقدم، وانضم إليه وصار من خاصته، فلما خرج إبراهيم بك من مصر أشيع أنه يريد صلحه مع إسماعيل بك وحسن بك فصار رضوان بك كالجملة المعترضة، فرسم مراد بك بنفيه فسافر من ليلته إلى الإسكندرية.

وفي يوم السبت خامس عشره أرسل مراد بك إلى الباشا وأمره بالنزول فأنزلوه إلى قصر العيني معزولًا، وتولى مراد بك قايمقام وعلق الستور على بابه، فكانت ولاية هذا الباشا أحد عشر شهرًا سوى الخمسة أشهر التي أقامها بثغر إسكندرية، وكانت أيامه كلها شدايد ومحنًا وغلا.

وفي أواخر شهر الحجة شرع مراد بك في إجرا الصلح بينه وبين إبراهيم بك، فأرسل له سليمان بك الأغا والشيخ أحمد الدردير ومرزوق بك ولده، فتهيئوا وسافروا في يوم السبت ثامن عشرينه.

وانقضت هذه السنة كالتي قبلها في الشدة والغلا وقصور النيل والفتن المستمرة، وتواتر المصادرات والمظالم من الأمرا وانتشار أتباعهم في النواحي لجبي الأموال من القرى والبلدان وإحداث أنواع المظالم، ويسمونها مال الجهات ودفع المظالم والفردة حتى أهلكوا الفلاحين وضاق ذرعهم واشتد كربهم وطفشوا من بلادهم، فحولوا الطلب على الملزمين (الملتزمين) وبعثوا لهم المعينين في بيوتهم، فاحتاج مساتير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك، وتتبع من يشم فيه رائحة الغنى فيوخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف ما يقدر عليه، وتوالى طلب السلف من تجار البن والبهار عن المكوسات المستقبلة.

ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خساراتهم من زيادة الأسعار ثم مدوا أيديهم إلى المواريث، فإذا مات الميت أحاطوا بموجوده سوا كان له وارث أو لا.

وصار بيت المال من جملة المناصب التي يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه في كل شهر، ولا يعارض فيما يفعل في الجزئيات، وأما الكليات فيختص بها الأمير، فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلا إلا من تداركه الله برحمته أو اختلس شيًّا من حقه، فإن اشتهروا عليه عوقب على استخراجه.

وفسدت النيات وتغيرت القلوب ونفرت الطباع، وكثر الحسد والحقد في الناس لبعضهم البعض.

فيتتبع الشخص عورات أخيه ويدلي به إلى الظالم حتى خرب الإقليم وانقطعت الطرق وعربدت أولاد الحرام، وفقد الأمن ومنعت السبل إلا بالخفارة وركوب الغرر،

وجلت الفلاحون من بلادهم إلى الشراقي والظلم وانتشروا في المدينة بنسايهم وأولادهم يصيحون من الجوع ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره، فلا يجد الزبال شيًّا يكنسه من ذلك، واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال، فإذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأخذوه، ومنهم من يأكله نيًّا من شدة الجوع، ومات الكثير من الفقرا بالجوع.

هذا والغلا مستمر والأسعار في الشدة وعز الدرهم والدينار من أيدي الناس وقل التعامل إلا فيما يؤكل، وصار سمر الناس وحديثهم في المجالس ذكر المآكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير، ولولا لطف الله تعالى ومجي الغلال من نواحي الشام والروم لهلكت أهل مصر من الجوع.

وبلغ الإردب من القمح ألفًا وثلثماية نصف فضة والفول والشعير قريبًا من ذلك، وأما بقية الحبوب والأبزار فقل أن توجد.

واستمر ساحل الغلة خاليًا من الغلال بطول السنة والشون كذلك مقفولة، وأرزاق الناس وعلايفهم مقطوعة، وضاع الناس بين صلحهم وغبنهم وخروج طايفة ورجوع الأخرى، ومن خرج إلى جهة قبض أموالها وغلالها، وإذا سئل المستقر في شي تعلل بما ذكر.

ومحصل هذه الأفاعيل بحسب الظن الغالب أنها حيل على سلب الأموال والبلاد وفخاخ ينصبونها ليصيدوا بها إسماعيل بك.

وفي أواخره وصلت مكاتبة من الديار الحجازية عن الشريف سرور ووكلا التجار خطابًا للأمرا والعلما بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتجر وحضور المراكب مصبرة بالأتربة والشكوى من زيادة المكوسات عن الحد، فلما حضرت قرى بعضها وتغوفل عنها وبقي الأمر على ذلك.

رجع لخبر العجلة التي لها رأسان

وهو أنه لما أرسل إبراهيم بك ولده مرزوق بك غلامًا صغيرًا لمصالحة الأمير مراد بك أعطاه هدية ومن جملتها بقرة وخلفها عجلة براسين، وحضر بها إلى مصر وشاع خبرها فذهبت بصحبة أخينا وصديقنا مولانا السيد إسماعيل الوهبي الشهير بالخشاب، فوصلنا إلى بيت أم مرزوق بك الذي بحارة عابدين، ودخلنا إلى إسطبل بعض السواس فرأينا بقرة مصفرة اللون ببياض وابنتها خلفها سودا ولها راسان كاملتا الأعضاء، وهي تأكل

بفم إحدى الرأسين وتشترُّ بفم الرأس الثانية، فتعجبنا من عجيب صنع الله وبديع خلقته، فكانت من العجايب الغريبة المؤرخة.

ذكر من مات في هذه السنة من أعيان الناس

مات الشيخ الفقيه الصالح المشارك الشيخ درويش بن محمد بن محمد بن عبد السلام البوتيجي الحنفي نزيل مصر، حضر دروس كل من الشيخ محمد أبي السعود والشيخ سليمان المنصوري والشيخ محمد الدلجي وغيرهم، وتميز في معرفة فروع الفقه وأفتى ودرس، وكان إنسانًا حسنًا لا بأس به توفي في هذه السنة.

ومات العمدة العلامة والرحالة الفهامة المفوه المتكلم المتفقه النحوي الأصولي الشيخ عبد الله بن أحمد المعروف باللبان الشافعي الأزهري أحد المتصدرين في العلما الأزهرية، حضر أشياخ الوقت كالملوي والجوهري والحفني والصعيدي والعشماوي والدفري وتمهر في الفقه والمعقول، وقرا الدروس وختم الختوم، وتنزل أيامًا عند الأمير إبراهيم كتخدا القازدغلي، واشتهر ذكره في الناس وعند الأمرا بسبب ذلك وتجمل حاله وكان فصيحًا ملسانًا مفوهًا يخشى من سلاطة لسانه في المجالس العلمية والعرفية.

وسافر مرة إلى إسلامبول في بعض الإرساليات، وذلك سنة ست وثمانين عندما خرج علي بك من مصر ودخل محمد بك وكان يصحبه أحمد باشجاويش أرنؤد.

ومات الإمام العلامة الشيخ عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي، وبنانة قرية من قرى منستري بإفريقية ورد إلى مصر وجاور بالجامع الأزهر وحضر دروس الشيخ الصعيدي والشيخ يوسف الحفني والسيد محمد البليدي وغيرهم من أشياخ العصر، ومهر في المعقول وألف حاشية على جمع الجوامع اختصر فيها سياق ابن قاسم وانتفع بها الطلبة، ودرس برواق المغاربة، وأخذ الحديث عن الشيخ أحمد الإسكندري وغيره، وتولى مشيخة رواقهم مرارًا بعد عزل الشيخ قاسم التونسي وبعد عزل الشيخ أبي الحسن القلعي فسار فيها سيرًا حسنًا، ولم يتزوج حتى مات، ومن آثاره ما كتبه على المقامة التصحيفية للشيخ عبد الله الإدكاوي.

أنهى أبهى طرف ظرف لذت لدى خير حبر مسند مشيد أبهج أنهج طريق ظريف فنه فيه حلا جلا يراعه براعة أوجد أوجد زينة رتبة أدب أدت غلو علو شانه ببيانه محبر مخبر معاتى معاني آية أنه محرر محرز للغاية لِلِقَايِه يرتاح برياح قلبك، فلتك مصنفًا مضيفًا أبنية أثنية تعلو بعلو خلاله جلالة لوذعي لودعي السيد السند لمجاوراته

لمحاوراته ينادي ببادي معانيه معاينه لرايم كرايم كلامه كلامه شهم سهم غبي عبي بدعي يدعي مجانسة محاسنة أن آب بعى بغى حيث جنت نفسه تعسه فقد تكامل بكامل نهاه بهاه عبد الله عند الله متينة مبينة معاليه، مقالته عالية غالبة يسمو بسمو تام نام حباه حياة مؤيدة مؤبدة بسيد بسند بنائنا آلية إليه سحت سحب تحيات نجيات علية عليه.

ولم يزل مواظبًا على التدريس ونفع الطلبة حتى تعلل أيامًا، وتوفي ليلة الثلاثا ختام شهر صفر.

ومات الشيخ الفاضل العلامة عبد الرحمن بن حسن بن عمر الأجهوري المالكي المقري سبط القطب الخضيري، أخذ علم الأداء عن كل من الشيخ محمد بن علي السراجي إجازة في سنة ست وخمسين وماية وألف، وعن الشيخ عبد ربه بن محمد السجاعي إجازة في سنة أربع وخمسين، وعن شمس الدين السجاعي في سنة ثلاث وخمسين، وعن عبد الله بن محمد بن يوسف القسطنطيني جود عليه إلى قوله المفلحون بطريقة الشاطبية والتيسير بقلعة الجبل حين ورد مصر حاجًّا في سنة ثلاث وخمسين، وعلى الشيخ أحمد بن السماح البقري والشهاب الإسقاطي وآخرين، وأخذ العلوم عن الشبراوي والعماوي والسجيني والشهاب النفراوي وعبد الوهاب الطندتاوي والشمس الحفني وأخيه الشيخ يوسف والشيخ الملوي، وسمع الحديث من الشيخ محمد الدفري والشيخ أحمد الإسكندراني ومحمد بن محمد الدقاق، وأجازه الجوهري في الأحزاب الشاذلية، وكذا يوسف بن ناصر، وأجازه السيد مصطفى البكري في الخلوتية والأوراد السرية ودخل الشام فسمع الأولية على الشيخ إسماعيل العجلوني وسمع عليه الحديث، وأخذ فن القراءات على الشيخ مصطفى الخليجي، ومكث هناك مدة ودخل حلب فسمع من جماعة وعاد إلى مصر فحضر على السيد البليدي في تفسير البيضاوي بالأزهر وبالأشرفية، وكان السيد يعتني به ويعرف مقامه.

وله سليقة تامة في الشعر وله مؤلفات منها الملتاذ في الأربعة الشواذ، ورسالة في وصف أعضاء المحجوب نظمًا ونثرًا، وشرح على تشنيف السمع ببعض لطايف الوضع للشيخ العيدروس شرحين كاملين قرظ عليهما علما عصره.

ولا زال يملي ويفيد ويدرس ويجيد ودرس بالأزهر مدة في أنواع الفنون وأتقن العربية والأصول والقراءات وشارك في غيرها، وعين للتدريس في السنانية ببولاق فكان يقرأ فيها الجامع الصغير، ويكتب على أطراف النسخة من تقاريره المبتكرة ما لو جمع لكان شرحًا حسنًا، ولما شرح شيخنا السيد محمد مرتضى كتاب القاموس كتب عليه تقريظًا حسنًا نظمًا ونثرًا قوله:

دع الذكر صفحًا عن صبا البيض والسمر ومهد ليال أوسدت قادح الفكر
وعرج على معراج فضل أولي النهي مصابيح آل الله في عالم السر
ولا سيما ذاك المجيد محمد هو المرتضى عقد السيادة والفخر
شريف زكي والحسيني جده إلى البضعة الزهراء سيدة الدهر
فتى كم له في مطلع السعد غرة كفانا هداها عن هدى الأنجم الزهر
فكم آية تتلى بعز سنائه وكم نسبة ترويه للشمس والبدر
وكم لفظة تروي صحاح جواهر كما نقله يروي فسل من أولي الفكر
وكم شاهدت رقياه في الغيب مشهدًا على عين ألطاف تجل عن السحر
وكم خاض في علم اللغات محيطها فأنتج منها الدر في لجة البحر
وكم رهنت في روح معناه أنفس بقيد اختيار في عنا الجبر والأسر
عزيز كساه الله ثوب مهابة عليه طراز العز والفخر والقدر
مواهب مولانا هبات مقاصد إليها أتى القصاد في البحر والبر
هو الكعبة الغراء في درر الهدى ومفتاح فضل لا يقايس بالدر
مطالع سر السر منه طوالع سماه المعالي الساميات مدى العصر
هو الكنز مغنى العارفين عوارفًا عن المنهج الأقوى القويم إذا تدري
فمن نطقه حسَّان أصبح ناطقًا بأعلى لغات العرب بالنثر والشعر
مطول أشعار بتقليد كوكب من العز والإقبال في جوهر البشر
فكم في العلوم الكل أبدى عجائبًا ترق لها في فهمها أنفس الحر
فمنثوره در ثمين جواهر منضدة والعقد من خالص التبر
وأزهارها قد أينعت في رياضه فغنى عليها بلبل الشوق والقمري
هو العَلَم الفرد الذي شاع ذكره فعم جميع الأرض في سائر القطر
له اليمن من قدم الزمان بحكمة تعالت فعالت كشفها عن أولي الخبر

لقد وهب القاموس حليًّا وحلة أضاء على الأفلاك والكوكب الدري
وقد كان ظمآنًا فرواه مشربًا به راح كالنشوان من مورد السكر
وكم قد تجلى كالعروس بشرحه إذا ما تحلى في المعاني على نشر
وأضحى عجيبًا بالبدايع معجبًا بحيث به تطوى المعاني على نشر
وإني بمدحي في الصفات مقصر لكون معانيه تجل عن الحصر
أنا العبد للرحمان مادح وصفكم وأدعى بُعَيْد الاسم بالمالكي المقري
وقفت بباب الله في دوحة الوفا لمدح المزايا في القلوب وفي الصدر
وأهدي صلاتي للنبي وآله كرام الهدى والحي منقبة البر
مدى مادح أبدى مقولًا بمدحكم دع الذكر صفحًا عن صبا البيض والسمر

ثم أتبعه بنثر فقال:

حمدًا لواهب المواهب السنية لذوي الرتب والمقامات السمية، مورد المشارب الرحمانية المرضية، ومعدن أسرار الفتوحات الربانية في هياكل أنوار الكمالات الصمدانية، يضمن ثناء يلوح بذلك الجناب الأسنى والمشرب العذب الفرات الأهنى ختامه المسك والند العبيق مشوبًا بكأس التسنيم والرحيق، مؤيدًا بتأييد محمدي بأرواح راحات المكارم مرتدي، شعر:

وإنـي لأدري أن وصـفـك زايـد على منطقي لكنْ على الواصف الجهد

والصلاة والسلام على النبي المرتضى بحر الوفا وعلى آله الأخيار وأصحابه الأبرار، أما بعد ...

فقد سرحت طرفي في هذا القاموس العجيب فإذا فيه جواهر مكنونة ومعادن مخزونة، تقصر عنها أيادي الرجال ويعجز عن مدحها لسان المقال لمولانا وأخينا وحبيبنا السيد محمد مرتضى الحسيني، أدام الله بكتابه هذا النفع لعامة المسلمين على ممر الأيام وتعاقب السنين إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، قاله بلسانه ورقمه ببنانه أفقر العبيد إلى مولاه الراجي منه بلوغ مناه عبد الرحمن الأجهوري المالكي المقري الأزهري الأحمدي الأشعري الشاذلي، حامدًا ومصليًا ومسلمًا وراجيًا أن لا ينساني هذا النجيب من صالح

دعواته في خلواته وجلواته، حرر ذلك في شعبان لتسع بقين منه سنة اثنتين وثمانين وماية وألف، والحمد لله رب العالمين.

ومما كتبه لشيخنا المذكور ليستخرج له نسبه من جهة الأم المنسوبة إلى سيدنا الزبير — رضي الله عنه — بواسطة القطب الخضيري ما نصه:

يا شمس فضل في سماء علاك وأهلة لمعت ببحر نداكا
أنت الذي حذت المواهب كلها بتسلسل شهدت به جوزاكا
وبلابل الإسعاد قد صدحت على أزهارها بلغاتها من ذاكا
يا جوهري الأصل منسوبًا إلى معنى فخار سامه مرقاكا
لك آية تتلى فتجلي شمسها بحديث فضل لاح من معناكا
لك بهجة تسمو على أقمارنا ومناهج بجواهر لذراكا
لك رقة رقت لها أحرارها والسحر أسحره بها مجلاكا
لك منحة من غيث راحتك التي قطرت بها سحب العلاء نداكا
لك لمحة لاحت بها شمس الضحى تزداد سرًّا من سناء سناكا
لك راحة يكبو لديها حاتم بمطول الأنداء دون رباكا
تالله لم نسمع بمثلك في الورى دلت على أيماننا جدواكا
يا سيدًا ملأ الوجود معارفًا وعوارفًا عنها تسير سراكا
جدلي بتخريج انتسابي سيدي أنت المؤمل ليس لي إلاكا
فالناس أمثالي بُعيد وفاتهم يقرا لهم نسب فما أدراكا
واقبل مديح النعت فيك مؤرخًا إن الرضا بطلائه زكاكا

فأعاد له الجواب ارتجالًا ووعده بإنجاز مأموله إسعافًا لما رغب إليه في معرفة أصوله ما نصه:

شمس الهدى إني جعلت فداكا وأنال مولاك الكريم مناكا
قد فقت في فضل وعلم والتقى وعلا على أهل الفخار علاكا
راسلتني نظمًا عقود نظامه في حسنها قد سامت الأفلاكا
ومنحتني منحًا يجل مقامها جل الذي بالفيض قد أسداكا

وسألتم التخريج في نسب فذا ... كالشمس لاحت من ضياء سناكا
فإذا ظفرت به كتبت وإنني ... أعزى لخدمتكم ولا أنساكا
واسْلم ودُمْ في عزة أبدية ... والفيض يغرف من بحور نداكا

وكتب إلى شيخنا السيد عبد الرحمن العيدروس قصيدة مطلعها:

رعى الله أرضًا عمها وابل القطر ... ولاح بها نور الكرامات والسر
بها سادة حازوا المكارم والتقى ... وأبناء أنجاب الرسول سما الفخر

وهي طويلة وآخرها:

أتيت إليكم لائذًا بجنابكم ... بعقد قوافي المدح نظم بالدر

فأعاد له السيد الجواب ولبداعته أوردته هنا بتمامه وهو:

تجلى لنا في حضرة السر والجهر ... ووافى يعاطينا حُمَيًّا الهوى العذري
وغنى فأغنى عن بلابل روضة ... يدار بها كأس البلابل في الفجر
وروح أرواحي براحات حسنه ... فلله حسن فايق الشمس والبدر
أغن فريد وجهه جامع الضيا ... إذا ما تثنى يزدري عادل السمر
أعار الظبا طرفًا وجيدًا ولفته ... وأخجل بنت الكرم من ريقه العطري
وما حكمه الإشراق إلا بخده ... وما المسك إلا خاله فائح النشر
وما الدر إلا ما حوى بحر ثغره ... على أنه أحلى من السكر المصري
وما السقم إلا ما حوته جفونه ... على أنها من رقية النوم في أسر
ورجنته الجنات والريق كوثر ... وما النار إلا أن يقابل بالهجر
ولو لم يخف من قده سيف لحظه ... لغنى عليه صادح الورق والقمري
محياه صبحي والليالي شعوره ... فهذا به أغدوا وهذا به أسري
وأردافه مثل العذول ثقالة ... وعقل عذولي منه أوهى من الخصر
بسيط جمال وافر الحسن كامل ... وما شعره إلا الطويل من الشعر
إذا ما تجلى في الدجا نور وجهه ... تبدى اسوداد الليل في حالة الظهر

وظنت ظهور الشمس صادحة الحمى ... فغنت على الأغصان من حيث لا تدري
وما وصْله إلا الحياة وإنني ... إذا ما جفا يومًا أقول: انقضى عمري
حكى لفظه الدريُّ أبيات مخلص ... جميل اعتقاد دام في غرة الفجر
حريري ألفاظ بديعي حكمة ... خفاجي شعر زاهر النظم والنثر
أخو المجد خدن السعد يحيا بفضله ... ربيع العلا كالروض من صالح القطر
تغذى بألبان العلوم فكلها ... له نسبة فيها وإن خص بالمقري
ومن حب آل البيت قد حاز رفعة ... إليها اهتدى سلمان في سالف العصر
فيا عابد الرحمن روحت مهجتي ... ببهجة راح الأنس لا راحة العصر
لعمرك إن الروح راحت بحالة ... من السكر تزهو بالمحامد والشكر
فلا زالت يا مولاي مولى لسادة ... مدايحهم بالنص في محكم الذكر
وخذ بنت فكر كاليتيمة رونقًا ... يرجى أبوها ودكم دايم العمر
وعفوًا عن ابن العيدروس وإنه ... بطول التنائي لم يكن رايق الفكر
ولم لا وروحي فارقت كنه صبوتي ... ومسرح آرائي ومن كل في صدري
وإني لأرجو العود في خير راحة ... بجاه رسول الله خير الورى الطهر
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وساير أهل البيت مع صحبه الغر

وله في رثاء السيد العيدروس — رحمه الله تعالى — قصيدتان إحداهما مطلعها:

دهم العصر فتنة وبلا ... وثنى سعد زهره إخفا
حث في طية اللحود توارى ... شمس فضل لسعده لألا
آية الله في بديع معان ... أعربت عن بيانها البلغا
قطبنا العيدروس كعبة مجد ... يممتها أئمة نبلا

وهي طويلة، وتوفي المترجم — رحمه الله تعالى — في سابع عشرين رجب.

ومات الأجل المبجل والعمدة المفضل الحسيب النسيب السيد محمد بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد ابن تاج العارفين بن أحمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن أحمد بن علي بن حسين بن محمد بن شرشيق بن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر الحسيني الجيلي المصري، ويعرف بابن بنت الجيزي من بيت العز والسيادة والكرامة والمجادة، جدهم تاج العارفين، تولى الكتابة بباب النقابة ولا زالت في ولده مضافة لمشيخة السادة

القادرية ومنزلهم بالسبع قاعات ظاهر الموسكي مشهور بالثروة والعز، وكان المترجم اشتغل بالعلم حتى أدرك منه حظًّا وافرًا وصار له ملكة يقتدر بها على استحضار النكات والمسايل والفروع، وكان ذا وجاهة وهيبة واحتشام وانجماع عن الناس، ولهم منزل ببركة جناق يذهبون إليه في أيام النيل وبعض الأحيان للنزهة، توفي — رحمه الله تعالى — في هذه السنة وتولى منصبه أخوه السيد عبد الخالق.

ومات السيد الفاضل السالك علي بن عمر بن محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله بن حسن بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم بن أحمد بن أبي بكر بن سليمان بن يعقوب بن محمد بن القطب سيدي عبد الرحيم القناوي الشريف الحسيني ولد بقنا وقدم مصر، وتلقن الطريقة عن الأستاذ الحفني ثم حبب إليه السياحة فورد الحرمين وركب من جدة إلى سورت ومنها إلى البصرة وبغداد وزار من بهما من المشاهد الكرام، ثم دخل المشهد فزار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب — رضي الله عنه — ثم دخل خراسان ومنها إلى غزنين وكابل وقندهار، واجتمع بالسلطان أحمد شاه فأكرمه وأجزل له العطا ثم عاد إلى الحرمين وركب من هناك إلى بحر سيلان فوصل إلى بنارس واجتمع بسلطانها، وذهب إلى بلاد جاوة، ثم رجع إلى الحرمين ثم سار إلى اليمن ودخل صنعا واجتمع بإمامها ودخل زبيد واجتمع بمشايخها وأخذ عنهم واستأنسوا به، وصار يعقد لهم حلق الذكر على طريقته وأكرموه ثم عاد إلى الحرمين ثم إلى مصر وذلك سنة اثنتين وثمانين، وكانت مدة غيبته نحو عشرين سنة.

ثم توجه في آخر هذه السنة إلى الصعيد واجتمع بشيخ العرب همام — رحمه الله تعالى — وأكرمه إكرامًا زايدًا، ودخل قنا فزار جدة ووصل رحمه، ومكث هناك شهورًا ثم رجع إلى مصر وتوجه إلى الحرمين من القلزم، وسافر إلى اليمن وطلع إلى صنعا، ثم عاد إلى كوكبان باليمن وكان إمامها إذ ذاك العلامة السيد إبراهيم بن أحمد الحسيني، وانتظم حاله وراج أمره وشاع ذكره، وتلقن منه الطريقة جماعة من أهل زبيد واستمال بحسن مذاكرته ومداراته طايفة من الزيدية ببلدة تسمى زمرمر، وهي بلدة باليمن بالجبال وهم لا يعرفون الذكر ولا يقولون بطرق الصوفية فلم يزل بهم حتى أحبوه وأقام حلقة الذكر عندهم وأكرموه، ثم رجع من هناك إلى جدة وركب من القلزم إلى السويس.

ووصل مصر سنة أربع وتسعين فنزل بالجمالية فذهبت إليه بصحبة شيخنا السيد مرتضى وسلمنا عليه وكنت أسمع به ولم أره قبل ذلك اليوم، فرأيت منه كمال المودة وحسن المعاشرة وتمام المروة وطيب المفاكهة وسمعت منه أخبار رحلته الأخيرة، وترددنا

عليه وتردد علينا كثيرًا، وكان ينزل في بعض الأحيان إلى بولاق ويقيم أيامًا بزاوية علي بك بصحبة العلامة الشيخ مصطفى الصاوي، والشيخ بدوي الهيتمي وحضر إلى منزلي ببولاق مرارًا باستدعا وبدون استدعا، ثم تزوج بمصر وأتى إليه ولده السيد مصطفى من البلاد زايرًا، وما زال على حاله في عبادة وحسن توجه إلى الله مع طيب معاشرة وملازمة الأذكار وصحبة العلما الأخيار حتى تمرض بعلة الاستسقا مدة حتى توفي ليلة الثلاثا غرة جمادى الأولى من السنة، وصلي عليه بالأزهر ودفن بالقرافة بين يدي شيخه الحفني.

وكان ابنه غايبًا فحضر بعد مدة من موته فلم يحصل من ميراثه إلا شيًّا نزرًا، وذهب ما جمعه في سفراته حيث ذهب.

ومات الوجيه النبيل والجليل الأصيل السيد حسين باشجاويش الأشراف بن إبراهيم كتخدا تفكجيان بن مصطفى أفندي الخطاط، كان إنسانًا حسنًا جامعًا للفضايل واللطف والمزايا، واقتنى كتبًا كثيرة في الفنون وخصوصًا في التاريخ، وكان مألوف الطباع ودودًا شريف النفس مهذب الأخلاق فلم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى.

ومات الأمير محمد كتخدا أباظة وأصله من مماليك محمد جربجي الصابونجي، ولما مات سيده كما تقدم تركه صغيرًا فخدم ببيتهم ثم عند حسين بك المقتول، ولم يزل ينمو ويترقى في الخدم حتى تقلد كتخداية محمد بك أبي الدهب فسار فيها بشهامة وصرامة، ولم يزل مبجلًا بعده في أيام مماليكه معدودًا من الأمرا وله عزوة ومماليك وأتباع حتى تعلل ومات في هذه السنة.

ومات التاجر الخير الصدوق الصالح الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسي الأصل الدمياطي، سكن دمياط مدة وهو يتجر، واختص بالشيخ الحفني فكان يأتي إليه في كل عام يزوره ويراسله بالهدايا ويكرم من يأتي من طرفه، وكان منزله مأوى الوافدين من كل جهة ويقوم بواجب إكرامهم، وكان من عادته أنه لا يأكل مع الضيوف قط إنما يخدم عليهم ما داموا يأكلون، ثم يأكل مع الخدم وهذا من كمال التواضع والمروة.

وإذا قرب شهر رمضان وفد عليه كثير من مجاورين رواق الشوام بالأزهر وغيره، فيقيمون عنده حتى ينقضي شهر الصوم في الإكرام ثم يصلهم بعد ذلك بنفقة وكساوي ويعودون من عنده مجبورين.

وفي سنة ثلاث وثمانين حصلت له قضية مع بعض أهل الذمة التجار بالثغر، فتطاول عليه الذمي وسبه فحضر إلى مصر وأخبر الشيخ الحفني، فكتبوا له سؤالًا في

فتوى وكتب عليه الشيخ جوابًا وأرسله إلى الشيخ الوالد فكتب علي جوابًا وأطنب فيه ونقل من الفتاوى الخيرية جوابًا عن سؤال رفع للشيخ خير الدين الرملي في مثل هذه الحادثة بحرق الذمي ونحو ذلك، وحضر ذلك النصراني في إثر حضور الحاج عمر خوفًا على نفسه، وكان إذ ذاك شوكة الإسلام قوية فاشتغل مع جماعة الشيخ بمعونة كبار النصارى بمصر بعد أن تحققوا حصول الانتقام وفتنوهم بالمال فأدخلوا على الشيخ شكوكًا وسبكوا الدعوى في قالب آخر، وذلك أنه لم يسبه بالألفاظ التي ادعاها الحاج عمر وأنه بعد التسابب صالحه وسامحه وغيروا صورة السؤال الأول بذلك، وأحضروه إلى الوالد فامتنع عن الكتابة عليه؛ فعاد به الشيخ حسن الكفراوي فحلف لا يكتب عليه ثانيًا أبدًا وتغير خاطر الحاج عمر من طرف الشيخ واختل اعتقاده فيه، وسافر إلى دمياط ولم يبلغ قصده من النصراني، ومات الشيخ بعد هذه الحادثة بقليل.

وانتهت رياسة مصر إلى علي بك وارتفع شأن النصارى في أيامه بكاتبه المعلم رزق والمعلم إبراهيم الجوهري، فعملوا على نفي المترجم من دمياط فأرسلوا له من قبض عليه في شهر رمضان ونهبوا أمواله من حواصله وداره ووضعوا في رقبته ورجليه القيد، وأنزلوه مهانًا عريانًا مع نسائه وأولاده في مركب وأرسلوه إلى طرابلس الشام، فاستمر بها إلى أن زالت دولة علي بك واستقل بإمارة مصر محمد بك وأظهر الميل إلى نصرة الإسلام، فكلم السيد نجم الدين الغزي محمد بك في شأن رجوعه إلى دمياط فكاد أن يجيب لذلك، وكنت حاضرًا في ذلك المجلس والمعلم مخاييل الجمل والمعلم يوسف بيطار وقوف أسفل السدلة يغمزان الأمير بالإشارة في عدم الإجابة؛ لأنه من المفسدين بالثغر ويكون السبب في تعطيل الجمارك فسوف السيد نجم الدين بعد أن كان قرب من الإجابة.

فلما تغيرت الدولة وتنوسيت القضية وصار الحاج عمر كأنه لم يكن شيًّا مذكورًا رجع إلى الثغر، وورد علينا مصر وقد تقهقر حاله وذهبت نضارته وصار شيخًا هرمًا ثم رجع إلى الثغر واستمر به حتى توفي في السنة، وكان له مع الله حال يداوم على الأذكار ويكثر من صلاة التطوع ولا يشتغل إلا بما يهمه، رحمه الله تعالى.

ومات الأمير الجليل إبراهيم كتخدا البركاوي وأصله مملوك يوسف كتخدا عزبان البركاوي، نشأ في سيادة سيده، وتولى في مناصب وجاقهم، وقرأ القرآن في صغره وجود الخط وحبب إليه العلم وأهله.

ولما مات سيده كان هو المتعين في رياسة بيتهم دون خشداشينه لرياسته وشهامته ففتح بيت سيده وانضم إليه خشداشينه وأتباعه، واشترى المماليك ودربهم في الآداب والقراءة وتجويد الخط، وأدرك محاسن الزمن الماضي.

وكان بيته مأوى الفضلا وأهل المعارف والمزايا والخطاطين، واقتنى كتبًا كثيرة جدًّا في كل فن وعلم حتى إن الكتاب المعدوم إذا احتيج إليه لا يوجد إلا عنده، ويعير للناس ما يرومونه من الكتب للانتفاع في المطالعة والنقل، وبآخرة اعتكف في بيته ولازم حاله وقطع أوقاته في تلاوة القرآن والمطالعة وصلاة النوافل إلى أن توفي في هذه السنة وتبددت كتبه وذخايره رحمه الله تعالى.

سنة تسع وتسعين ومائة وألف (١٧٨٤م)

استهل العام بيوم الاثنين المبارك وأرخه أديب العصر الشيخ قاسم بقوله:

يا أهل مصر استشبروا فـالـلـه فـرج كـل هـم
وأتـى الـرخـاء مؤرخًـا عـام بـفـضـل الـلـه عـم

فكان الفال بالمنطق، وأخذت الأشيا في الانحلال قليلًا.

(وفي سابعه) جاءت الأخبار بأن الجماعة المتوجهين لإبراهيم بك في شأن الصلح وهم: الشيخ الدردير وسليمان بك الأغا ومرزوق جلبي اجتمعوا بإبراهيم بك فتكلموا معه في شأن ذلك، فأجاب بشروط منها أن يكون هو على عادته أمير البلد وعلي أغا كتخدا الجاويشية على منصبه.

فلما وصل الرسول بالمكاتبة جمع مراد بك الأمرا، وعرفهم ذلك فأجابوا بالسمع والطاعة وكتبوا جواب الرسالة وأرسلوها صحبة الذي حضر بها، وسافر أيضًا أحمد بك الكلارجي وسليم أغا أمين البحرين في حادي عشره.

وفي عشرينه وصلت الأخبار بأن إبراهيم بك نقض الصلح الذي حصل، وقيل إن صلحه كان مداهنة لأغراض لا تتم له بدون ذلك فلما تمت احتج بأشيا أخر ونقض ذلك.

وفي سادس صفر حضر الشيخ الدردير وأخبر بما ذكر وأن سليمان بك وسليم أغا استمروا معه.

وفي منتصفه وصل الحجاج مع أمير الحاج مصطفى بك، وحصل للحجاج في هذه السنة مشقة عظيمة من الغلا وقيام العربان بسبب عوايدهم القديمة والجديدة ولم

يزوروا المدينة المنورة — على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام — لمنع السبل، وهلك عالم كثير من الناس والبهايم من الجوع، وانقطع منهم جانب عظيم.

ومنهم من نزل في المراكب إلى القلزم وحضر من السويس إلى القصير، ولم يبق إلا أمير الحج وأتباعه، ووقفت العربان لحجاج المغاربة في سطح العقبة وحصروهم هناك ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم إلا نحو عشرة أنفار.

وفي أثناء نزول الحج وخروج الأمرا لملاقاة أمير الحج هرب إبراهيم بك الوالي وهو أخو سليمان بك الأغا وذهب إلى أخيه بالمنية، وذهب صحبته من كان بمصر من أتباع أخيه وسكن الحال أيامًا.

وفي أواخر شهر صفر سافر أيوب بك الكبير وأيوب بك الصغير بسبب تجديد الصلح، فلما وصلوا إلى بني سويف حضر إليهم سليمان بك الأغا وعثمان بك الأشقر باستدعا منهم، ثم أجاب إبراهيم بك إلى الصلح ورجعوا جميعًا إلى المنية.

وفي أوايل ربيع الأول حضر حسن أغا بيت المال بمكاتبات بذلك وفي إثر ذلك حضر أيوب بك الصغير وعثمان بك الأشقر فقابلا مراد بك، وقدم مراد بك لعثمان بك تقادم ثم رجع أيوب بك إلى المنية ثانيًا.

وفي يوم الاثنين رابع ربيع الثاني وصل إبراهيم بك الكبير ومن معه من الأمرا إلى معادي الخبيري بالبر الغربي، فعدى إليه مراد بك وباقي الأمرا والوجاقلية والمشايخ وسلموا عليه ورجعوا إلى مصر، وعدى في إثرهم إبراهيم بك ثم حضر إبراهيم بك في يوم الثلاثا إلى مصر، ودخل إلى بيته وحضر إليه في عصريتها مراد بك في بيته وجلس معه حصة طويلة.

وفي يوم الأحد عاشره عمل الديوان وحضرت لإبراهيم بك الخلع من الباشا فلبسها بحضرة مراد بك والأمرا والمشايخ، وعند ذلك قام مراد بك وقبل يده وكذلك بقية الأمرا، وتقلد علي أغا كتخدا الجاويشية كما كان، وتقلد علي أغا أغات مستحفظان كما كان، فاغتاظ لذلك قايد أغا الذي كان ولاه مراد بك وحصل له قلق عظيم وسار يترامى على الأمرا ويقع عليهم في رجوع منصبه، وصار يقول: إن لم يردوا إليّ منصبي وإلا قتلت علي أغا.

وصمم إبراهيم بك على عدم عزل علي أغا واستوحش علي أغا وخاف على نفسه من قايد أغا، ثم إن إبراهيم بك قال: إن عزل علي أغا لا يتولاها قايد أغا أبدًا. ثم إنهم لبسوا سليم أغا أمين البحرين وقطعوا أمل قايد أغا وما وسعه إلا السكوت.

وفي أوايل شهر جمادى الآخرة طلب عثمان بك الشرقاوي ولاية جرجا فلم يرض إبراهيم بك وقال له: نحن نعطيك كذا من المال واترك ذلك فإن البلاد خراب وأهلها ماتوا من الجوع.

وفي منتصفه خرج عثمان بك المذكور بمماليكه وأجناده مسافرًا إلى الصعيد بنفسه ولم يسمع لقولهم، ولم يلبس تقليدًا لذلك على العادة فأرسلوا له جماعة ليردوه فأبى من الرجوع.

وفيه كثر الموتان بالطاعون وكذلك الحميات ونسي الناس أمر الغلا.

وفي يوم الخميس مات علي بك أباظة الإبراهيمي فانزعج عليه إبراهيم بك، وكان الأمرا خرجوا بأجمعهم إلى ناحية قصر العيني ومصر القديمة خوفًا من ذلك، فلما مات علي بك وكثير من مماليكهم داخلهم الرعب ورجعوا إلى بيوتهم.

وفي يوم الأحد طلعوا إلى القلعة وخلعوا علي لاجين بك وجعلوه حاكم جرجًا، ورجع إبراهيم بك إلى بيته أيضًا وكان إبراهيم بك إذ ذاك قايمقام.

وفيه مات أيضًا سليمان بك أبو نبوت بالطاعون.

وفي منتصف رجب خف أمر الطاعون.

وفي منتصف شعبان ورد الخبر بوصول باشا مصر الجديد إلى ثغر سكندرية وكذلك باشا جدة، ووقع قبل ورودهما بأيام فتنة بالإسكندرية بين أهل البلد وأغات القلعة والسردار بسبب قتيل من أهل البلد قتله بعض أتباع السردار، فثار العامة وقبضوا على السردار وأهانوه وجرسوه على حمار وحلقوا نصف لحيته، وطافوا به البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصفعونه بالنعالات.

وفيه أيضًا وقعت فتنة بين عربان البحيرة وحضر منهم جماعة إلى إبراهيم بك وطلبوا منه الإعانة على أخصامهم، فكلم مراد بك في ذلك فركب مراد بك وأخذهم صحبته ونزل إلى البحيرة فتواطأ معه الأخصام وأرشوه سرًّا فركب ليلًا وهجم على المستعينين به وهم في غفلة مطمئنين، فقتل منهم جماعة كثيرة ونهب مواشيهم وإبلهم وأغنامهم ثم رجع إلى مصر بالغنايم.

في غاية شعبان حضر باشة جدة إلى ساحل بولاق، فركب علي أغا كتخدا الجاويشية وأرباب العكاكيز وقابلوه وركبوا صحبته إلى العادلية ليسافر إلى السويس.

وفي غرة رمضان ثار فقرا المجاورين والقاطنين بالأزهر وقفلوا أبواب الجامع ومنعوا منه الصلوات، وكان ذلك يوم الجمعة فلم يصل فيه ذلك اليوم، وكذلك أغلقوا مدرسة

محمد بك المجاورة له ومسجد المشهد الحسيني وخرج العميان والمجاورون يرمحون بالأسواق، ويخطفون ما يجدونه من الخبز وغيره، وتبعهم في ذلك الجعدية وأراذل السوقة، وسبب ذلك قطع رواتبهم وأخبازهم المعتادة، واستمروا على ذلك إلى بعد العشا فحضر سليم أغا أغات مستحفظان إلى مدرسة الأشرفية، وأرسل إلى مشايخ الأروقة والمشار إليهم في السفاهة وتكلم معهم ووعدهم والتزم لهم بإجراء رواتبهم، فقبلوا منه ذلك وفتحوا المساجد.

وفي يوم الأحد ثامن شهر شوال الموافق لتاسع مسرى القبطي كان وفا النيل المبارك وكانت زيادته كلها في هذه التسعة أيام فقط ولم يزد قبل ذلك شيًّا واستمر بطول شهر أبيب وماؤه أخضر، فلما كان أول شهر مسرى زاد في ليلة واحدة أكثر من ثلاثة أذراع، واستمرت دفعات الزيادة حتى أوفى أذراع الوفا يوم التاسع، وفيه وقع جسر بحر أبي المنجا بالقليوبية فعينوا له أميرًا فأخذ معه جملة أخشاب ونزل وصحبته ابن أبي الشوارب شيخ قليوب، وجمعوا الفلاحين ودقوا له أوتادًا عظيمة وغرقوا به نحو خمسة مراكب واستمروا في معالجة سده مدة أيام فلم ينجع من ذلك شي، وكذلك وقع ببحر مويس بالفيوم.

وفي يوم الخميس خرج أمين الحاج مصطفى بك بالمحمل والحجاج وذلك ثاني عشر شوال.

وفي يوم الاثنين ثامن عشر القعدة سافر كتخدا الجاويشية وصحبته أرباب الخدم إلى الإسكندرية لملاقاة الباشا، والله تعالى أعلم.

ذكر من مات في هذه السنة

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر:

توفي الشيخ الإمام العارف المتفنن المقري المجود الضابط الماهر المعمر الشيخ محمد بن حسن بن محمد بن أحمد جمال الدين بن بدر الدين الشافعي الأحمدي ثم الخلوتي السمنودي الأزهري المعروف بالمنير، ولد بسمنود سنة تسع وتسعين وألف، وحفظ القرآن وبعض المتون وقدم الجامع الأزهر وعمره عشرون سنة، فجود القرآن على الإمام المقري علي بن محسن الرملي، وتفقه على جماعة، منهم: الشيخ شمس الدين محمد السحيمي والشيخ علي أبي الصفا الشنواني، وسمع الحديث على أبي حامد البديري وأبي عبد الله محمد بن محمد الخليلي، وأجازه في سنة اثنتين وثلاثين وماية وألف، وأجازه كذلك الشيخ

محمد عقيلة في آخرين، وأخذ الطريقة ببلده على سيدي علي زنفل الأحمدي، ولما ورد مصر اجتمع بالسيد مصطفى البكري فلقنه طريقة الخلوتية وانضوى إلى الشيخ شمس الدين محمد الحفني فقصر نظره عليه واستقام به عهده، فأحياه ونور قلبه واستفاض منه فلم يكن ينتسب في التصوف إلا إليه.

وحصل جملة من الفنون الغريبة كالزايرجة والأوفاق على عدة من الرجال، وكان ينزل وفق الماية في الماية وهو المعروف بالمثيني ويتنافس الأمرا والملوك لأخذه منه وأحدث فيه طرقًا غريبة غير ما ذكره أهل الفن، وقد أقرا القرآن مدة وانتفع به الطلبة وأقرا الحديث، وكان سنده عاليًا فتنبه بعض الطلبة في الأواخر فأكثروا الأخذ عنه.

وكان صعبًا في الإجازة لا يجيز أحدًا إلا إذا قرا عليه الكتاب الذي يطلب الإجازة فيه بتمامه، ولا يرى الإجازة المطلقة ولا المراسلة حتى أن جماعة من أهالي البلاد البعيدة أرسلوا يطلبون منه الإجازة فلم يرض بذلك، وهذه الطريقة في مثل هذه الأزمان عسرة جدًّا.

وفي أواخره انتهى إليه الشأن وأشير إليه بالبنان، وذهبت شهرته في الآفاق وأتته الهدايا من الروم والشام والعراق، وكف بصره وانقطع إلى الذكر والتدريس في منزله بالقرب من قنطرة الموسكي داخل العطفة بسويقة الصاحب، ولازم الصوم نحو ستين عامًا ووفدت عليه الناس من كل جهة وعمر حتى ألحق الأحفاد بالأجداد وأجاز وخلف، وربما كتب الإجازات نظمًا على هيئة إجازات الصوفية لتلامذتهم في الطريق، ولم يزل يبدي ويعيد ويعقد حلق الذكر ويفيد إلى أن وافاه الأجل المحتوم في هذه السنة وجهز وكفن وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، وأعيد إلى الزاوية الملاصقة لمنزله، وكثر عليه الأسف ولم يخلف في مجموع الفضايل مثله، ومن مدايح الشيخ حسن المكي فيه:

لذ بالكرام حماة الحي والتزم ... فهم مصابيح داجي الوقت والظلم
واخلع لنعليك إن وافيت طورهم ... مكلمًا واقتبس من نور حيهم
وشمرنْ ذيل تجريد لحبهم ... وغص على الدر في تيار بحرهم
وقم على قدم الإخلاص مرتشفًا ... صرف السلافة من كاسات خمرهم
واحفظ عهودهم والبس لخرقتهم ... وانهج على نهجهم واكتم لسرهم
هم الهداة وأعلام الوجود وهم ... أهل التصوف والتصريف والشيم
من أمهم نال ما يرجو ويأمله ... وعاد في رتبه الإسعاد كالعلم

شم الأنوف أسود الدين أضبعه بيض المحيا بحار العلم والحكم
قد آذن الله من عاداهم كرمًا بالحرب طوبى لمن يسمو بحبهم
فاحرص على حبهم مع حب خادمهم ومن يلوذ بهم من ساير الأمم
واخضع لدى سدة قام الكمال بها وطف بكعبة رب المجد والكرم
بحر المعارف من فاضت عجايبه فيض الغمامة من سيل لها عرم
كهف الولاية شمس الصدق دون خفا بدر العناية سور الفضل والعظم
الماجد العلم الفرد الذي ضربت بحمد سيرته الأمثال في الكلم
بشرى سمانود قد فازت بما افتخرت بواصل خيرة هذا من القدم
يحيي الليالي بذكر الله ما سمحت بمثله حقب في العرب والعجم
هذا التقي فأنَّى مثله أحد وفي الحنيفية السمحا على قدم
له عكوف على الخيرات من صغر ومن يكن هكذا لم يخش من سقم
مشمرًا دايمًا عن جد طاعته من شدة الحزم لا من شدة الحزم
قد حرم النوم أن يومي لمقلته لطاعة الله منشينا من العدم
منير الوقت بل مهديه مصلحه ذو همة في الورى فاقت على الهمم
يا واحد الفضل يا فرد الشهود ويا نور الوجود بلا ريب ولا وهم
لم لا وقد منحتك السر أجمعه أيدي السعادة في بدء ومختتم
إذلاحظتك عيون أسكرتك من الصـ ـرف القديم زلال بارد شبم
من صاحب الوقت من طابت مناهله حفني وقت وسيع الفيض والنعم
دارك بوصلك مشتاق الجناب فقد أودى به البعد في جهد وفي ندم
عودتنا عودة والعود شأنك يا سامى الفتوة لا تحتاج للرتم
عليك أزكى سلام فاح عبهره ينهل صيِّبه لا زال كالديم
ثم الصلاة مع التسليم يتبعها على المطهر خير الخلق كلهم
والآل والصحب ما غنت مطوقة أوهام عان بذاك البان والعلم
أو ما شدا حسن المكي وهو شج لذ بالكرام حماة الحي والتزم

ومات الشيخ الإمام الفاضل الصالح علي بن علي بن علي بن علي بن مطاوع العزيزي الشافعي الأزهري، أدرك الطبقة الأولى من المشايخ كالشيخ مصطفى العزيزي والشيخ محمد السحيمي والدفري والملوي وأضرابهم، وتفقه عليهم ودرس بالجامع الأزهر وانتفع به الطلبة، وأقرا دروسًا بمشهد شمس الدين الحنفي، وكان يسكن في بولاق ويأتي كل

يوم إلى مصر لإلقاء الدروس، وكان إنسانًا حسنًا صبورًا محتسبًا فصيحًا مفوهًا له اعتقاد في أهل الله، توفي تاسع ربيع الثاني سنة تسع وتسعين هذه.

ومات الإمام الصالح الناسك المجود السيد علي بن محمد العوضي البدري الرفاعي المعروف بالقرا وهو والد صاحبنا العلامة السيد حسن البدري، ولد بمصر وحفظ القرآن وجوده على شيخ القراء شهاب الدين أحمد بن عمر الإسقاطي وبه تخرج، وأقرأ القرآن بالسبعة كثيرًا بالجامع الأزهر وبرواق الأروام وانتفع به الطلبة طبقة بعد طبقة، وكان له معرفة ببعض الأسرار والروحانيات وغير ذلك.

ومات الاختيار المفضل المبجل علي بن عبد الله الرومي الأصل مولى درويش أغا المعروف الآن بمحرم أفندي باشا اختيار وجاق الجاويشية، كان لكونه خدم عنده وهو صغير اشتغل بالخط وجوده على المرحوم حسن الضيائي وعبد الله الأنيس وأدرك الطبقة منهم ومهر فيه وأنجب، ولم يكن له إجازة فعمل له مجلسًا في منزل المرحوم علي أغا وكيل لدار السعادة، واجتمع فيه أرباب الفن من الخطاطين وأجازه حسن أفندي الرشدي مولى علي أغا المشار إليه وكان يومًا مشهودًا، ولقب بدرويش، وكتب بخطه كثير، وحج سنة إحدى وسبعين وماية وألف، واجتمع بالحرمين على الأفاضل وتلقى منهم أشيا، وعاد إلى مصر واجتمع بأديب عصره محمد بن عمر الخوانكي أحد تلامذة الشهاب الخفاجي فتعلق بعنايته بالأدب وصار في محفوظته جملة من أشعاره وقصايده، وجملة من قصايد الأرجاني، وجملة من المقامات الحريرية وعني بحفظ القرآن فحفظه على كبره وتعب فيه، وحفظ أسماء أهل بدر وكان دايمًا يتلوها.

ولأجله ألف شيخنًا السيد محمد مرتضى شرح الصدر في شرح أسماء أهل بدر في عشرين كراسًا، والتفتيش في معنى لفظ درويش كراسًا.

ولازم المذكور منذ قدم مصر وسمع عليه مجالس من الصحيح والمسلسل (من مصطلحات الحديث النبوي) بالأسودين وبالعيد والشمايل والأمالي وجود عليه شيخنا المذكور في الخط، وقد صاهرت المترجم وتزوجت بربيبته في أواخر سنة خمس وتسعين برغبة منه وهي أم الولد خليل فتح الله عليه، ولما حصلت النسابة والمصاهرة حولته بعياله إلى منزلي لتعب الوقت وتعطيل أسباب المعايش.

ولما عاشرته بلوت منه خيرًا ودينًا وصلاحًا، وكان لا ينام من الليل إلا قليلًا ويتبتل إلى مولاه تبتيلًا فيصلي ما تيسر من النوافل ثم يكمل الليل بتلاوة القرآن المرتلة مع التدبر لمعاني الآيات المنزلة، وكان حسن السمت نظيف الثياب عظيم الشيبة منور الوجه

وجيه الطلعة مهيب الشكل سليم الطوية مقبول الروحانية ملازمًا على حضور الجماعة حريصًا على إدراك الفضايل.

توفي في جمادى الأولى عن نيف وتسعين سنة، ولم تهن قواه ولم يسقط له سن ويكسر اللوز بأسنانه، ودفناه بجوار الإمام أبي جعفر الطحاوي؛ لأنه كان ناظرًا عليه، رحمه الله.

ومات الأستاذ الفاضل والمستعد الكامل ذو النفحات والإشارات السيد علي بن عبد الله بن أحمد العلوي الحنفي سبط آل عمر صاحبنا ومرشدنا ووالده أصله من توقاد، وولد هو في مصر سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، وعانى الفنون ومهر وأنجب في كل شي عاناه في أقل زمن، بحيث إنه إذا توجهت همته لعلم من العلوم الصعبة وطالع فيه أدركه وأظهر مخبآته وثمراته وألف فيه وأظهر عجايب أسراره ومعانيه في زمن قليل، وكان حاد الذهن جدًّا دراكًا أقوى الحافظة يحفظ كل شي سمعه أو مر عليه ببصره.

ولازم في مبتدأ أمره شيخنا السيد محمد مرتضى كثيرًا، وقرا عليه الفصيح لثعلب وفقه اللغة للثعالبي وأدب الكاتب لابن قتيبة في مجالس دراية وسمع منه كثيرًا من شرحه على القاموس، وكتب عنه بيده أجزاء كثيرة، وقرا عليه الصحيح في اثني عشر مجلسًا في رمضان سنة ثمان وثمانين، وسمع عليه أيضًا الصحيح مرة ثانية مشاركًا مع الجماعة مناوبة في القراءة في أربع مجالس، ومدة القراءة من طلوع الشمس إلى بعد كل عصر، وصحيح مسلم في ستة مجالس مناوبة بمنزل الشيخ بخان الصاغة.

وكتب الأمالي والطباق وضبط الأسما وقلد خط الصلاح الصفدي في وضعه فأدركه، وقرا عليه أيضًا المقامات الحريرية ورسايل في التصريف وغير ذلك مما لا يدخل تحت الضبط لكثرته، وسمع المسلسل بالعيد وبالأسودين التمر والماء.

ويقول: كل راو كتبته وها هو في جيبي، وبالمحبة، وألبسه خرقة الصوفية وسمع عليه أوايل الكتب الستة والمعاجم والمسانيد في سنة تسعين بمنهل شيخه مع الجماعة، وجزء نبيط بن شريط الأشجعي وبلدانيات السلفي وبلدانيات ابن عساكر وأحاديث عاشورا تخريج المنذري، وأحاديث يوم عرفة تخريج ابن فهد وعوالي بن مالك وثلاثيات البخاري والدارمي وجزء فيه أخبار الصبيان والخلعيات بتمامها وهي عشرون جزءًا، وعرف المترجم العالي من النازل واجتمع بشخينا السيد العيدروس وقربه وأدناه ولازمه وقرا عليه أشيا من كتب الصوفية ومال إليه، وصار ينطق بالشعر وأقبل على الأدب والتصوف ولا زال كذلك حتى صار يتكلم بكلام عال.

وألف كتابًا في علم الأوفاق في كراريس لطيفة على نسق عجيب مفيد، وامتزج بالروحانية حتى أني رأيته ينزل الوفق في الكاغد ويضعه على راحة كفه فيرتعش ويلتف ببعضه ثم ينبسط بنفسه كما كان، وإذا أخذه غيره ووضعه على مثل وضعه لا يتحرك أبدًا.

ومارس في علم الرمل أيامًا فأدرك منتهاه، واستخرج منه ما لا يستخرج الممارس فيه سنين من الضمير والمدة وغير ذلك في أسرع وقت، وألف فيه كتابًا لخص فيه قواعده من غير مشقة.

ومارس في الفلكيات مع سليمان أفندي كنياذ وصنف فيه وفي غيره، وله شرح على قصيدة ابن رزيق الكاتب البغدادي التي أولها:

لا تعذليه فإن العذل يولعه　　　قد قلت قولًا ولكن ليس ينفعه

وهو شرح بديع سماه إشارات التحقيق الفيضية إلى خبايا القصيدة الزريقية، وكان عندي بخطه، وبآخره أعرض عن جميع ذلك، وجمع تآليفه وتصانيفه ونظمه وأحرقه جميعه، وطلب مني ذلك الشرح فأعطيته له، ولم أعلم مراده ما عدا الكراس الأول فإني لم أجده في ذلك الوقت وهو باق عندي بخطه، وانجمع عن خلطة الناس وأقبل على ربه، وكان قد تزوج بامرأة وكانت تؤذيه وتشتمه وربما كانت تضربه وهو صابر عليها مقبل على شأنه، وألف أورادًا وأحزابًا وأسماءً على طريقة الأسماء السهروردية عجيبة المشرب بنفس عال غريب، وصار يتكلم بكلام لا يطرق الأسماع نظيره، وأنكر عليه بعض أهل العصر بعض أقواله:

ولو يذوق عاذلي صبابتي　　　صبا لها لكنه ما ذاقها

ولم يزل على ذلك حتى تعلل ولحق بربه، وتوفي في سادس ربيع الأول من السنة، وأعقب ولدًا من تلك المرأة التي كان تزوج بها، وبالجملة والإنصاف إنه كان من آيات الله الباهرة، ودفن بالقرافة بتربة علي أغا صالح، رضي الله عنا وعنه ورحمنا أجمعين.

ومات الشيخ الفقيه الدراكة العلامة السيد سليمان بن طه بن أبي العباس الحريثي الشافعي المقري الشهير بالأكراشي وهي قرية شرقي مصر، وحفظ القرآن وقدم الجامع الأزهر وطلب العلم وحضر الأشياخ وجود القرآن على الشيخ مصطفى العزيزي خادم

النعال بمشهد السيدة سكينة، وأعاده بالعشر على الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المقري وأجازه في محفل عظيم في جامع الماس، وسمع وحضر دروس فضلا وقته ومهر في فقه المذهب ودرس في جامع الماس وغيره، وسمع من شيخنا السيد مرتضى المسلسل بالأولية بشرطه والمسلسل بالعيد وبالمحبة وبالقسم وبقراءة الفاتحة في نفس واحد وبالإلباس والتحكيم وسمع الصحيحين بطرفيهما في جماعة بجامع شيخون بالصليبة، وسمع أجزاء البلدانيات للحافظ أبي طاهر السلفي وجزء النيل وجزء عرفة ويوم عاشورا وغير ذلك.

وله تآليف وجمعيات ورسايل في علوم شتى، ولما اجتمع بشيخنا المذكور، ورأى ملازمة السيد علي المترجم آنفًا به في أكثر أوقاته ونظر نجابته وما فيه من قوة الفهم والاستعداد؛ لامه على ملازمته للسيد وانقطاعه عن بقية العلوم، وقال له: هذا شي سهل يمكن تحصيله في زمن قليل وقد قرأت وحصلت ما فيه الكفاية والأَوْلَى أن تشغل بعض الزمن بتحصيل المعقولات وغيرها، فإن مثلك لا يقتصر على فن من الفنون والاقتصار ضياع.

فقبل منه واشتغل عليه وعلى غيره، وانقطع بسبب الاشتغال عن كثرة الترداد على الشيخ كعادته، وعلم ذلك فانحرف على كل منهما وبالخصوص على السيد علي وصعب عليه جدًّا، وأدَّى ذلك إلى الانقطاع الكلي.

ولما مات الشيخ العزيزي تنزل المترجم في مشيخة القراء بمقام السيدة نفيسة — رضي الله عنها — وكان إنسانًا حسنًا جامعًا للفضايل، وحضر معنا الهداية في فقه الحنفية على شيخنا المرحوم العلامة الشيخ مصطفى الطائي الحنفي وكان يناقش في بعض المسايل المخالفة لمذهبه إلى أن وافاه الحِمَام في هذه السنة، رحمه الله.

ومات أوحد الفضلا وأعظم النبلا العلامة المحقق والفهَّامة المدقق الفقيه النبيه الأصولي المعقولي المنطقي الشيخ أبو الحسن بن عمر القلعي بن علي المغربي المالكي، قدم إلى مصر في سنة أربع وخمسين وماية وألف، وكان لديه استعداد وقابلية وحضر أشياخ الوقت مثل البليدي والملوي والجوهري والحفني والشيخ الصعيدي، واتحد بالشيخ الوالد وزوجه زوجة مملوكه مصطفى بعد وفاته وهي خديجة معتوقة المرحوم الخواجا المعروف بمدينة، وأقامت معه نحو الأربعين سنة حتى كبر سنها وهرمت وتسرى عليها مرتين، ولما حضر المرحوم محمد باشا الراغب واليًا على مصر اجتمع به ومارسه وأحبه وشرح رسالته التي ألفها في علم العروض والقوافي، ولما عزل الراغب وذهب إلى دار السلطنة وتولى الصدارة سافر إليه المترجم فأجلَّه وأكرمه ورتب له جامكية بالضربخانة

بمصر، ورجع إلى مصر وتولى مشيخة رواق المغاربة مرتين أو ثلاثة بشهامة وصرامة زايدة.

وسبب عزله في المرة الوسطى أن بعض المغاربة تشاجر مع الشيخ علي الشنويهي، وانتصر هو للمغاربة لحمية الجنسية ونهر الشيخ علي فذهب الشيخ علي واشتكاه إلى علي بك في أيام إمارته، فأحضره علي بك فتطاول على الشيخ علي بحضرة الأمير وادعى الشيخ علي أنه لطمه على وجهه في الجامع، فكذبه المترجم فحلف الشيخ علي بالله على ذلك، فقال له المترجم: احلف بالطلاق. فاغتاظ منه الأمير علي بك وصرفهما، وأرسل في الحال وأحضر الشيخ عبد الرحمن البناني وولاه مشيخة الرواق وعزل الشيخ أبا الحسن وانكسف باله لذلك، ثم أعيد بعد مدة إلى المشيخة، وكان وافر الحرمة نافذ الكلمة معدودًا من المشايخ الكبار مهاب الشكل منور الشيبة مترفهًا في ملبسه ومأكله يعلوه حشمة وجلالة ووقار، إذا مر راكبًا أو ماشيًا قام الناس إليه وبادروا إلى تقبيل يده حتى صار ذلك لهم عادة وطبيعة لازمة يرون وجوبها عليهم.

وللمترجم تأليفات وتقييدات وحواسن نافعة، منها حاشية الأخضري على السلم وحاشية على رسالة العلامة محمد أفندي الكرماني في علم الكلام في غاية الدقة تدل على رسوخه في علم المنطق والجدل والمعاني والبيان والمعقولات، وشرح على ديباجة شرح العقيدة المسماة بأم البراهين للإمام السنوسي، وله كتاب ذيل الفوايد وفرايد الزوايد على كتاب الفوايد والصلات والعوايد وخواص الآيات والمجربات التي تلقاها من أفواه الأشياخ، وكتاب في خواص سورة يس وغير ذلك.

وأخذ عن المرحوم الوالد كثيرًا من الحكميات والمواقف والهداية للأبهري والهيئة والهندسة، ولم يزل مواظبًا على تردده عليه وزيارته في الجمعة مرتين أو ثلاثة، ويراعي له حق المشيخة والصحبة في حياته وبعدها، وكان سليم الباطن مع ما فيه من الحدة إلى أن توفي في ربيع الأول من هذه السنة، رحمه الله.

ومات الشيخ المعتقد عبد الله بن إبراهيم ابن أخي الشيخ الكبير المعروف بالموافي الشافعي السندوبي الرفاعي نزيل المنصورة، ولد ببلدة منية سندوب سنة أربعين وماية وألف، وحفظ القرآن وبعض المتون، وقدم المنصورة فمكث تحت حيازة عمه في عفة وصلاح، وحضر دروس الشيخ أحمد الجالي وأخيه محمد الجالي وانتفع بهما في فقه المذهب، فلما توفي عمه في سنة إحدى وستين أُجلس مكانه في زاويته التي أنشاها عمه في موخر الجامع الكبير بالمنصورة، وسلك على نهجه في إحيا الليالي بالذكر وتلاوة القرآن

وكان يختم في كل يوم وليلة مرة، وربى التلاميذ وصارت له شهرة زايدة مع الانجماع عن الناس، لا يقوم لأحد ولا يدخل دار أحد وفيه الاستيناس، وعنده فوايد يذاكر بها ويشتغل دايمًا بالمطالعة والمذاكرة، واعتقده الخاص والعام، ولما سافرنا إلى دمياط سنة تسع وثمانين وجزنا بالمنصورة وطلعناها ذهبنا إلى جامعها الكبير ودخلنا إليه في حجرته فوجدته جالسًا على فراش عال بمفرده بجانب ضريح عمه، وهو رجل نير بشوش فرحب بنا وفرح بقدومنا وأحضر لنا طبقًا فيه قراقيش وكعك وشريك وخبز يابس ولبن وبوسطه دقة وجبن فأكلنا ما تيسر وسقانا قهوة في فنجان كبير، وتحدث معنا ساعة ودعا لنا بخير وودعناه وسافرنا في الوقت، ولم أره غير هذه المرة، وهو إنسان حسن جامع للفضايل، توفي في السنة ولم يخلف بعده مثله.

ومات السيد الإمام العلامة الفقيه النبيه السيد مصطفى بن أحمد بن محمد البنوفري الحنفي، أخذ الفقه عن والده وعن السيد محمد أبي السعود والشيخ محمد الدلجي والشيخ الزيادي وغيرهم، وحضر المعقول على علما العصر كالشيخ عيسى البراوي وغيره، ودرس في محل والده بالقرب من رواق الشوام إلا أنه لم يكن له حظ في الطلبة، فكان يأتي كل يوم الجامع ويجلس وحده ساعة ثم يقوم، ويذهب إلى بيته بسويقة العزى، وكان لا يعرف التصنع وفيه جذب ويعود المرضى كثيرًا الأغنيا والفقرا، توفي في السنة، رحمه الله.

ومات العلامة المتقن والفهامة المتفنن أحد الأعلام الرواسخ وشيخ المشايخ الفقيه النحوي الأصولي المعقولي المنطقي ذو المعاني والبيان وحلال المشكلات بإتقان الصالح القانع الورع الزاهد الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن مصطفى بن خاطر الفرماوي الأزهري الشافعي البهوتي، نسبة إلى قبيلة البهتة جهة الشرق، ولد بمصر ورباه والده وحفظ القرآن والمتون، وحضر على أشياخ العصر الملوي والجوهري والطحلاوي والبراوي والبليدي والصعيدي والشيخ علي قايتباي والمدابغي والأجهوري، وأنجب في الفقه والمعقول ودرس وأفاد الطلبة واشتهر بالفتوح على كل من أخذ عنه حتى صار له المشيخة على غالب أهل العلم من الطبقة الثانية.

وكان مهذب النفس جدًّا لين الجانب متواضعًا منكسر النفس لا يرى لنفسه مقامًا، يجلس حيث ينتهي به المجلس ولا يتداخل فيما لا يعنيه مقبلًا على شأنه ملازمًا على الاشتغال والإفادة والمطالعة.

ومما اتفق له أنه قرا البخاري والمنهج صبيحة النهار والقطب على الشمسية في الضحوة والأشموني وقت الظهر وابن عقيل بعد العصر والشنشوري بعد المغرب كل

ذلك في آن واحد، ويحضره في ذلك جل الأفاضل وهذا لم يتفق لغيره من أقرانه، ولم يزل على حالته حتى توفي في آخر يوم من رجب من السنة، وخلف ولده العمدة الفاضل الصالح الشيخ مصطفى على قدم والده وأسلافه من الإفادة وملازمة الإقرار، أعانه الله على وقته ونفع به.

ومات الشيخ الإمام العلامة والنحرير الفهامة محمد بن عبد ربه بن العزيزي الشهير بابن الست، ولد سنة خمس عشرة وقيل ثماني عشرة وماية وألف بمصر، وسبب تسميته بابن الست أن والدته كانت سرية رومية اشتراها أبوه وأولدها إياه وكان قد تزوج بحراير كثيرة فلم يلدن إلا الإناث حتى قيل إنه ولد له نحو ثمانين بنتًا فاشترى أم ولده هذا فولدته ذكرًا ولم تلد غيره ففرح به كثيرًا ورباه في عز ورفاهية، وقرأ القرآن مع الشيخ علي العدوي في مكتب واحد فلذلك اعتشر بالمالكية وصار مالكي المذهب.

ولما ترعرع أراد الانتقال إلى مذهب الإمام الشافعي — رضي الله عنه — فرأى الشافعي في المنام وأشار عليه بعدم الانتقال فاستمر مالكي المذهب، وتفقه على الشيخ سالم النفراوي واللقاني والشبراملسي، وسمع على الشيخ عيد بن علي النمرسي المسلسل بالأولية وأوايل الكتب الستة وسنن النسائي الصغرى المسماة بالمجتبي والمسلسل بالمصافحة والمشابكة والسبحة وغير ذلك، وأخذ عليه أيضًا ملا عصام على السمرقندية وشرح رسالة الوضع وشرح الجزرية لشيخ الإسلام وأوايل تفسير القاضي البيضاوي مع البحث والتدقيق، وأجازه بما يجوز له وعند روايته بشرطه، وأخذ المعقول عن الشيخ أحمد الملوي والشيخ عبده الديوي والشيخ الإطفيحي والخليفي وأخذ طريق الشاذلية عن الشيخ أحمد الجوهري والشيخ الملوي، وهما أخذاها عن سيدي عبد الله بن محمد المغربي القصري الكنكسي.

وكان المترجم على قدم السلف لا يتداخل في أمور الدنيا ولا يتفاخر في ملبس ولا يركب دابة ولا يدخل بيت أمير ولا يشتغل بغير العلم ومدارسته، ويشهد له معاصروه بالفضل وإتقان العلوم والديانة.

وسمعت منه المسلسل بالأولية وأجازني بمسموعاته ومروياته وتلقيت عنه دايرة الشاذلية، وأجازني بوضعها ورسمها ونقطة مركزها كل ذلك في مجلس واحد بمنزلي ببولاق بشاطي النيل سنة تسعين وماية وألف.

وكان يجيني ويودني ويقول لي: أنت ابن خالتي لكون والدتي ووالدته من السراري.

وصنف حاشية علي الزرقاني على العزية وهي مستعملة بأيدي الطلبة وديباجة، وخاتمة على أبي الحسن على الرسالة، وخاتمة على شرح الخرشي، وديباجة على إيساغوجي

في المنطق، وحاشية علي الحفيد على العصام، وتكملة على العشماوية، وشرحًا على آية الكرسي، وشرحًا على الحوضية في التوحيد، ولم يزل مقبلًا على شأنه وحاله حتى توفي في هذه السنة عن أربع وثمانين سنة، رحمه الله تعالى.

ومات السيد الأجل المبجل السيد أحمد بن عبد الفتاح بن طه بن عبد الرزاق الحسيني الحموي القادري، ولد أبوه السيد عبد المفتاح بحماة، وارتحل بكريمته رقية وفاطمة ابنة السيد طه فزوج الأولى بأحد أعيان مصر محمد بن حسين الشيمي وهي أم أولاده حسن وحسين وعثمان ومحمود ورضوان، وتزوجت السيدة فاطمة بعلي أفندي البكري أخي سيدي بكري الصديقي فأولدها محمد أفندي نقيب السادة الأشراف، وهو والد محمد أفندي الأخير، وأقام والده السيد عبد الفتاح بمصر مدة وتنزل في بعض المناصب ثم توجه إلى ملك الروم، فأكرمه ووجه له بعناية بعض الأعيان ونقابة الأشراف بمصر، وحضر إلى مصر وقري المرسوم الوارد بذلك، وكاد أن يتم له الأمر فلم يمكن من ذلك بتقوية بعض الأمرا وحنقوا عليه، حيث توجه من مصر إلى الروم خفية ولم يأخذ منهم عرضًا وجعل له شي معلوم من بيت النقابة وبقي ممنوعًا عنها.

وكان سيدًا محتشمًا فصيح اللسان بهي الشكل، وتزوج ببنت سيدي مكي الوراثي وولد له منها السيد أحمد المترجم وتربى في العز والرفاهية ببيتهم المعروف بهم بالأزبكية بخط الساكت، وكان إنسانًا حسنًا مترفهًا في مأكله وملبسه منجمعًا عن الناس إلا لمقتضيات لا بد له منها، توفي — رحمه الله — في هذه السنة ولم يعقب.

ومات الشيخ الصالح الماهر الموفق علي بن خليل شيخ القبان بمصر، وكان ماهرًا في علم الحساب ومعرفة الموازين والقرسطون المعروف بالقبان ودقايقه وصناعته، ولما عني المرحوم الوالد بأمر الموازين وتصحيحها وتحريرها في سنة اثنتين وسبعين وصنف في ذلك العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين، فطالعه عليه وتلقاه عنه مع مشاركة الشيخ حسن بن ربيع البولاقي وأتقنا ذلك وتميزا به دون أهل فنهما.

وكان المترجم إنسانًا بشوشًا منور الشيبة ولديه آداب ونوادر ومناسبات، وحج مرارًا وأثري وتمول ثم تقهقر حاله ولزم بيته إلى أن توفي في هذا العام ولم يخلف بعده مثله.

ومات الشريف الحسيب النسيب السيد مصطفى بن السيد عبد الرحمن العيدروس وهو مقتبل الشبيبة، وصلي عليه بالأزهر ودفن عند والده بمقام العتريس تجاه مشهد السيدة زينب وكانت وفاته رابع عشرين ربيع الأول من السنة، رحمه الله.

واستهلت سنة مايتين وألف (١٧٨٥م)

كان أول المحرم يوم الجمعة في ذلك اليوم وصل الباشا الجديد إلى بر إنبابة واسمه محمد باشا يكن — بكاف أعجمية — فبات ليلة الجمعة، وفي الصباح ذهب إليه الأمرا وسلموا عليه على العادة وعدوا به إلى قصر العيني فجلس هناك إلى يوم الاثنين رابعه، وركب بالموكب وشق من الصليبة وطلع إلى القلعة واستبشر الناس بقدومه.

وفي يوم الخميس ثاني عشر صفر حضر مبشر الحاج، بمكاتيب العقبة وأخبر أن الحجاج لم يزوروا المدينة أيضًا في هذه السنة مثل العام الماضي بسبب طمع أمير الحاج في عدم دفع العوايد للعربان وصرة المدينة وأن أحمد باشا أمير الحاج الشامي أكد عليه في الذهاب، وأنعم عليه بجملة من المال والعليق والذخيرة فاعتل بأن الأمرا بمصر لم يوفوا له العوايد ولا الصرة في العام الماضي وهذا العام واستمر على امتناعه.

وحضر الشريف سرور شريف مكة وكلمه بحضرة أحمد باشا، وقال: إذا كان كذلك فنكتب عرض محضر ونخبر السلطان بتقصير الأمرا وتضع عليه خطك وختمك وللسلطان النظر بعد ذلك.

فأجاب إلى ذلك ووضع خطه وختمه وسار متوجهًا إلى الديار المصرية، ووقع الضجيج والعويل في الحجاج لعدم زيارتهم المدينة، فلما وصل الجاويش بهذه الأخبار اغتم الناس وأظهر إبراهيم بك الغيظ على أمير الحاج وحلف لا يخرج إلى ملاقاته، وأرسل إلى مراد بك وكان بالقصر جهة العادلية فأحضره وقال له كذلك، ثم اختلوا مع بعضهم في العشية وتحدثوا بالنجوى بينهم، وحضر إليهم الجاويش في صبحها فخلعوا عليه كالعادة ورجع بالملاقاة، وخرج الأمرا في ثاني يوم إلى خارج بأجمعهم ونصبوا خيامهم.

وفي يوم الاثنين وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر ونزل أمير الحج بالجنبلاطية بباب النصر ولم ينزل بالحصوة أولًا على العادة، وركب في يوم الثلاثا ودخل بالمحمل بموكب دون المعتاد وسلم المحمل إلى الباشا.

وفي يوم الأربعا اجتمع الأمرا ببيت إبراهيم بك وأحضروا مصطفى بك أمير الحج وتشاجر معه إبراهيم بك ومراد بك بسبب هذه الفعلة وكتابة العرضحال، وادعوا عليه أنه تسلم جميع الملايل وطلبوا منه حساب ذلك، وقالوا له: فضحتنا في مصر وفي الحجاز وفي الشام وفي الروم وجميع الدنيا، واستمروا على ذلك إلى قرب المسا.

ثم إن مراد بك أخذ أمير الحاج إلى بيته فبات عنده، وفي صبحها حضر إبراهيم بك عند مراد بك وأخذ أمير الحاج إلى بيته ووضعه في مكان محجورًا عليه، وأمر الكتاب بحسابه فحاسبوه فاستقره في طرفه ماية ألف ريال وثلاثة آلاف، وذلك خلاف ما على طرفه من الميري.

وفي يوم الجمعة طلع إبراهيم بك إلى القلعة وأخبر الباشا بما حصل وأنه حبسه حتى يوفي ما استقر بذمته، واستمر أيامًا وصالح وذهب إلى بيته مكرمًا.

وفي ذلك اليوم بعد صلاة الجمعة ضج مجاورو الأزهر بسبب أخبازهم، وقفلوا أبواب الجامع فحضر إليهم سليم أغا والتزم لهم بإجرا رواتبهم بكرة تاريخه، فسكنوا وفتحوا الجامع وانتظروا ثاني يوم فلم يأتهم شي فأغلقوه ثانيًا وصعدوا على المنارات يصيحون؛ فحضر سليم أغا بعد العصر ونجز لهم بعض المطلوبات وأجرى لهم الجراية أيامًا ثم انقطع ذلك، وتكرر الغلق والفتح مرارًا.

وفي ليلة خروج الأمرا إلى ملاقاة الحجاج ركب مصطفى بك الإسكندري وأحمد بك الكلارجي وذهبا إلى جهة الصعيد والتفوا على عثمان بك الشرقاوي ولاجين بك، وتقاسموا الجهات والبلاد وأفحشوا في ظلم العباد.

وفي منتصف ربيع الأول شرع مراد بك في السفر إلى جهة بحري بقصد القبض على رسلان والنجار قطاع الطريق، فسافر وسمع بحضوره المذكوران فهربا، فأحضر ابن حبيب وابن حماد وابن فودة وألزمهم بإحضارهما، فاعتذروا إليه فحبسهم ثم أطلقهم على مال وذلك بيت القصيد وأخذ منهم رهاين، ثم سار إلى طملوها وطالب أهلها برسلان وقال لهم إنه يأوي عندكم، ثم نهب القرية وسلب أموال أهلها وسبى نساهم وأولادهم ثم أمر بهدمها وحرقها عن آخرها، ولم يزل ناصبًا وطاقه عليها حتى أتى على آخرها هدمًا وحرقًا وجرفها بالجراريف حتى محوا أثرها وسووها بالأرض، وفرق كشافه في مدة

إقامته عليها في البلاد والجهات لجبي الأموال، وقرر على القرى ما سولته له نفسه ومنع من الشفاعة، وبث المعينين لطلب الكلف الخارجة عن المعقول فإذا استوفوها طلبوا حق طرقهم، فإذا استوفوها طلبوا المقرر وكل ذلك طلبًا حثيثًا وإلا أحرقوا البلدة ونهبوها عن آخرها، ولم يزل في سيره على هذا النسق حتى وصل إلى رشيد فقرر على أهلها جملة كبيرة من المال وعلى التجار وبياعي الأرز فهرب غالب أهلها.

وعين على إسكندرية صالح أغا كتخدا الجاويشية سابقًا وقرر له حق طريقه خمسة آلاف ريال، وطلب من أهل البلد ماية ألف ريال، وأمر بهدم الكنايس فلما وصل إلى إسكندرية هرب تجارها إلى المراكب، وكذلك غالب النصارى فلم يجد إلا قنصل الموسقو، فقال: أنا أدفع لكم المطلوب بشرط أن يكون بموجب فرمان من الباشا أحاسب به سلطانكم فانكف عن ذلك، وصالحوه على كرا طريقه ورجع وارتحل مراد بك من رشيد.

ولما وصل إلى جميجون فهدمها عن آخرها وهدم أيضًا كفرد دسوق، واستمر هو ومن معه يعبثون بالأقاليم والبلاد حتى أخربوها وأتلفوا الزروعات إلى غرة جمادى الأولى.

فوصلت الأخبار بقدومه إلى زنكلون، ثم ثنى عنانه وعرج على جهة الشرق يفعل بها فعله بالمنوفية والغربية، وأما صناجقه الذين تركهم بمصر فإنهم تسلطوا على مصادرات الناس في أموالهم، وخصوصًا حسين بك المعروف بشفت بمعنى يهودي فإنه تسلط على هجم البيوت ونهبها بأدنى شبهة.

وفي عصرية يوم الخميس المذكور ركب حسين بك المذكور بجنوده وذهب إلى الحسينية، وهجم على دار شخص يسمى أحمد سالم الجزار متولي رياسة دراويش الشيخ البيومي ونهبه حتى مصاغ النسا والفراش ورجع والناس تنظر إليه.

وفي عصريتها أرسل جماعة من سراجينه بطلب الخواجا محمود بن حسن محرم فلاطفهم وأرضاهم بدراهم، وركب إلى إبراهيم بك فأرسل له كتخداه وكتخدا الجاويشية فتلطفوا به وأخذوا خاطره وصرفوه عنه، وعبى له الخواجا هدية بعد ذلك وقدمها إليه.

وفي صبحها يوم الجمعة ثارت جماعة من أهالي الحسينية بسبب ما حصل في أمسه من حسين بك، وحضروا إلى الجامع الأزهر ومعهم طبول، والتف عليهم جماعة كثيرة من أوباش العامة والجعيدية وبأيديهم نبابيت ومساوق، وذهبوا إلى الشيخ الدردير فونسهم وساعدهم بالكلام، وقال لهم: أنا معكم.

فخرجوا من نواحي الجامع وقفلوا أبوابه وصعد منهم طايفة على أعلى المنارات يصيحون ويضربون بالطبول، وانتشروا بالأسواق في حالة منكرة وأغلقوا الحوانيت.

وقال لهم الشيخ الدردير: في غد نجمع أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معكم، وننهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ونموت شهدا أو ينصرنا الله عليهم.

فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا مستحفظان ومحمد كتخدا أرنؤد الجلفي كتخدا إبراهيم بك وجلسوا في الغورية، ثم ذهبوا إلى الشيخ الدردير وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال، وقالوا للشيخ: اكتب لنا قايمة بالمنهوبات ونأتي بها من محل ما تكون.

واتفقوا على ذلك وقروا الفاتحة وانصرفوا، وركب الشيخ في صبحها إلى إبراهيم بك وأرسل إلى حسين بك فأحضره بالمجلس وكلمه في ذلك، فقال في الجواب: كلنا نهابون أنت تنهب ومراد بك ينهب وأنا أنهب كذلك، وانفض المجلس وبردت القضية.

وفي عقبها بأيام قليلة حضر من ناحية قبلي سفينة وبها تمر وسمن وخلافه، فأرسل سليمان بك الأغا وأخذ ما فيها جميعها وادعى أن له عند أولاد وافي مالًا منكسرًا، ولم يكن ذلك لأولاد وافي وإنما هو لجماعة يتسببون فيه من مجاوري الصعايدة وغيرهم، فتعصب مجاورو الصعايدة وأبطلوا دروس المدرسين، وركب الشيخ الدردير والشيخ العروسي والشيخ محمد المصيلحي وآخرون، وذهبوا إلى بيت إبراهيم بك وتكلموا معه بحضرة سليمان بك كلامًا كثيرًا مفحمًا.

فاحتج سليمان بك بأن ذلك متاع أولاد وافي وأنا أخذته بقيمته من أصل مالي عندهم، فقالوا: هذا لم يكن لهم وإنما هو لأربابه ناس فقرا، فإن كان لك عند أولاد وافي شي فخذه منهم، فرد بعضه وذهب بعضه.

وفي يوم الجمعة عاشر جمادى الأولى قدم مراد بك من ناحية الشرق، ودخل في ليلتها ومعه من المنهوبات من الجمال والأغنام والأبقار والجواميس وغير ذلك شي كثير يجل عن الحصر.

وفيه سافر أيوب بك إلى ناحية قبلي لمصالحة الأمرا الغضاب، وهم مصطفى بك وأحمد بك الكلارجي وعثمان بك الشرقاوي ولاجين بك؛ لأنهم بلغوا قصدهم من البلاد وظلم العباد.

وفي منتصف جمادى الثانية حضر عثمان بك الشرقاوي من ناحية قبلي، وفيه أنعم مراد بك على بعض كشافه بفردة دراهم على بلاد المنوفية كل بلد ماية وخمسون ريالًا.

وفيه اجتمع الناس بطندتا لعمل مولد سيدي أحمد البدوي المعتاد المعروف بمولد الشرنبابلية، وحضر كاشف الغربية والمنوفية على جاري العادة من طرف إبراهيم بك

الوالي المولى أمير الحاج، فحصل منه عسف وجعل على كل جمل يباع في سوق المولد نصف ريال فرانسة، فأغار أعوان الكاشف على بعض الأشراف وأخذوا جمالهم، وكان ذلك في آخر أيام المولد فذهبوا إلى الشيخ الدردير وكان هناك بقصد الزيارة وشكوا إليه ما حل بهم، فأمر الشيخ بعض أتباعه بالذهاب إليه فامتنع الجماعة من مخاطبة ذلك الكاشف، فركب الشيخ بنفسه وتبعه جماعة كثيرة من العامة.

فلما وصل إلى خيمة كتخدا الكاشف دعاه فحضره إليه والشيخ راكب على بغلته فكلمه ووبخه، وقال له: أنتم ما تخافون من الله.

ففي أثناء كلام الشيخ لكتخدا الكاشف هجم على الكتخدا رجل من عامة الناس وضربه بنبوت، فلما عاين خدامه ضرب سيدهم هجموا على العامة بنبابيتهم وعصيهم، وقبضوا على السيد أحمد الصافي تابع الشيخ وضربوه عدة نبابيت.

وهاجت الناس على بعضهم ووقع النهب في الخيم وفي البلد ونهبت عدة دكاكين، وأسرع الشيخ في الرجوع إلى محله وراق الحال بعد ذلك، وركب كاشف المنوفية وهو من جماعة إبراهيم بك الكبير، وحضر إلى كاشف الغربية وأخذه وحضر به إلى الشيخ وأخذوا بخاطره وصالحوه ونادوا بالأمان، وانفض المولد ورجع الناس إلى أوطانهم، وكذلك الشيخ الدرديري، فلما استقر بمنزله حضر إليه إبراهيم بك الوالي وأخذ بخاطره أيضًا، وكذلك إبراهيم بك الكبير وكتخذا الجاويشية.

وفي سابع عشره ركب حسين بك الشفت وقت القايلة وحضر إلى بيت صغير بسوق الملطيين وصحبته امرأة، فصعد إليه ونقب في حايط وأخرج منه برمة مملوة ذهبًا فأخذها وذهب، وخبر ذلك أن هذا البيت كان لرجل زيات في السنين الخالية فاجتمع لديه هذه الدنانير، فوضعها في برمة من الفخار وأفرج لها نقبًا في كنف الحايط ووضعها فيه وبنى عليها وسواها بالجبس.

وكانت هذه المرأة ابنة صغيرة تنظر إليه، ومات ذلك الرجل وبيعت الدار بعد مدة ووقفها الذي اشتراها، وتداولت الأعوام وآلَ البيتُ إلى وقف المشهد الحسيني وسكنه الناس بالأجرة، ومضى على ذلك نحو الأربعين عامًا وتلك المرأة تتخيل ذلك في ذهنها وتكتمه ولا يمكنها الوصول إلى ذلك المكان بنفسها، وقلَّت ذات يدها واحتاجت فذهبت إلى حريم حسين بك المذكور وعرفتهن القضية، وأخبر الأمير بذلك، فقال: لعل بعض الساكنين أخذها. فقالت: لا يعرفها أحد غيري.

فأرسل إلى ساكن الدار وأحضره وقال له: أخل دارك في غد وانتظرني ولا تفزع من شي، ففعل الرجل وحضر الصنجق وصحبته المرأة فأرته الموضع فنقبوه وأخرجوا

منه تلك البرمة، وأعطي صاحب المكان إحسانًا وركب وصاحب المكان يتعجب، وركب أيضًا قبل ذلك وذهب إلى بيت رجل يقال له الشيخ عبد الباقي أبو قليطة ليلًا وأخذ منه صندوقًا مودعًا عنده أمانة لنصر بن شديد البدوي شيخ عرب الحويطات، يقال إن فيه شيًّا كثيرًا من الذهب العين وغيره.

وهجم أيضًا على بيت بالقرب من المشهد الحسيني في وقت القايلة، وكان ذلك البيت مقفولًا وصاحبه غايب فخلع الباب وطلع إليه وأخذ منه عشرة أكياس مملوة ذهبًا وخرج وأغلق الباب كما كان، وركب هو ومماليكه والأكياس في أحضانهم على قرابيس سروج الخيل وهو بجملتهم يحمل كيسًا أمامه والناس تنتظرهم.

وفي هذا الشهر ثقب الشطار حاصلًا في وكالة المسايرة التي بباب الشعرية، وكان بظاهر الحاصل المذكور قهوة متخربة فتسلق إليها بعض الحرامية، ونقبوا الحاصل وأخذوا منه صندوقًا في داخله اثنا عشر ألف بندقي عنها ثلاثون ألف ريال في ذلك الوقت، وفيه من غير جنس البندقي أيضًا ذهب ودراهم وثياب حرير وطرح النسا المحلاوي التي يقال لها الحبر.

وبعد أيام قبضوا على رجلين أحدهما فطاطري والآخر مخللاتي بتعريف الخفرا بعد حبسهم ومعاقبتهم، فأخذوا منهما شيًّا واستمرا محبوسين.

وفي عشرينه حضر أيوب بك ولاجين بك وأحمد بك من ناحية قبلي ودخلوا بيوتهم بالمنهوبات والمواشي وتأخر مصطفى بك.

وفي يوم الثلاثا سابع عشرينه هبت رياح عاصفة جنوبية نسفت رمالًا وأتربة مع غيم مطبق، وأظلم منها الجو واستمرت من الظهر إلى الغروب.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه حضر مصطفى بك أيضًا.

وفي غرة شهر رجب عزم مراد بك على التوجه إلى سد خليج منوف المعروف بالفرعونية، وكان منذ سنين لم يحبس واندفع إليه الشرقي حتى تهور وشرق بسببه بحر دمياط وتعطلت مزارع الأرز.

وفيه وصلت الأخبار من ثغر الإسكندرية بأنه ورد إليها مركب البيليك وذلك على خلاف العادة، وذلك أن مراكب البيليكات لا تخرج إلا بعد روز خضر، ثم حضره عقيبه أيضًا قليون آخر وفيه أحمد باشا والي جدة، ثم تعقبهما آخر وفيه غلال كثيرة نقلوها إلى الثغر وشرعوا في عملها بقسماطًا فكثر اللغط بمصر بسبب ذلك.

وفي عاشره ورد ططري من البر، وقابجي من البحر ومعهما مكاتبات قريت بالديوان يوم الخميس ثاني عشره مضمونها طلب الخزاين المنكسرة، وتشهيل مرتبات الحرمين

من الغلال والصرر في السنين الماضية واللوم على عدم زيارة المدينة، وفيه الحث والوعد والوعيد والأمر بصرف العلوفات وغلال الأنبار، وفيه المهلة ثلاثون يومًا.

فكثر لغط الناس والقال والقيل وأشيع ورود مراكب أخرى إلى ثغر سكندرية، وأن حسن باشا القبطان واصل أيضًا في إثر ذلك وصحبته عساكر محاربون.

وفيه حضر معلم ديوان الإسكندرية قيل إنه هرب ليلًا، ثم إن إبراهيم بك أرسل يستحث مراد بك في الحضور من سد الفرعونية ثم بعث إليه علي أغا كتخدا جاوجان والمعلم إبراهيم الجوهري وسليمان أغا الحنفي وحسن كتخدا الجربان وحسن أفندي شقبون كاتب الحوالة سابقًا وأفندي الديوان حالًا، فأحضروه إلى مصر في يوم الثلاثا، ولم يتم سد الترعة بعد أن غرق فيها عدة مراكب ومراسي حديد وأخشاب أخذوها من أربابها من غير ثمن، وفرد على البلاد الأموال وقبض أكثرها وذهب ذلك جميعه من غير فايدة.

ثم إن الأمرا عملوا جمعيات وديوانًا ببيت إبراهيم بك وتشاوروا في تنجيز الأوامر، وفي أثنا ذلك تشحطت الغلال وارتفع القمح من السواحل والعرصات وغلا سعره، وقل وجوده حتى امتنع بيع الخبز من الأسواق وأغلقت الطوابين.

فنزل سليم أغا وهجم المخازن وأخرج الغلال وضرب القماحين والمتسببين، ومنعهم من زيادة الأسعار فظهر القمح والخبز بالأسواق وراق الحال وسكنت الأقاويل.

وفي هذا الشهر أعني شهر رجب حصلت عدة حريقات منها حريقتان في ليلة واحدة، إحداهما بالأزبكية، وأخرى بخطتنا بالصنادقية.

وظهرت النار من دكان رجل صناديقي وهي مشحونة بالأخشاب والصناديق المدهونة عند خان الجلابة، فرعت النار في الأخشاب ووجت في ساعة واحدة وتعلقت بشبابيك الدور وذلك بعد حصة من الليل، وهاج الناس والسكان وأسرعوا بالهدم وصب المياه وأحضر الوالي القصارين حتى طفيت.

وفيه أيضًا من الحوادث المستهجنة أن امرأة تعلقت برجل من المجاذيب يقال له الشيخ علي البكري مشهور ومعتقد عند العوام، وهو رجل طويل حليق اللحية يمشي عريانًا وأحيانًا يلبس قميصًا وطاقية ويمشي حافيًا، فصارت هذه المرأة تمشي خلفه أينما توجه وهي بإزارها وتخلط في ألفاظها وتدخل معه إلى البيوت، وتطلع الحريمات واعتقدها النسا وهادوها بالدراهم والملابس، وأشاعوا أن الشيخ لحظها وجذبها وصارت من الأوليا ثم ارتقت في درجات الجذب، وثقلت عليها الشربة فكشفت وجهها ولبست

ملابس كالرجال ولازمته أينما توجه، ويتبعهما الأطفال والصغار وهوام العوام، ومنهم من اقتدى بهما أيضًا ونزع ثيابه وتحنجل في مشيه، وقالوا إنه كل من اعترض على الشيخ والمرأة فجذبه الشيخ أيضًا، أو أن الشيخ لمسه فصار من الأوليا.

وزاد الحال وكثر حولهم أوباش الناس والصغار وصاروا يخطفون أشيا من الأسواق ويصير لهم في مرورهم ضجة عظيمة، وإذا جلس الشيخ في مكان وقف الجميع وازدحم الناس للفرجة عليه، وتصعد المرأة على دكان أو علوة وتتكلم بفاحش القول ساعة بالعربي ومرة بالتركي والناس تنصت لها، ويقبلون يدها ويتبركون بها وبعضهم يضحك، ومنهم من يقول: الله الله!! وبعضهم يقول: دستور يا أسيادي، وبعضهم يقول: لا تعترض بشي.

فمر الشيخ في بعض الأوقات على مثل هذه الصورة والضجة ودخلوا من باب بيت القاضي الذي من ناحية بين القصرين، وبتلك العطفة سكن بعض الأجناد يقال له جعفر كاشف فقبض على الشيخ وأدخله إلى داره ومعه المرأة وباقي المجاذيب، فأجلسه وأحضر له شيًّا يأكله وطرد الناس عنه، وأدخل المرأة والمجاذيب إلى الحبس، وأطلق الشيخ لحال سبيله وأخرج المرأة والمجاذيب فضربهم وعزرهم، ثم أرسل المرأة إلى المارستان وربطها عند المجانين، وأطلق باقي المجاذيب بعد أن استغاثوا وتابوا ولبسوا ثيابهم وطارت الشربة من روسهم، وأصبح الناس يتحدثون بقصتهم.

واستمرت المرأة محبوسة بالمارستان حتى حدثت الحوادث فخرجت وصارت شيخة على انفرادها، ويعتقدها الناس والنسا، وجمعت عليها الجمعيات وموالد وأشباه ذلك.

وفيه ورد الخبر من الديار الشامية بحصول طاعون عظيم في بلادهم وحصل عندهم أيضًا قحط وغلاء في الأسعار.

وفي يوم الثلاثا ثاني شهر شعبان ركب سليم أغا في عصريته إلى جامع السلطان حسن بن قلاوون الذي بسوق السلاح، وأحضر معه فعلة وفتح باب المسجد المسدود وهو الباب الكبير الذي من ناحية سوق السلاح، فهدموا الدكاكين التي حدثت أسفله والبنا الذي بصدر الباب، وكان مدة سده في هذه المرة إحدى وخمسين سنة وكان سببها المقتلة التي قتل فيها الأحد عشر أميرًا ببيت محمد الدفتردار في سنة تسع وأربعين، وتقدم ذكرها في أول التاريخ.

وسبب فتحه أن بعض أهل الخطة تذاكر مع الأغا في شأنه، وأعلمه بحصول المشقة على الناس المصلين في الدخول إليه من باب الرملية، وربما فاتهم حضور الجماعة

في مسافة الذهاب وأن الأسباب التي سد الباب من أجلها قد زالت وانقضت ونسيت، فاستأذن سليم أغا إبراهيم بك ومراد بك في فتحه فأذنا له ففتحه وصنع له بابًا جديدًا عظيمًا، وبنى له سلالم ومصاطب وأحضر نظاره وأمرهم بالصرف عليه، ويأتي هو في كل يوم يباشر العمل بنفسه وعمروا ما تشعث منه ونظفوا حيطانه ورخامه، وظهر بعد الخفا وازدحم الناس للصلاة فيه وأتوا إليه من الأماكن البعيدة.

وفي يوم الجمعة خامسه توفي مصطفى بك المرادي المجنون.

وفي عشرين شعبان كثر الإرجاف بمجي مراكب إلى الإسكندرية وعساكر وغير ذلك.

وفي يوم السبت خامس رمضان حضر واحد أغا من الديار الرومية وعلى يده مكاتبة بالحث على المطلوبات المتقدم ذكرها، فطلع الأمرا إلى القلعة ليلًا واجتمعوا بالباشا وتكلموا مع بعضهم كلامًا كثيرًا، وقال مراد بك للباشا: ليس لكم عندنا إلا حساب، أمهلونا إلى بعد رمضان وحاسبنا على جميع ما هو في طرفنا نورده، وأرسل إلى من وصل إلى الإسكندرية يرجعون إلى حيث كانوا وإلا فلا نشهل حجًّا ولا صرة ولا ندفع شيًّا، وهذا آخر الكلام.

كل ذلك وإبراهيم بك يلاطف كلًّا منهما ثم اتفقوا على كتابة عرضحال من الوجاقلية والمشايخ، ويذكر فيه أنهم أقلعوا وتابوا ورجعوا عن المخالفة والظلم والطريق التي ارتكبوها، وعليهم القيام باللوازم وقرروا على أنفسهم مصلحة يقومون بدفعها لقبطان باشا والوزير وباشة جدة وقدرها ثلثماية وخمسون كيسًا، وقاموا على ذلك ونزلوا إلى بيوتهم.

وفي ليلة الاثنين جمع إبراهيم بك المشايخ وأخبرهم بذلك الاتفاق وشرعوا في كتابة العرضحالات أحدها للدولة وآخر لقبطان باشا بالمهلة، حتى يأتي الجواب وآخر لباشة جدة الذي في الإسكندرية.

وفي صبحها وردت مكاتبة من أحمد باشا الجداوي والي جدة يخبر فيها بالحركة والتحذير، وأخبار بورود مراكب أخرى بإسكندرية ومراكب وصلت إلى دمياط فزاد اللغط والقال والقيل.

وفيه ركب سليم أغا مستحفظان ونادى في الأسواق على الأروام والقليونجية والأتراك بأنهم يسافرون إلى بلادهم، ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل.

وفيه اتفق رأي إبراهيم بك ومراد بك أنهم يرسلون لاجين بك ومصطفى بك السلحدار إلى رشيد لأجل المحافظة والاتفاق مع عرب الهنادي، ويطلبون أحمد باشا والي جدة ليأتي إلى مصر ويذهب إلى منصبه، فسافروا في ليلة الخميس عاشر رمضان.

وفي تلك الليلة ركب إبراهيم بك بعد الإفطار، وذهب إلى مراد بك وجلس معه ساعة ثم ركبا جميعًا وطلعا إلى القلعة وطلع أيضًا المشايخ باستدعا من الأمرا، وهم: الشيخ البكري والشيخ السادات والشيخ العروسي والشيخ الدردير والشيخ الحريري وقابلوا الباشا وعرضوا عليه العرضحالات.

وكان المنشي لبعضها الشيخ مصطفى الصاوي وغيره، فأعجبهم إنشاء الشيخ مصطفى وأمروا بتغيير ما كان من إنشاء غيره.

وانخضع مراد بك في تلك الليلة للباشا جدًّا وقبل أتكه وركبتيه، ويقول له: يا سلطانم نحن في عرضك في تسكين هذا الأمر ودفعه عنا ونقوم بما علينا ونرتب الأمور وننظم الأحوال على القوانين القديمة.

فقال الباشا: ومن يضمنكم ويتكفل بكم؟

قال: أنا الضامن لذلك ثم ضماني على المشايخ والاختيارية.

وفي ليلة الأحد ثالث عشره وصلت الأخبار بوصول حسن باشا القبطان إلى ثغر الإسكندرية وكان وصوله يوم الخميس عاشره قبل العصر، وصحبته عدة مراكب فزاد الاضطراب وكثر اللغط، فتمموا أمر العرضحالات وأرسلوها صحبة سلحدار الباشا والططري وواحد أغا ودفعوا لكل فرد منهم ألف ريال وسافروا من يومهم.

وفيه وردت الأخبار بأن مشايخ عرب الهنادي والبحيرة ذهبوا إلى الإسكندرية، وقابلوا أحمد باشا الجداوي فألبسهم خلعًا وأعطاهم دراهم وكذلك أهل دمنهور.

وفيه حضرت صدقات من مولاي محمد صاحب المغرب، ففرقت على فقرا الأزهر وخدمة الأضرحة والمشايخ المفتين والشيخ البكري والشيخ السادات والعمريين على يد الباش بموجب قايمة ومكاتبة.

وفي يوم الثلاثا حضر مصطفى جربجي باش سراجين مراد بك سابقًا وسردار ثغر رشيد حالًا، وكان السبب في حضوره أنه حضر إلى رشيد أحد القباطين وصحبته عدة وافرة من العسكر، فطلع إلى بيت السردار المذكور وأعطاه مكاتبة من حسن باشا خطابًا للأمرا بمصر، وأمره بالتوجه بها فحضر بتلك المكاتبة مضمونها التطمين ببعض ألفاظ.

وفيه اتفق رأي الأمرا على إرسال جماعة من العلما والوجاقلية إلى حسن باشا، فتعين لذلك الشيخ أحمد العروسي والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد الحريري، ومن الوجاقلية إسماعيل أفندي الخلوتي وإبراهيم أغا الورداني، وذهب صحبتهم أيضًا سليمان بك الشابوري، وأرسلوا صحبتهم ماية فرق بُنٍّ وماية قنطار سكر وعشر بقج ثياب

هندية وتفاصيل وعودًا وعنبرًا وغير ذلك، فسافروا في يوم الجمعة ثامن عشر رمضان على أنهم يجتمعون به ويكلمونه ويسألونه عن مراده ومقصده، ويذكرون له امتثالهم وطاعتهم وعدم مخالفتهم ورجوعهم عما سلف من أفاعيلهم، ويذكرونه حال الرعية وما توجبه الفتن من الضرر والتلف.

وفي يوم السبت حضر تفكچي باشا من طرف حسن باشا، وذهب إلى إبراهيم بك وأفطر معه وخلع عليه خلعة سمور وأعطاه مكاتبات، وكان صحبته محمد أفندي حافظ من طرف إبراهيم بك أرسله الأمرا قبل بأيام عندما بلغهم خبر القادمين ليستوعب الأحوال، ثم إن ذلك التفكچي جلس مع إبراهيم بك حصة من الليل وذهب إلى محله، وحضر علي أغا كتخدا الجاويشية فركب مع إبراهيم بك وطلعا إلى الباشا في سادس ساعة من الليل ثم نزلا، وسافر التفكچي في صبحها وصحبته الحافظ.

وكان فيما جا به ذلك التفكچي طلب إبراهيم بك أمير الحاج فلم يرض بالذهاب، وقال أيضًا لإبراهيم بك: إن حضرة الباشا بلغه أنكم تستعدون للحرب ونصبتم مدافع وغير ذلك، وأنا لم أر شيًّا من ذلك. فقال له إبراهيم بك: معاذ الله إننا نحارب رجال دولة سلطاننا أو نعصى عليه ولا يليق ذلك. فقال: إنكم أرسلتم تقولون إنكم تبتم ورجعتم عن الأفعال المتقدمة ثم إنكم أرسلتم أُمَرَا منكم ينهبون البلاد، ويطلبون الكلف الزايدة ومن جملتها إردبين بن والبن لا يطلع إلافي بلاد اليمن. فقال له: هذا كلام المنافقين.

وكان لاچين بك ومصطفى بك لما سافرا للمحافظة بعد التوبة بيومين فعلوا أفاعيلهم بالبلاد وطلبوا هذه الكلف وحرقوا وردان، فضجت أهالي البلاد وذهبوا إلى عرض حسن باشا وشكوا ما نزل بهم، فأخذ بخواطرهم وكتب لهم فرمانًا برفع الخراج عنهم سنتين، وأرسل مع ذلك التفكچي العتاب واللوم في شأن ذلك، ويقول لهم: أرسلوا لهم وارفعوهم عن خلق الله تعالى. فلم يفعلوا.

وفي تلك الليلة ذهب سليم أغا إلى ناحية باب الشعرية وقبض على الحافظ إسحق وأخذه على صورة أرباب الجرايم من أسافل الناس، وذهب به إلى بولاق فلحقه مصطفى بك الإسكندراني ورده.

وفي يوم الاثنين وصلت الأخبار بورود حسن باشا إلى ثغر رشيد يوم الأربعا سادس عشره، وأنه كتب عدة فرمانات بالعربي وأرسلها إلى مشايخ البلاد وأكابر العربان والمقادم وحق طريق المعينين بالفرمانات ثلاثون نصفًا فضة لا غير، وذلك من نوع الخداع والتحيل وجذب القلوب، ومثل قولهم إنهم يقررون مال الفدان سبعة أنصاف

ونصف نصف، حتى كادت الناس تطير من الفرح وخصوصًا الفلاحين لما سمعوا ذلك، وأنه يرفع الظلم ويمشي على قانون دفتر السلطان سليمان وغير ذلك.

وكان الناس يجهلون أحكامهم، فمالت جميع القلوب إليهم وانحرفت عن الأمرا المصرية وتمنوا سرعة زوالهم، وصورة ذلك الفرمان وهو الذي أرسل إلى أولاد حبيب من جملة ما أرسل ما يلي:

> صدر هذا الفرمان الشريف الواجب القبول والتشريف من ديوان حضرة الوزير المعظم والدستور المكرم عالي الهمم، وناصر المظلوم على من ظلم مولانا العزيز غازي حسن باشا ساري عسكر السفر البحري المنصور حالًا، ودنانمة همايون أيدت سيادته السنية وزادت رتبته العلية إلى مشايخ العرب أولاد حبيب بناحية دجوة وفقهم الله تعالى، نعرفكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان — نصره الله — ما هو واقع بالقطر المصري من الجور والظلم للفقرا وكافة الناس، وأن سبب هذا خائنو الدين إبراهيم بك ومراد بك وأتباعهما فتعينا بخط شريف من حضرة مولانا السلطان — أيده الله — بعساكر منصورة بحرًا لدفع الظلم ولإيقاع الانتقام من المذكورين، وتعين عليهم عساكر منصورة برًّا بساري عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان — نصره الله — وقد وصلنا إلى ثغر إسكندرية ثم إلى رشيد في سادس عشر رمضان فحررنا لكم هذا الفرمان؛ لتحضروا تقابلونا وترجعوا إلى أوطانكم مجبورين مسرورين — إن شاء الله تعالى — فحين وصوله إليكم تعملوا به وتعتمدوه، والحذر ثم الحذر من المخالفة وقد عرفناكم.

ثم إن الأمرا زاد قلقهم واجتمعوا في ليلتها ببيت إبراهيم بك وعملوا بينهم مشورة في هذا الأمر الذي دهمهم، وتحققوا اتساع الخرق والنيل آخذ في الزيادة، فعند ذلك تجاهروا بالمخالفة وعزموا على المحاربة، واتفق الرأي على تشهيل تجريدة وأميرها مراد بك فيذهبون إلى جهة فوة، ويمنعون الطريق ويرسلون إلى حسن باشا مكاتبات بتحرير الحساب والقيام بغلاق المطلوب ويرجع من حيث أتى، فإن امتثل وإلا حاربناه، وهذا آخر الكلام.

ثم جمعوا المراكب وعبوا الذخيرة والبقسماط، وذلك كله في يوم الثلاثا والأربعا ونقلوا عزالهم ومتاعهم من البيوت الكبار إلى أماكن لهم صغار جهة المشهد الحسيني والشنواني والأزهر، وعطلوا القناديل والتعاليق المعدة لمهرجان رمضان، وزاد الإرجاف وكثر اللغط ولاحت عليهم لوايح الخذلان، ورخص أسعار الغلال بسبب بيعهم الغلال المخزونة عندهم، كما قيل:

مصايب قوم عند قوم فوايد

وفي يوم الخميس رابع عشرينه خرج مراد بك والأمرا المسافرون معه إلى ناحية بولاق، وبرزوا خيامهم وعدوا في ليلتها إلى بر إنبابة ونصبوا وطاقهم هناك.

وتعين للسفر صحبة مراد بك مصطفى بك الداوودية الذي عرف بالإسكندراني ومحمد بك الألفي وحسين بك الشفت ويحيى بك وسلمان بك الأغا وعثمان بك الشرقاوي وعثمان بك الأشقر، وركب إبراهيم بك بعد المغرب وذهب إليهم وأخذ بخاطرهم ورجع، فأقاموا في بر إنبابة يوم الجمعة حتى تكامل خروج العسكر، وأخذ مراد بك ما احتاجه من ملايل الحج جمالًا وبقسماطًا وغيره حتى الذي قبض من مال الصرة وأرسلوا في ليلتها علي أغا كتخدا الجاويشية وسليمان أغا الحنفي إلى الباشا، وطلبوا منه الدراهم التي كانوا استخلصوها من مصطفى بك أمير الحاج وأودعوها عند الباشا فدفعها لهم بتمامها.

وفي يوم السبت سادس عشرينه سافر مراد بك من بر إنبابة وأصحب معه سلام أغاسي الباشا؛ ليكون سفيرًا بينه وبين قبطان باشا.

وفي ليلة الاثنين ثامن عشرينه سافر مصطفى بك الكبير أيضًا ولحق بمراد بك.

وفي ليلة الثلاثا حضر المشايخ ومن معهم من ثغر رشيد، فوصلوا إلى بولاق بعد العشا وباتوا هناك وذهبوا إلى بيوتهم في الصباح.

فأخبروا أنهم اجتمعوا على حسن باشا ثلاث مرات: الأولى للسلام فقابلهم بالإجلال والتعظيم وأمر لهم بمكان نزلوا فيه ورتب لهم ما يكفيهم من الطعام المهيأ في الإفطار والسحور ودعاهم في ثاني يوم وكلمهم كلمات قليلة، وقال له الشيخ العروسي: يا مولانا، رعية مصر قوم ضعاف وبيوت الأمرا مختلطة ببيوت الناس.

فقال: لا تخشوا من شي فإن أول ما أوصاني مولانا السلطان أوصاني بالرعية وداعة الله عندي وأنا استودعتك ما أودعنيه الله تعالى. فدعوا له بخير، ثم قال: كيف ترضون أن

يملككم مملوكان كافران وترضونهم حكامًا عليكم يسومونكم بالعذاب والظلم؟ لماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم؟

فأجابه إسماعيل أفندي الخلوتي بقوله: يا سلطان، هؤلاء عصبة شديدو البأس ويد واحدة.

فغضب من قوله ونهره وقال: تخوفني ببأسهم. فاستدرك وقال: إنما أعني بذلك أنفسنا لأنهم بظلمهم أضعفوا الناس. ثم أمرهم بالانصراف.

واجتمعوا عليه مرة ثالثة بعد صلاة الجمعة فأستأذنوه في السفر، فقال لهم: في غد أكتب لكم مكاتبة للرعية تقرونها على الملا في الجامع الأزهر. فقال له الشيخ العروسي: هذا أمر لا يمكننا فعله في هذا الوقت. فقبل عذره وقال: يكفي الاستفاضة. ثم تركهم يومين وكتب لهم مكاتبات وسلمها ليد سليمان بك الشابوري وأمرهم بالانصراف فودعوه وساروا وأخفيت تلك المكاتبات.

وفي غاية رمضان أرسل الباشا عدة أوراق إلى أفراد المشايخ، وذكر أنها وردت من صدر الدولة، وأما العرضحالات التي أرسلوها صحبة السلحدار والططري فإنهما لما وصلا إلى إسكندرية واطلع عليها حسن باشا حجزها ومنع المراسلة إلى إسلامبول، وقال: أنا دستور مكرم والأمر مفوض إليَّ في أمر مصر.

وسأل السلحدار عن الأوراق التي من صدر الدولة هل أرسلها الباشا إلى أربابها؟ فأخبره أنه خاف من إظهارها فاشتد غضبه على الباشا وسبه بقوله: خاين منافق.

فلما رجع السلحدار في تاريخه وأخبر الباشا فعند ذلك أرسلها كما تقدم.

وفي ثاني شوال أشيع أن مرد بك ملك مدينة فوة وهرب من بها من العسكر، ووقع بينهم مقتلة عظيمة وأنه أخذ المراكب التي وجدها على ساحلها ثم ظهر عدم صحة ذلك.

وفي يوم السبت نزلت الكسوة من القلعة على العادة إلى المشهد الحسيني، وركب إبراهيم بك الكبير وإبراهيم بك أمير الحاج إلى قراميدان، ونزل الباشا كذلك وأكد على أمير الحاج في التشهيل، فاعتذر إليه بتعطيل الأسباب فوعده بالمساعدة.

وفي يوم الأحد أشاعوا إشاعة مثل الأولى مصطنعة وأظهروا البشر والسرور، وركب إبراهيم بك في ذلك اليوم وذهب إلى الشيخ البكري وعيد عليه ثم إلى الشيخ العروسي والشيخ الدردير وصار يحكي لهم، وتصاغر في نفسه جدًّا وأوصاهم على المحافظة وكف الرعية عن أمر يحدثوه أو قومة أو حركة في مثل هذا الوقت، فإنه كان يخاف ذلك جدًّا وخصوصًا لما أشيع أمر الفرمانات التي أرسلها الباشا للمشايخ وتسامع بها الناس.

وفي وقت ركوب إبراهيم بك من بيت الشيخ البكري حصلت زعجة عظيمة ببركة الأزبكية، وسببها أن مملوكًا أسود ضرب رجلًا من زراع المقاثي فجرحه فوقع الصياح من رفقايه واجتمع عليهم خلق كثير من الأوباش، وزاد الحال حتى امتلأت البركة من المخلوقات، وكل منهم يسأل عن الخبر من الآخر ويختلقون أنواعًا من الأكاذيب.

فلما رجع إبراهيم بك إلى داره أرسل من طرد الناس وفحصوا عن أصل القضية، وفتشوا على الضارب فلم يجدوه فأخذوا المضروب فطيبوا خاطره وأعطوه دراهم.

وفيه أرسل مراد بك بطلب ذخيرة وبقسماط، وركب أيوب بك الصغير وذهب إلى مصر العتيقة وعثمان بك الطنبرجي إلى بولاق ونزلوا جملة مدافع ومنها الغضبان وأبو مايلة، وكان أيوب بك هذا متمرضًا مدة شهور ومنقطعًا في الحريم فعرق وشفي في ساعة واحدة.

وفي يوم الاثنين كان مولد السيد أحمد البدوي ببولاق وكرا مشايخ الأشاير المراكب؛ ليسافروا فيها فأخذوها بأجمعها لأجل الذخيرة والمدافع ووسقوها وأرسلوا منها جملة.

وفي ليلة الثلاثاء حضرت مراكب من مراكب الغايبين وفيها مماليك ومجاريح وأجناد، وأخبروا بكسرة مراد بك ومن معه وأصبح الخبر شايعًا في المدينة وثبت ذلك، ورجعت المراكب بما فيها وأخبروا عما وقع، وهو أنه لما وصل مراد بك إلى الرحمانية فعدى سليمان بك الأغا وعثمان بك الشرقاوي والألفي إلى البر الشرقي، فحصل بينهم اختلاف وغضب بعضهم ورجع القهقرى، فكان ذلك أول الفشل.

ثم تقدموا إلى محلة العلويين فأخلوا منها الأروام فدخلوا إليها وملكوها، وأرسلوا إلى مراد بك يطلبون منه الإمداد فأمر بعض الأمرا بالتعدية إليهم فامتنعوا، وقالوا: نحن لا نفارقك ونموت تحت أقدامك، فحنق منهم وأرسل عوضهم جماعة من العرب، ثم ركبوا وقصدوا أن يتقدموا إلى فوة فوجدوا أمامهم طايفة من العسكر ناصبين متاريس فلم يمكنهم التقدم لوعر الطريق وضيق الجسر وكثرة القنى ومزارع الأرز، فتراموا بالبنادق فرمح سليمان بك فعثر بقناة وسقط، فحصلت فيهم ضجة وظنوها كسرة فرجعوا القهقرى ودخل الرعب في قلوبهم، ورجعت عليهم العرب ينهبونهم، فعدوا إلى البر الآخر وكان مراد بك مستقرًّا في مكان توصل إليه من طريق ضيقة لا تسع إلا الفارس بمفرده، فأشاروا عليه بالانتقال من ذلك المكان، وداخلهم الخوف وتخيلوا تخيلات.

وما زالوا في نقص وإبرام إلى الليل، ثم أمر بالارتحال فحملوا حملاتهم ورجعوا القهقرى وما زالوا في سيرهم وأشيع فيهم الانهزام وتطايرت الأخبار بالكسرة، وتيقن الناس أن هذا أمر إلهي ليس بفعل فاعل.

وفي ذلك اليوم حصلت كرشة من ناحية الصاغة، وسببها عبد مملوك أراد الركوب على حمار بعض المكارية فازدحموا عليه الحمارة ورمحوا خلفه فصارت كرشة ورمحت الصغاة، فأغلقوا الدكاكين بالأشرفية والغورية والعقادين وغير ذلك، ثم تبين أن لا شي ففتح الناس الدكاكين.

وفي ذلك اليوم حضر أناس من المماليك مجاريح وزاد الإرجاف، فنزل الباشا وقت الغروب إلى باب العزب وأراد إبراهيم بك أن يملك أبواب القلعة فلم يتمكن من ذلك.

وأرسل الباشا فطلب القاضي والمشايخ فطلع البعض وتأخر البعض إلى الصباح، وبات السيد البكري عند الباشا بباب العزب وكان له بها مندوحة ذكرها بعد ذلك الباشا لحسن باشا وشكره عليها وأحبه، وذهب للسلام عليه عند قدومه دون غيره من بقية المشايخ، فلما أصبح نهار الأربعا طلعوا بأجمعهم وكذلك جماعة الوجاقلية، ونصب الباشا البيرق على باب العزب، ونزل جاويش مستحفظان وجاويش العزب وأمامهم القابجية والمناداة على الألضاشات وغيرهم، وكل من كان طايعًا لله وللسلطان يأتي تحت البيرق، فطلع عليه جمع الألضاشات والتجار وأهل خان الخليلي وعامة الناس، وظهرت الناس المخفيون والمستضعفون والذين أنحلهم الدهر، والذي لم يجد ثياب زيه استعار ثيابًا وسلاحًا حتى امتلأت الرميلة وقراميدان من الخلايق، وأرسل محمد باشا يستحث حسن باشا في سرعة القدوم ويخبره بما حصل، وكان قصد حسن باشا التأخر حتى يسافر الحج وتأتي العساكر البرية، فاقتضى الحال ولزم الأمر في عدم التأخر.

وأما إبراهيم بك فإنه اشتغل في نقل عزاله ومتاعه بطول الليل في بيوته الصغار، فلم يترك إلا فرش مجلسه الذي هو جالس فيه ثم إنه جلس ساعة وركب إلى قصر العيني وجلس به.

وأما إبراهيم بك أمير الحج فإنه طلع إلى باب العزب وطلب الأمان، فأرسل له الباشا فرمانًا بالأمان وأذن له في الدخول، وكذلك حضر أيوب بك الكبير وأيوب بك الصغير وكتخدا الجاويشية وسليمان بك الشابوري وعبد الرحمن بك عثمان وأحمد جاويش المجنون ومحمد كتخدا أزنور ومحمد كتخدا أباظة، وجماعة كثيرة من الغز والأجناد وكذلك رضوان بك بلفيا، فكان كل من حضر لطلب الأمان، فإن كان من الأمرا الكبار فإنه يقف عند الباب ويطرقه ويطلب الأمان ويستمر واقفًا حتى يأتيه فرمان الأمان ويؤذن له في الدخول من غير سلاح، وإن كان من الأصاغر فإنه يستمر بالرميلة أو قراميدان أو يجلس على المساطب.

فلما تكامل حضور الجميع أبرز الباشا خطًّا شريفًا وقرأه عليهم وفيه المأمورات المتقدم ذكرها وطلب إبراهيم بك ومراد بك فقط، وتأمين كل من يطلب الأمان.

واستمر أمير الحج على منصبه ثم إنه خلع على حسن باشا كاشف تابع حسن بك قصبة رضوان، وقلده أغات مستحفظان وخلع على محمد كتخدا أزنور وقلده الزعامة، وقلد محمد كتخدا أباظة أمين احتساب، ونزلوا إلى المدينة ونادوا بالأمان والبيع والشرا، وكذلك نزل الأمرا إلى دورهم ما عدا إبراهيم بك أمير الحاج فإن الباشا عوقه عنده ذلك اليوم.

وكذلك أذنوا للناس بالتوجه إلى أماكنهم بشرط الاستعداد والإجابة وقت الطلب، ولم يتأخر إلا المحافظون على الأبواب.

وأما مراد بك فإنه حضر إلى بر إنبابة واستمر هناك ذلك اليوم ثم ذهب في الليل إلى جزيرة الذهب، وركب إبراهيم بك ليلًا وذهب إلى الآثار.

وفي عصر ذلك اليوم نزل الأغا ونبه على الناس بالطلوع إلى الأبواب.

وفيه حضر سليمان بك الأغا وطلب الأمان فأعطوه فرمان الأمان وذهب إلى بيته، وأصبح يوم الخميس فنزلت القابجية ونبهت على الناس بالطلوع فطلعوا، واجتمعت الخلايق زيادة على اليوم الأول، وحضر أهالي بولاق، ونزل الأغا فنادى بالأمن والأمان.

وفي ذلك اليوم قبل العصر ركب عثمان خازندار مراد بك سابقًا وذهب إلى سيده وكان من جملة من أخذ فرمانًا بالأمان، فلما نزل إلى داره أخذ ما يحتاجه وذهب، فلما بلغ الباشا هروبه اغتاظ من فعله.

ثم إن الباشا تخيل من إبراهيم بك أمير الحاج فأمره بالنزول إلى بيته فنزل إلى جامع السلطان حسن وجلس به، فأرسل له الباشا بالذهاب إلى منزله فذهب.

وفي صبح ثاني يوم ركب سليمان بك وأيوب بك الكبير والصغير وخرجوا إلى مضرب النشاب، وركب إبراهيم بك أمير الحاج وذهب إلى بولاق وأحب أن يأخذ الجمال من المناخ، فمنعه عسكر المغاربة ثم ذهب عند رفقايه بمضرب النشاب، فلما بلغ الباشا ذلك أرسل لهم فرمانًا بالعودة فطردوا الرسول ومزقوا الفرمان، وأقاموا بالمصاطب حتى اجتمعت عليهم طوايفهم وركبوا ولحقوا بإخوانهم، فلما حصل ذلك اضطربت البلد وتوهموا صعودهم على الجبل بالمدافع ويضربوا على القلعة وغير ذلك من التوهمات، وركب قايد أغا بعد صلاة الجمعة وعلي أغا خازندار مراد بك سابقًا، وصحبتهم جملة من المماليك والعسكر وهم بالطرابيش وبيدهم مكاحل البندق والقرابينات وفتايلها موقودة فوصلوا

إلى الرميلة، فضربوا عليهم مدفعين فرجعوا إلى ناحية الصليبة ونزلوا إلى باب زويلة ومروا على الغورية والأشرفية وبين القصرين، وطلعوا من باب النصر وأمامهم المناداة أمان واطمئنان حكم ما رسم إبراهيم بك ومراد بك وحكم الباشا بطال، فلما سمع الناس ذلك ورأوه على تلك الصورة انزعجوا وأغلقوا الدكاكين المفتوحة وهاجت الناس، وحاصوا حيصة عظيمة وكثر فيه اللغط.

ولما بلغ الباشا هروب المذكورين حصن القلعة والمحمودية والسلطان حسن، وأرسل الأغا فنادى على الألضاشات بالطلوع إلى القلعة.

وفي تلك الليلة ضرب المنسر كفر الطماعين ونهبوا منه عدة أماكن، وقتل بينهم أشخاص وانقطعت الطرق حتى إلى بولاق ومصر القديمة وصارت التعدية من عند رصيف الخشاب.

وفي يوم السبت ركب إبراهيم بك وحسين بك وأتوا إلى المناخ أيضًا، وأرادوا أخذ الجمال فمنعهم المغاربة، وقيل أخذوا منهم جملة، وعربدوا في ذلك اليوم عربدة عظيمة من كل ناحية، وأرسل الباشا قبل المغرب فطلب تجار المغاربة فاجتمعوا وطلعوا بعد العشا وباتوا بالسبيل الذي في رأس الرميلة، وشدد الباشا في اجتماع الألضاشات ومن ينتسب للوجاقات، فقيل له إن منهم من لا يملك قوت يومه وسبب تفرقهم الجوع وعدم النفقة، فطلب أغات مستحفظان وأعطاه أربعة آلاف ريال لينفقها فيهم.

وفيه عدى مراد بك من جزيرة الدهب إلى الآثار، وكان إبراهيم بك ركب إلى حلوان وضربها وأحرقها بسبب أن أهل حلوان نهبوا مركبًا من مراكبه، ولما عدى مراد بك إلى البر الشرقي أرسل إلى إبراهيم بك فحضر إليه واصطلح معه؛ لأن إبراهيم بك كان مغتاظًا منه بسبب سفرته وكرته فإن ذلك كان على غير مراد إبراهيم بك، وكان قصده أنهم يستمرون مجتمعين ومنضمين، وإذا وصل القبطان أخلوا من وجهه إن لم يقدروا على دفعه أو مصالحته وتركوا له البلد ومصيره الرجوع إلى بلاده، فيعودون بعد ذلك بأي طريق كان، وكان ذلك هو الرأي فلم يمتثل مراد بك وقال: هذا عين الجبن. وأخذ في أسباب الخروج والمحاربة، ولم يحصل من ذلك إلا ضياع المال والفشل والانهزام الذي لا حقيقة له وكان الكاين.

ولما اصطلحا تفرقت طوايفهما يعبثون في الجهات ويخطفون ما يجدونه في طريقهم من جمال السقايين وحمير الفلاحين وبعضهم جلس في مرمى النشاب، وبعضهم جهة بولاق ونهبوا نحو عشرين مركبًا كانت راسية عند الشيخ عثمان، وأخذوا ما كان فيها من الغلال والسمن والأغنام والتمر والعسل والزيت.

وفي يوم الأحد حادي عشره زاد تنطيطهم وهجومهم على البلد من كل ناحية ويدخلون أحزابًا ومتفرقين، ودخل قايد أغا وأتى إلى بيته الذي كان سكن فيه وسكنه بعده حسن أغا المتولي وهو بيت قصبة رضوان فوجد بابه مغلوقًا فأراد كسره بالبلط فأعياه وخاف من طارق، فذهب إلى باب آخر من ناحية القربية فضرب عليه الحراس بنادق فرجع بقهره يخطف كل ما صادفه، ولم يزالوا على هذه الفعال إلى بعد الظهر من ذلك اليوم.

واشتد الكرب وضاق خناق الناس وتعطلت أسبابهم ووقع الصياح في أطراف الحارات من الحرامية والسراق والمناسر نهارًا، والأغا والوالي والمحتسب مقيمون بالقلعة لا يجسرون على النزول منها إلى المدينة، وتوقع كل الناس نهب البلد من أوباشها.

وكل ذلك والمآكل موجودة والغلال معرمة كثيرة بالرقع ورخصت أسعارها، والأخباز كثيرة وكذلك أنواع الكعك والفطير.

وأشيع وصول مراكب القبطان إلى شلقان ففرح الناس وطلعوا المنارات والأسطحة العالية ينظرون إلى البحر فلم يروا شيئًا.

فاشتد الانتظار وزاغت الأبصار فلما كان بعد العصر سمع صوت مدافع على بعد ومدافع ضربت من القلعة، ففرحوا واستبشروا وحصل بعض الاطمئنان، وصعدوا أيضًا على المنارات فرأوا عدة مراكب ونقاير وصلت إلى قرب ساحل بولاق ففرح الناس وحصل فيهم ضجيج، وكان مراد بك وجماعة من صناجقه وأمراه قد ذهبوا إلى بولاق وشرعوا في عمل متاريس جهة السبتية وأحضروا جملة مدافع على عجل، وجمعوا الأخشاب وحطب الذرة وأفرادًا وغيرها فوردت مراكب الأروام قبل إتمامهم ذلك، فتركوا العمل وركبوا في الوقت ورجعوا، وضجت الناس وصرخت الصبيان وزغرتت النسا، وكسروا عجل المدافع.

وفي هذا اليوم أرسل الأمرا مكاتبة إلى المشايخ والوجاقات يتوسلون بهم في الصلح، وأنهم يتوبون ويعودون إلى الطاعة، فقريت تلك المكاتبات بحضرة الباشا فقال الباشا: يا سبحان الله كم يتوبون ويعودون، ولكن اكتبوا لهم جوابًا معلقًا على حضور قبطان فكتبوه وأرسلوه.

وفي وقت العشا من ليلة الاثنين وصل حسن باشا القبطان إلى ساحل بولاق وضربوا مدافع لقدومه، واستبشر الناس وفرحوا وظنوا أنه مهدي الزمان فبات في مراكبه إلى الصباح يوم الاثنين ثاني عشر شوال وطلع بعض أتباعه إلى القلعة وقابلوا الباشا، ثم إن حسن باشا ركب من بولاق وحضر إلى مصر من ناحية باب الخرق، ودخل إلى بيت

إبراهيم بك وجلس فيه وصحبته أتباعه وعسكره وخلفه الشيخ الآترم المغربي ومعه طايفة من المغاربة، فدخل بهم إلى بيت يحيى بك، وراق الحال وفتحت أبواب القلعة واطمأن الناس ونزل مَن بالقلعة إلى دورهم، وشاع الخبر بذهاب الأمرا المصرية إلى جهة قبلي من خلف الجبل فسافر خلفهم عدة مراكب وفيها طايفة من العسكر واستولوا على مراكب من مراكبهم، وأرسلوها إلى ساحلي بولاق وأنفذ حسن باشا رسلًا إلى إسماعيل بك وحسن بك الجداوي يطلبهما للحضور إلى مصر.

وفيه خرجت جماعة من العسكر ففتحوا عدة بيوت من بيوت الأمرا ونهبوها وتبعهم في ذلك الجعيدية وغيرهم، فلما بلغ القبطان ذلك أرسل إلى الوالي والأغا وأمرهم بمنع ذلك وقتل من يفعله ولو من أتباعه.

ثم ركب بنفسه وطاف البلد وقتل نحو ستة أشخاص من العسكر وغيرهم وجد معهم منهوبات فانكفُّوا عن النهب.

ثم نزل على باب زويلة وشق من الغورية ودخل من عطفة الخراطين على باب الأزهر، وذهب إلى المشهد الحسيني فزاره ونظر إلى الكسوة، ثم ركب وذهب إلى بيت الشيخ البكري بالأزبكية فجلس عنده ساعة، وأمر بتسمير بيت إبراهيم بك الذي بالأزبكية وبيت أيوب بك الكبير وبيت مراد بك، ثم ذهب إلى بولاق ورجع بعد الغروب إلى المنزل وحضر عنده محمد باشا مخففًا واختلى معه ساعة.

وفي يوم الثلاثا ذهب إليه مشايخ الأزهر وسلموا عليه وكذلك التجار وشكوا إليه ظلم الأمرا؛ فوعدهم بخير واعتذر إليهم باشتغاله بمهمات الحج وضيق الوقت وتعطل أسبابه.

وفيه عمل الباشا الديوان وقلد حسن أغا مستحفظان صنجقية، وخلع على علي بك جركس الإسماعيلي صنجقية كما كان في أيام سيده إسماعيل بك، وخلع على غيطاس كاشف تابع صالح بك صنجقية وخلع على قاسم كاشف تابع أبي سيف صنجقية أيضًا، وخلع على مراد كاشف تابع حسن بك الأزبكاوي صنجقية، وخلع على محمد كاشف تابع حسين بك كشكش صنجقية، وقلد محمد أغا أرنؤد الوالي أغات الجمليان، وقلد موسى أغا مستحفظان وخلع على عثمان أغا الجلفي وقلده الزعامة عوضًا عن محمد أغا، ولما تكامل لبسهم التفت إليهم الباشا ونصحهم وحذرهم، وقال للوجاقلية: الزموا طرايقكم وقوانينكم القديمة ولا تدخلوا بيوت الأمرا الصناجق إلا لمقتض، واكتبوا قوايمكم بتعلقاتكم وعوايدكم أمضيها لكم.

ثم قاموا وانصرفوا إلى بيوتهم، ونزل الأغا وأمامه المناداة بالتركي والعربي بالأمان على أتباع الأمرا المتوارين والمخفيين، وكل ذلك تدبير وترتيب الاختيارية، وقلدوا من كل بيت أميرًا لئلا يتعصبوا لأنفسهم ولا تتحد أغراضهم.

وفيه أرسل حسن باشا إلى نواب القضا، وأمرهم أن يذهبوا إلى بيوت الأمرا ويكتبوا ما يجدونه من متروكاتهم ويودعونه في مكان من البيت ويختمون عليه ففعلوا ذلك.

وفي تلك الليلة وردت خمس مراكب رومية (إلى بولاق) وضربوا مدافع وأجيبوا بمثلها من القلعة.

وفي يوم الأربعا ركب حسن باشا وذهب إلى بولاق وهو بزي الدلاة، وعلى رأسه هيئة قلبق من جلد السمور ولابس عباءة بطراز ذهب، وكان قبل ذلك يركب بهيئته المعتادة وهي هيئة القباطين وهي فوقانية جوخ صاية بدلاية حرير على صدره وعلى رأسه طربوش كبير يعمم بشال أحمر وفي وسطه سكينة كبيرة وبيده مخنصره لطيفة هيئة حربة بطرفها مشعب حديد على رسم الجلالة.

وفيه نادى الأغا على كل من كان سراجًا بطالًا أو فلاحًا أو قواسًا بطالًا يسافر إلى بلده ومن وجد بعد ثلاثة أيام يستحق العقوبة.

وفيه أيضًا نودي على طايفة النصارى بأن لا يركبوا الدواب ولا يستخدموا المسلمين ولا يشتروا الجواري والعبيد ومن كان عنده شي من ذلك باعه أو أعتقه، وأن يلزموا زيهم الأصلي من الزنار والزنوط.

وفيه أرسل حسن باشا إلى القاضي وأمر بالكشف عن جميع ما أوقفه المعلم إبراهيم الجوهري على الديور والكنايس من أطيان ورزق وأملاك، والمقصود من ذلك كله استجلاب الدراهم والمصالح.

وفي يوم الخميس نودي على طايفة النصارى بالأمان وعدم التعرض لهم بالإيذاء، وسببه تسلط العامة والصغار عليهم.

وفيه كثر تعدي العساكر على أهل الحرف كالقهوجية والحمامية والمزينين والخياطين وغيرهم، فيأتي أحدهم إلى الحمَّامي أو القهوجي أو الخياط ويقلع سلاحه ويعلقه ويرسم ركنه في ورقة أو على باب دكان وكأنه صيره شريكه وفي حمايته ويذهب حيث شاء أو يجلس متى شاء ثم يحاسبه ويقاسمه في المكسب، وهذه عادتهم إذا ملكوا بلدة ذهب كل ذي حرفة إلى حرفته التي كان يحترفها في بلده ويشارك البلدي فيها، فثقل على أهل البلدة هذه الفعلة لتكلفهم ما لا ألفوه ولا عرفوه.

وفيه أجلسوا على أبواب المدينة رجلًا أوده باشا ومعه طايفة من العسكر نحو الثلاثين أو العشرين.

وفيه — أعني يوم الخميس الموافق لسادس مسرى القبطي — نودي بوفاء النيل، فأرسل حسن باشا في صبح يوم الجمعة كتخداه والوالي فكسر السد على حين غفلة وجرى الماء في الخليج، ولم يعمل له موسم ولا مهرجان مثل العادة بسبب القلقة وعدم انتظام الأحوال والخوف من هجوم الأمرا المصرية فإنهم لم يزالوا مقيمين جهة حلوان.

وفيه نودي بتوقير الأشراف واحترامهم ورفع شكواهم إلى نقيب الأشراف وكذلك المنسوبون إلى الأبواب ترفع إلى وجاقه، وإن كان من أولاد البلد فإلى الشرع الشريف.

وفيه مرت جماعة من العسكر على سوق الغورية فخطفوا من الدكاكين أمتعة وأقمشة، فهاجت أهل الدكاكين والناس المارون وأغلقوا الحوانيت وثارت كرشة إلى باب زويلة، وصادف مرور الوالي فقبض على ثلاثة أنفار منهم واستخلص ما بأيديهم وهرب الباقون، وكان الوالي والأغا كل منهما صحبته ضابطان من جنس العسكر.

وفيه نودي بمنع القواسة وأسافل الناس من لبس الشيلان الكشميري والتختم أيضًا.

وفيه وصلت مراكب القباطين الواردين من جهة دمياط إلى ساحل بولاق، وفيهم إسماعيل كتخدا حسن باشا فضربت لهم مدافع من القلعة.

وفيه قبضوا على ثلاثة من العسكر أفسدوا بالنساء بناحية الرميلة فرفعوا أمرهم وأمر الخطافين إلى القبطان، فأمر بقتلهم فضربوا أعناق ثلاثة منهم بالرميلة وثلاثة في جهات متفرقة.

وفيه نودي بإبطال شركة العسكر لأهل الحرف ومن أتاه عسكري يشاركه، أو أخذ شيًّا بغير حق فليمسك ويضرب وتوثق أكتافه ويؤتى به إلى الحاكم، وحضر الوالي وصحبته الجاويش وقبض على من وجده منهم بالحمامات والقهاوي وطردهم وزجرهم، وذلك بسبب تشكي الناس، فلما حصل ذلك اطمأنوا وارتاحوا منهم.

وفيه عدى الأمرا إلى البر الغربي.

وفي يوم السبت خلعوا علي محمد بك تابع الجرف وجعلوه كاشفًا على البحيرة.

وفيه جاء الخبر عن الأمرا أن جماعة من العرب نحو الألف اتفقوا أنهم يكبسون عليهم ليلًا ويقتلونهم وينهبونهم، فذهب رجل من العرب وأخبرهم بذلك الاتفاق، فأخلوا من خيامهم وركبوا خيولهم وكمنوا بمرأى من وطاقهم، فلما جات العربان وجدوا الخيام

خالية، فاشتغلوا بالنهب فكبس عليهم الأمرا من كمينهم، فلم ينج من العرب إلا من طال عمره.

وفيه نودي على طايفه النسا أن لا يجلسن على حوانيت الصياغ ولا في الأسواق إلا بقدر الحاجة.

وفي يوم الأحد عملوا الديوان وقلدوا مراد بك أمير الحاج وسماه حسن باشا محمدًا كراهة في اسم مراد بك، فصار يكتب في الإمضاء محمد بك حسن، وكان هذا اليوم هو ثاني يوم ميعاد خروج المحمل من مصر، فإن معتاده في هذه العصور سابع عشر شوال.

في يوم الثلاثا كتبت فرمانات لشيخ العرب أحمد بن حبيب بغفر البرين والموارد من بولاق إلى حد دمياط ورشيد على عادة أسلافه، وكل ذلك مرفوعًا عنهم من أيام علي بك، ونودي له بذلك على ساحل بولاق.

وفيه أخرجت خبايا وودايع للأمرا من بيوتهم الصغار ولأتباعهم، وختم أيضًا على أماكن وتركت على ما فيها ووقع التفتيش والفحص على غيرها، وطلبوا الغفرا فجمعوهم وحبسوهم ليدلوا على الأماكن التي في العطف والحارات، وطلبت زوجة إبراهيم بك وحبست في بيت كتخدا الجاويشية هي وضرتها أم مرزوق بك حتى صالحوا بجملة من المال والمصاغ خلاف ما أخذ من المستودعات عند الناس، وطولبت زليخا زوجة إبراهيم بك بالتاج الجوهر وغيره وطلبت زوجة مراد بك فاختفت، وطلب من السيد البكري ودايع مراد بك فسلمها.

وفي يوم الخميس عمل الباشا ديوانًا وخلع على علي أغا كتخدا الجاويشة وقلده صنجقًا ودفتردارًا وشيخ البلد ومشير الدولة فصار صاحب الحل والعقد، وإليه المرجع في جميع الأمور الكلية والجزئية، وقلد محمد أغا الترجمان وجعله كتخدا الجاويشية عوضًا عن المذكور، وخلع على سليمان بك الشابوري وقلده صنجقًا كما كان أيضًا في الدهور السابقة وخلع على محمد كتخدا بن أباظة المحتسب وجعله ترجمانًا عوضًا عن محمد أغا الترجمان، وخلع على أحمد أغا بن ميلاد وجعله محتسبًا عوضًا عن ابن أباظة.

وفي يوم الجمعة ركب المشايخ إلى حسن باشا وتشفعوا عنده في زوجة إبراهيم بك وذلك بإشارة علي بك الدفتردار، فأجابهم بقوله: تدفع ما على زوجها للسلطان وتخلص. فقالوا له: النسا ضعاف وينبغي الرفق بهن. فقال: إن أزواجهن لهم مدة سنين ينهبون البلاد ويأكلون أموال السلطان والرعية، وقد خرجوا من مصر على خيولهم وتركوا الأموال عند النسا، فإن دفعن ما على أزواجهن تركت سبيلهن وإلا أذقناهن العذاب. وانفض المجلس وقاموا وذهبوا.

وفيه ورد الخبر عن الأمرا أنهم ذهبوا إلى أسيوط وأقاموا بها.

وفي يوم السبت حصل التشديد والتفتيش والفحص عن الودايع، ونودي في الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة أو شي من متاع الأمرا الخارجين ولا يظهره ولا يقر عليه في مدة ثلاثة أيام قتل من غير معاودة إن ظهر بعد ذلك.

وفيه طلب حسن باشا من التجار المسلمين والإفرنج والأقباط دراهم سلفة؛ لتشهيل لوازم الحج وكتب لهم وثايق وأجلهم ثلاثين يومًا ففردوها على أفرادهم بحسب حال كل تاجر وجمعوها.

وفيه حصلت كاينة علي بن عياد المغربي ببولاق وقتله إسماعيل كتخدا حسن باشا.

وفيه نادوا على النساء بالمنع من النزول في مراكب الخليج والأزبكية وبركة الرطلي.

وفيه كتبوا مكاتبات من حسن باشا ومحمد باشا الوالي والمشايخ والوجاقات خطابًا لإسماعيل بك وحسن بك الجداوي باستعجالهم للحضور إلى مصر.

وفي يوم الأحد خامس عشرينه نودي على النساء أن لا يخرجن إلى الأسواق، ومن خرجت بعد اليوم شنقت فلم ينتهين.

وفيه أحضر حسن باشا المطربازية واليسرجية وأخرج جواري إبراهيم بك وباقي الأمرا بيضًا وسودًا وحبوشا ونودي عليهن بالبيع والمزاد في حوش البيت، فبيعوا بأبخس الأثمان على العثمانية وعسكرهم، وفي ذلك عبرة لمن يعتبر.

وفي يوم الاثنين أحضروا أيضًا عدة جوار من بيوت الأمرا ومن مستودعات كانوا مودعين فيها، وأخذوا جواري عثمان بك الشرقاوي من بيته ومحظيته التي في بيته التي عند حيضان المصلى فأخرجوها بيد الغليونجية، وكذلك جواري أيوب بك الصغير، وما في بيوت سليمان أغا الحنفي من جوار وأمتعة، وكذلك بيوت غيره من الأمرا وأحاطوا بعدة بيوت بدرب الميضاة بالصليبة وطيلون ودرب الحمام وحارة المغاربة وغيرهم في عدة أخطاط فيها ودايع وأغلال، فأخذوا بعضها وختموا على باقيها، وأحضروا الجواري بين يدي حسن باشا فأمر ببيعهن، وكذلك أمر ببيع أولاد إبراهيم بك مرزوق وعديله والتشديد على زوجاته، ثم إن شيخ السادات ركب إلى الشيخ أحمد الدردير وأرسلوا إلى الشيخ أحمد العروسي والشيخ محمد الحريري فحضروا وتشاوروا في هذا الأمر، ثم ركبوا وطلعوا إلى القلعة وكلموا محمد باشا وطلبوا منه أن يتكلم مع قبطان باشا، فقال لهم: ليس له قدرة على منعه، ولكن اذهبوا إليه واشفعوا عنده، فالتمسوا منه المساعدة. فأجابهم، وقال: اسبقوني وأنا أكون في أثركم فلما دخلوا على القبطان وحضر أيضًا

محمد باشا وخاطبوه في شأن ذلك، وكان المخاطب له شيخ السادات، فقال له: إنا سررنا بقدومك إلى مصر لما ظنناه فيك من الإنصاف والعدل وإن مولانا السلطان أرسلك إلى مصر لإقامة الشريعة ومنع الظلم، وهذا الفعل لا يجوز ولا يحل بيع الأحرار وأمهات الأولاد ونحو ذلك من الكلام، فاغتاظ وأحضر أفندي ديوانه وقال: اكتب أَسْمَا هولا حتى أرسل إلى السلطان وأخبره بمعارضتهم لأوامره، ثم التفت إليهم وقال: أنا أسافر من عندكم والسلطان يرسل لكم خلافي فتنظروا فعله، أما كفاكم أني في كل يوم أقتل من عساكري طايفة على أيسر شي مراعاة وشفقة، ولو كان غيري لنظرتم فعل العسكر في البيوت والأسواق والنسا، فقالوا له: إنما نحن شافعون والواجب علينا قول الحق، وقاموا من عنده وخرجوا وتغير خاطره من ذلك الوقت على شيخ السادات.

وفيه قبض إسماعيل كتخدا حسن باشا على الحاج سليمان بن ساسي التاجر (المغربي) وجماعة من طيلون وألزمه بخمسماية كيس، فولول واعتذر بعجزه عن ذلك، فلم يقبل ولطمه على وجهه وشدد عليه فراجعوه وتشفعوا فيه إلى أن قررها ماية كيس، فحلف أنه لا يملك إلا ثلثماية فرق بن وليس له غيرها، فأرسل وختم عليها في حواصلها، واستمر في الاعتقال حتى غلق الماية كيس على نفسه منها خمسون ومثلها على الطولونية، وسبب ذلك حادثة ابن عياد؛ لأنهم أولاد بلاده، ولما قتله ببولاق ورجع وهو في حدته فدخل إلى خان الشرايبى فوجد الحاج سليمان المذكور جالسًا بالخان مع التجار، فقال له: بلغ منكم يا جربية حتى تقتلوا عسكر السلطان، إن ابن عياد قتل من طايفتي شخصين وديتهما تلزمكم وهي خمسماية كيس تحضرونها في غد وإلا قتلتكم عن آخركم، فلما أصبح فعل معهم ما ذكر وهذا محض ظلم وبغي.

وفي يوم الثلاثا سابع عشرينه كان خروج المحمل صحبة أمير الحاج محمد بك المبدول بالموكب على العادة ما عدا طايفة الينكجرية والعزب خوفًا من اختلاط العثمانية بهم، وحضر حسن باشا القبطان إلى مدرسة الغورية لأجل الفرجة والمشاهدة، ولم يزل جالسًا حتى مر الموكب والمحمل.

ولما مرت عليه طوايف الأشاير فكانت تقف الطايفة منهم تحت الشباك ويقرون الفاتحة فيرسل لهم ألف نصف فضة في قرطاس، ولما انقضى أمر ذلك ركب بجماعة قليلة وازدحمت الناس للفرجة عليه وكان لابسًا على هيئة ملوك العجم وعلى راسه تاج من دهب مزرد مخروط الشكل وعليه عصابة لطيفة من حرير مرصعة بالجوهر ولها ذوايب على آذانه وحواجبه وعليه عباءة لطخ قصب أصفر.

وفي يوم الأربعا نودي على النصارى واليهود بأن يغيروا أسماهم التي على أسما الأنبيا كإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف وإسحق، وأن يحضروا جميع ما عندهم من الجواري والعبيد، وإن لم يفعلوا وقع التفتيش على ذلك في دورهم وأماكنهم، فصالحوا على ذلك بمال فحصل العفو وأذنوا لهم في أن يبيعوا ما عندهم من الجواري والعبيد ويقبضوا أثمانهم لأنفسهم ولا يستخدموا المسلمين، فأخرجوا ما عندهم وباعوا بعضه وأودعوه عند معارفهم من المسلمين.

وفيه حضر مبشر بتقرير الباشا على السنة الجديدة.

وفيه حضر القاضي الجديد إلى بولاق.

وفي يوم الخميس أرسل حسن باشا القبطان جملة من العسكر البحرية وصحبتهم إسماعيل كتخدا إلى عرب البحيرة؛ لكونهم خامروا مع المصرلية ووقع الخلف بينهم وبين قبيلتهم، ثم حضروا مع أخصامهم بين يدي القبطان واصطلحوا، ثم نكثوا وتحاربوا مع بعضهم فحضر الفرقة الأولى واستنجدوا بحسن باشا فأرسل لهم إسماعيل كتخدا بطايفة من العسكر في المراكب فهربوا، ورجع إسماعيل كتخدا ومن معه على الفور.

وفي يوم الجمعة غاية شوال وصلت العساكر البرية صحبة عابدي باشا ودرويش باشا إلى بركة الحج وكان أمير الحاج مقيمًا بالحجاج بالعادلية، ولم يذهبوا إلى البركة على العادة بسبب قدوم هولا.

وفي يوم السبت غرة القعدة ارتحل الحجاج من العادلية وحضر عابدي باشا ودرويش باشا إلى العادلية، وخرج حسن باشا إلى ملاقاتهم، ودخلت طوائف عساكرهما إلى المدينة وهم بهيئات مختلفة وأشكال منكرة وراكبون خيولًا وأكاديش كأمثال دواب الطواحين، وعلى ظهورها لبابيد شبه البراذع متصلة بكفل الإكديش وبعضهم بطراطير سود طوال شبه الدلاة، والبعض معمم ببوشية ملونة مفشولة على طربوش واسع كبير مخيط عليه قطعة قماش لابسها في دماغه والطربوش مقلوب على قفاه مثل خزمة البراطيش، وهم لابسون زنوط وبشوت محزمين عليها وصورهم بشعة وعقايدهم مختلفة، وأشكالهم شتى وأجناسهم متفرقة ما بين أكراد ولاوند ودروز وشوام.

ولكن لم يحصل منهم إيذا لأحد وإذا اشتروا شيًّا أخذوه بالمصلحة فباتوا بالخيام عند سبيل قيماز تلك الليلة.

وفي يوم الأحد ركب عابدي باشا ودرويش باشا وذهبوا إلى البساتين من خارج البلد، فمروا بالصحرا وباب الوزير وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والأرز والسمن وغيره.

وفيه نودي على النصارى بإحضار ما عندهم من الجواري والعبيد ساعة تاريخه، ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى واستخرجوا ما فيها فكان شيًّا كثيرًا وأحضروهم إلى القبطان فأخرجوهم إلى المزاد وباعوهم واشترى غالبهم العسكر، وصاروا يبيعونهم على الناس بالمرابحة فإذا أراد إنسان أن يشتري جارية ذهب إلى بيت الباشا وطلب مطلوبه فيعرض عليه الجواري من مكان عند باب الحريم، فإذا أعجبته جارية أو أكثر حضر صاحبها الذي اشتراها فيخبره برأس ماله ويقول له: وأنا آخذ مكسبي كذا فلا يزيد ولا ينقص، فإن أعجبه الثمن دفعه وإلا تركها وذهب، ثم وقع التشديد على ذلك وأحضروا الدلالين والنخاسين القدم والجدد واستدلوا منهم على المبيوعات.

وفيه جمع القبطان المهندسين ليستخير منهم عن الخبايا والدفاين التي صنعوها في البيوت وغيرها.

وفي يوم الاثنين أمر القبطان الأمرا والصناجق والوجاقلية أن يذهبوا للسلام على عابدي باشا ودرويش باشا، فذهب الصناجق أولًا بساير أتباعهم وطوايفهم وتلاهم الوجاقلية فسلموا ورجعوا من البساتين وكلاهما في جمع كثير.

وفي يوم الثلاثا رابعه حضر عابدي باشا عند القبطان وسلم عليه ثم طلع إلى القلعة وسلم على محمد باشا المتولي ثم نزل، وخرج إلى مخيمه بالبساتين.

وفيه قرر على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة الأمرا المصرية مبلغ دراهم مجموع متفرقها خمسة وسبعون ألف ريال.

وفيه أمر أيضًا بإحصاء بيوت جميع النصارى ودورهم وما هو في ملكهم وأن يكتب جميع ذلك في قوايم ويقرر عليها أجرة مثلها في العام، وأن يكشف في السجل على ما هو جار في أملاكهم.

ثم قرر عليهم أيضًا خمسماية كيس وزعوها على أفرادهم فحصل لفقرايهم الضرر الزايد، وقيل: إنهم حسبوا لهم الجواري المأخوذة منهم من أصل ذلك على كل رأس أربعون ريالًا.

وقرر أيضًا على كل شخص دينارًا جزية، العال كالدون، وذلك خارج عن الجزية الديوانية المقررة.

وفي يوم الخميس عمل محمد باشا ديوانًا، وخلع على مصطفى أغا تابع حسن أغا تابع عثمان أغا وكيل دار السعادة سابقًا وقلده وكيل دار السعادة كأستاذ أستاذه، وكانت شاغرة من أيام علي بك.

وفيه أيضًا سمحوا في جمرك البهار والسلخانة لباب الينكجرية كما كان قديمًا، وكان ذلك مرفوعًا عنهم من أيام علي بك.

وفيه انتقل عابدي باشا ودرويش باشا من ناحية البساتين إلى قصر العيني بشاطي النيل وجلسوا هناك.

وفيه دفع قبطان باشا بعض دراهم السلفة التي كان اقترضها من التجار، فدفع ما للإفرنج وجانبًا لتجار المغاربة ووعدهم بغلاق الباقي.

وفيه قبض القبطان على راهب من رهبان النصارى واستخلص منه صندوقًا من ودايع النصارى.

وفيه أيضًا قبض على شخص من الأجناد من بيته بخشقدم، وأخرجوا من داره زلعتين مسدودتين كل واحدة منهما يرفعها ثمانية من الرجال العتالين بالآلة لا يعلم ما فيها.

وفي يوم الجمعة عمل شيخ السادات عزومة لحسن باشا عند تربة أجداده بالقرافة.

وفيه حضر قاصد من طرف إسماعيل بك وعلى يده مكاتبات من المذكور يخبر فيها بأنه وصل إلى دجرجا، وقصده الإقامة هناك لأجل المحافظة في تلك الجهة حتى تسافر العسكر، فإذا التقوا مع الأمرا وكسروهم وهزموهم يكون هو ومن معه في أقفيتهم وقت الحرب ومانعًا عند الهزيمة.

وفي يوم السبت قبض القبطان على المعلم واصف وحبسه وضربه وطالبه بالأموال، وواصف هذا أحد الكتاب المباشرين المشهورين ويعرف الإيراد والمصاريف وعنده نسخ من دفاتر الروزنامة، ويحفظ الكليات والجزئيات ولا يخفى عن ذهنه شي من ذلك ويعرف التركي.

وفي يوم الأحد تاسعه قبض على بعض نسا المعلم إبراهيم الجوهري من بيت حسن أغا كتخدا علي بك أمين احتساب سابقًا، فأقرب على خبايا أخرجوا منها أمتعة وأواني ذهب وفضة وسروجًا وغير ذلك.

وفي يوم الاثنين حصلت جمعية بالمحكمة بسبب جمرك البهار، وذلك أن إبراهيم بك شيخ البلد أخذ من التجار في العام الماضي مبلغًا كبيرًا من حساب الباشا، وذلك قبل حضوره من ثغر إسكندرية، فلما حضر دفعوا له البواقي وحاسبهم وطالبهم بذلك المبلغ، فمطالوا ووعدوه إلى حضور المراكب، فلما حضرت المراكب في أوايل شهر رمضان من هذه السنة أحضرهم وطالبهم، فلم يزالوا يسوفونه ويعتذرون له؛ وذلك خوفًا من إبراهيم

بك ويعيدون القول على إبراهيم بك فيقول لهم: لا تفضحوني. ويلاطفهم ويداهنهم كما هي عادته، والباشا يطالبهم.

فلما ضاق خناقهم أخبروه أن إبراهيم بك يطلب ذلك، ويقول: أنا محتاج لذلك في هذا الوقت ووالدي الباشا يمهل، وأنا أحاسبه به بعد ذلك، ولم يخبروه أنه أخذه فلم يرض ولم يقبل، وصار يرسل إلى إبراهيم بك يشكو له من التجار ومطلهم، فيرسل إبراهيم بك مع رسوله معينين من سراجينه يقولون للتجار: ادفعوا مطلوبات الباشا. فإذا حضر إليه التجار تملق لهم ويقول: اشتروا لحيتي واشتروني. فلم يزل التجار في حيرة بينهما، وقصد إبراهيم بك أن التجار يدفعون ذلك القدر ثانيًا إلى الباشا وهم يثاقلونه خوفًا من أن يقهرهم في الدفع.

ثم حصلت الحركات المذكورة وحضور القبطان وخروج إبراهيم بك وإخوانه فبقي الأمر على السكوت.

فلما راق الحال واطمأن الباشا أرسل يطالب التجار بالمبلغ، وهو: أربعة وأربعون ألف ريال فرانسه، فعند ذلك أفصحوا له عن حقيقة الأمر، وأنهم دفعوا ذلك لإبراهيم بك قبل حضوره إلى مصر، فاشتد غيظه وقال: ومن أمركم بذلك ولا يلزمني ولا بد من أخذ عوايدي على الكامل.

ثم إنهم ذهبوا إلى حسن باشا واستجاروا به فأمرهم أن يترافعوا إلى الشرع، فاجتمعوا يوم الأحد في المحكمة، وأقام الباشا من جهته وكيلًا وأرسله صحبة أنفار من الوجاقلية، واجتمعت التجار حتى ملوا المحكمة، وطلبوا حضور العلما فلم يحضروا، وانفض المجلس بغير تمام.

ثم حضر التجار في ثاني يوم وحضر العلما، ولم يحضر وكيل الباشا ثم أبرز التجار رجعة بختم إبراهيم بك وتسلمه المبلغ مورخة في ثاني عشر شعبان أيام قايمقاميته ووكالته عن الباشا، وأبرزوا فتاوى أيضًا، وسيل العلما فأجابوهم بقولهم: حيث إن الباشا أرسل فرمانًا لإبراهيم بك أن يكون قايمًا مقامه ووكيلًا عنه إلى حين حضوره فيكون فعل الوكيل كالأصيل، وتخلص ذمة التجار وليس للباشا مطالبتهم ومطالبته على إبراهيم بك، على أن ذلك ليس حقًّا شرعيًّا، وكتب القاضي إعلامًا بذلك وأرسله إلى الباشا وانفض المجلس على دماغ الباشا.

وفي يوم الخميس تعين للسفر عدة من العساكر البحرية في المراكب ولحقت بالمراكب السابقة.

وفي يوم الجمعة حضر أحمد باشا والي جدة الذي كان مقيمًا بثغر الإسكندرية إلى ثغر بولاق، فذهب لملاقاته علي بك الدفتردار وكتخدا الجاويشية وأرباب الخدم، فركب صحبتهم وتوجه إلى ناحية العادلية وجلس هناك بالقصر.

وفي يوم السبت حضر حسن باشا وعابدي باشا ودرويش باشا إلى بيت الشيخ البكري بالأزبكية باستدعا وجلسوا هناك إلى العصر، وقدم لهم تقادم وهدايا وحضروا إليه في مراكب من الخليج.

وفي يوم الأحد أحضروا عند حسن باشا رجلًا من الأجناد يسمى رشوان كاشف من مماليك محمد بك أبي الدهب، فأمر برمي عنقه ففعلوا به ذلك وعلقوا رأسه قبالة باب البيت.

قيل إن سبب ذلك أنه كان بجرجا أيام الحركة فلما خرج رفقاه حضر إلى مصر وطلب الأمان فأمنوه، ولم يزل بمصر إلى هذا الوقت، فحدثته نفسه بالهروب إلى قبلي، فركب جواده وخرج فقبض عليه المحافظون وأحضروه إلى حسن باشا فأمر برمي عنقه، وقيل: إن السبب غير ذلك.

وفيه وصلت مراسلة من كبير العساكر البحرية وأخبروا أنهم وقع بينهم وبين الأمرا القبالي لطمة ورموا على بعضهم مدافع وقنابر من المراكب، فانتقل المصريون من مكانهم وترفعوا جهة الجبانة، وصار البلد حايلًا بين الفريقين وساحل أسيوط طرد لا يحمل المراكب، ومن الناحية الأخرى جزيرة تعوقهم عن التقرب إليهم، وصوروا صورة ذلك وهيئته في كاغد لأجل المشاهدة وأرسلوها مع رسول.

وفيه عمل الديوان بالقلعة وتقلد قاسم بك أبو سيف ولاية جرجا وساري عسكر التجريدة المعينة صحبة عابدي باشا ودرويش باشا، ومعهم من الصناجق أيضًا علي بك جركس الإسماعيلي وغيطاس بك المصالحي ومحمد بك كشكش، ومن الوجاقلية خمسماية نفر، وأخذوا في التجهيز والسفر.

وفي يوم الاثنين سابع عشره حضر إلى ساحل بولاق أغا من الديار الرومية وهو أمير أخور على يده مثالات وخلع، وهو جواب عن الرسالة بالأخبار الحاصلة، وخروج الأمرا فركب أغات مستحفظان ومن له عادة بالركوب لملاقاته وطلع حسن باشا وعابدي باشا وأحمد باشا الجداوي ودرويش باشا والأمرا والصناجق والوجاقات والقاضي والمشايخ، واجتمعوا بالقلعة وحضر الأغا من بولاق بالموكب والنوبة خلفه وبقية الأغوات وهم يحملون بقجًا على أيديهم، والمكاتبات في أكياس حرير على صدورهم، ولما دخلوا باب

الديوان قام الباشوات والأمرا على أقدامهم وتلقوهم ثم بدوا بقراءة المرسوم المخاطب به حسن باشا فقروه، ومضمونه التبجيل والتعظيم لحسن باشا وحسن الثناء عليه بما فعله من حسن السياسة والوصية على الرعية وصرف العلايف والغلال.

وفيه ذكر إسماعيل بك وحسن بك والتحريض والتأكيد على القتل والانتقام من العصاة، ولما فرغوا من قراءة ذلك أخرجوا الخلعة المخصوصة به فلبسها، وهي: فروة سمور وقفطان أصفر مقصب مفرق الأكمام فلبسه من فوق وسيف مجوهر تقلد به.

ثم قروا المرسوم الثاني وهو خطاب لمحمد باشا يكن المتولي ومعه الخطاب للقاضي والعلما والأمرا والوجاقلية، والثناء على الجميع والنسق المتقدم في المرسوم السابق، ثم لبس الخلعة المخصوصة به وهي فروة وقفطان.

ثم قروا المرسوم الثالث وهو خطاب لأحمد باشا والي جده بمثل ذلك، ولبس خلعته أيضًا وهي فروة وقفطان.

ثم قري المرسوم الرابع وفيه الخطاب لعابدي باشا ومضمونه ما تقدم ولبس أيضًا خلعته وفروته.

ثم قري المرسوم الخامس ومضمونه الخطاب لدرويش باشا وذكر ما تقدم، ولبس خلعته وهي فروة على بنش؛ لأنه بطوخين.

ثم مرسوم بالخطاب لعلي بك الدفتردار ومضمونه الثناء عليه من عدم التأخر عن الإجابة والنسق.

ثم فرمان ثان وهو خطاب لأمير الحاج والوصية بتعلقات الحج.

فما فرغوا من ذلك إلا بعد الظهر، ثم ضربوا مدافع كثيرة ودخلوا إلى داخل وجلسوا مع بعضهم ساعة، ثم ركبوا ونزلوا إلى أماكنهم، وكان ديوانًا عظيمًا وجمعية كبيرة لم تعهد قبل ذلك، ولم يتفق أنه اجتمع في ديوان خمسة باشوات في آن واحد.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره عمل الباشا ديوانًا وخلع على باكير أغا مستحفظان وقلده صنجقًا، وخلع على عثمان أغا الوالي وقلده أغات مستحفظان عوضًا عن باكير أغا.

وفي يوم الخميس خلع الباشا على إسماعيل كاشف من أتباع كشكش وقلده واليًا عوضًا عن عثمان أغا المذكور، وأقر أحمد أفندي الصفائي في وظيفته روزنامجي أفندي على عادته، وكانوا عزموا على عزله وأرادوا نصب غيره فلم يتهيأ ذلك.

وفيه وصل إبراهيم كاشف من طرف إسماعيل بك وحسن بك وأخبر بقدومهما وأنهما وصلا إلى شرق أولاد يحيى، وأرسلا يستأذنان في المقام هناك بالجمعية حتى

تصل العساكر المعينة فيكونون معهم فلم يجبه حسن باشا إلى ذلك وحثه على الحضور فيقابله ثم يتوجه من مصر ثانيًا، ثم أجيب إلى المقام حتى تأتيهم العساكر.

وأخبر أيضًا أن الأمرا القبليين لم يزالوا مقيمين بساحل أسيوط على رأس المجرور وبنوا هناك متاريس ونصبوا مدافع، وأن المراكب رأسية تجاههم، ولا تستطيع السير في ذلك المجرور إلا باللبان لقوة التيار ومواجهة الريح للمراكب.

وفيه استعفى علي بك جركس الإسماعيلي من السفر فأعفي وعين عوضه حسن بك رضوان، وأنفق حسن باشا على العسكر فأعطى لكل أمير خمسة عشر ألف ريال وللوجاقلية سبعة عشر ألف ريال، وأنفق عابدي باشا في عسكره النفقة أيضًا فأعطى لكل عسكري خمسة عشر قرشا، فغضبت طايفة الدلاة واجتمعوا بأسرهم وخرجوا إلى العادلية يريدون الرجوع إلى بلادهم، وحصل في وقت خروجهم زعجة في الناس وأغلقت الحوانيت ولم يعرفوا ما الخبر.

ولما بلغ حسن باشا خبرهم ركب بعسكره وخرج يريد قتلهم وخرج معه المصريون، وركب عابدي باشا أيضًا ولحق به عند قصر قايماز، وكان هناك أحمد باشا الجداوي فنزل إليه أيضًا، واجتمعوا إليه واستعطفوا خاطره وسكنوا غضبه وأرسلوا إلى جماعة الدلاة فاسترضوهم وزادوا لهم في نفقتهم وجعلوا لكل نفر أربعين قرشًا وردوهم إلى الطاعة، ورجع حسن باشا وعابدي باشا إلى أماكنهم قبيل الغروب.

وفي صبح ذلك اليوم سافر إسماعيل كتخدا بطايفة من العسكر في البحر إلى جهة قبلي.

وفيه — أعني يوم الخميس — أخرجوا جملة غلال من حواصل بيوت الأمرا الخارجين، فأخرجوا من بيت أيوب بك الكبير وبيت أحمد أغا الجملية وسليمان بك الأغا وغيرهم.

وفيه أيضًا أخذت عدة ودايع من عدة أماكن، وتشاجر رجل جندي مع خادمه وضربه وطرده ولم يدفع له أجرته فذهب ذلك الخادم إلى حسن باشا ورفع إليه قصته، وذكر له أن عنده صندوقًا مملوًّا من الذهب من ودايع الغايبين، فأرسل صحبته طايفة من العسكر فدلهم على مكانه فأخرجوه وحملوه إلى حسن باشا، وأمثال ذلك.

وفي يوم الجمعة فتحوا بيت المعلم إبراهيم الجوهري وباعوا ما فيه وكان شيًّا كثيرًا من فرش ومصاغ وأوان وغير ذلك.

وفي يوم السبت برز عابدي باشا ودرويش باشا وأخرجا خيامهما إلى البساتين قاصدين السفر.

وفيه ركب علي بك الدفتردار وذهب إلى بولاق وفتح الحواصل وأخرج منها الغلال لأجل البقسماط والعليق.

وفي يوم الأحد نودي على الغز والأجناد والأتباع البطالين أن يخدموا عند الأمرا.

وفي يوم الاثنين سافر عابدي باشا ودرويش باشا وأخرجوا خيامهما إلى البساتين، وأخرج الأمرا الصناجق خيامهم ونصبوا مكان المرتحلين.

وفيه حضر باشا من ناحية الشام وهو أمير كبير من أمرا شين أغلي، وصحبته نحو ألف عسكري فنزل بهم بالعادلية يومه ذلك.

وفي يوم الثلاثا دخلت عساكر المذكور إلى القاهرة، وأميرهم توجه إلى ناحية البساتين من نواحي باب الوزير، وفيه غمز على مكان بيت أيوب بك الكبير مسدود الباب ففتح وأخرج منه أشياء كثيرة، وكذلك بيت المعلم إبراهيم الجوهري مكان مرتفع مهدوم الدرج، وكان ذلك المكان لولده، وقد مات من نحو سنتين فلما مات هدم الدرج التي يتوصل منها إليه حزنًا عليه، وتركه بما فيه فصعدوا إليه وأخرجوا منه أشياء كثيرة من فرش وأمتعة مزركشة وأواني ذهب وفضة وصيني وغير ذلك، فأحضرت إلى حسن باشا وباعها بين يديه بالمزاد في عدة أيام.

وفيه قتل حسن باشا شخصين من عسكر عابدي باشا تخلفا عنه، فقبض عليهما وأحضرهما إليه فأمر بقتلهما ففعلوا بهما ذلك تجاه الباب.

وفي يوم الخميس سافر أمير شين أغلي بعساكره إلى جهة قبلي.

وفي يوم السبت ثامن عشرين القعدة نودي بفرمان بمنع زفاف الأطفال للختان في يوم الجمعة بالطبول، وسبب ذلك أن حسن باشا صلى بجامع المؤيد شيخ الذي بباب زويلة فعندما شرع الخطيب في الخطبة وإذا بضجة عظيمة وطبول مزعجة، فقال الباشا: ما هذا؟ فأخبروه بذلك، فأمر بمنع ذلك في مثل هذا الوقت.

وفي غرة الحجة أشيعت أخبار وروايات ووقايع بن الفريقين وأن جماعة من القبالي حضروا بأمان عند إسماعيل بك.

وفي يوم الثلاثاء ثاني شهر الحجة حضر إلى مصر فيض الله أفندي رئيس الكتاب فتوجه إلى حسن باشا، فتلقاه بالإجلال والتعظيم وقابله من أول المجلس، ثم طلع إلى القلعة وقابل محمد باشا أيضًا ثم نزل إلى دار أعدت له، ثم انتقل إلى دار بالقلعة عند قصر يوسف.

وفي يوم الخميس حضر أغا وعلى يده تقرير لمحمد باشا على السنة الجديدة، فركب من بولاق إلى العادلية وخرج إليه أرباب الخدم والدفتردار وأغات مستحفظان وأغات العزب والوجاقلية ودخل بموكب عظيم من باب النصر وشق القاهرة وطلع إلى القلعة.

وفي يوم السبت نودي بأن من كانت له دعوة وانقضت حكومتها في الأيام السابقة لا تعاد ولا تسمع ثانيًا؛ وسبب ذلك تسلط الناس على بعضهم في التداعي.

وفيه ردت السلفة التي كانت أخذت من تجار المغاربة وهي آخر السلف المدفوعة.

وفي يوم الأربعاء عاشر الحجة كان عيد النحر، وفيه وردت أخبار من الجهة القبلية بوقوع مقتلة عظيمة بين الفريقين، وقتل من المصرلية عمر كاشف الشرقية وحسن كاشف وسليمان كاشف، ثم انحازت العسكر إلى المراكب ورجع الأمرا إلى وطاقهم فاغتم حسن باشا لتمادي أمرهم، وكان يرجو انقضاءه قبل دخول الشتا، ويأخذ روسهم ويرجع بهم إلى سلطانه قبل هبوط النيل لسير المراكب الرومية، حتى إنه منع من فتح الترع التي من عادتها الفتح بعد الصليب، كبحر أبي المنجاو مويس بالشرقية والقرينين خوفًا من نقص الماء فتتعوق المراكب الكبار.

وفيه حضر واحد ططري وعلى يده مرسوم فطلب حسن باشا محمد باشا المتولي، فنزل إليه وجمع الديوان عنده فقرا عليهم ذلك المرسوم، وحاصله الحث والتشديد والاجتهاد في قتل العصاة والفحص عن أموالهم وموجوداتهم والانتقام ممن تكون عنده وديعة ولا يظهرها، وعدم التفريط في ذلك، وطلب حلوان عن البلاد فايظ ثلاث سنوات.

وفيه حضر إبراهيم بك قشطة الإسماعيلي وصحبته زوجته ابنة إسماعيل بك وحريم إسماعيل بك أيضًا، وسكنوا في دارهم التي ببركة الأزبكية.

وفي يوم الخميس ثامن عشره حضر عثمان بك طبل الإسماعيلي فذهب عنده علي بك الدفتردار وتوجه صحبته إلى حسن باشا، فسأله عن أحوال العسكر، فأخبره أنهم محتاجون لنفقة وذخيرة، وأن عساكر عابدي باشا تعبانون بسبب قلة النفقة وحاصل عندهم قلقة، وأن الأمرا القبالي ترفعوا إلى طحطا فأمر حسن باشا بتشهيل بقسماط واحتياجات، وأوصل عثمان بك مايتين وسبعين كيسًا برسم النفقة.

وفي يوم الأحد حادي عشرينه سافر عثمان بك المذكور، وأرسلوا خلفه المراكب المشحونة بالبقسماط والشعير والسمن والزيت.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه خلع علي أحمد جاويش المجنون وتقلد كتخذا مستحفظان.

وفي أواخر الحجة أرسل عابدي باشا مكاتبة حضرت له من الأمرا القبالي وصورتها، وهي جواب عن رسالتهم وهي باللغة التركية وحاصل ما فهمته من ذلك، أنكم تخاطبونا بالكفرة والمشركين والظلمة والعصاة وإننا بحمد الله تعالى موحدوه وإسلامنا صحيح وحجينا بيت الله الحرام وتكفير المؤمن كفر، ولسنا عصاة ولا مخالفين وما خرجنا من مصر عجزًا ولا جبنًا عن الحرب إلا طاعة للسلطان ولنايبه، فإنه أمرنا بالخروج حتى تسكن الفتن وحقنًا للدما، ووعدنا أنه يسعى لنا في الصلح، فخرجنا لأجل ذلك ولم نرض بإشهار السلاح في وجوهكم وتركنا بيوتنا وحريمنا في عرض السلطان، ففعلتم بهم ما فعلتم ونهبتم أموالنا وبيوتنا وهتكتم أعراضنا وبعتم أولادنا وأحرارنا وأمهات أولادنا، وهذا الفعل ما سمعنا به ولا في بلاد الكفر، وما كفاكم ذلك حتى أرسلتم خلفنا العساكر يخرجونا عن بلاد الله وتهددونا بكثرتكم، و﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾، وإن عساكر مصر أمرها في الحرب والشجاعة مشهور في ساير الأقاليم، والأيام بيننا وكان الأولى لكم الاجتهاد والهمة في خلاص البلد التي غصبها منكم الكفار واستولوا عليها مثل بلاد القرم والودن وإسماعيل، وغير ذلك، وأمثال هذا القول تخشين الكلام تارة وتليينه أخرى وفي ضمن ذلك آيات وأحاديث وضرب أمثال وغير ذلك.

فأجابهم عابدي باشا ونقض عليهم ونسب كاتبهم إلى الجهل بصناعة الإنشا وغير ذلك مما يطول شرحه، وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث الغريبة.

ذكر من مات في هذه السنة من العلما والأعيان (١٢٠٠هـ / ١٧٨٥م)

توفي الشيخ العلامة المحقق، والفهامة المدقق، شيخنا الشيخ محمد بن موسى الجناجي المعروف بالشافعي، وهو مالكي المذهب أحد العلما المعدودين والجهابذة المشهورين، تلقى عن مشايخ عصره، ولازم الشيخ الصعيدي ملازمة كلية، وصار مقرئه ومعيدًا لدروسه، وأخذ عن الشيخ خليل المغربي والسيد البليدي، وحضر على الشيخ يوسف الحفني والملوي، وتمهر في المعقول والمنقول ودرس الكتب المشهورة الدقيقة، مثل: المغني لابن هشام والأشموني والفاكهي والسعد وغير ذلك، وأخذ علم الصرف عن بعض علما الأروام، وعلم الحساب والجبر والمقابلة وشباك ابن الهايم عن الشيخ حسين المحلاوي، واشتهر فضله في ذلك، وألف فيها رسايل وله في تحويل النقود بعضها إلى بعض رسالة نفيسة تدل على براعته وغوصه في علم الحساب، وكان له دقايق وجودة استحضار في استخراج المجهولات وأعمال الكسورات والقسمة والجذورات وغير ذلك من قسمة المواريث والمناسخات والأعداد الصم والحل والموازين ما انفرد به عن نظايره.

وكتب على نسخة الخرشي التي في حوزه حواشي وهوامش، مما تلقاه ولخصه من التقارير التي سمعها من أفواه أشياخه، ما لو جرد لكان حاشية ضخمة في غاية الدقة، وكذلك باقي كتبه، وله عدة رسايل في فنون شتى، وكتب حاشية على شرح العقايد، ومات قبل إتمامها، كتب منها نيفًا وثمانين كراسًا.

وتلقى عنه كثير من أعيان علما العصر، ولازموا المطالعة عليه مثل العلامة الشيخ محمد الأمير والعلامة الشيخ محمد عرفة الدسوقي والمرحوم الشيخ محمد البناني، واجتمع بالمرحوم الوالد سنة ست وسبعين، واستمر مواظبًا لنا في كل يوم، وواظب الفقير في إقرائي القرآن، وحفظه فأحفظني من الشورى إلى مريم، وينسخ للوالد ما يريد من الكتب الصغيرة الحجم.

ولم يزل على حاله معنا في الحب والمودة وحسن العشرة إلى آخر يوم من عمره، وحضرت عليه في مبادي الحضور الملوي على السلم وشرح السمرقندية في الاستعارات والفاكهي على القطر في دروس حافلة بالأزهر، والسخاوية والنزهة في الحساب خاصة بالمنزل، وكان مهذب الأخلاق جدًّا، متواضعًا لا يعرف الكبر ولا التصنع أصلًا، ويلبس أي شي كان من الثياب الناعمة والخشنة، ويذهب بحماره إلى جهة بولاق، ويشتري البرسيم ويحمله عليه ويركب فوقه، ويحمل طبق العجين إلى الفرن على راسه، ويذهب في حوايج إخوانه.

ولما بنى محمد بك أبو الدهب مسجده تجاه الأزهر، تقرر في وظيفة خازن الكتب نيابة عن محمد أفندي حافظ، مضافة إلى وظيفة تدريس مع المشايخ المقررين، فلازم التقييد بها وينوب عنه أخوه الشيخ حسن في غيابه، وكان أخوه هذا ينسخ أجزاء القرآن بخط حسن في غاية السرعة، ويتحدث مع الناس وهو يكتب من حفظه ولا يغلط.

ولم يزل المترجم يملي ويفيد ويبدي ويعيد مقبلًا على شانه، ملحوظًا بين أقرانه، حتى وافاه الحمام في سابع عشرين جمادى الثانية من السنة مطعونًا، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بتربة المجاورين.

ومات الإمام الفاضل المحدث الفقيه البارع السيد محمد بن أحمد بن محمد أفضل صفي الدين أبو الفضل الحسيني الشهير بالنجاري، ولد تقريبًا سنة ستين وماية وألف، وقرأ على فضلا عصره وتكمل في المعقول والمنقول، وورد إلى اليمن حاجًّا في سنة ثلاث وسبعين، فسمع بالنجائي السيد عبد الرحمن بن أحمد باعيديد، وذاكر معه في الفقه والحديث، ثم ورد زبيد فأدرك الشيخ المسند محمد بن علا الدين المزجاجي، فسمع منه

أشيا، وكذلك من السيد سليمان بن يحيى وغيرهما، ثم حج وزار واجتمع بالشيخ محمد بن عبد الكريم السمان، فأحب طريقته ولازمه ملازمة كلية وأجازه فيها، وورد الينبع فجلس فيه مدة وأحبه أهله.

وورد مصر سنة اثنتين وثمانين وماية وألف، واجتمع بعلماها وذاكر بإنصاف وتؤدة وكمال معرفة، ولم يصف له الوقت، فتوجه إلى الصعيد فمكث في نواحي جرجا مدة وقرا عليه هناك بعض الأفراد في أشيا ثم رجع إلى مصر سنة سبع وثمانين، وسافر منها إلى بيت المقدس فأكرم بها، وزار الخليل وأحبه أهل بلده فزوجوه.

ثم أتى إلى مصر سنة ثمان وثمانين، واجتمعت حواسه في الجملة ثم ذهب إلى نابلس واجتمع بالشيخ السفاريني فسمع عليه أشيا وأجازه وأحبه، وكان المترجم قد أتقن معتقد الحنابلة، فكان يلقيه لهم بأحسن تقرير مع التأييد، ودفع ما يرد على أقوالهم من الإشكالات بحسن بيان، والبلد أكثر أهله حنابلة، فرفعوا شأنه وعظم عندهم مقداره.

ثم ورد مصر سنة تسعين واجتمع بشيخنا السيد مرتضى لمعرفة سابقة بينهما، وكان ذلك في مبادي طنطنة شيخنا المذكور، فنوه بشأنه وكان يأتي إلى درسه بشيخون فيجلسه بجانبه ويأمر الحاضرين بالأخذ عنه ويجله ويعظمه، فراج أمره بذلك فأقام بمصر سنة في وكالة بالجمالية، واشتهر ذكره عند كثير من الأعيان بسبب مدح شيخنا المذكور فيه، وحثهم على إكرامه فهادوه بالملابس وغيرها، ثم عزم على السفر إلى نابلس فهرعوا إليه، وزودوه بالدراهم واللوازم وأدوات السفر، وشيعوه بالإكرام وسافر إلى نابلس ثم إلى دمشق، وأخذ عنه علماها واحترموه واعترفوا بفضله.

وكان إنسانًا حسنًا مجموع الفضايل، رأسًا في فن الحديث يعرف فيه معرفة جيدة، لا نعلم من يدانيه في هذا العصر بعد شيخنا المذكور، واسع الإطلاع على متعلقاته مع ما عنده من جودة الحفظ والفهم السريع، وإدراك المعاني الغريبة وحسن الإيراد للمسايل الفقهية والحديثية.

ثم عاد إلى نابلس وسافر بأهله إلى الخليل، فأراد أن يسكن بها فلم يصف له الوقت، ولم ينتظم له حال لضيق معاش أهل البلد، فعاد إلى نابلس في شعبان وبها توفي سحر ليلة الأحد سابع عشرين رمضان من السنة مطعونًا، بعد أن تعلل يومًا وليلة ودفن بالزاركية قرب الشيخ السفاريني، وتأسف عليه الناس وحزنوا عليه جدًّا، وانقطع الفن من تلك البلاد بموته، رحمه الله، وعوض في شبابه الجنة ولم يخلف إلا ابنة صغيرة، وله مؤلفات في الحديث.

ومات العمدة المبجل الفقيه الوجيه والحبر اللوذعي النبيه السيد نجم الدين بن صالح بن أحمد بن محمد بن صالح بن محمد بن عبد الله التمرتاشي الغزي الحنفي، قدم إلى مصر في حدود الستين، وحضر على مشايخ الوقت وتفقه وقرا في المعقولات والمنقولات وتضلع ببعض العلوم، ثم شغف بأسباب الدنيا، وتعاطى بعض التجارات، وسافر إلى إسلامبول، وتداخل في سلك القضا، ورجع إلى مصر ومعه نيابة قضا إبيار بالمنوفية، ومرسومات بنظارات أوقاف، فأقام بإبيار قاضيًا نيفًا وعشر سنين وهو يشتري نيابتها كل دور، وابتدع فيها الكشف على الأوقاف القديمة والمساجد الخربة التي بالولاية وحساب الواضعين أيديهم على أرزاقها وأطيانها حتى جمع من ذلك أموالًا، ثم رجع إلى مصر واشترى دارًا عظيمة بدرب قرمز بين القصرين، واشترى المماليك والجواري وترونق حاله واشتهر أمره، وركب الخيول المسومة وصار في عداد الوجها وكان يحمل معه دايمًا متن تنوير الأبصار، يراجع فيه المسايل ويكتب على هامشه الوقايع والنوادر الفقهية.

ثم تولى نيابة القضا بمصر في سنة ست وثمانين، فازدادت وجاهته وانتشر صيته، وابتكر في نيابته أمورًا، منها تحليف الشهود وغير ذلك، ثم سافر إلى إسلامبول في سنة اثنتين وتسعين وعاد، ثم سافر في سنة تسع وتسعين واجتمع هناك بحسن باشا، ووشى إليه أمر مصر وسهل له أمرها وأمراءها حتى جسره على القدوم إليها، وحضر صحبته إلى ثغر إسكندرية وكان بينه وبين نعمان أفندي قاضي الثغر كراهة باطنية فوشى به عند حسن باشا حتى عزله من القضا، وقلدها للمترجم وكاد يبطش بنعمان أفندي، فهرب منه إلى رشيد ولم يلبث المترجم أن أصابه الفالج، ومات سابع عشرين رمضان عن نيف وتسعين سنة.

ونقم عليه بعد ذلك حسن باشا، وكانت له يد طولى في علم النجامة ثم نفاه بعد ذلك إلى أماصية بالأناضول؛ بسبب توسطه مع صالح أغا للأمرا المصريين كما ذكر في موضعه، وخلف المترجم ابنه صالح جلبي الموجود الآن، ومملوكه علي أفندي الذي كان يتولى نيابات القضاء في المحلة ومنوف وغيرهما.

ومات الشيخ الصالح أحمد بن عيسى بن عبد الصمد بن أحمد بن فتيح بن حجازي بن القطب السيد علي تقي الدين، دفين رأس الخليح، بن فتح بن عبد العزيز بن عيسى بن نجم خفير بحر البرلس الحصيني الخليجي الأحمدي البرهاني الشريف الشهير بأبي حامد، ولد برأس الخليج وحفظ القرآن وبعض المتون، ثم حبب إليه السلوك في طريق

الله تعالى، فترك العلايق وانجمع عن الناس، واختار السياحة مع ملازمته لزيارة المشاهد والأوليا، والحضور في موالدهم المعتادة.

وكان الأغلب في سياحته سواحل بحر البرلس ما بين رشيد ودمياط على قدم التجريد.

ووقعت له في أثناء ذلك إشارات، واجتمع فيها بأكابر أهل الله تعالى، وكان يحكي عنهم أمورًا غريبة من خوارق العادات، وأقام مدة يطوى الصيام ويلازم القيام، واجتمع في سياحته ببلاد الشرق على صلحا ذلك العصر، ورافق السيد محمد بن مجاهد في غالب حالاته، فكانا كالروح في جسد، وله مكارم أخلاق ينفق في موالد كل من القطبين السيد البدوي والسيد الدسوقي أموالًا هايلة، ويفرق في تلك الأيام على الواردين ما يحتاجون إليه من المآكل والمشارب.

وكان كلما ورد إلى مصر يزور السادة العلما ويتلقى عنهم وهم يحبونه ويعتقدون فيه، منهم: الشيخ الدمياطي وشمس الدين الحفني وغيرهما.

وكان له بشيخنا السيد مرتضى مزيد اختصاص، وألف باسمه رسالة المناشي والصفين، وشرح له خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني على تفسير سورة يونس، وباسمه أيضًا كتب له تفسيرًا مستقلًّا على سورة يونس، على لسان القوم، وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾، وذلك في أيام سياحته معه وكمله بعد ذلك.

وفي سنة تسع وتسعين ومائة وألف ورد إلى مصر لأمر اقتضى، فنزل في المشهد الحسيني وفرش له على الدكة وجلس معه مدة، وتمرض أشهرًا بورم في رجليه حتى كان في أول المحرم من هذه السنة زاد به الحال فعزم على الذهاب إلى فوة.

فلما نزل إلى بولاق وركب السفينة وافاه الحمام وأجاب مولاه بسلام، وذلك في يوم عاشورا، وذهب به أتباعه إلى فوة بوصية منه وغسل هناك ودفن بزاوية قرب بيته وعمل عليه مقام يزار.

ومات الشيخ الفاضل النبيه اللوذعي الذكي المفوه الناظم الناثر الشاعر اللبيب محمد المعروف بشبانة، كان من نوادر الوقت اشتغل بالمعقول وحضر على أشياخ العصر فأنجب، وعانى علم العروض ونظم الشعر وأجاد القوافي وداعب أهل عصره من الشعرا وغيرهم، واشتهر بينهم وأذعنوا لفضله إلا أن سليقته في الهجو أجود من المدح، فمن ذلك قوله يداعب الشيخ قاسم الأديب على وزن قول الشاعر:

سبحان من قسم الحظو ظ فلا عتاب ولا ملامه

قوله:

سبحان من قسم النحو س لقاسم وأذل هامه
وكساه ثوب جناية يخزى بها يوم القيامة
هو ردء من هجم البيو ت وردء من خطف العمامه
ونحيس من طبع النحا س بكفه وطلى ختامه
يحتال في نشل الحريـ ـر ولو تحصن في دعامه
ويسل كحل العين مِن مَن خوفه ينفي منامه
لو حل في حرم الوزيـ ـر مصاحبًا ورأى غلامه
لمضى به لأخي الهوى في غفلة يقضي مرامه
بالشال عمم رأسه ولحيلة تأتي أدامه
خوف الجوالي أن ترا ه وفي تستره السلامه

وهي طويلة، وأجابه الأديب قاسم:

جل الذي قسم الشقا لشبانة وله أدامه
بعمامة لو خالها الـ ـقلَّا توهمها برامه
موروثة عن جده من قبل أن تبنى القمامه
إن كان ذا وجه المطيـ ـع فأين أصحاب الندامه؟
لو كان يصلح للصلا ة لحق للقرد الإمامه
وعليه مسخة ذي الجلا ل وكل من يهوى كلامه

وله دو بيت في قاسم أيضًا:

هي قاسم قم بلا بطء في الحال وعود
وائتي بغلام ذا سهل عليك
واذهب لشعيرا وجئنا بسعود

مــــع أم خـــزام تـــنــقـــاد إلـــيـــك
هـــا أنـــت إلـــى وكالـة الـنور تـقـود
تـــدمـــخ وتـــنـــام يـــا بـــيـت كـويـك

وله هجو في السيد طه البططي:

يا سـيـد الآراء حـاش لـمـجـد أنت فيه من أهمل الناس يسلم
إن طـه فـي ثـوب لـؤم ومـنـه بكنار الخسران قبحًا تعمم
فـلـهـذا يـقـول مـن قـد رآه ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
يا أديبًا كالعير يحمل كتبًا من سبيل وقف ودشت مخرم
قد أبدت الموقوف شطبًا ومحوا فلهذا يا شاطب الوقف ترجم
والذي قد سطا بنظم الأهاجي عرضه بالقبيح والذم يشتم
لكن العفو عن ذنوبك أولى ولـعـيـن ألـف تـقـال وتـكـرم

ومات الأجل المكرم أحمد بن عياد المغربي الجربي، كان من أعيان أهل تونس وتولى بها الدواوين وأثرى، فوقع بينه وبين إسماعيل كتخدا حمودة باشة تونس أمور أوجبت جلاه عنها، فنزل في مركب بأهله وأولاده وماله، وحضر إلى إسكندرية فلما علم به القبطان أراد القبض عليه وأخذ أمواله، فشفع فيه نعمان أفندي قاضي الثغر، وكان له محبة مع القبطان فأفرج عنه، فأهدى ابن عياد لنعمان أفندي ألف دينار في نظير شفاعته، كما أخبرني بذلك نعمان أفندي المذكور.

ثم حضر إلى مصر وسكن بولاق بشاطي النيل بجوار دارنا التي كانت لنا هناك، وذلك في سنة اثنتين وتسعين ومعه ابنه صغيرًا ونحو اثنتي عشرة سرية من السراري الحسان طوال الأجسام، وهن لابسات ملابس الجزاير بهيئة بديعة تفتن الناسك، وكذلك عدة من الغلمان المماليك كأنما أفرغ الجميع في قالب الجمال وهم الجميع بذلك الزي.

وصحبته أيضًا صناديق كثيرة وتحايف وأمتعة، فأقام بذلك المكان منجمعًا عن الناس لا يخرج من البيت قط ولا يخالط أحدًا من أهل البلدة، ولا يعاشر إلا بعض أفراد من أبناء جنسه يأتونه في النادر، فأقام نحو ثماني سنوات ومات أكثر جواريه ومماليكه وعبيده، وخرج بعده من تونس إسماعيل كتخدا أيضًا فارًّا من حمودة باشا بن علي باشا، وحضر إلى مصر وحج ورجع إلى إسلامبول واتصل بحسن باشا ولازمه، فاستوزره وجعله كتخدا.

فلما حضر حسن باشا إلى مصر أرسل إليه ابن عياد تقدمة وهدية فقبلها، وحضر أيضًا في أثره إسماعيل كتخداه المذكور فأغراه به لما في نفسه منه من سابق العداوة، والظلم كمين في النفس، القوة تظهره والضعف يخفيه، فأرسل حسن باشا يطلب ابن عياد للحضور إليه بأمان، فاعتذر وامتنع فسكت عنه أيامًا، ثم أرسل يستقرض منه مالًا فأبى أن يدفع شيًّا ورد الرسل أقبح رد، فرجعوا وأخبروا إسماعيل كتخدا وكان بخان الشرايبي بسبب المطلوب من التجار، فحنق لذلك وتحرك كامن ما في قلبه من العداوة السابقة، وركب في الحال وذهب إلى بولاق ودخل إلى بيته وناداه، فأجابه بأحسن الجواب، وأبى أن ينزل إليه وامتنع في حريمه، وقال له: أما كفاك أني تركت لك تونس حتى أتيتني إلى هنا. وضرب عليه ببنادق الرصاص فقتل من أتباعه شخصين، فهجم عليه إسماعيل كتخدا وطلعوا عليه وتكاثروا عليه وقتلوه وقطع رأسه، وأراد قتل ولده أيضًا فوقعت عليه أمه فتركوه وأخرجوا جثته خارج الزقاق، فألقوها في طريق المارة وأخرجوا نساه وخدمه واحتاطوا بالبيت وختموا عليه.

ورجع إسماعيل كتخذا إلى خان الشرايبي وهو ملطخ بالدم، وبه الحاج سليمان الساسي، فلطمه على وجهه وقال: بلغ منكم يا جربيون تفعلون هذه الفعال وتحاربون رجال الدولة. وقبض عليه وصادره كما تقدم.

وما الدهر في حال السكون بساكن ولـكـنـه مـسـتـجـمـع لـوثـوب

سنة إحدى ومايتين وألف (١٧٨٦م)

(في يوم الاثنين سابع المحرم) حضر إسماعيل بك في تطريدة إلى مصر، فركب بمفرده وهو ملثم بمنديل، وحضر عند حسن باشا وقابله، وهو أول اجتماعه به وجلس معه مقدار درجتين لا غير واستأذنه في القيام، فخلع عليه فروة سمور وقام وذهب إلى بيت مملوكه علي بك جركس، وهو بيت أيوب بك الصغير الذي في الحبانية، وكان السبب في حضوره على هذه الصورة أنه في يوم الخميس ثالث المحرم التقوا مع الأمرا القبليين واتفقوا معهم عند المنشية، فكان بينهم وقعة عظيمة وقتل من الفريقين جملة كبيرة، وأبلى فيها المصريون البحرية والقبلية مع بعضهم، وتنحت عنهم العساكر العثمانية ناحية، وهجمت القبالي وألقوا بأنفسهم في نار الحرب، وطلب كل غريم غريمه ثم اندفعت العثمانية مع البحرية، وظهر من شجاعة عابدي باشا ما تحدث به الفريقان في شجاعته، وأصيب إسماعيل بك برشة رصاص دخلت في فمه وطلعت من خده، فولى منهزمًا وألقى نفسه في البحر وركب في قنجة وحضر إلى مصر على الفور، ولم يدر ماذا جرى بعده، فلما حضر على هذه الصورة وأشيع وقوع الكسرة والهزيمة على التجريدة، اضطربت الأقاويل واختلفت الروايات وكثرت الأكاذيب، وارتج العثمانيون وأرسل حسن باشا الرسل لإحضار العساكر التي بالإسكندرية، وكذلك أرسل إلى بلاد الروم.

(وفي يوم السبت ثاني عشره) حضر حسن بك الجداوي وجماعة من الوجاقات والعساكر، فذهب حسن بك إلى حسن باشا وقابله، وقد أصيب بسيف على يده فخلع عليه فروة، ثم ذهب إلى بيته القديم وهو بيت الداوودية، وكذلك حضر بقية الأمرا الصناجق، وأصيب قاسم بك بضربة جرحت أنفه، وكذلك حضر عابدي باشا وطلع إلى قصر العيني وأقام به.

وفيه حضر ططري وعلى يده مرسوم بعزل محمد باشا عن ولاية مصر وولاية عابدي باشا مكانه، وأن محمد باشا يتوجه إلى ولاية ديار بكر عوضًا عن عابدي باشا، فشرع عابدي باشا في نقل عزاله إلى بولاق، فتحدث الناس أن ذلك من فعل حسن باشا؛ لأن بينهما أمورًا باطنية.

(وفي يوم الاثنين) عمل حسن باشا ديوانًا في بيته اجتمع فيه جميع الأمراء والصناجق والمشايخ، وألبس إسماعيل بك خلعة، وجعله شيخ البلد وكبيرها، وألبس حسن بك خلعة وقلده أمير الحاج، ثم قال يخاطب الجمع: هذا إسماعيل بك حضر إليكم وصار كبيركم فشدوا عزمكم وتأهبوا لقتال أخصامكم، وكل إنسان يقاتل عن نفسه. فسكتوا جميعًا ولم يجيبوه، فقال أحمد جربجى أرنؤد: كيف يخرجون من غير مصروف، وكل إنسان يلزمه أتباع وخدم ودواب؟ فقال: الذي يأكله الإنسان في يوم يقسمه على يومين. فخرجوا من مجلسه وهم كاظمون لغيظهم.

هذا وإسماعيل بك متململ من جرحه، والسيد عثمان الحمامي يعالجه، وأخرج من عنقه ست عشرة زردة من زرد الزرخ، فإن الرصاص لما أصابه منع الزرخ من الغوص في الجسد، فغاص نفس الزرد فأخرجه السيد عثمان بالآلة واحدة بعد واحدة، بغاية المشقة والألم، ثم عالجه بالأدهان والمراهم حتى بري في أيام قليلة.

وفيه حضر إلى إسماعيل بك رجل بدوي، وأخبر أن الجماعة القبليين زحفوا إلى بحري ووصلت أوايلهم إلى بني سويف، وأخبر أنه مات منهم مصطفى بك الداوودية ومصطفى بك السلحدار وعلي أغا خازندار مراد بك سابقًا، ونحو خمسة عشر أميرًا من الكشاف وأن نفوسهم قويت على الحرب.

(وفي يوم الثلاثا) حضر إسماعيل أغا كمشيش، وكان ممن تخلف في الأسر عند القبليين فأفرجوا عنه، وأرسلوا معه مكاتبة يذكرون فيها طلب الصلح وتوبتهم السابقة، واستعدادهم للحرب إن لم يجابوا في ذلك.

(وفي يوم الأربعا) نزل محمد باشا من القلعة وذهب إلى بولاق.

(وفي يوم الخميس) نودي على النفر والألضاشات والأجناد والمماليك بأن يتبع كل شخص متبوعه وبابه، ومن وجد بعد ثلاثة أيام بطالًا ولم يكن معه ورقة يستحق العقوبة، وكذلك حضور الغايبين بالأرياف.

وفيه أخذ أحمد القبطان المعروف بحمامجي أوغلي المراكب الرومية التي بقيت في النيل وجملة نقاير، وصعد بهم إلى ناحية دير الطين قريبًا من التبين، وشرعوا في عمل

متاريس وحفر خنادق هناك، ونقلوا جملة مدافع أيضًا، وكان أشيع طلوع عابدي باشا إلى القلعة في ذلك اليوم فلم يطلع، وحضر عند حسن باشا وتكلم معه كلامًا كثيرًا، وقال: كيف أطلع وأتسلطن في هذا الوقت والأعدا زاحفون على البلاد وأولاد أخي قتلوا في حربهم، ولا أطلع حتى آخذ بثأرهم أو أموت؟! ثم قام من عنده ورجع إلى القصر العيني.

وفيه سافر عمر كاشف الشعراوي لملاقاة الحجاج إلى الأزلم، وحضرت مكاتيب الجبل على العادة القديمة وأخبروا بالأمن والراحة.

(وفي يوم الجمعة) خرج رضوان بك بلفيا وسليمان الشابوري وعبد الرحمن بك عثمان وبرزوا خيامهم ناحية البساتين.

وفيه عمل حسن باشا ديوانًا وخلع على ثلاثة أشخاص من أمرا حسن بك الجداوي وقلدهم صناجق، وهم: شاهين وعلي وعثمان.

وفيه حضر إلى مصر ذو الفقار الخشاب كاشف الفيوم المعروف بأبي سعده.

(وفي يوم السبت) خرج غالب الأمرا ناحية البساتين، وورد الخبر عن القبليين أنهم لم يزالوا مقيمين في ناحية بني سويف.

وفيه أنفق حسن باشا ثلث النفقة على العسكر، فأعطى إسماعيل بك عشرين ألف دينار، وحسن بك خمسة عشر ألفًا، ولكل صنجق عشرة آلاف، ولكل طايفة وجاق أربعة آلاف، فاستقل الينكجرية حصتهم وكتبوا لهم عرضحال يطلبون الزياد في نفقتهم.

وفيه طلب حسن باشا دراهم سلفة من التجار فوزعوها على أفرادهم، فحصل لفقرايهم الضرر، وهرب أكثرهم وأغلقوا حوانيتهم وحواصلهم، فصاروا يسمرونها وكذلك البيوت، وطلبوا أيضًا الخيول والبغال والحمير وكبسوا البيوت والأماكن لاستخراجها، وعزت الخيول جدًّا وغلت أثمانها.

(وفي يوم الاثنين) قبض حسن باشا على إسماعيل أغا كمشيش المتقدم ذكره، وأمر بقتله وأخرجوه من بين يديه، وعلى رأسه دفية، فشفع فيه الوجاقلية، فعفا عنه من القتل وسجنوه؛ وسبب ذلك أنه أحضر صحبته عدة مكاتيب سرًّا خطابًا لبعض أنفار فظهروا على ذلك فوقع له ما وقع.

وفيه عمل حسن باشا ديوانًا عظيمًا جمع فيه الأمرا والأعيان وقروا مكاتبات أرسلها القبليون يطلبون الصلح والأمان، ويذكرون لعابدي باشا ما نهب له في المعركة، وأن يرسل قايمة بذلك، ويردون له ما ضاع بتمامه، فقال عابدي باشا لحسن بك الجداوي: ما تقول في هذا الكلام؟ قال: أقول لا نأخذه إلا بالسيف كما أخذوه منا بالسيف. فقال:

وهذا جوابي. ثم إن حسن بك قال لحسن باشا: يا مولانا، الرأي أن لا يصحبنا أحد من المحمدية مطلقًا، فإنهم أعداؤنا فيلحقنا منهم الضرر. فأجابه إلى ذلك وأمر بجمع خيولهم.

ثم إن حسن باشا قال يخاطب الأمر خطابًا عامًّا: اسمعوا ... ربما تحدثكم نفوسكم وتقولون: هولا عثمانية لا نملكهم بلادنا أو إنهم مقصرون معنا في النفقة، والمصرلية غرضهم مع بعضهم فتذهبوا معنا ثم يقع منكم الخيانة والمخامرة. ثم حلف إنه إن وقع منهم شي من ذلك ليكون سببًا في خراب مصر سبع سنوات ولا يبقى بها أحد، وانفض الديوان ووقع الاتفاق على أن يكتبوا لهم جوابًا عن رسالتهم ملخصها إن كان قصدهم الصلح والأمان وقبول التوبة فإنهم يجابون إلى ذلك، ويحضر إبراهيم بك ومراد بك ويأخذ لهم حضرة القبطان أمانًا شافيًا من مولانا السلطان ويوجه لهم مناصب أينما يريدون في غير الإقليم المصري، يتعيشون فيها بعيالهم وأولادهم وما شاءوا من مماليكهم وأتباعهم، وأما بقية الأمرا فإن شاءوا حضروا إلى مصر وأقاموا بها، وكانوا من جملة عسكر السلطان، وإن شاءوا عينوا لهم أماكن من الجهات القبلية يقيمون بها، وإن أبوا ذلك فليستعدوا للحرب والقتال.

(وفي يوم الثلاثا) قبض حسن باشا على عمر كاشف الذي سكنه بالشيخ الظلام، وعلى محمد أغا البارودي وأمر بحبسهما عند إسماعيل بك، وسبب ذلك المكاتبات التي تقدم ذكرها مع إسماعيل أغا كمشيش.

(وفي يوم الأربعا) سافر محمد أفندي مكتوبجي حسن باشا بالمكاتبة إلى القبليين.

وفيه قتل رجل من عسكر القليونجية رجلًا بربريًّا، فاجتمعت طايفة البرابرة وأخذوا قتيلهم وذهبوا به إلى حسن باشا، فأحضر القليونجي القاتل وقتله.

(وفي يوم الخميس) نزل الأغا والجاويشية ونادوا على جميع الألضاشات بالذهاب إلى بولاق ليسافروا في المراكب صحبة الوجاقلية، وكل من بات في بيته استحق العقوبة، وطاف الأغا عليهم يخرجهم من أماكنهم، ويقف على الخانات ويسأل على من بها منهم ويأمرهم بالخروج، فأغلق الناس حوانيتهم، وبطل سوق خان الخليلي في ذلك اليوم، وخرج منهم جماعة ذهبوا إلى بولاق، ومنهم من طلع إلى الأبواب حسب الأمر، وحصل لفقرايهم كرب شديد لكونهم لم يأخذوا نفقة، بل رسموا لهم أنهم يأكلون على سماط يلكهم ويعلقون على دوابهم وطعامهم البقسماط والأرز والعدس لا غير، وذلك لعزة اللحم وعدم وجوده، فإن اللحم الضاني بالمدينة بثلاثة عشر نصف فضة إن وجد والجاموسي بثمانية أنصاف، وزاد سعر الغلة بعد الانحطاط، وكذلك السمن والزيت.

وفيه نقل محمد أغا البارودي وعمر كاشف من بيت إسماعيل بك وحبسا بباب مستحفظان بالقلعة.

وفيه أرسل القبالي أحد أولاد أخي عابدي باشا وكان مأسورًا عندهم، وأرسلوا صحبته منهوبات عابدي باشا وجملة من العساكر المجروحين، وأنعموا على كل عسكري بدينار.

(وفي يوم الأحد سابع عشرينه) حضر محمد أفندي المكتوبجي من عند الجماعة وصحبته علي أغا مستحفظان بجواب الرسالة السابق ذكرها، فأخبر أنهم ممتثلون لجميع ما يؤمرون به ما عدا السفر إلى غير مصر، فإن فراق الوطن صعب، ويذكر عنهم أنه لم يشق عليهم شيء أعظم من تمكن أخصامهم من البلاد — أعني إسماعيل بك وحسن بك — وذلك هو السبب الحامل لهم على القدوم والمحاربة، فإن لم يقبل منهم ذلك فالقصد أن يبرز لحربهم أخصامهم دون العساكر العثمانية، فتكون الغلبة لنا أو علينا، فإن كانت علينا وظفروا بنا استحقوا الإمارة دوننا، وإن كانت لنا وظفرنا بهم فالأمر لكم بعد ذلك إن شئتم قبلتم توبتنا ورددتم لنا مناصبنا وشرطتم علينا شروطكم، فقمنا بها قيامًا لا نتحول عنه أبدًا ما بقينا، وإن شئتم وجهتمونا إلى أي جهة امتثلنا ذلك، فلما ذكر ذلك لحسن باشا قال لعلي أغا: أنا ما جيت إلى مصر لأعمل لهم على قدر عقولهم، وإنما السلطان أمرني بما أمرت به، فإن كانوا مطيعين فليمتثلوا الأمر وإلا فسيلقون وبال عصيانهم. وكتب لعلي أغا جوابًا بذلك، وخلع عليه فروة سمور، وسافر من وقته ورجع إلى أصحابه وصحبته شخص من طرف الباشا، ولما ذهب إليهم محمد أفندي المكتوبجي أنعموا عليه وأكرموه وأعطاه مراد بك خاصة ألف ريال، فجعل يثني عليهم ويمدح مكارم أخلاقهم.

واستهل شهر صفر الخير أوله يوم الخميس

فيه حضرت خزينة حسن باشا من ثغر إسكندرية، فدفع باقي النفقة للعسكر والأمرا.

وفيه وصل الخبر أن الأمرا القبالي زحفوا إلى بحري، ووصلت أوايلهم إلى بر الجيزة وآخرهم بالرقق وفردوا الكلف على بلاد الجيزة.

وفيه خرجت خيام إسماعيل بك وحسن بك إلى ناحية طرا، وحجزوا المعادي والمراكب وانحازت كلها إلى البر الشرقي.

وفيه طلب إسماعيل بك دراهم سلفة من التجار فاعتذروا بقلة الموجود بأيديهم، وأغنياؤهم جلوا إلى الحجاز ولم يدفعوا له شيًّا، وادعى على تجار البن بمبلغ دراهم باقي حساب من مدته السابقة فصالحوه عنها بأربعة آلاف دينار.

(وفي يوم الجمعة) نودي على المحمدية المقيمين بمصر أنهم يذهبون إلى إسماعيل بك ويقابلونه سواء كان جنديًّا أو أميرًا أو مملوكًا، ومن تأخر استحق العقوبة وقبض على أنفار منهم وسجنوا بالقلعة وختم على دورهم، من جملتهم جعفر كاشف الساكن عند بيت القاضي من ناحية بين القصرين.

فيه حضر الأغا الذي كان بصحبة علي أغا المتوجه بالرسالة، وحضر بجوابات من القبال ملخصها: إننا طلبنا العفو مرارًا فلم تعفوا ولم تقبلوا توبتنا، وحيث كان كذلك فالله أولى وبه الإعانة.

(وفي يوم السبت) خرج حسن باشا وإسماعيل بك وحسن بك وبقية الأمرا وبرزوا إلى نواحي البساتين.

(وفي تلك الليلة) — أعني ليلة الأحد — وقعت حادثة لشخص من الأجناد يقال له إسماعيل كاشف أبو الشراميط، بيته في عطفة بخط الخيمية قتله مماليكه، وسبب ذلك على ما سمعنا تقصيره في حقهم، وفي تصرفه عدة حصص جارية في التزامه، فكتب تقسيطها بتمامها باسم زوجته ولم يكتب لهم شيًّا من ذلك، وكان جبارًا ظالمًا معدودًا في جملة كشاف مراد بك، فلما حصلت المناداة على المحمدية ذهب إلى إسماعيل بك وقابله، فطرده وأمره بلزوم بيته وأن لا يخرج منه، فذهب إلى بيته وأرسل إلى إسماعيل بك حصانين بعددهما أحدهما مركوبه والثاني لأحد مماليكه.

وأرسل معهما درعين على سبيل التقدمة والهدية ليستميل خاطره، وكان مملوكه صاحب الحصان غايبًا في شغل، فلما حضر لم يجد الجواد فسأل عنه، فأخبره خشداشه بصورة الحال فدخل إلى سيده وسأله فنهره وشتمه، فخرج مقهورًا وجلس يتحدث مع رفيقه، فقالوا لبعضهم: هذا الرجل سيدنا لا نرى منه إلا الأذى ولا نرى منه إحسانًا ولا حلاوة لسان، وكذلك الحصص كتبها لزوجته ولم يفعل معنا خيرًا عاجلًا ولا آجلًا. وحملهم الغيظ على أنهم دخلوا عليه بعد العشاء وقتلوه، فصرخت زوجته من أعلى ونزلت إليهم فقتلوها أيضًا هي وجاريتها، فسمعت الجيران وكثر العايط وحضر الوالي، فوقف المملوكان وضربا عليه بنادق الرصاص ونقبوا بيوت الجيران ونطوا منها، فلم يزل حتى قبض عليهما وقتلهما على رأس العطفة، وأصبح الخبر شايعًا بين الناس بذلك.

(وفي يوم الأحد المذكور) حضر نجاب الحج وأخبر أن العرب وقفت للحجاج في طريق المدينة وحاربوهم سبعة أيام وانجرح أمير الحاج، وقتل غالب أتباعه وخازنداره، ومن الحجاج نحو الثلث ونهبوا غالب حمولهم بسبب عوايدهم القديمة.

(وفي يوم الاثنين) شق الأغا وأمامه المنادي يقول: إن إبراهيم بك ومراد بك مطرودا السلطان، ومن كان مختفيًا أو غايبًا وأراد الظهور أو الحضور فليظهر أو يحضر وعليه الأمان ولا بأس عليه، ومن خالف فلا يلومن إلا نفسه.

وفيه انتقل عساكر القليونجية وعدوا إلى البر الغربي ونصبوا هناك متاريس، وأما الأمرا القبليون فإنهم أخرجوا أثقالهم من المراكب وطلعوها بأجمعها إلى البر، وتركوا المراكب ذهبت إلى حال سبيلها وانحازوا جميعًا عند الأهرام.

(وفي يوم الثلاثا) نودي على جميع الألضاشات بالخروج إلى الوطاق وكذلك المقيمون بالقلعة، فتكدر الناس لذلك واختفوا في الدور ولبس كثير منهم ملابس الفقها والمجاورين؛ وسبب ذلك عدم قدرتهم على الخروج من غير مصرف، فإذا خرج فقير الحال لا يجد ما يأكله ولا ما ينفقه عياله في غيبته ولا يفيده إلا مقاساة الجوع والبرد والغربة والمشقة.

(وفي يوم الأحد حادي عشره) نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة وهم في أسوأ حال من العري والجوع، ونهبت جميع أحمال أمير الحاج وأحمال التجار وجمالهم وأثقالهم وأمتعتهم، وأسر العرب جميع النسا بالأحمال وكان أمرًا شنيعًا جدًّا، ثم إن الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير الحاج الشامي، فتكلم مع العرب في أمر النسا فأحضروهن عرايا ليس عليهن إلا القمصان وأجلسوهن جميعًا في مكان، وخرجت الناس أفواجًا فكل من وجد امرأته أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها اشتراها ممن هي في أسره، وصارت المرأة من نسا العرب تسوق الأربعة من الجمال والخمسة بأحمالها فلا تجد مانعًا؛ وسبب ذلك كله رعونة أمير الحاج، فإنه لما أراد أن يتوجه بالحجاج إلى المدينة أرسل إلى العرب، فحضر إليه جماعة من أكابرهم فدفع لهم عوايد سنتين وقسط البواقي على السنين المستقبلة بموجب الفرمان وحجز عنده أربعة أشخاص رهاين، فبدا له أن كواهم بالنار في وجوههم، فبلغ ذلك أصحابهم فقعدوا للحجاج في الطريق، فبلغ أمير الحاج ذلك فذهب من طريق أخرى فوجدهم رابطين فيها أيضًا فقاتلوا قتالًا هينًا، ففر هاربًا وترك الحجاج والعرب؛ فنهبوا حملته وقتلوا مماليكه ولم يبق معه إلا القليل، فهرب بمن بقي معه واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام ولم يره أحد، وفعلت العرب في الحجاج ما فعلوه وأخذوا ما أخذوه، فلم ينج منهم إلا من طال عمره وسلم نفسه أو افتداها إلى غير ذلك، وأخذوا المحمل أيضًا ولم يردوه.

(وفي يوم الاثنين ثاني عشره) دخل أمير الحاج المذكور وخلفه محمل زوروه من المحامل القديمة، وأشاعوا رجوعه بالكذب.

وفيه هجمت القبليون على المتاريس وأرادوا أن يملكوها في غفلة آخر الليل، لعلمهم أن الأمرا والباشا ذهبوا إلى مصر واشتغلوا بالحجاج، وكان حسن باشا أمس ذلك اليوم لما بلغه حضور الحجاج ركب من فوره وذهب إلى العادلية، فقابل أمير الحاج ورجع من ليلته إلى الوطاق فلما هجموا على المتاريس كان المترسون مستيقظين فضربوا عليهم المدافع من البر والبحر من الفجر إلى شروق الشمس، فرجعوا إلى مكانهم من غير طايل، ثم هجموا أيضًا يوم الثلاثا بعد الظهر فضربوا عليهم ورجعوا.

(وفي يوم الأربعا) ركب الأمرا القبليون وحملوا أحمالهم وصعدوا إلى دهشور وجلسوا هناك، وحضر منهم جماعة من الأجناد بأمان وانضموا إلى البحريين.

(وفي عشرينه) حضر أحمد كتخذا علي ومعه بعض كشاف ومماليك.

وفيه حصل العفو عن الألضاشات وغيرهم من المتعيشين؛ وسبب ذلك أنه لما زاد الإلحاح في طلبهم وصار الأغا يكثر من تكرار المناداة والتفتيش عليهم في الخانات والمساكن، وكل من صادفه بالغ في أذاه فضاق ذرعهم من ذلك، وشكا بعضهم للاختيارية، فتكلموا مع حسن باشا وكان المخاطب له أحمد جريجي أرنؤد اختيار تفكجيان، فقال له: يا سلطانم، الجماعة الألضاشات مكروبون من هذا الحال وغالبهم فقرا، ومنهم من لا يملك قوته، وما أعطيتموهم نفقة. فقال: ليست هذه الحادثة أحدثناها بل ذلك أمر قديم؛ لأنهم ينتسبون إلى الوجاقات. فقال له: نعم، ولكن العادة القديمة كان كل وجاق له دفتر وفيه عدة معدودة منهم ولهم جدكات وعوائد وكساوي، وهذا الأمر بطل من مدة سنين، فلما فهم حقيقة الحال أعفاهم وأمر الأغا فنادى عليهم بالعفو، وكل من كان له عادة قديمة يتبعها ويكتب اسمه في الدفتر ويأخذ جدك، فاطمأنوا لذلك، ثم ترك هذا الأمر وقعدوا في حوانيتهم وسكنت نفوسهم.

(وفي أواخره) أمر حسن باشا بمحاسبة محمد باشا المعزول، فذهب إليه أرباب الخدم والعكاكيز واختيارية الوجاقات والأفندية وذهبوا إليه ببولاق وتحاسبوا معه ودققوا عليه في الحساب، فطلع عليه ألف ومايتان وخمسة وعشرون كيسًا، فطلب أن يخصم منها باقي عوايده التي بذمم الأمرا وغيرهم، فعرفوا حسن باشا عن ذلك فلم يقبل، وقال: إن كان له شيء عند أحد يأخذه منه، ولا بد من إحضار الدراهم التي طلعت عليه فإني محتاج إلى ذلك في المصاريف اللازمة للعسكر، فشددوا عليه في الطلب فضاق

خناقه واعتذر وبكى، وكتب على نفسه تمسكًا بذلك، واستوحشا من بعضهما، فسعى فيض الله أفندي الريس بينهما في إزالة ذلك، ثم ذهب محمد باشا إلى حسن باشا واجتمع معه في قصر الآثار.

وفيه حضرت مكاتبة من القبالي يطلبون الأمان وأن يعينوا لهم أماكن في الجهة القبلية يقيمون بها ويعيشون هناك، فأجيبوا إلى ذلك ويختاروا مكانًا يريدونه بشرط أن يكونوا جماعة قليلة، ويحضر باقي الأمرا والعسكر إلى مصر بالأمان، فلم يرضوا بالافتراق ولم يجابوا إلا بمثل الجواب الأول، واستقروا ناحية بني سويف، ورجعت عنهم عرب الهنادي وفارقوهم.

واستهل ربيع الأول بيوم الجمعة

فيه حضر ططري من الدولة وعلى يده مثال لحسن باشا بأن يقيم بمصر ولا يخرج مع العساكر، بل يستمر محافظًا في المدينة فتحقق الناس إقامته وعدم سفره.

وفيه شرع الأمرا في التعدية إلى الجهة الغربية، فأول من عدى علي بك الدفتر دار فعدى إلى الشيمي بأثقاله، وكذلك بقية الأمرا صاروا في كل يوم يعدى منهم جماعة.

وفيه شرع حسن باشا في عمل شر كفلك فشرعوا في عمله على ساحل بولاق تجاه الديوان، وهو عبارة عن متريز مصنوع من أخشاب ممتدة على مقصات من خشب وهي قطع مفصلات يجمعها أغربة من حديد، على تلك المدادات عدة حراب حديد مسمرة عليها محددة الأطراف، وبين كل مقصين سفل الأخشاب الممتدة مدفع موضوع على شبه بسطة من الخشب، ومساحة ذلك نحو أربعمائة وخمسين ذراعًا، وهو يوضع على هيئات مختلفة مربعًا ومدورًا والعسكر من داخله متحصنين به، وإذا هجمت عليه الخيول رشقت بها تلك الحراب.

(وفي يوم الاثنين رابعه) ركبت طوايف العسكر والوجاقات ومروا بنظامهم من تحت قصر الآثار وحسن باشا ينظرهم، فأعجبه نظامهم وترتيبهم وحسن زيهم، ثم تتابعوا في التعدية.

(وفي يوم الاثنين حادي عشره) سافر عابدي باشا بمن بقي من العسكر.

(وفي ليلة الخميس رابع عشره) كسف جرم القمر جميعه، وكان ابتداؤه من رابع ساعة إلى ثامن ساعة من الليل.

(وفي منتصفه) حضرت عساكر من الأضات مثل قبرس وقرمان وغير ذلك، وجاء الخبر عن الأمرا القبالي أنهم وصلوا إلى أسيوط، وتخلف عنهم جملة من المماليك والأتباع في نواحي المنية وغيرهم، فمنهم من حضر إلى مصر ومنهم من اختفى في البلاد.

وفيه اشتكت الناس من غلا الأسعار، وتكلم الشيخ العروسي مع حسن باشا بسبب ذلك، وقال له: في زمن العصاة كان الأمرا ينهبون ويأخذون الأشياء من غير ثمن والحمد لله هذا الأمر ارتفع من مصر بوجودكم، وما عرفنا موجب الغلا أي شي. فقال: أنا لا أعرف اصطلاح بلادكم. وتشاور مع الاختيارية في شأن ذلك، فوقع الاتفاق على عمل جمعية في باب الينكجرية وإحضار الأغا والمحتسب والمعلمين ويعملون تسعيرة وينادون بها، ومن خالف أو احتكر شيًّا قتل.

فلما كان يوم السبت سادس عشره اجتمعوا في باب مستحفظان، وحضر الشيخ العروسي أيضًا، واتفقوا على تسعيرة في الخبز واللحم والسمن وغير ذلك، ركب الأغا وبجنبه المحتسب ونادوا في الأسواق فجعلوا اللحم الضاني بثمانية أنصاف وكان بعشرة، والجاموسي بستة بعد سبعة، والسمن المسلي بثمانية عشر، والزبد بأربعة عشر، والخبز عشرة أواق بنصف فضة وهكذا، فعزت الأشياء وقل وجود اللحم، وإذا وجد كان في غاية الرداءة مع ما فيه من العظم والكبد والفشة والكرشة.

(وفي يوم السبت ثالث عشرينه) سافر محمد باشا المنفصل من بولاق إلى رشيد.

(وفي أواخره) وصل الخبر بأن رضوان بك قرابة علي بك الكبير المنافق وعلي بك الملط وعثمان بك وجماعة علوية حضروا إلى عرضي التجريدة، وأخذوا الأمان من إسماعيل بك وعابدي باشا وأنهم قادمون إلى مصر، وأن القبالي استقروا بوادي طحطا مكانهم الأول الذي قاتلوا فيه.

شهر ربيع الثاني

وفي يوم الخميس خامسه وصل المذكورون إلى مصر وقابلوا حسن باشا وتوجهوا إلى بيوتهم.

وفيه ألبسوه أوده باشه بوابة، وكان شاغرًا من أيام علي بك الكبير نحوًا من ثماني عشرة سنة.

(وفي يوم الأحد ثامنه) ضربوا مدافع كثيرة وقت الضحى، وكان أشيع في أمسه أن التجريدة نصرت وقتل من القبالي أناس كثيرة، فلما سمعت الناس تلك المدافع ظنوا

تحقيق ذلك وكثرت الأكاذيب والأقاويل، ثم تبين أن لا شي، وأنها بسبب رجوع بعض مراكب رومية من ناحية الفشن بسبب قلة ماء النيل، ومن عادتهم أنهم إذا وصلوا للمرساة ضربوا مدافع فيجابوا بمثلها.

(وفي منتصفه) حضر محمد كتخدا الأشقر بسبب تجهيز ذخيرة ولوازم ومصاريف فهيئت وأرسلت، وكذلك قبل ذلك مرارًا كثيرة، وأخبر أن التجريدة وصلت إلى دجرجا وأن القبالي ارتحلوا منها وصعدوا إلى فوق وتباعدوا عن البلد نحو ست ساعات ثم انقطعت الأخبار.

واستهل شهر جمادى الأولى

فيه زاد قلق حسن باشا بسبب تأخر الجوابات وطول المدة.

وفيه عين حسن باشا علي محمد باشا برشيد وشدد عليه في طلب الدراهم وضايقوه حتى باع أمتعته وحوايجه وغلق ما عليه، وتوفيت زوجته فحزن عليها حزنًا شديدًا مع ما هو فيه من الكرب ولم يفده من فعايله وهمته التي فعلها بمصر قدوم حسن باشا شيء، وجازاه بعد ذلك بأقبح المجازاة فإنه لولا أفاعيله وتمويهاته وأكاذيبه ما تمكن حسن باشا من دخول مصر، فإنه كان يعظم الأمر على الأمرا المصريين ويهول تهويلات كثيرة عليهم وعلى المشايخ واختيارية الوجاقات، ويقول: إياكم والعناد وإياكم أن توقعوا حربًا فإنكم تخربون بلادكم وتكونون سببًا في هلاك أهلها، فإنه بلغني أنه تعين مع حسن باشا كذا كذا ألفًا من الجنس الفلاني وكذا كذا ألفًا من جنس العسكر الفلاني، وأنهم متأخرون في الحضور عنه تحت الاحتياج، وكذلك في عساكر البر الواصلة من الجهة الشامية ومعهم ثمانون ألف ثور ومائة ألف جاموس برسم جر المدافع، وفي المدافع ما يسحبه خمسون ثورًا ونحو ذلك. حتى أدخل عليهم الوهم وظنوا صدقه وانحلت عرا الناس عنهم وخصوصًا بما مناهم به من إقامة العدل ومنع الظلم والجور وغير ذلك، حتى جذب قلوب العالم وتحولوا عن الأمرا وتمنوا زوالهم في أسرع وقت، وهيج الناس وأثارهم قبل وصول حسن باشا، وملك القلعة ومهد له الأمور، فجزاه بعد تمكنه بالخذلان والعزل والحساب والتدقيق وغير ذلك.

(وفي يوم الأربعا ثالثه) ورد نجاب وصحبته مكتوب من عابدي باشا إلى حسن باشا وأخبر بوقوع الحرب بين الفريقين في يوم الجمعة ثامن عشرين ربيع الآخر عند الأمير ضرار، وكانت الهزيمة على القبالي ولكن بعد أن كسروا الجردة مرتين، وهجموا على

شركفلك فضربوا عليهم من داخله بالمدافع والبنادق وقتل لاجين بك عند شركفلك، وقتل الكثير من عرب الهنادي وقبض على كبيرهم أسيرًا، ومات من المصاحبين للعسكر ذو الفقار الخشاب وجماعة من الوجاقلية منهم علي جربجي المشهدي، وكانت الحرب بينهم نحو ست ساعات وكانت وقعة عظيمة، وقتل من الفريقين ما لا يحصى وكان حضور هذا النجاب على الفور من غير تحقيق، فلما ورد ذلك سر الباشا سرورًا كثيرًا وأمر بعمل شنك، ضربوا مدافع كثيرة من قصر العيني والقلعة وضربوا النوبة السلطانية في برج القلعة وكذلك نوبة حسن باشا تحت القصر، وأرسل الشيخ إلى الأعيان كالشيخ البكري والشيخ السادات وأكابر الوجاقات وحضروا جميعًا للتهنية.

(وفي عصريتها) أحضر آلات اللهو والطرب فضربوا نوبة بين يديه، وعمل في ليلتها شنكًا وحراقة سواريخ ونقوطا، وابتهج ابتهاجًا عظيمًا وسكن ما كان به من الوجل.

(وفي سادسه) حضرت عدة مكاتبات من أمرا التجريدة، فأخبروا فيها بتلك الواقعة وأن القبالي صعدوا بعد الهزيمة إلى عقبة الهو (بنجع حمادي) على جرايد الخيل فلم يصعدوا خلفهم لصعوبة المسلك على الأحمال والأثقال، وأنهم منتظرون حضور مراكبهم وما فيها من الذخيرة فيحملوا الأحمال ويسيرون بأجمعهم خلفهم من الطريق المستقيم التي توصل إلى خلف العقبة، وأخبروا أيضًا أنهم استولوا على حملاتهم ومتاعهم حتى بيع الجمل، وعليه النقاقير بخمسة ريال ونحو ذلك.

(ومن الحوادث في هذه الأيام) وقوع الموت الذريع في الأبقار حتى صارت تتساقط في الطرقات.

ومات لابن بسيوني غازي بناحية سنديون خاصة ماية وستون ثورًا، وقس على ذلك.

(وفي عاشره) طلب الباشا حوضًا ليعمله حنفية، فأخبره الحاضرون وعرفوه بالحوض الذي تحت الكبش المعروف بالحوض المرصود، فأمر بإحضاره فأرسلوا إليه الرجال والحمالين، وأرادوا رفعه من مكانه فازدحمت عليه الناس من الرجال والنسا لما تسامعوا بذلك لينظروا ما شاع.

وثبت في أذهانهم من أن تحته كنزًا وهو مرصود على شي من العجايب أو نحو ذلك، وأن الباشا يريد الكشف عن أمره فلما حصل ذلك الازدحام وجده الحمالون ثقيلًا جدًّا وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال، وحركوه عن مكانه يسيرًا وبلغ الباشا ما حصل من ازدحام العامة أمر بتركه فتركوه ومضوا، فذهب العامة في أكاذيبهم كل مذهب، فمنهم

من يقول: إنهم لما حركوه وأرادوا جره رجع بنفسه ثانيًا، ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات.

(وفي يوم الثلاثا سادس عشره) وصل نيف وثلاثون رأسًا من قتلى القبليين فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة على سرير من جريد النخل وأبقوهم ثلاثة أيام ثم دفنوهم، ووجد فيهم رأس عزوز كتخدا عزبان.

(وفي ذلك اليوم) أمر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طايفة من العسكر وضرباهم وأخذا سلاحهم ورفعت الشكوى إلى الباشا، فأمر بشنق الغيطانية ظلمًا على الشجرة التي عند القنطرة فيما بين طريق مصر القديمة وطريق الناصرية.

(وفي يوم السبت عشرينه) تقلد حسن أغا كتخذا علي بك الدفتردار المعروف بحسن جلبي الحسبة وعزل ابن ميلاد.

(وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه) نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل معهم أمتعة وثياب مرسلة إلى القبالي من نسايهم، فركبوا خلفهم فلم يدركوهم وأشاعوا أنهم قبضوا عليهم من غير أصل، ووصل خبرهم حسن باشا فاغتاظ على الأغا والوالي، وأمرهما بالذهاب إلى بيوتهم ويسمرونها عليهم ففعلوا ذلك، وقبضوا على الأغوات الطواشية والسقايين، وحلت ضجة في البلد بين الظهر والعصر بسبب ذلك، وفرت زوجة إبراهيم بك إلى بيت شيخ السادات، ثم إن رضوان بك قرابة علي بك تشفَّع في تسمير البيوت فقبلت شفاعته، وأرسل لمعادي الخبيري والجيزة ومنعهم من التعدية وحجزوهم إلى البر الشرقي.

(وفي يوم الثلاثا) وردت نجابة وعلى أيديهم مكاتبات من عابدي باشا يخبر فيها بأن يحيى بك وحسن كتخدا الجربان حضرا إليه بأمان وخلع عليهم فراوي وصحبتهم عدة من الكشاف والمماليك، وذلك بعد أن وصلوا إلى إسنا وأن القبالي ذهبوا إلى ناحية إبريم فتخلف عنهم المذكورون.

(وفي يوم الخميس سادس عشرينه) حضر إسماعيل القبطان وكان بصحبته حمامجي أوغلي، وأخبر أن العسكر العثمانية ملكوا أسوان وأن الأمرا القبالي ذهبوا إلى إبريم وأنهم في أسوأ حال من العري والجوع وغالب مماليكهم لابسون الزعابيط مثل الفلاحين، وتخلف عنهم كثير من أتباعهم فمنهم من حضر إلى عابدي باشا بأمان ومنهم من تَشَتَّتَ في البلاد، ومنهم من قتله الفلاحون وغير ذلك من المبالغات.

(وفي يوم الاثنين) خلع حسن باشا على رضوان بك العلوي وقلده كشوفية الغربية، وقلد علي بك الملط كشوفية المنوفية، وقرر لهما على كل بلد أربعة آلاف نصف فضة، ونزلا إلى طندتا لأجل خفارة مولد السيد أحمد البدوي.

(وفي هذا الشهر) عمت البلوى بموت الأبقار والثيران في ساير الإقليم البحري ووصل إلى مصر حتى أنها صارت تتساقط في الطرقات وغيطان المرعى وجافت الأرض منها، فمنها ما يدركونه بالذبح ومنها ما يموت، ورخص سعر اللحم البقري جدًّا لكثرته حتى صار يباع بمصر آخر النهار كل رطلين بنصف فضة مع كونه سمينًا غير هزيل، وعافته الناس وبعضهم كان يخاف من أكله، وأما الأرياف فكان يباع فيها بالأحمال، وبيعت البقرة بما خلفها بدينار.

وكثر عويل الفلاحين وبكاهم على البهايم، وعرفوا بموتها قدر نعمتها، وغلا سعر السمن واللبن والأجبان بسبب ذلك لقلتها.

شهر جمادى الآخرة

استهل بيوم الأربعا وكان ذلك يوم النوروز السلطاني وانتقال الشمس لبرج الحمل.

(وفي يوم الأحد خامسه) حضر حمامجي أوغلي وأخبر أن القبالي ذهبوا إلى إبريم، وأن الباشا والوجاقلية والعسكر رجعوا إلى إسنا، وأرسلوا يستشيرون الباشا في الذهاب خلفهم أو الرجوع أو الإقامة.

(وفي يوم الاثنين) سافر حمامجي أوغلي بالجوابات إلى الجهة القبلية وفيها الأمر بحضور عابدي باشا وإسماعيل بك وباقي الأمرا إلى مصر، وأن حسن بك ومحمد بك المبدول ويحيى بك يقيمون بإسنا محافظين.

(وفي يوم الخميس سادس عشره) نودي على النسا أن لا يخرجن إلى موسم الخماسين المعروف عند القبطة بالنسيم وذلك يوم الاثنين صبيحة عيدهم.

(وفي عشرينه) نودي بإبطال المعاملة بالذهب الفندقلي الجديد، واستمرت المناداة على النسا في عدم خروجهن إلى الأسواق، وسبب ذلك وقايعهن مع العسكر، منها أنهم وجدوا ببيت يوسف بك سكن حمامجي أوغلي نحو سبعين امرأة مقتولة ومدفونة بالإسطبلات، ومن النسا من لعبت على العسكر وأخذت ثيابه، وأمثال ذلك، فنودي عليهن بسبب ذلك، فتضرر المحترفات منهن مثل البلانات والدايات وبياعات الغزل والقطن والكتان، ثم حصل الإطلاق وسومحن في الخروج.

(وفي خامس عشرينه) حضرت نجابة من قبلي وحضر أيضًا حمامجي أوغلي وأخبروا أن الباشا والأمرا وصلوا إلى دجرجا.

(وفي أواخره) وصل جماعة من الوجاقلية وحضر عمر كاشف الشعراوي ولبس قفطانًا على كشوفية الشرقية؛ لأنه كان أزلم باشا.

شهر رجب الفرد استهل بيوم الخميس

فيه قبض حسن باشا على أحمد قبودان المعروف بحمامجي أوغلي وحبسه وحبس أيضًا تابعه عثمان التوقتلي، كان يسعى معه في الخبايث، وكذلك رجل يقال له مصطفى خوجه.

(وفي يوم الخميس سابعه) نودي على النسا أنهن إذا خرجن لحاجة يخرجن في كمالهن، ولا يلبسن الحبرات الصندل ولا الإفرنجي، ولا يربطن على روسهن العمايم المعروفة بالقازدغلية.

وذلك من مبتدعات نسا القازدغلية، وذلك أنهن يربطن الشاشات الملونة المعروفة بالمدورات، ويجعلنها شبه الكعك ويملنها على جباههن معقوصات بطريقة معلومة لهن، وصار لهن نسا يتولين صناعة ذلك بأجرة على قدر مقام صاحبتها، ومنهن من تعطي الصانعة لذلك دينارًا أو أكثر أو أقل، وفعل ذلك جميع النسا حتى الجواري السود.

(وفي يوم الأحد حادي عشره) حضر عابدي باشا وإسماعيل بك وعلي بك الدفتردار ورضوان بك بلفيا وحسن بك رضوان ومحمد بك كشكش وعبد الرحمن بك عثمان وسليمان بك الشابوري وباقي الوجاقلية إلى مصر وذهبوا إلى بيوتهم، وبات الباشا في مصر القديمة.

(وفي صبحها يوم الاثنين) ركب عابدي باشا وطلع إلى القلعة من غير موكب وطلع من جهة الصليبة، وذلك قبل أذان الظهر بنحو خمس درجات، فلما استقر بها ضربوا له مدافع من الأبراج، وبعد انقضاء المدافع أرعدت السما رعودًا متتابعة إلى العصر وأمطرت مطرًا غزيرًا، وذلك رابع عشرين برموده القبطي وتاسع عشر نيسان الرومي، وأما حسن بك الجداوي فإنه تخلف بقنا هو وأتباعه، وكذلك عثمان بك وسليم بك الإسماعيلي بإسنا، وعلي بك جركس بأرمنت، وعثمان بك وشاهين بك الحسيني ويحيى بك وباكير بك ومحمد بك المبدول، كذلك تخلفوا متفرقين في البنادر لأجل المحافظة، وقاسم بك أبو سيف في منصبه بدجرجا.

وأراد الباشا وإسماعيل بك أن يبقوا طايفة من الوجاقلية ومعهم طايفة من العسكر فأبوا وقالوا: حتى نذهب إلى مصر ونعدل حالنا وبعد ذلك نأتي.

(وفي ذلك اليوم) وصل الخبر بأن القبالي رجعوا من أسوان وشرعوا في التعدية إلى إسنا، فأرسل إسماعيل بك إلى الاختيارية فحضروا عنده بعد العصر وتكلموا في شأن ذلك بحضرة علي بك أيضًا، وكذلك اجتمعوا في صبحها يوم الثلاثا وانفصل المجلس كالأول.

(وفي أواخره) وصل الخبر أنهم زحفوا إلى بحري وأن حسن بك تأخر عنهم.

شهر شعبان

في أوايله جا الخبر أنهم وصلوا إلى دجرجا وأن حسن بك والأمرا وصلوا في التأخر إلى المنية، وعملت جمعيات ودواوين بسبب ذلك وشرعوا في طلوع تجريدة، ثم وقع الاختلاف بين الباشا والأمرا، واستقر الأمر بينهم في الرأي أن يراسلوهم في الصلح وأنهم يقيمون في البلاد التي كانت بيد إسماعيل بك وحسن بك، ويرسلوا أيوب بك الكبير والصغير وعثمان بك الأشقر وعثمان بك المرادي يكونون بمصر رهاين، وكتبوا بذلك مكاتبات وأرسلوها صحبة محمد أفندي المكتوبجي وسليمان كاشف قنبور والشيخ سليمان الفيومي.

وفيه تقلد غيطاس بك إمارة الحج.

وفيه قررت المظالم على البلاد، وهي المعروفة برفع المظالم، وكان حسن باشا عندما قدم إلى مصر أبطلها، وكتب برفعها فرمانات إلى البلاد، فلما حضر إسماعيل بك حسن له إعادتها فأعيدت، وسموها التحرير وكتب بها فرمانات، وعينت بها المعينون، وتفرقوا في الجهات والأقاليم يطلبها مع ما يتبعها من الكلف وحق الطرق وغيرها، فدهى الفلاحون وأهل القرى بهذه الداهية ثانيًا على ما هم فيه من موت البهايم وهياف الزرع وسلاطة الفيران الكثيرة على غيطان الغلة والمقاثي وغيرها، وما هم فيه من تكلف المشاق الطاري عليهم أيضًا، بسبب موت البهايم في الدراس وإدارة السواقي بأيديهم وعوافيهم، أو بالحمير أو الخيل أو الجمال لمن عندهم مقدرة على شرايها، وغلت أثمانها بسبب ذلك إلى الغاية، فتغير قلوب الخلق جميعًا على حسن باشا وخاب ظنهم فيه وتمنوا زواله، وفشا شر جماعته وعساكره القليونجية في الناس، وزاد فسقهم وشرهم وطمعهم، وانتهكوا حرمة المصر وأهله إلى الغاية.

(وفي خامسه يوم الأربعا) توفي أحمد كتخدا المجنون، وقلدوا مكانه في كتخدايته مستحفظان رضوان جاويش تباعه عوضًا عنه.

وفيه قتل عثمان التوقتلي بالرميلة رفيق حمامجي أوغلي، بعد أن عوقب بأنواع العذاب مدة حبسه، واستصفيت منه جميع الأموال التي كان يملكها واختلسها ودل على غيرها حمامجي أوغلي، واستمر حمامجي أوغلي في الترسيم.

وفيه قبض على سراج متوجه إلى قبلي ومعه دراهم وأمتعة وغير ذلك فأخذت منه ورمي عنقه ظلمًا بالرميلة.

شهر رمضان استهل بيوم الأحد

فيه اختصرت الأمرا من وقدة القناديل في البيوت عن العادة.

وفيه عبَّى إسماعيل بك هدية جليلة، وأرسلها إلى حسن باشا وهي سبع فروق بن وخمسون تفصيلة هندي عال مختلفة الأجناس، وأربعة آلاف نصفية دنانير نقد مطروقة، وجملة من بخور العود والعنبر وغير ذلك، فأعطى للشيالين على سبيل الإنعام أربعة عشر قرشًا رومية عنها خمسماية وستون نصفًا فضة.

(وفي ثامنه) حضر حسن بك الجداوي إلى مصر.

(وفي يوم الثلاثا عاشره) حضر المحمل صحبة رجل من الأشراف، وذلك أنه لما وقع للحجاج من العربان ما وقع في العام الماضي، ونهبوا الحجاج وأخذوا المحمل بقي عندهم إلى أن جيش عليهم الشريف سرور وحاربهم وقاتلهم قتالًا شديدًا، وأفنى منهم خلايق لا تحصى، واستخلص منهم المحمل وأرسله إلى مصر صحبة ذلك الشريف، وقيل إن الشريف الذي حضر به هو الذي افتداه من العرب بأربعماية ريال فرانسة، فلما حضر خرج إلى ملاقاته الأشاير والمحملدارية وأرباب الوظايف، ودخلوا به من باب النصر وأمامه الأشاير والطبول والزمرد، وذلك الشريف راكب أمامه أيضًا.

(وفي ذلك اليوم بعد أذان العصر بساعتين) وقعت حادثة مهولة مزعجة بخط البندقانيين، وذلك أن رجلًا عطارًا يسمى أحمد ميلاد وحانوته تجاه خان البهار، اشترى جانب بارود إنكليزي من الفرنج في برميلين وبطة ووضعها في داخل الحانوت، فحضر إليه جماعة من أهل الينبع وساوموه على جانب بارود وطلبوا منه شيًّا ليروه ويجربوه، فأحضر البطة وصب منها شيًّا في المنقد الذي يعد فيه الدراهم، ووضعوه على قطعة كاغد وأحضروا قطعة يدك وطيروا ذلك البارود عن الكاغد فأعجبهم، ومن خصوصية البارود الإنكليزي إذا وضع منه شيء على كاغد وطير فالنار لا تؤثر في الكاغد، ثم رموا بالقطعة اليدك على مصطبة الحانوت، وشرع يزن لهم وهم يضعونه في ظرفهم ويتساقط فيما بين ذلك من حباته، وانتشر بعضها إلى ناحية اليدك وهم لا يشعرون.

فاشتعلت تلك الحبات واتصلت بما في أيديهم وبالبطة، ففرقعت مثل المدفع العظيم واتصلت النار بذينك البرميلين كذلك، فارتفع عقد الحانوت وما جاوره بما على تلك العقود من الأبنية والبيوت الربع والطباق في الهوا، والتهبت بأجمعها نارًا، وسقطت بمن فيها من السكان على من كان أسفلها من الناس الواقفين والمارين وصارت كومًا يظن من لم يكن رآه قبل ذلك أنه له ماية عام، وذلك كله في طرفة عين، بحيث إن الواقع في ذلك السوق أو المار لم يمكنه الفرار والبعيد أصيب في بعض أعضايه، إما من النار أو الردم وكان السوق في ذلك الوقت مزدحمًا بالناس خصوصًا وعصرية رمضان، وذلك السوق مشتمل على غالب حوايج الناس، وبه حوانيت بالعطارين والزياتين والقبانية والصيارف، وبياعي الكنافة والقطايف، والبطيخ والعبدلاوي، ودكاكين المزينين والقهاوي، وغالب جيران تلك الجهة وسكان السبع قاعات وشمس الدولة يأتون في تلك الحصة ويجلسون على الحوانيت لأجل التسلي، والحاصل أن كل من كان حاصلًا بتلك البقعة في ذلك الوقت سوا كان عاليًا أو متسفلًا، أو مارًّا أو واقفًا لحاجة أو جالسًا أصيب البتة.

وكان ذلك العطار يبيع غالب الأصناف من رصاص وقصدير ونحاس وكحل وكبريت، وعنده موازين شبه الجلل فلما اشتعل ذلك البارود صارت تلك الجلل وقطع الرصاص والكحل والمغناطيس تتطاير مثل جلل المدافع حتى أحرقت واجهة الربع المقابل لها، وكان خان البهار مقفولًا منخربًا وبابه كبير مسماري فصدمه بعض الجلل وكسره واشتعل بالنار واتصل بالطباق التي تعلو ذلك الخان ووقعت ضجة عظيمة، وكل من كان قريبًا وسلم أسرع يطلب الفرار والنجاة وما يدري أي شيء القضية، فلما وقعت تلك الضجة وصرخت النسا من كل جهة وانزعج الناس انزعاجًا شديدًا، وارتجت الأرض واتصلت الرجة إلى نواحي الأزهر والمشهد الحسيني وظنوها زلزلة.

شرع تجار خان الحمزاوي في نقل بضايعهم من الحواصل، فإن النار تطايرت إليه من ظاهره، وحضر الأغا والوالي فتسلم الأغا جهة الحمزاوي، وتسلم الوالي جهة شمس الدولة، وتتبعوا النار حتى أخمدوها، وختموا على دكاكين الناس التي بذلك الخط، وأرسلوا ختموا بيت أحمد ميلاد الذي خرجت النار من حانوته بعد أن أخرجوا منه النسا ثم أفرجوا عنهم بأمر إسماعيل بك، وأحضروا في صبحها نحو المايتي فاعل، وشرعوا في نبش الأتربة وإخراج القتلى، وأخذ ما يجدونه من الأسباب والأمتعة وما في داخل الحوانيت من البضايع والنقود وما سقط من الدور من فرش وأوان ومصاغ النسا وغير ذلك شيًّا كثيرًا، حتى الحوانيت التي لم يصبها الهدم فتحوها وأخذوا ما فيها وأصحابها ينظرون،

ومن طلب شيًّا من متاعه يقال له: هو عندنا حتى تثبته. هذا إذا كان صاحبه ممن يخاطب ويصغى إليه، وقيامة قايمة ومن يقرأ ومن يسمع، ووقفت أتباعهم بالنبابيت من كل جهة يطردون الناس ولا يمكنون أحدًا من أخذ شي جملة كافية، وأما القتلى فإن من كان في السوق أو قريبًا من تلك الحانوت والنار فإنه احترق، ومن كان في العلو من الطباق انهرس، ومنهم من احترق بعضه وانهرس باقيه، وإذا ظهر وكان عليه شي أو معه شي أخذوه، وإن كانت امرأة جردوها وأخذوا حليها ومصاغها، ثم لا يمكنون أقاربهم من أخذهم إلا بدراهم يأخذونها، وكأنما فتح لهم باب الغنيمة على حد قول الشاعر:

مصايب قوم عند قوم فوايد

ولما كشفوا عن أحمد ميلاد وحانوته وجدوه تمزق واحترق وصار قطعًا مثل الفحم، فجمعوا منه ست قطع وأخذوا شيًّا كثيرًا من حانوته ودراهم وودايع كانت أسفل الحانوت لم تصبها النار وكتم عليها الردم والتراب.

وكذلك حانوت رجل زيات انهدم على صاحبه، فكشفوا عنه وأخرجوه ميتًا وأخذوا من حانوته مبلغ دراهم، وكذلك من بيت صباغ الحرير بجوار الحمزاوي انهدمت داره أيضًا وأخذوا ما فيها، ومن جملتها صندوق ضمنه دراهم لها صورة ونحو ذلك، واستمر الحال على ذلك أربعة أيام، وهم في حفر ونبش وإخراج قتلى وجنايز، وبلغت القتلى التي أخرجت نيفًا عن ماية نفس وذلك خلاف ما بقي تحت الردم منهم إمام الزاوية المجاورة لذلك، فإنها انخسفت أيضًا على الإمام وبقي تحت الردم ولم يجدوا بقية أعضاء أحمد ميلاد، وفقدوا دماغه، فجمعوا أعضاءه ووضعوها في كيس قماش ودفنوه، وسدوا على تلك الخطة من الجهتين وتركوها كما هي مدة أيام، ونظفت وعمرت بعد ذلك فكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث المزعجة المورخة وما راء كمن سمعا.

(وفي يوم الخميس) حضر الرسل من عند القبليين، وحضر أيوب بك الكبير رهينة عن المماليك المحمدية، وعثمان بك الطنبرجي عن مراد بك، وعبد الرحمن بك عن إبراهيم بك، فذهبوا إلى حسن باشا وقابلوه، وكذلك قابلوا عابدي باشا، ثم اجتمع الأمرا عند حسن باشا وتكلموا في شأن هولا الجماعة، وقالوا: هولا ليسوا المطلوبين، ولم يأت إلا أيوب بك الكبير من المطلوبين، ولم يأت عثمان بك الأشقر وأيوب بك الصغير، فاتفق الرأي على إعادة الجواب، فكتبوا جوابات أخرى وأرسلوها صحبة سلحدار حسن باشا.

(وفي هذا الشهر) أخذت القرصان ثلاثة غلايين، وفيها أناس من أتباع الدولة وأعيانها.

وفيه وصل الخبر بوقوع حريق عظيم ببندر جدة، وتوفي أحمد باشا واليها.

وفيه عبى علي بك الدفتردار كساوي للأمرا، فأرسل إلى إسماعيل بك وحسن بك الجداوي ورضوان بك وباقي الصناجق والأمرا، حتى لحريمهم وأتباعهم وأرسل أيضًا لطايفة الفقها.

وفيه فتح السفر لجهة الموسقو وتقليد باكير قبطان باشا قايمقام عن حسن باشا.

(وفي منتصفه) وقعت حادثة بثغر بولاق بين طايفة القليونجية والفلاحين باعة البطيخ، وذلك أن شخصًا قليونجيًّا ساوم على بطيخة وأعطاه دون ثمنها، فامتنع وتشاجر معه فوكزه العسكري بسكين، فزعق الفلاح على شيعته، وزعق الآخر على رفقايه؛ فاجتمع الفريقان ووقع بينهم مقتلة كبيرة قتل فيها من الفلاحين نحو ثلاثين إنسانًا، ومن القليونجية نحو أربعة.

(وفي يوم الأحد ثاني عشرينه) قررت تفريدة على بلاد الأرياف أعلى وأوسط وأدنى، الأعلى خمسة وعشرون ألف نصف فضة، والأوسط سبعة عشر ألفًا، والأدنى تسعة آلاف، وذلك خلاف ما يتبعها من الكلف وحق الطرق.

وفيه رفعوا خفارة البحرين عن ابن حبيب، وكذلك الموارد والتزم بها رضوان بك على خمسين كيسًا يقوم بها في كل سنة لطرف الميري، وسبب ذلك منافسة وقعت بينه وبين ابن حبيب، فإنه لما تولى المنوفية ومر على دجوة أرسل له ابن حبيب تقدمة فاستقلها، ثم أرسل إليه بعد ارتحاله من الناحية يطلب منه جمالًا وأشيا، فامتنع ابن حبيب فأرسل يطلبه ليقابله فلم يذهب إليه واعتذر، ولما رجع نزل إليه ابنه علي بالضيافة فعاتبه على امتناع أبيه من مقابلته، وأضمر له في نفسه وتكلم معه حسن باشا في رفع ذلك عنهم والتزم بالقدر المذكور، وطريقة العثمانية الميل إلى الدنيا بأي وجه كان، فأخرج فرمانًا بذلك.

شهر شوال

(وفي ثانيه) برزت الأمرا المعينون لجمع الفردة، وهم: سليم بك الإسماعيلي للغربية، وشاهين بك الحسيني لإقليم المنصورة، وعلي بك الحسيني لإقليم المنوفية، ومحمد بك كشكش للشرقية، وعثمان بك الحسيني للبحيرة، وعثمان كاشف الإسماعيلي للفيوم، ويوسف كاشف الإسماعيلي للبهنسا، وأحمد كاشف للجيزة.

(وفي ثامنه) حضر سلحدار الباشا وسليمان كاشف قنبور المسافران بالجوابات إلى الأمرا القبليين، وذلك أنهم أرسلوا بطلب بلاد أخرى زيادة على ما عينوا لهم، وقالوا: إن هذه البلاد لا تكفينا، فأمر لهم حسن باشا بخمسة بلاد أخرى، فقال إسماعيل بك: اطلبوا منهم حلوانها، فقال إسماعيل كاشف قنبور: اجعلوا ما أخذ من بيوتهم في نظير الحلوان، فقال: كذلك.

وفي عاشره حضر قاصد من الحجاز بمراسلة من الشريف سرور يخبر فيها بعصيان عرب حرب وغيرهم، وقعودهم على الطريق ومنعهم السبيل، ويحتاج أن أمير الحاج يكون في قوة واستعداد، وأن الحرب قايمة بينهم وبين الشريف، وخرج إليهم في نحو خمسة عشر ألفًا.

(وفي منتصفه) كمل عمارة التكية المجاورة لقصر العيني المعروفة بتكية البكتاشية، وخبرها أن هذه التكية موقوفة على طايفة من الأعجام المعروفين بالبكتاشية، وكانت قد تلاشى أمرها وآلت إلى الخراب، وصارت في غاية من القذارة، ومات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بك، وغلام يدعي أنه من ذرية مشايخها المقبورين، فغلب على الغلام ذلك الرجل لانتسابه إلى الأمرا، سافر إلى إسكندرية فصادف مجيء حسن باشا واجتمع به، وهو بهيئة الدراويش، وهم يميلون لذلك النوع، وصار من أخصايه لكونه من أهل عقيدته، وحضر صحبته إلى مصر وصار له ذكر وشهرة، ويقال له الدرويش صالح، فشرع في تعمير التكية المذكورة من رشوات مناصب المكوس التي توسط لأربابها مع حسن باشا، فعمرها وبنى أسوارها وأسوار الغيطان الموقوفة عليها المحيطة بها، وأنشأ بها صهريجًا في فسحة القبة.

ورتب لها تراتيب ومطبخًا وأنشا خارجها مصلى باسم حسن باشا، فلما تم ذلك عمل وليمة، ودعا جميع الأمرا، فحصل عندهم وسوسة، واعتدوا وركبوا بعد العصر بجميع مماليكهم وأتباعهم وهم بالأسلحة متحذرين، فمد لهم سماطًا وجلسوا عليه، وأوهموا الأكل لظنهم الطعام مسمومًا، وقاموا وتفرقوا في خارج القصر والمراكب، وعمل شنك وحرقة نفوط وبارود، ظنوا غرابته ثم ركبوا في حصة من الليل وذهبوا إلى بيوتهم.

(وفي يوم السبت تاسع عشره) وصل باشة جدة إلى بولاق، وركب حسن باشا والأمرا وذهبوا للسلام عليه.

وفيه حضرت بشارة من شريف مكة بنصرته على العرب وهزيمتهم، وأنه قتل منهم نحو الثلاثة آلاف، فاطمأن الناس.

وفيه مرض عابدي باشا.

(وفي يوم الخميس رابع عشرينه) خرج المحمل وأمير الحاج غيطاس بك في موكب محتقر بدون الينكجرية والعزب، مثل العام الماضي، فخرجوا إلى الحصوة، وأقاموا هناك ولم يذهبوا إلى البركة.

(وفي يوم الثلاثا غايته) ارتحل الحجاج من الحصوة إلى البركة بعد العصر، وارتحلوا في ضحوة يوم الأربعا غرة شهر القعدة.

شهر القعدة

في ثالثه يوم الجمعة الموافق لثالث عشر مسرى القبطي، أوفى النيل المبارك أذرعه ونودي بذلك وعمل الشنك، وركب حسن باشا في صبحها، وكسروا السد بحضرته وجرى الماء في الخليج، ولم يحضر عابدي باشا لمرضه.

(وفي سادسه) نودي على المماليك أن لا يخرجوا من بيوت أسيادهم، ولا يركبوا على انفرادهم ويمشوا بالمدينة، وكان من السنن السابقة في آداب المماليك أن لا يركبوا من بيوت أسيادهم منفردين أبدًا، فترك ذلك في جملة المتروكات، وتزوج المماليك وصار لهم بيوت وخدم، ويركبون ويغدون ويروحون ويشربون الدخان، وهم راكبون في الشارع الأعظم، وفي أيديهم شبكات الدخان من غير إنكار وهم في الرق، ولا يخطر ببالهم خروجهم عن الأدب لعدم إنكار أسيادهم وترخيصهم لهم في الأمور، فإذا مات بعض الأعيان بادر أحد المماليك إلى سيده الأمير صاحب الشوكة وقبل يده، وطلب منه أن ينعم عليه بزوجة الميت، فيجيبه إلى ذلك، فيركب في الوقت والساعة ويذهب إلى بيت المتوفى، ولو قبل خروج جنازته، ونزل في البيت وجلس فيه وتصرف في تعلقاته وحازه وملكه بما فيه، وأقام بمجلس الرجال ينتظر انقضاء العدة، ويأمر وينهى ويطلب الغدا والعشا والفطور والقهوة والشربات من الحريم ويتصرف تصرف الملاك، وربما وافق ذلك غرض المرأة، فإذا رأته شابًا مليحًا قويًّا وكان زوجها المقبور بخلاف ذلك أظهرت له المخبآت والمدخرات، فيصبح أميرًا من غير تأمر، وتتعدد عنده الخيول والخدام

والفراشون والأصحاب، ويركب ويذهب ويجي إلى بيت سيده وفي حاجاته وغير ذلك، فجرى يومًا بمجلس حسن باشا ذكر ركوب المماليك على انفرادهم في الأسواق بحضرة بعض الاختيارية.

فقالوا: إنه قلة أدب وخلاف العادة القديمة التي رأيناها، وتربينا عليها، فقال الباشا: اكتبوا فرمانًا بمنع ذلك ففعلوا ذلك، ونادوا به من قبيل الشغل الفارغ.

(وفي سابعه) ثقل عابدي باشا في المرض وأشيع موته.

(وفي حادي عشره) حضر حسين بك المعروف بشفت من قبلي في جملة الرهاين وقابل الباشا وأقام بمصر.

(وفي منتصفه) عوفي عابدي باشا من مرضه وشرعوا في طلب المال الشتوي، فضج الملتزمون وتكلم الوجاقلية في الديوان، وقالوا: من أين لنا ما ندفعه؟ وما صدقنا بخلاص المظالم والصيفي والفردة ولم يبق عندنا ولا عند الفلاحين شي، أعطونا الجامكية، ثم ندفعها لكم في المال الشتوي، فانحط الرأي على كتابة رجع الجامكية، وفرح الناس بذلك، ثم تبين أن لا أحد يأخذ رجعة إلا بقدر ما عليه من الميري، وإن زاد له شي يبقى له وديعة بالدفتر، وإن لم يكن له جامكية يدفع ما عليه نقدًا، فصار بعض الملتزمين يأتي بأسما برانية وينسبها لنفسه لأجل غلاق المطلوب منه، فانفضح ذلك أيضًا بالنسبة له ومراجعة الدفتر، ثم منعوا كتابة الرجع، وصار الأفندية يكشفون على الدفاتر ويملون ويسددون بأنفسهم، فمن زاد له شي تبقى بالدفتر، ومن زاد عليه شي طلب منه.

(وفي عشرينه) ذهب الأمرا إلى حسن باشا، وهم: إسماعيل بك وحسن بك وعلي بك وباقي الأمرا، فتكلم معهم بسبب الأموال التي جعلها عليهم والميري المطلوب منهم ومن أتباعهم.

وقال لهم: أنا مسافر بعد الأضحى ولا بد من تشهيل المطلوبات، فاعتذروا وطلبوا المهلة، فشنع عليهم ووبخهم بالكلام التركي، ومن جملة ما قاله لهم: أنتم وجوهكم مثل الحيط وأمثال ذلك.

فخرجوا من عنده وهم في غاية من القهر، وكان ذلك بإغراء إسماعيل بك، ولما ذهب إسماعيل بك إلى بيته طلب أمراه وشنع عليهم كما شنع عليه الباشا، وحلف أن كل من تبقى عليه شيء، ولو ألف درهم، سلمه للباشا يقطع رأسه.

(وفي يوم الخميس غايته) طلعوا عند عابدي باشا فطالبهم بالميري أيضًا وشنع عليهم، وخصوصًا قاسم بك أبو سيف، وحلف أنه يحبسهم حتى يدفعوا ما عليهم.

واستهل شهر ذي الحجة الحرام بيوم الجمعة

وفيه حضر الأغا وعلى يده مقرر لعابدي باشا على السنة الجديدة.

وفيه أيضًا قوي عزم حسن باشا على السفر إلى بلاد الروم، وأعطى إسماعيل بك جملة مدافع وقنابر وآلات حرب، وصنع له قليونًا صغيرًا، وقرر ألفًا وخمسماية عسكري يقيمون بمصر.

(وفي يوم الخميس رابع عشره) عمل حسن باشا ديوانًا بالقصر، وحضر عنده عابدي باشا والمشايخ وساير الأمرا بسبب قراة مراسيم حضرت من الدولة، فقروا منها ثلاثة، وفيها طلب حسن باشا إلى الديار الرومية بسبب حركة إلى الجهاد وأن المسقو زحفوا على البلاد، واستولوا على ما بقي من بلاد القرم وغيرها، والثاني فيه ذكر العفو عن إبراهيم بك ومراد بك من القتل، وأن يقيم إبراهيم بك بقنا ومراد بك بإسنا ولا إذن لهم في دخول مصر جملة كافية.

وفيه نودي على صرف الريال الفرانسة بماية نصف فضة، وكان وصل إلى ماية وعشرة، فتضرر الناس من ذلك.

(وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه) ركب الأمرا بأسرهم لوداع حسن باشا، وكان في عزمه النزول في المراكب بعد صلاة الجمعة، فلما تكاملوا عنده قبض على الرهاين، وهم: عثمان بك المرادي المعروف بالطنبرجي، وحسين بك شفت، وعبد الرحمن بك الإبراهيمي.

ثم أمر بالقبض على حسن كتخدا الجربان وسليمان كاشف قنبور، فهرب حسن كتخدا وساق جواده، فتبعه جماعة من العسكر فلم يزل رامحًا وهم خلفه حتى دخل بيت حسن بك الجداوي، ودخل إلى باب الحريم، وكان حسن بك بالقصر؛ فرجع العسكر وأخبروا الباشا بحضرة إسماعيل بك، فطلب حسن بك وسأله إسماعيل بك فقال: إن كان في بيتي خذوه، فأرسلوا وأحضروه ووضعوه صحبة المقيدين.

وفيه عزلوا عثمان أغا مستحفظان، وقلدوا محمد كاشف المعروف بالمتيم كتخذا إسماعيل بك أغات مستحفظان عوضه.

(وفي يوم السبت ثالث عشرينه) سافر حسن باشا من مصر وأخذ معه الرهاين، وسافر صحبته إبراهيم بك قشطة ليشيعه إلى رشيد، وزار في طريقه سيدي أحمد البدوي بطندتا، ولم يحصل من مجيه إلى مصر وذهابه إلا الضرر ولم يبطل بدعة، ولم يرفع مظلمة بل تقررت به المظالم والحوادث؛ فإنهم كانوا يفعلونها قبل ذلك مثل السرقة، ويخافون من إشاعتها وبلوغ خبرها إلى الدولة فينكرون عليهم ذلك، وخابت فيه الآمال

والظنون، وهلك بقدومه البهايم التي عليها مدار نظام العالم، وزاد في المظالم التحرير؛ لأنه كان عندما قدم أبطل رفع المظالم، ثم أعاده بإشارة إسماعيل بك وسماه التحرير، فجعله مظلمة زايدة وبقي يقال رفع المظالم والتحرير فصار يقبض من البلاد خلاف أموال الخراج عدة أقلام منها: المضاف والبراني وعوايد الكشوفية والفرد المتعددة ورفع المظالم والتحرير ومال الجهات وغير ذلك، ولو مات حسن باشا بالإسكندرية أو رشيد لهلك عليه أهل الإقليم أسفًا، وبنوا على قبره مزارًا وقبة وضريحًا يقصد للزيارة.

ذكر من مات في هذه السنة من الأعيان

توفي الإمام العالم العلامة أوحد وقته في الفنون العقلية والنقلية شيخ أهل الإسلام وبركة الأنام الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير، ولد ببني عدي كما أخبر عن نفسه سنة سبع وعشرين وماية وألف، وحفظ القرآن وجوده وحبب إليه طلب العلم، فورد الجامع الأزهر وحضر دروس العلما، وسمع الأولية عن الشيخ محمد الدفري بشرطه والحديث على كل من الشيخ أحمد الصباغ وشمس الدين الحفني وبه تخرج في طريق القوم، وتفقه على الشيخ علي الصعيدي ولازمه في جل دروسه حتى أنجب، وتلقن الذكر وطريق الخلوتية من الشيخ الحفني، وصار من أكبر خلفايه كما تقدم، وأفتى في حياة شيوخه، مع كمال الصيانة والزهد والعفة والديانة، وحضر بعض دروس الشيخين الملوي والجوهري وغيرهما، ولكن جل اعتماده وانتسابه على الشيخين الحفني والصعيدي، وكان سليم الباطن مذهب النفس كريم الأخلاق، وذكر لنا عن لقبه أن قبيلة من العرب نزلت ببلدة كبيرهم يدعى بهذا اللقب فولد جده عند ذلك، فلقب بلقبه تفاؤلًا لشهرته، وله مؤلفات منها شرح مختصر خليل أورد فيه خلاصة ما ذكره الأجهوري والزرقاني واقتصر فيه على الراجح من الأقوال، ومتن في فقه المذهب سماه أقرب المسالك لمذهب مالك، ورسالة في متشابهات القرآن، ونظم الخريدة السنية في التوحيد وشرحها، وتحفة الإخوان في آداب أهل العرفان في التصوف، وله شرح على ورد الشيخ كريم الدين الخلوتي، وشرح مقدمة نظم التوحيد للسيد محمد كمال الدين البكري، ورسالة في المعاني والبيان، ورسالة أفرد فيها طريقة حفص، ورسالة في المولد الشريف، ورسالة في شرح قول الوفائية: يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم.

وشرح على مسايل كل صلاة بطلت على الإمام والأصل للشيخ البيلي، وشرح على رسالة في التوحيد من كلام دمرداش، ورسالة في الاستعارات الثلاث، وشرح على آداب

البحث، ورسالة في شرح صلاة السيد أحمد البدوي، وشرح على الشمايل لم يكمل، ورسالة في صلوات شريفة اسمها المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلايق، والتوجه الأسنى بنظم الأسما الحسنى.

ومجموع ذكر فيه أسانيد الشيوخ، ورسالة جعلها شرحًا على رسالة قاضي مصر عبد الله أفندي المعروف بططر زاده في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ الآية، وله غير ذلك.

ومما سمعت من إنشاده:

من عاشر الأنام فليلتزم ... سماحة النفس وذكر اللجاج
وليحف المعوج من خلقهم ... أي طريق ليس فيها اعوجاج

ولما توفي الشيخ علي الصعيدي تعين المترجم شيخًا على المالكية، ومفتيًا وناظرًا على وقف الصعايدة، وشيخًا على طايفة الرواق بل شيخًا على أهل مصر بأسرها في وقته حسًّا ومعنًى.

فإنه كان — رحمه الله — يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصدع بالحق ولا يأخذه في الله لومة لايم، وله في السعي على الخير يد بيضا، تعلل أيامًا ولزم الفراش مدة، حتى توفي في سادس شهر ربيع الأول من هذه السنة، وصلي عليه بالأزهر بمشهد عظيم حافل، ودفن بزاويته التي أنشاها بخط الكعكيين بجوار ضريح سيدي يحيى بن عقب، وعندما أسسها أرسل إليَّ وطلب مني أن أحرر له حايط المحراب على القبلة فكان كذلك، وسبب إنشايه للزاوية أن مولاي محمد سلطان المغرب كان له صلات يرسلها لعلما الأزهر وخدمة الأضرحة وأهل الحرمين في بعض السنين، وتكرر منه ذلك فأرسل على عادته في سنة ثمان وتسعين مبلغًا، وللشيخ المترجم قدرًا معينًا له صورة، وكان لمولاي محمد ولد تخلف بعد الحج وأقام بمصر مدة حتى نفد ما عنده من النفقة، فلما وصلت تلك الصلة أراد أخذها ممن هي في يده فامتنع عليه، وشاع خبر ذلك في الناس وأرباب الصلات وذهبوا إلى الشيخ بحصته، فسأل عن قضية ابن السلطان، فأخبروه عنها وعن قصده وأنه لم يتمكن من ذلك، فقال: والله هذا لا يجوز، وكيف أننا نتفكه في مال الرجل ونحن أجانب وولده يتلظى من العدم، هو أولى مني وأحق أعطوه قسمي، فأعطاه ذلك.

ولما رجع رسول أبيه فأخبر السلطان والده بما فعل الشيخ الدردير، فشكره على فعله وأثنى عليه واعتقد صلاحه، وأرسل له في ثاني عام عشرة أمثال الصلة المتقدمة

مجازاة للحسنة، فقبلها الأستاذ وحج منها، ولما رجع من الحج بنى هذه الزاوية مما بقي، ودفن بها — رحمه الله — فإنه لم يخلف بعده مثله.

ومات الشيخ الإمام العلامة المتفنن المتقن المعمر الضرير الشيخ محمد المصيلحي الشافعي أحد العلما، أدرك الطبقة الأولى وأخذ عن شيوخ الوقت، وأدرك الشيخ محمد شنن المالكي وأخذ عنه، وأجازه الشيخ مصطفى العزيزي والشيخ عبد ربه الديوي، والشيخ أحمد الملوي، والحفني والدفري، والشيخ علي قايتباي والشيخ حسن المدابغي، وناضل ودرس وأفاد وأقرأ وانتفع عليه الطلبة.

ولما مات الشيخ أحمد الدمنهوري وانقرض أشياخ الطبقة الأولى نوه بذكره واشتهر صيته وحف به تلامذته وغيرهم ونصبوه شبكة لصيدهم وآلة لاقتناصهم، وأخذوه إلى بيوت الأمرا في حاجاتهم وعارضوا به المتصدرين من الأشياخ في الرياسة، ويرى أحقيته لها لسنه وأقدميته، ولما مات الشيخ أحمد الدمنهوري، وتقدم الشيخ أحمد العروسي في مشيخة الأزهر، كان المترجم غائبًا في الحج، فلما رجع وكان الأمر قد تم للعروسي أخذته حمية المعاصرة وأكثرها من إغرا من حوله، فيحركونه للمناقضة والمناكدة، حتى أنه تعدى على تدريس الصلاحية بجوار مقام الإمام الشافعي المشروطة لشيخ الأزهر بعد صلاة الجمعة، فلم ينازعه الشيخ أحمد العروسي، وتركها له حسمًا للشر، وخوفًا من ثوران الفتن، والتزم له على الإغضا والمسامحة في غالب الأطوار، ولم يظهر الالتفات لما يعانوه أصلًا حتى غلب عليهم بحلمه وحسن مسايرته، حتى أنه لما توفي المترجم ورجع إليه تدريس الصلاحية لم يباشر التصدر في الوظيفة، بل قرر فيها تلميذه العلامة الشيخ مصطفى الصاوي وأجلسه وحضر افتتاحه فيها، وذلك من حسن الرأي وجودة السياسة، توفي المترجم ثاني عشر شوال من هذه السنة وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بالمجاورين.

ومات الإمام العلامة واللوذعي الفهامة لسان المتكلمين وأستاذ المحققين الفقيه النبيه المستحضر الأولي المنطقي الفرضي الحيسوب الشيخ عبد الباسط السنديوني الشافعي، تفقه على أشياخ العصر المتقدمين وأجازه أكابر المحدثين ولازم الشيخ محمد الدفري وبه تخرج في الفقه وغيره، وأنجب ودرس وأفاد وأفتى في حياة شيوخه، وكان حسن الإلقا جيد الحافظة يملي دروسه عن ظهر قلبه وحافظته، عجيب الاستحضار للفروع الفقهية والعقلية والنقلية، ومما شاهدته من استحضاره أنه وردت فتوى في مسألة مشكلة في المناسخة فتصدى لتحريرها.

وقسمتها جماعة من الأفاضل، ومنهم الشيخ محمد الشافعي الجناجي، وناهيك به في هذا الفن وتعبوا فيها يومًا وليلة حتى حرروها على الوجه المرضي، ثم قالوا: دعنا نكتبها في سؤال على بياض، ونرسلها للمتصدرين للإفتاء وننظر ماذا يقولون في الجواب، ولو بالمهلة، ففعلوا ذلك، وأرسلوها للشيخ المترجم مع بعض الناس وهو لا يعلم بشي مما عانوه، فغاب الرسول مدة لطيفة وحضر بالجواب على الوجه الذي تعب فيه الجماعة يومًا وليلة، فقضوا عجبًا من جودة استحضاره وحدة ذهنه وقوة فهمه، إلا أنه كان قليل الورع عن بعض سفاسف الأمور، اتفق أنه تنازع مع عجوز في فدان ونصف طين مدة سنين، وأهين بسببها مرارًا في أيام مشيخة الشيخ عبد الله الشبراوي والشيخ الحفني، ورأيته مرة يتداعى معها عند شيخنا الشيخ أحمد العروسي، فنهاه الشيخ العروسي عنها ولامه فلم ينته، فاحتد الشيخ وقال: والله لو كان هذا الفدان ونصف لي في الجنة ونازعتني هذه العجوز عليه لتركته لها، ولم يزل ينازعها وتنازعه إلى أن مات، وغير ذلك أمور يُستحيَى من ذكرها في حق مثله، وبذلك قلت وجاهته بين نظرائه، توفي في أول جمادى الآخرة من السنة وصُلي عليه بالأزهر ودفن بتربة المجاورين، رحمه الله وغفر لنا وله.

ومات الشيخ الفاضل الصالح المجذوب صاحب الأحوال محمد بن أبي بكر بن محمد المغربي الطرابلسي الشهير بالأثرم، ولد بقرية أنكوان من أعمال طرابلس في حدود سنة خمس وأربعين، وبها نشأ وتنتسب جدوده إلى خدمة الولي الصالح الشهير سيدي أحمد زروق قدس سره، وغلب عليه الجذب في مبادي أمره، وحفظ جملة من كلام الشيخ المشار إليه ومن كلام غيره، وكان مبدأ أمره فيما أخبرنا أنه توجه إلى تونس برسم التجارة فاجتمع على رجل من الصالحين هناك ولازمه، فلما قربت وفاته أوصى إليه بملبوس بدنه، فلما توفي جمع الحاضرين وأراد بيعه، فأشار إليه بعض أهل الشأن أن يضن به ولا يبيعه، فتنافس فيه الشارون وتزايدوا، فدفع الدراهم من عنده في ثمنه وأبقاه، وكان المتوفى فيما قيل قطب وقته.

فلبسه الوجد في الحال، وظهرت له أمور هناك واشتهر أمره، وأتى إلى الإسكندرية فسكنها مدة ثم ورد مصر في أثناء سنة خمس وثمانين ومائة، وحصلت له شهرة تامة، ثم عاد إلى الإسكندرية فقطنها مدة، ثم عاد إلى مصر وهو مع ذلك يتجر في الغنم، وأثري بسبب ذلك وتمول، وكانت الأغنام تجلب من وادي برقة، فيشارك عليها مشايخ عرب أولاد علي وغيرهم، وربما ذبح بنفسه بالثغر فيفرق اللحم على الناس ويأخذ منهم ثمن ذلك، وكان مشهورًا بإطعام الطعام والتوسع فيه في كل وقت، وربما وردت عليه جماعة مستكثرة فيقريهم في الحال وتنقل له في ذلك أمور.

ولما ورد مصر كان على هذا الشأن لا بد للداخل عليه من تقديم مأكول بين يديه، وهادته أكابر الأمرا والتجار بهدايا فاخرة سنية، وكان يلبس أحسن الملابس، وربما لبس الحرير المقصب يقطع منها ثيابًا واسعة الأكمام، فيلبسها ويظهر في كل طور في ملبس آخر غير الذي لبسه أولًا، وربما أحضر بين يديه آلات الشرب وانكبت عليه نسا البلد، فتوجه إليه بمجموع ذلك نوع ملام، إلا أن أهل الفضل كانوا يحترمونه ويقرون بفضله وينقلون عنه أخبارًا حسنة.

وكان فيه فصاحة زايدة، وحفظ لكلام القوم، وذوق للفهم، ومناسبات للمجلس، وله إشراف على الخواطر فيتكلم عليها فيصادف الواقع، ثم عاد إلى الإسكندرية ومكث هناك إلى أن ورد حسن باشا، فقدم معه وصحبته طايفة من عسكر المغاربة، ولما دخل مصر أقبلت عليه الأعيان، وعلت كلمته وزادت وجاهته وأتته الهدايا وكانت شفاعته لا ترد عند الوزرا، ولما كان آخر جمادى الأولى من هذه السنة توجه إلى كرداسة لإيقاع صلح بين العرب وبين جماعة من القافلة المتوجهة إلى طرابلس، فمكث عندهم في العزايم والإكرامات مدة من الأيام ثم رجع، وكان وقتًا شديد الحر فخلع ثيابه، فأخذه البرد والرعدة في الحال، ومرض نحو ثمانية أيام.

حتى توفي نهار الثلاثا ثالث جمادى الثانية، وجهز وكفن وصلي عليه بمشهد حافل بالأزهر، ودفن تحت جدار قبة الإمام الشافعي في مدافن الرزازين، وحزنت عليه الناس كثيرًا، وقد رآه أصحابه بعد موته في منامات عدة تدل على حسن حاله في البرزخ، رحمه الله.

ومات الإمام العلامة والفاضل الفهامة صفوة النبلا، ونتيجة الفضلا الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد السحيمي الحنفي القلعاوي، تفقه على والده وعلى الشيخ أحمد الحماقي، وحضر معنا على شيخنا الشيخ مصطفى الطائي الهداية، وأنجب ودرس في فقه المذهب والمعقول مع الحشمة والديانة ومكارم الأخلاق والصيانة، توفي سادس عشر شوال، ودفن عند والده بباب الوزير.

ومات الأجل العمدة الشريف الصالح السيد عبد الخالق بن أحمد بن عبد اللطيف بن محمد تاج العارفين المنتهي نسبه إلى سيدي عبد القادر الحسني الجيلي المصري، ويعرف بابن بنت الجيزي، وهو أخو السيد محمد الجيزي المتوفى قبل ذلك من بيت الثروة والعز والسيادة، تولى بعد أخيه الكتابة ببيت النقابة ومشيخة القادرية، وأحسن السير والسلوك مع الوقار والحشمة.

وكان إنسانًا حسنًا كثير الحيا، منجمعًا عن الناس مقبلًا عن شانه، وفيه رقة طبع مع الأخلاق المهذبة والتواضع للناس والانكسار، رحمه الله.

ومات الأمير الصالح المبجل أحمد جاويش أرنؤد باش اختيار وجاق التفكجية، وكان من أهل الخير والدين والصلاح، عظيم اللحية، منور الشيبة، مبجلًا عند أعاظم الدولة، يندفع في نصرة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسمعون لقوله وينصتون لكلامه، ويتقونه ويحترمونه لجلالته ونزاهته عن الأغراض، وكان يحب أهل الفضايل، ويحضر دروس العلما ويزورهم ويقتبس من أنوار علومهم، ويذهب كثيرًا إلى سوق الكتبيين ويشتري الكتب، ويوقفها على طلبة العلم، واقتنى كتبًا نفيسة ووقفها جميعها في حال حياته، ووضعها بخزانة الكتب بجامع شيخون العمري بالصليبة تحت يد الشيخ موسى الشيخوني الحنفي، وسمع على شيخنا السيد مرتضى صحيح البخاري ومسلم، وأشياء كثيرة والشمايل والثلاثيات وغير ذلك، وبالجملة فكان من خيار من أدركنا من جنسه، ولم يخلف بعده مثله، توفي في ثامن شوال من السنة وقد ناهز التسعين.

ومات الأمير المبجل أحمد كتخدا المعروف بالمجنون أحد الأمرا المعروفين والقرانصة المشهورين، وهو من مماليك سليمان جاويش القازدعلي، ثم انضوى إلى عبد الرحمن كتخدا وانتسب إليه وعرف به، وأدرك الحوادث والفتن التليدة والطارفة، ونفي مع من نفي في إمارة علي بك الغزاوي في سنة ثلاث وسبعين إلى بحري، ثم إلى الحجاز، وأقام بالمدينة المنورة نحو اثنتي عشرة سنة وقادًا بالحرم المدني، ثم رجع إلى الشام وأحضره محمد بك أبو الدهب إلى مصر وأكرمه ورد إليه بلاده وأحبه، واختص به، وكان يسامره ويأنس بحديثه ونكاته، فإنه كان يخلط الهزل بالجد ويأتي بالمضحكات في خلال المقبضات؛ فلذلك سمي بالمجنون، وكان بلد ترسا بالجيزة جارية في التزامه، وعمر بها قصرًا، وأنشأ بجانبه بستانًا عظيمًا زرع فيه أصناف الأشجار والنخيل والرياحين، ويجلب من ثماره إلى مصر للبيع والهدايا، ويرغب فيها الناس لجودتها وحسنها عن غيرها، وكذلك أنشأ بستانًا بجزيرة المقياس في غاية الحسن، وبنى بجانبه قصرًا يذهب إليه في بعض الأحيان، ولما حضر حسن باشا إلى مصر ورأى هذا البستان أعجبه، فأخذه لنفسه وأضافه إلى أوقافه، وبنى المترجم أيضًا داره التي بالقرب من الموسكي داخل درب سعادة، ودارًا على الخليج المرخم أسكن فيه بعض سراريه، وكان له عزوة ومماليك ومقدمون وأتباع، وإبراهيم بك أوده باشه من مماليكه ورضوان كتخدا الذي تولى بعده كتخدا الباب، وكان مقدمه في المدد السابقة يقال له المقدم فوده له شأن وصولة بمصر،

وشهر في القضايا والدعاوى، ولم يزل طول المدد السابقة جاويشًا، فلما كان آخر مدة حسن باشا قلدوه كتخدا مستحفظان، ولم يزل معروفًا مشهورًا في أعيان مصر إلى أن توفي في خامس شعبان من السنة.

ومات الأمير الجليل محمد بك الماوردي، وهو مملوك سليمان أغا كتخدا الجاويشية زوج أم عبد الرحمن كتخدا وخشداشينه حسن بك الأزبكاوي الذي قتل بالمصاطب كما تقدم، وحسن بك المعروف بأبي كرش، فكان الثلاثة أمرا يجلسون بديوان الباشا وسيدهم كتخدا الجاويشية واقف في خدمته على أقدامه، ومرت له محن في تنقلاته ورحلاته إلى البلاد عندما تملك علي بك، وخرج المترجم منفيًّا وهاربًا من مصر مع من خرج، وباشر الحروب بأسيوط وذهب إلى الشام وغيرها، لكن لم أتحقق وقايعه، ولم يزل حتى حضر إلى مصر في أيام أبي الدهب، وقد صار ذا شيبة، وتزوج ببنت الشيخ العناني، وأقام ببيتهم بسوق الخشب خاملًا، حتى مات في هذه السنة، وكان لا بأس به وتقلد في المدد السابقة أغاوية مستحفظان ثم الصنجقية ونظارة الجامع الأزهر.

سنة اثنتين ومايتين وألف (١٧٨٧م)

استهل المحرم بيوم السبت فيه عزل المحتسب وتولى آخر يسمى يوسف أغا الخربتاوي، وتولى عثمان بك طبل الإسماعيلي على دجرجا.

وفيها انفرد إسماعيل بك الكبير في إمارة مصر، وصار بيده العقد والحل، والإبرام والنقض، واستوزر محمد أغا البارودي وجعله كتخداه، واستمر إسماعيل كتخدا حسن باشا بمصر لقبض بواقي المطلوبات، وسكن ببيت حسن كتخذا الجربان بباب اللوق.

وفيه قبض إسماعيل بك على الحاج سليمان بن ساسي، وحبسه ببيت محمد أغا البارودي وصادره في خمسين كيسًا.

(وفي خامسه) طلب إسماعيل بك دراهم قرضه مبلغًا كبيرًا، فوزعوا منها جانبًا على تجار البن والبهار، وجانبًا على الذين يقرضون البن بالمرابحة للمضطرين، وجانبًا على نصارى القبط وعلى الأروام والشوام، وعلى طوايف المغاربة بطولون والغورية وعلى المتسببين في الغلال بالسواحل والرقع، وكذلك بياعي القطن والبطانة والقماش والمنجدين واليهود وغير ذلك، فانزعج الناس وأغلقوا وكايل البن والغورية ودكاكين الميدان.

(وفي يوم السبت خامس عشره) اجتمع جملة من الطوايف المذكورة وحضروا إلى الجامع الأزهر وضجوا واستغاثوا من هذا النازل، وحضر الشيخ العروسي فقاموا في وجهه وأرادوا قفل أبواب الجامع، فمنعهم من ذلك، فصاحوا عليه وسبوه وسحبوه بينهم إلى جهة رواق الشوام، فمنع عنه المجاورون وأدخلوه إلى الرواق، ودافعوا عنه الناس، وقفلوا عليه باب الرواق، وصحبته طايفة من المتعممين، وكتبوا عرضًا إلى إسماعيل بك بسبب ذلك، وأرسلوه صحبة الشيخ سليمان الفيومي، وانتظروه حتى رجع إليهم ومعه تذكرة من إسماعيل بك مضمونها الأمان والعفو عن الطوايف المذكورة.

وفيها أن هذا المطلوب إنما هو على سبيل القرض والسلفة من القادر على ذلك، فلما قريت عليهم التذكرة قالوا: هذه مخادعة، وعندما ينفض الجمع وتفتح الدكاكين يأخذونا واحدًا بعد واحد، ثم قام الشيخ وركب وحوله الجم الغفير والغوغا وبعض المجاورين يدفع الناس عنه بالعصيِّ، والعامة يصيحون عليه ويسمعونه الكلام غير اللايق إلى أن وصل إلى باب زويله.

فنزل بجامع المؤيد وأرسل إلى إسماعيل بك يخبره بهذا الحال، فحنق إسماعيل بك وظن أنها مفتعلة من الشيخ، وأنه هو الذي أغراهم على هذه الأفعال، فأجابه الرسل وحلفوا له ببراته من ذلك، وليس قصده إلا الخلاص منهم، فقال: أنا أرسلت إليهم بالأمان، ودعوهم ينفضوا وما أحد يطالبهم بشي. فانفضوا وتفرقوا ومضى على ذلك يومان، فأرسلوا إلى أهل الصاغة والجواهرجية والنحاسين، وطالبوهم بالمقرر والموزع عليهم، فلم يجدوا بدًّا من الدفع، ثم طالبوا وكالة الجلابة وتطرق الحال إلى باقي الناس، حتى بياعي الفسيخ ومجموع ذلك نحو اثنين وسبعين حرفة.

(وفي منتصفه) حضر علي كاشف من جهة قبلي، وقد كان سافر بعد سفر حسن باشا برسالة إلى الأمرا القبالي، وأخبر أنهم مستقرون في أماكنهم ولم يتحركوا.

(وفي يوم الخميس سادس عشرينه) سافر أمير الإلزم بالملاقاة إلى الحج، وكان من عادته السفر في أول الشهر، ولم يحضر في هذه السنة نجاب الجبل، وأخذوا من بلاد أمير الحج بلدين، وأخذوا أيضًا ببيته الذي كان سكن به، فلما استقر يحيى بك بمصر أخذه وسكنه لكونه زوج بنت صالح بك وهو بيت أبيها وهو أحق به.

ثم استهل شهر صفر

وفيه كملت القيسارية التي عمرها إسماعيل بك بجانب السبيل الذي لسويقة لاجين فأنشأ بها إحدى وعشرين حانوتًا وقهوة، وجعلها مربعة الأركان، وهذا السبيل من إنشاء سيده إبراهيم كتخدا، ولما أتمها نقل إليها سوق درب الجماميز بعد العصر، وانتقل إليه الدلالون والناس والقماشون في عصرية يوم الثلاثا ثانيه، وبطل سوق درب الجماميز من ذلك اليوم وليس لإسماعيل بك من المحاسن إلا نقل هذا السوق من تلك الجهة ووضعه في هذه الجهة كما لا يخفى.

وفيه اشتد العسف في الرعية بسبب طلب السلفة، وتعدى الحال إلى بياعي المخلل والصوفان وتضرر الفقرا من ذلك.

(وفي سابعه) سافر محمد باشا والي جدة إلى السويس.

(وفي يوم السبت ثالث عشره) طلع إسماعيل بك والأمراء إلى الديوان بالقلعة، وأخرج قوايم مزاد البلاد التي تأخر على ملتزميها الميري، فتصدر لشرايها كتخداه محمد أغا البارودي، فاشترى نحو سبعين بلدًا، وفي الحقيقة هي راجعة إلى مخدومه يفرقها على من يشا من أغراضه.

فشرع أولًا في طلب الشتوي وزاد على من أخذ البلاد سنة ونصفًا، ثم ادعى أن حسن باشا أخذ سنة من الحلوان ودخلت في حسابه، وطلب سنة ونصفًا أخرى، وطلب المال الصيفي أيضًا، فعجز الملتزمون ففعل هذه الفعلة وأخرج قوائم مزادهم إلى الديوان، واستخلصها من ملتزميها.

(وفي تلك الليلة) حضرت جماعة من كشاف النواحي القبلية، وأخبروا أن الأمراء القبالي حضروا إلى أسيوط وأوايلهم تعدى منفلوط، فهرب من كان هناك من الكشاف وغيرهم وحضروا إلى مصر، فلما تحققت هذه الأخبار طلع في صبحها إسماعيل بك إلى الديوان، واجتمع الأمراء والوجاقلية أو المشايخ فتكلم إسماعيل بك، وقال: يا أسيادنا يا مشايخ يا أمرا يا وجاقلية، إن الجماعة القبليين نقضوا عهد السلطان، وانتقلوا من أماكنهم وزحفوا على البلاد، فهل الواجب قتالهم ودفعهم؟

فقالوا: نعم. فقال: إن المخالفين إذا نقضوا عهد السلطان ولزم الحال إلى قتالهم يصرف على المقاتلين من العسكر من خزانة السلطان، وليس هنا خزانة فكل منكم يقاتل عن نفسه. فأجابه إسماعيل أفندي الخلوتي وقال: ونحن أي شيء تبقى عندنا حتى نصرفه، وقد صرنا كلنا شحاتين، لا نملك شيئًا؟ فقال له الباشا: هذا الكلام لا يناسب ولا ينبغي، إنك تكسر قلوب العسكر بمثل هذا الكلام، والأولى أن تقول لهم: أنا وأنتم شيء واحد، إن جعت جوعوا معي وإن شبعت اشبعوا معي.

ثم انحط الرأي بينهم على أن يكتبوا عرضًا للدولة والإخبار عن نقضهم وعرضًا لهم بالتحذير، وقال الباشا: نرسل نعلم الدولة، وننظر ما يكون الجواب، فإن زخفوا قبل مجي الجواب خرجنا إليهم وقاتلناهم، ثم كتبوا فرمانات لجميع الغزو والأجناد الغايبين بالأرياف بالحضور، وبكى إسماعيل بك بالمجلس ونهنه في بكايه، فقال له الاختيارية: لا تبك يا بك، ثم كتبوا مكاتبة من الباشا ومن الوجاقلية والمشايخ، وأرسلوها صحبة واحد من طرف الباشا، وسراج من طرف إسماعيل بك، وأرسلوا إلى محمد باشا المسافر إلى جدة بالرجوع من السويس إلى مصر بأمر من الدولة.

(وفي ذلك اليوم) — أعني يوم الأحد رابع عشره — حضر جاويش الحاج من العقبة.

(وفي يوم الأربع سابع عشره) نبهوا على مماليك الأمرا القبليين وكشافهم الكاينين بمصر بالاجتماع والحضور، فأرسل كل من كان مستخدمًا عنده جماعة من الأمرا والصناجق وغيرهم، فجمعهم في مكان في بيته، ومن كان غايبًا في حاجة أرسلوا إليه وأحضروه، فلما تكاملوا أخذوا خيولهم وأسلحتهم وأبقوهم في الترسيم، وأما علي بك الدفتردار فإنه لم يسلم فيمن عنده، وكان منقطعًا في الحريم لصداع برأسه ووجع في عينيه من مدة شهرين.

(وفي يوم الجمعة) كان نزول الحجاج ودخولهم إلى مصر، وكانوا أغلقوا أبواب مصر وأجلسوا عليها حرسجية فلم يدخل الحجاج إلا من باب النصر فقط، فتضرر الناس من الازدحام في ذلك الباب، وارتاح الحجاج في هذا العام، ولم يحصل لهم تعب وزاروا المدينة الشريفة.

وفيه نزل الأغا وصحبته كتخدا الباشا وأمامهما المناداة على كل من كان مختفيًا من أتباع الأمرا القبليين ومماليكهم بالظهور، ويطلعوا يقابلوا الباشا وكل من ظهر عنده أحد بعد ثلاثة أيام فإنه يستاهل الذي يجرى عليه.

(وفي صبحها يوم السبت) دخل أمير الحج غيطاس بك وصحبته المحمل.

وفيه قال إسماعيل بك للمشايخ: اكتبوا للدولة يرسلوا لنا عساكر، فقال الشيخ العروسي: لا يحتاج إلى ذلك، فإن العساكر الرومية لا تنفع بين العساكر المصرية، والأولى استجلاب خواطر الجند بالإحسان إليهم، والذي تعطوه للأغراب أعطوه لأهل بلادكم أولى.

وفيه شرع إسماعيل بك في طلب تفريدة من البلاد والقرى، فجعلوا على كل بلد ماية دينار وعشرة خلاف ما يتبع ذلك من الكلف وحق الطرق وغير ذلك، وعين لقبضها خازنداره وغيره.

(وفي تاسع عشره) قبضوا على جماعة من المماليك والأجناد وهم الذين كانوا في الترسيم، وأنزلوهم في مراكب وأرسلوهم إلى ثغر إسكندرية وحبسوهم بالبرج، ومنهم جماعة بأبي قير، وكان علي بك توقف في تسليم المنتسبين إليه، فلم يزل به إسماعيل بك حتى سلم فيهم.

(وفي عشرينه) قبضوا على بواقيهم وأنزلوهم المراكب أيضًا وبعضهم أنزلوه عريانًا ليس عليه سوى القميص والصديري واللباس وطاقية أو طربوش معمم عليه بمحرمة أو منديل ونحو ذلك، ولم تزل الحرسجية مقيمين على الأبواب وحصل منهم الضرر

للناس والرعية والمتسببين والفلاحين الواردين من القرى بالجبن والسمن والتبن ونحو ذلك، وكل من أراد العبور من باب منعوه من الدخول حتى يأخذوا منه دراهم لو كان بنفسه.

(وفي يوم الأحد ثامن عشرينه) نزل الأغا وأمامه الوالي وأوده باشة البوابة وأمامهم المناداة على جميع الألضاشات المنتسبين إلى الوجاقات بأنهم يأخذوا لهم أوراقًا من أبوابهم، وكل من وجد وليس معه ورقة بعد ثلاثة أيام يحصل له مزيد الضرر وبيد المنادي فرمان من الباشا.

وفيه ركب إسماعيل بك ونزل إلى بولاق؛ ليتفرج على شركفلك الذي صنعه وتم شغله وقد زاد في صنعته عما فعله حسن باشا بأن ركبه على عجل يجروه، وزاد في إتقانه، وسبك جللًا كثيرة للمدافع، فلما رآه أعجبه وشرع أيضًا في عمل شركفلكين اثنين وجهز ذخيرة عظيمة من بقسماط وغيره.

(وفي يوم الاثنين) حضر الرسول الذي كان توجه بالرسالة للأمرا القلبيين، وهو الذي من طرف الباشا وصحبته آخر من طرف إسماعيل بك وعلى يدهما جوابان: أحدهما خطاب للباشا، والثاني خطاب للمشايخ؛ فاجتمعوا بالديوان في صبحها يوم الثلاثاء وقرءوا الجوابات.

وملخصها: إنكم نسبتمونا لنقض العهد، والحال أن النقض حصل منكم بتسفير إخواننا الرهائن وذهابهم مع قبطان باشا إلى الروم، وما فعلتم في بيوتنا وحريمنا، ولما حصل ذلك احتد البعض منا وزحفوا إلى بحري فركبنا خلفهم نردهم، فلم يمتثلوا فأقمنا معهم وكلام هذا معناه. فلما قروا ذلك بحضرة الجمع، اقتضى الرأي كتابة مراسلة أخرى من الباشا والمشايخ، وفيها الملاطفة في الخطاب والاعتذار وأرسلوها، وأخذوا في الاهتمام والتشهيل.

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأربعا

(في ثانيه) ركب الأغا وشق الأسواق وصار يقف على الوكايل والخانات ويفتش على الألضاشات ودخل سوق خان الخليلي، ونبه على أفرادهم وقال لهم: في غد أحضر في التبديل، وكل من وجدته من غير ودقة جدك فعلت به وفعلت وقطعت آذانه أو أنفه.

وفيه عزل أحمد أفندي الصفائي الروزنامجي من الروزنامة لمرضه، وتقلد أحمد أفندي المعروف بأبي كلبة قلفة الأنبار روزنامجي عوضًا عنه.

(وفي سادسه) أرسلوا بجوابات الرسالة الشيخ أحمد بن يونس، وكتبوا لهم أيضًا سمهود وبرديس زيادة على ما بأيديهم من البلاد والحال أن الجميع بأيديهم.

(وفي يوم الثلاثا) حضر عابدي باشا وإسماعيل بك إلى بيت الشيخ البكري باستدعاء بسبب المولد النبوي، فلما استقر بهم الجلوس التفت الباشا إلى جهة حارة النصارى وسأل عنها، فقيل له: إنها بيوت النصارى فأمر بهدمها وبالمناداة عليهم من ركوب الحمير فسعوا في المصالحة، وتمت على خمسة وثلاثين ألف ريال منها على الشوام سبعة عشر ألفًا وباقيها على الكتبة.

(وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه) حضر الشيخ أحمد يونس والذي توجه صحبته من طرف الباشا فاجتمعوا في صبحها بالديوان عند الباشا، وقروا المكاتبات مضمونها الجواب السابق وعدم الرجوع، وأنهم طالبون أخصامهم، وأما الباشا والوجاقلية والمشايخ فليس لهم علاقة في شي من ذلك، وليس لهم إلا أمرا تخدمهم أيا من كان، ثم إن الشيخ أحمد يونس قال للباشا: يا مولانا، ملخص الكلام أنكم لو أعطيتموهم من الإسكندرية إلى أسوان ما يرضيهم إلا دخول مصر. فقال الباشا: أنا عندي فتوى من شيخ الإسلام بإسلامبول على جواز قتالهم، وكذلك أريد فتوى من علما مصر بموجب ذلك، وأخرج إليهم وأقاتلهم وأبذل نفسي ومالي فوعدوه بذلك، فلما كان يوم الأربعا حضر الشيخ العروسي إلى الجامع الأزهر، وكتبوا سؤالًا مضمونه: ما قولكم دام فضلكم في جماعة أمرا وكشاف تغلبوا على البلاد المصرية، وحصل منهم الفساد والإفساد ومنعوا خراج السلطان، وأكلوا حقوق الفقرا والحرمين ومنعوا زيارة النبي — عليه الصلاة والسلام — وقطعوا علوفات الفقرا وجماكي المستحقين والأنبار، وأرسل لهم السلطان يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوا ولم يمتثلوا، وكرر عليهم أوامره فلم ينتهوا، فعين عليهم عساكره وأخرجهم من البلاد ثم إن نايبه صالحهم وفرض لهم أماكن وعاهدهم على أن لا يتعدوها حقنًا للدماء وقطعًا للنزاع وسكونًا للفتن، وأخذ منهم رهاين على ذلك ورجع لمخدومه، فعند ذلك تحركوا ثانيًا وزحفوا على البلاد وسعوا في إيقاع الفساد وقطعوا الطرق ونقضوا العهود، فهل يجوز لنايب السلطان دفعهم وقتالهم بشرط عدم إزالة الضرر بالضرر أم كيف الحال؟ وكتبوا بجواز قتالهم ودفعهم، ويجب على كل مسلم المساعدة وطلعوا بها إلى الباشا.

واستهل شهر ربيع الثاني بيوم الجمعة

فيه كتب الباشا فرمانًا على موجب الفتوى ونزل به أغا مستحفظان ونادى به جهارًا، وكذلك التنبيه على جميع الوجاقلية باتباع أبوابهم وحضور الغايبين منهم والاستعداد للخروج.

(وفي ثالثه) أنفق إسماعيل بك على الأمراء الصناجق وأرسل لهم الترحيلة، فأرسل إلى حسن بك الجداوي ثمانية عشر ألف ريال فغضب عليها وردها ووبخ محمد كتخدا البارودي وركب مغضبًا، وخرج إلى نواحي العادلية فركب إليه في صبحها إسماعيل بك وعلي بك الدفتردار وصالحاه وزادا له في الدراهم حتى رضي، وتكلم مع إسماعيل بك في تشديده على الرعية والألضاشات، وقال له: لأي شيء يتصعب هولا الناس إن كنت تريد تخرجهم سخرة ومن غير نفقة فما أحد يقاتل سخرة، وإن كنت تعطيهم نفقة فالذي تعطيه لهم أعطه للفرسان المقاتلين، وأما الوجاقات فليس عليهم إلا درك البلد والقلعة.

(وفي يوم الخميس ثامنه) سافر إمام الباشا وعلي كاشف من طرف إسماعيل بك بجوابات للأمراء القبليين حاصلها: إما الرجوع إلى أماكنهم على موجب الاتفاق والصلح بشرط أن تدفعوا ميري البلاد التي تعديتم عليها، وإلا فنحن أيضًا ننقض الصلح بيننا وبينكم، ثم وصل الخبر بأن إبراهيم بك ارتحل من طحطا غرة الشهر، وحضر إلى المنية عند قسيمة مراد بك، وأن مراد بك فرق البلاد من بحري المنية على أتباعه وأتباع الأمرا الذين بصحبته، ثم وقع التراخي في أمر التجريدة، وحصل التواني والإهمال والترك، وخرجت الخيول إلى المراعي.

(وفي يوم الجمعة سادس عشره) نزل عابدي باشا إلى بولاق، وركب إليه إسماعيل بك وبقية الأمرا، وأمامه مدافع الزنبلك على الجمال، فتفرج على الشركفلكات، وسيروا أمامه الثلاث غلايين إلى مصر القديمة، وضربوا مدافعها ثم عاد وطلع إلى القلعة.

(وفي يوم الثلاثا) عزل أحمد أفندي أبو كلبة من الروزنامة، وتقلدها عثمان أفندي العباسي على رشوة دفعها، وضاع على أحمد أفندي ما دفعه من الرشوة.

(وفي يوم الأربعا حادي عشرينه) حضر إمام الباشا وعلي كاشف وأخبرا أن إبراهيم بك حضر عند مراد بك بالمنية، وأن جماعة من صناجقهم وأمرايهم وصلوا إلى بني سويف وبحريها، وأنهم قالوا في الجواب: إننا تركنا لهم الجهة البحرية وأخذنا الجهة القبلية، فإن قاتلونا عليها قاتلناهم، وإن انكفوا عنا فلسنا واصلين إليهم، ولا طالبين منهم مصر، ونعقد الصلح على ذلك، فيرسلوا لنا بعض المشايخ والاختيارية، نتوافق معهم على أمر يحسن السكوت عليه.

فعملوا ديوانًا اجتمع به الجميع، وتحالفوا واتفقوا على إرسال جواب صحبة قاصد من طرف الباشا مضمونه: أنهم يرسلون من جهتهم أميرين كبيرين فيهما الكفاءة لفصل الخطاب ليحصل معهما التوافق، ونرسل صحبتهما ما أشاروا به.

(وفي يوم الاثنين) حضر واحد بشلي وعلى يده مكاتبات من حسن باشا خطابًا إلى الباشا وإسماعيل بك وعلي بك وحسن بك ورضوان بك وإسماعيل كتخدا والشيخ البكري، وأخبر بوصول عسكر أرنؤد إلى ثغر الإسكندرية، وعليهم كبير ومعه هدية إلى الأمرا.

(وفي يوم الخميس) طلع الأمرا إلى الديوان، وتكلموا من جهة النفقة، فقال قاسم بك: أما أنا فلا يكفيني خمسون ألف ريال، فقال له إسماعيل بك: فعلى هذا أمثالك، ويحتاج حسن بك ورضوان بك وعلي بك كل واحد ماية ألف، فلازم أننا نرسل إلى السلطان يرسل لكم خزاينه حتى تكفيكم. فرد عليه علي بك وقال: أنا صرفت على التجريدة الأولى وشهلت أربع باشاوات والأمرا والأجناد، وأنت في جملتهم وما صادرت أحدًا في نصف فضة. فاغتاظ إسماعيل بك، وقال: اعمل كبير البلد، وافعل مثل ما فعلتُ، وأنا أعطيك المال الذي تحت يدي الذي جمعته من الناس خذه واصرفه بمعرفتك. وقام من المجلس منتورًا فرده الباشا واختلى به، وبعلي بك وحسن بك ورضوان بك ساعة زمانية، وتشاوروا مع بعضهم ثم قاموا ونزلوا.

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم السبت

فيه حضر ططري وبيده مرسومات فاجتمعوا بالديوان وقروها، أحدهما بطلب مشاق ويدك. والثاني بسبب الجماعة القبليين إن كانوا مقيمين بالأماكن التي عينها لهم حسن باشا، فلا تتعرضوا لهم وإن كانوا زحفوا وتعدوا ونقضوا فاخرجوا إليهم وقاتلوهم، وإن احتجتم عساكر أرسلنا لكم. والثالث مقرر لعابدي باشا على السنة الجديدة. والرابع بالوصية على الفقرا وغلال الحرمين والأنبار والجامكية، وأمثال ذلك من الكلام الفارغ.

وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا يكن المنفصل عن ولاية مصر.

(وفي يوم الاثنين ثالثه) حضر المرسل من الجهة القبلية، وصحبته صالح أغا الوالي بجوابات حاصلها أنهم يطلبون من طحطا إلى قبلي، ويطلبون حريمهم وأن يردوا لهن ما أخذوه من بلادهن، وكذلك يطلبون أتباعهم ومماليكهم الذين أرسلوهم إلى الإسكندرية، فإن أجيبوا إلى ذلك لا يتعدون بعدها على شي أصلًا، فلما قريت المكاتبة بحضرة الجمع

في الديوان قال إسماعيل بك للباشا: لا يمكن ذلك ولا يتصور أبدًا، وإلا افعلوا ما بدا لكم ولا علاقة لي، ولا أكتب فرمانًا فإني أخاف على نفسي إن زدتهم على ما أعطاهم حسن باشا، ولا بد من دفعهم الميري ثم كتبوا لهم جوابًا وسافر به صالح أغا المذكور، وآخر من طرف إسماعيل بك.

(وفي يوم السبت ثامنه) وقع بين أهل بولاق وبين العسكر معركة بسبب إفسادهم وتعديهم وفسقهم مع النسا، وأذية السوقة وأصحاب الحوانيت وخطفهم الأشيا بدون ثمن، فاجتمع جمع من أهل بولاق وخرجوا إلى خارج البلدة، يريدون الذهاب إلى الباشا يشكون ما نزل بهم من البلا، فلما علم عسكر القليونجية ذلك اجتمعوا بأسلحتهم وحضروا إليهم وقاتلوهم وانهزم القليونجية، فنزل الأغا وتلافى الأمر وأخذ بخاطر العامة وسكن الفتنة وخاطب العسكر ووبخهم على أفعالهم، فقالوا له: وكيلك فلان وفلان هما اللذان يسلطاننا على هذه الأفعال، فأحضر أحدهما وقتله، وفر الآخر.

(وفي يوم الاثنين سابع عشره) حضر صالح أغا بجواب وأخبر بصلح الأمرا القبليين، على أن يكون لهم من أسيوط وما فوقها، ويقوموا بدفع ميري البلاد وغلالها ولا يتعدوا بعد ذلك، وأنهم يطلبون أناسًا من كبار الوجاقات والعلماء ليقع الصلح بأيديهم فعمل الباشا ديوانًا وأحضر الأمرا والمشايخ، واتفقوا على إرسال الشيخ محمد الأمير وإسماعيل أفندي الخلوتي وآخرين وسافروا في يوم الأربعاء تاسع عشره.

(وفي خامس عشرينه) هبت رياح عاصفة جنوبية حارة، واستمرت اثني عشر يومًا.

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الأحد

فيه ورد الخبر بأن جماعة من الأمرا القبليين حضروا إلى بني سويف.

وفي ثالثه) وصل الخبر بأن مراد بك حضر أيضًا إلى بني سويف في نحو الأربعين رجلًا) فشرع المصريون في التشهيل والاهتمام، وأخرجوا خيامهم ووطاقهم إلى ناحية البساتين.

(وفي يوم الخميس) طلع الأمراء إلى الباشا وتكلموا معه، وأخبروه بما ثبت عندهم من زحف الجماعة إلى بحري، وطلبوه للنزول صحبتهم، فقال لهم: حتى ترجع الرسل بالجواب أو نرسل لهم جوابًا آخر، وننظر جوابهم؛ فامتثلوا إلى رأيه، فكتب مكتوبًا مضمونه: إنكم طلبتم الصلح مرارًا وأجبناكم بما طلبتم، وأعطيناكم ما سألتم، ثم بلغنا أنكم زحفتم ورجعتم إلى بني سويف، فما عرفنا أي شي هذا الحال، والقصد أنكم

تعرفونا عن قصدكم وكيفية حضوركم إن كنتم نقضتم الصلح، وإلا لا، فترجعوا إلى ما حددناه لكم، وما وقع عليه الاتفاق وأرسله صحبة مرسل من طرفه.

(وفي يوم الجمعة) سحبوا الشركفلكات من بولاق، وذهبوا بها إلى الوطاق، وشرع إسماعيل بك في عمل متاريس عند طرا والمعصرة وكذلك في بر الجيزة، وجمع البنايين والفعلة والرجال وأمر بحفر خندق، وبنى أبراجًا من حجر وحيطانًا لنصب المدافع والمتاريس في البرين.

(وفي يوم الاثنين تاسعه) تكامل خروج الأمرا.

(وفي تلك الليلة) هرب بعض الأجناد والكشاف إلى قبلي، فأرسل إسماعيل بك أغات مستحفظان، فأحاط بدورهم، وأخرج حريمهم منها، ونهبها عن آخرها وأكثرها متاع النسا.

(وفي يوم الأربعا حادي عشره) نزل الأغا ونادى على جميع الألضاشات والأنفار بالطلوع إلى القلعة، ويأخذ كل شخص ألف فضة.

(وفي يوم الخميس ثاني عشره) حضر الشيخ محمد الأمير ومن بصحبته، وأخبروا أنهم تركوا إبراهيم بك ومراد بك في بني سويف، وأربعة من الأمرا، وهم: سليمان بك الأغا، وإبراهيم بك الوالي، وأيوب بك الصغير، وعثمان بك الشرقاوي بزاوية المصلوب، وحاصل جوابهم: إن يكن صلحًا فليكن كاملًا ونقعد معهم بالبلد عند عيالنا، ونصير كلنا إخوة، ونقيم ثأرنا في ثأرهم ودمنا في دمهم، وعفا الله عما سلف، فإن لم يرضوا بذلك فليستعدوا للقا، وهذا آخر الجواب والسلام.

وأرسلوا جوابات بمعنى ذلك إلى المشايخ وعلى أنهم يسعون في الصلح، أو يخرجون لهم على الخيل، كما هي عادة المصريين في الحروب.

وفي هذه الأيام حصل وقف حال وضيق في المعايش، وانقطاع للطرق وعدم أمن ووقوف العربان ومنع السبل وتعطيل أسباب، وعسر في الأسفار برًّا وبحرًا، فاقتضى رأي الشيخ العروسي أنه يجتمع مع المشايخ، ويركبون إلى الباشا ويتكلمون معه في شأن هذا الحال، فاستشعر إسماعيل بك بذلك، فدبج أمرًا وصور حضور ططري من الدولة وعلى يده مرسوم، فأرسل الباشا في عصر يوم الجمعة للمشايخ والوجاقلية، وجمعهم وقرءوا عليهم ذلك الفرمان، ومضمونه الحث والأمر والتشديد على محاربة الأمراء القبالي وطردهم وإبعادهم، فلما فرغوا من ذلك تكلم الشيخ العروسي وقال: أخبرونا عن حاصل هذا الكلام، فإننا لا نعرف بالتركي. فأخبروه، فقال: ومن المانع لكم من الخروج، وقد

ضاق الحال بالناس ولا يقدر أحد من الناس أن يصل إلى بحر النيل وقربة الماء بخمسة عشر نصف فضة، وحضرة إسماعيل بك مشتغل ببناء حيطان ومتاريس، وهذه ليست طريقة المصريين في الحروب، بل طريقتهم المصادمة وانفصال الحرب في ساعة، إما غالبًا أو مغلوبًا، وأما هذا الحال فإنه يستدعي طولًا وذلك يقتضي الخراب والتعطيل ووقف الحال، فقال الباشا: أنا ما قلت لكم هذا الكلام أولًا، وثانيًا هيا شهلوا أحوالكم، ونبهوا على الخروج يوم الاثنين، وأنا قبلكم.

(وفي ليلة الاثنين) حضر شخصان من الططر ودخلا من باب النصر، وأظهرا أنهما وصلا من الديار الرومية على طريق الشام وعلى يدهما مرسومات حاصلها الإخبار بحضور عساكر برية، وعليهم باشا كبير، وذلك أيضًا لا أصل له، ونودي في ذلك اليوم بالخروج إلى المتاريس وكل من خرج يطلع أولًا إلى القلعة ويأخذ نفقة من باب مستحفظان وقدرها خمسة عشر ريالًا، فطلع منهم جملة وأخذوا نفقتهم وخرجوا إلى المتاريس بالجيزة.

(وفي يوم الاثنين) نزل الباشا من القلعة وذهب إلى قصر الآثار ونصب وطاقه هناك ولم يأخذ معه ذخيرة ولا كلارًا، بل تكفل بمصرفه إسماعيل بك وختم كلاره قبل نزوله.

(وفي يوم الأربعا خامس عشرينه) وردت مكاتبات من الديار الحجازية، وأخبروا فيها بوفاة الشريف سرور، شريف مكة، وولاية أخيه الشريف غالب.

(وفي ليلة الأحد تاسع عشرينه) مات إبراهيم بك قشطة، صهر إسماعيل بك مطعونًا.

وفيه عزل إسماعيل بك المعلم يوسف كساف الجمركي بديوان بولاق، ونفاه إلى بلاد الإفرنج، وقيل إنه غرقه ببحر النيل وقلد مكانه مخاييل كحيل على عشرين ألف ريال دفعها.

واستهل شهر رجب بيوم الثلاثاء

(وفي كل يوم) ينادي المنادي بالخروج ويهدد من تخلف، واستمروا متترسين بالبرين، وبعض الأمرا ناحية طرا، وبعضهم بمصر القديمة في خلاعاتهم، وبعضهم بالجيزة كذلك إلى أن ضاق الحال بالناس، وتعطلت الأسفار وانقطع الجالب من قبلي وبحري، وأرسل إسماعيل بك إلى عرب البحيرة والهنادي فحضروا بجمعهم وأخلاطهم وانتشروا في الجهة الغربية من رشيد إلى الجيزة ينهبون البلاد، ويأكلون الزروعات ويضربون المراكب في البحر، ويقتلون الناس حتى قتلوا في يوم واحد من بلد النجيلة نيفًا وثلثماية إنسان،

وكذلك فعل عرب الشرق والجزيرة بالبر الشرقي، وكذلك رسلان وباشا التجار بالمنوفية، فتعطل السير برًّا وبحرًا ولو بالخفارة، حتى أن الإنسان يخاف أن يذهب من المدينة إلى بولاق أو خارج باب النصر.

(وفي يوم السبت خامسه) نهب سوق إنبابة.

وفيه قتل حمزة كاشف المعروف بالدويدار، رجلًا نصرانيًّا روميًّا صايغًا، اتهمه مع حريمه فقبض عليه وعذبه أيامًا وقلع عينيه وأسنانه وقطع أنفه وشفتيه وأطرافه حتى مات، بعد أن استأذن فيه حسن بك الجداوي، وعندما قبض عليه أرسل حسن بك ونهب باقي حانوته، من جوهر ومصاغ، ومتاع الناس، وغير ذلك، وطلق الزوجة بعد أن أراد قتلها، فهربت عند الست نفيسة زوجة مراد بك.

وفيه تشاجر شخص من أولاد البلد يقال له ابن البسطي يبيع الصيني مع رجل نطروني، فشكاه النطروني إلى محمد كاشف، تابع أحمد كتخذا المجنون، فأرسل إليه يطلبه، فامتنع عليهم فأرادوا القبض عليه قهرًا، فغلب عليهم وضربهم وطردهم، فأرسل له آخرين، ففعل بهم كذلك، فركب الكاشف والنطروني معه إلى الوالي وأرشوه، وذهب معهم إلى إسماعيل بك وأخذوا معهم أشخاصًا شهدوا على ذلك الشاب أنه فاجر، وقاطع طريق، ومؤذ لجيرانه، واستأذنه في قتله، فذهب إليه الوالي بجماعة كثيرة، وقبض عليه، وقتله تحت شباك داره وأمه تنظر إليه، فلما كان في صبحها اجتمع أهل حارة الشاب بباب الشعرية وخرجوا ومعهم بيارق وأعلام، وخلفهم النسا يندبن ويصرخن وينعين، وحضورا إلى الجامع الأزهر، وبعد حصة طلبوا إلى العرضي خارج مصر، فخرجوا فأظهر إسماعيل بك الغيظ والتأسف وأخذ بخاطرهم، ووعدهم بأخذ الثار ممن تسبب في قتله، وأمر بإحضار النطروني فتغيب، فأمر بالتفتيش عليه، وانفض الجمع وبردت القضية، وراحت على من راح، والأمر لله وحده.

(وفي يوم الأحد) أخذ إسماعيل بك فرمانًا من الباشا بفردة على البلاد لسليم بك أمير الحاج؛ ليستعين بها على الحج وقرر على كل بلدةماية ريال وجملًا.

(وفي يوم الثلاثا) اجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ بقصر العيني، فأظهر لهم إسماعيل بك الفرمان وعرفهم احتياج الحال لذلك، فقام الاختيارية وأغلظوا عليه ومانعوا في ذلك.

(وفي يوم السبت ثاني عشره الموافق لثاني عشر برموده وثامن نيسان الرومي) أمطرت السما صبح ذلك اليوم.

(وفي يوم الأحد ثالث عشره) هبت رياح جنوبية باردة، قوية وأثارت غبارًا كثيرًا واستمرت إلى ثاني يوم.

(وفي يوم الخميس سابع عشره) وصل نحو الألف من عسكر الأرنؤد إلى ساحل بولاق وعليهم كبير يسمى إسماعيل باشا، فخرج إسماعيل بك وحسن بك، وعلي بك ورضوان بك لملاقاته، ومدوا له سماطًا عند مكان الحلي القديم.

(وفي يوم الجمعة ثامن عشره) أمطرت السماء من بعد الفجر إلى العشا، وأطبق الغيم قبل الغروب، وأرعد رعدًا قويًّا وأبرق برقًا ساطعًا ثم خرجت فرتونة نكباء شرقية شمالية، واستمر البرق والمطر يتسلسل غالب الليل، وكان ذلك سابع عشر برموده وخامس عشر نيسان وخامس درجة من برج الثور، فسبحان الفعال لما يريد.

(وفي يوم الأحد عشرينه) كان عيد النصارى وفيه تقررت الفردة المذكورة، وسافر لقبضها سليم بك أمير الحج ولم يفد من قيام الوجاقلية وسعيهم في إبطالها شيء، فإنهم لما عارضوا في ذلك فتح عليهم طلب المساعدة، وليس بأيدي الملتزمين شيء يدفعونه، فقال: إذا كان كذلك فإننا نقبضها من البلاد. فلم يسعهم إلا الإجابة.

(وفي يوم الاثنين) حضر إلى ثغر بولاق أغا أسود، وعلى يده مقرر لعابدي باشا وخلعة لشريف مكة، فطلع عابدي باشا إلى القلعة وعمل ديوانًا في يوم الثلاثا، واجتمع الأمرا والمشايخ والقاضي وقروا المقرر، ووصل صحبة الأغا المذكور ألف قرش رومي أرسلها حضرة السلطان، تفرق على طلبة العلم بالأزهر، ويقرون له صحيح البخاري ويدعون له بالنصر.

(وفي يوم الأربعا) سافر سليم بك ونزل إلى القليوبية.

وفيه قتل إسماعيل باشا كبير الأرنؤد رئيس عسكره وكان يخشاه ويخاف من سطوته، قيل إنه أراد أن يأخذ العسكر ويذهب بهم إلى الأمرا القبليين رغبة في كثرة عطايهم، فطالبه بنفقة وألح عليه، وقال له: إن لم تعطهم وإلا هربوا حيث شاءوا، فحضر عنده وفاوضه في ذلك، فلاطفه وأكرمه واختلى به واغتاله وقطع رأسه وألقاها من الشباك لجماعته.

(وفي يوم الجمعة) كتبوا قايمة بأسما المجاورين والطلبة، وأخبروا الباشا أن الألف قرش لا تكفي طايفة من المجاورين فزادها ثلاثة آلاف قرش من عنده، فوزعوها بحسب الحال أعلى وأوسط وأدنى، فخص الأعلى عشرون قرشًا والأوسط عشرة والأدنى أربعة، وكذلك طوايف الأروقة بحسب الكثرة والقلة، ثم أحضروا أجزاء البخاري وقروه، وصادف ذلك زيادة أمر الطاعون والكروب المختلفة.

(وفي يوم الاثنين ثامن عشرينه) توفي صاحبنا حسن أفندي قلفة الغربية وتقلد عوضه صهره مصطفى أفندي ميسو كاتب اليومية.

وفيه توفي أيضًا خليل أفندي البغدادي الشطرنجي.

واستهل شهر شعبان بيوم الأربعا

فيه عدى بعض الأمرا بخيامهم إلى البر الغربي، ثم رجعوا في ثانيه ثم عدى البعض ورجع البعض، وكل ذلك إيهامات بالسفر وتمويهات من إسماعيل بك، وفي الحقيقة قصده عدم الحركة، وضاقت أنفس المقيمين بالمتاريس، وقلقوا من طول المدة وتفرق غالبهم ودخلوا المدينة.

(وفي خامسه) حضر إلى مصر رجل هندي قيل إنه وزير سلطان الهند حيدر بك وكان قد ذهب إلى إسلامبول بهدية إلى السلطان عبد الحميد، ومن جملتها منبر وقبلة مصنوعان من العود القافلي صنعة بديعة، وهما قطع مفصلات يجمعها شناكل وأغربة من فضة وذهب وسرير يسع ستة أنفار، وطائران يتكلمان باللغة الهندية خلاف الببغا المشهور، وأنه طلب منه إمدادًا يستعين به على حرب أعدائه الإنكليز المجاورين لبلاده، فأعطاه مرسومات إلى الجهات بالإذن لمن يسير معه، فسار إلى الإسكندرية ثم حضر إلى مصر، وسكن ببولاق وهو رجل كالمقعد يجلس على كرسي من فضة، ويحمل على الأعناق وقد ماتت العساكر التي كانت معه ويريد اتخاذ غيرها من أي جنس كان، وكل من دخل فيهم برسم الخدمة، وسموه بعلامة في جبهته لا تزول فنفرت الناس من ذلك، وملابسهم مثل ملابس الإفرنج وأكثرها من شيت هندي مقمطة على أجسامهم، وعلى رأسهم شقات إفرنجية.

(وفي سابعه) رجع الأمرا والوجاقلية إلى بيوتهم، وأشاعوا أن الأمرا القبليين رحلوا، ورجعوا القهقرى إلى قبلي.

(وفي عاشره) خرجوا ثانيًا وأشيع حضورهم إلى الشيمي.

(وفي ليلة الجمعة سابع عشره) خرج الأمرا بعد الغروب وأشيع وصل القبليين وهجومهم على المتاريس.

(وفي صبحها) حصلت زعجة وضجة، وهرب الناس من القرافتين ونودي بالخروج؛ فلم يخرج أحد ثم برد هذا الأمر.

(وفي تلك الليلة) ضربوا أعناق خمسة أشخاص من أتباع الشرطة يقال لهم البصاصون، وسبب ذلك أنهم أخذوا عملة وأخفوها من حاكمهم واختصوا بها دونه، ولم يشركوه معهم.

(وفي سابع عشرينه) مات محمد أغا مستحفظان المعروف بالمتيم.

(وفي يوم الأربعا تاسع عشرينه) كسفت الشمس وقت الضحوة الكبرى، وكان المنكسف منها نحو الثلاثة أرباع وأظلم الجو إلا يسيرًا ثم انجلى ذلك عند الزوال.

واستهل شهر رمضان بيوم الجمعة

ووافق ذلك أول بؤونة القبطي.

(وفي ثالثه) قلدوا إسماعيل بك خازندار إسماعيل بك الذي كان زوجه بإحدى زوجات أحمد كتخدا المجنون أغات مستحفظان، وقلدوا خازندار حسن بك الجداوي واليًا عوضًا عن إسماعيل أغا الجزايرلي لعزله.

(وفي ثاني عشره) حضر إبراهيم كاشف من إسلامبول، وكان إسماعيل بك أرسله بهدية إلى الدولة فأوصلها ورجع إلى مصر بجوابات القبول، وأنه لما وصل إلى إسلامبول وجد حسن باشا نزل إلى المراكب مسافرًا إلى بلاد الموسقو وبينه وبين إسلامبول نحو أربع ساعات، فذهب إليه وقابله ورجع معه في شكترية إلى إسلامبول وطلع الهدية بحضرته، وقد كان أشيع هناك بأن إبراهيم بك ومراد بك دخلا مصر وخرج من فيها، وحصل هناك هرج عظيم بسبب ذلك، فلما وصل إبراهيم كاشف هذا بالهدية حصل عندهم اطمئنان وتحققوا منه عدم صحة ذلك الخبر.

(وفي رابع عشرينه) نهب العرب قافلة التجار والحجاج الواصلة من السويس، وفيها شي كثير جدًّا من أموال التجار والحجاج ونهب فيها للتجار خاصة ستة آلاف جمل ما بين قماش وبهار، وبن وأقمشة وبضائع وذلك خلاف أمتعة الحجاج، وسلبوهم حتى ملابس أبدانهم وأسروا النسا وأخذوا ما عليهن ثم باعوهن لأصحابهن عرايا، وحصل لكثير من الناس وغالب التجار الضرر الزايد، ومنهم من كان جميع ماله بهذه القافلة، فذهب جميعه ورجع عريانًا أو قتل وترك مرميًّا.

(وفي خامس عشرينه) وقع بين طايفة المغاربة الحجاج النازلين بشاطي النيل ببولاق وبين عسكر القليونجية مقاتلة، وسبب ذلك أن المغاربة نظروا بالقرب منهم جماعة من القليونجية المتقيدين بقليون إسماعيل بك، ومعهم نسا يتعاطون المنكرات

الشرعية فكلمهم المغاربة ونهوهم عن فعل القبيح، وخصوصًا في مثل هذا الشهر أو أنهم يتباعدون عنه، فضربوا عليهم طبنجات فثار عليهم المغاربة، فهرب القليونجية إلى مراكبهم فنط المغاربة خلفهم واشتبكوا معهم ومسكوا من مسكوه وذبحوا من ذبحوه ورموه إلى البحر وقطعوا حبال المراكب ورموا صواريها، وحصلت زعجة في بولاق تلك الليلة وأغلقوا الدكاكين، وقتل من القليونجية نحو العشرين ومن المغاربة دون ذلك، فلما بلغ إسماعيل بك ذلك اغتاظ وأرسل إلى المغاربة يأمرهم بالانتقال من مكانهم، فانتقلوا إلى القاهرة وسكنوا بالخانات، فلما كان ثاني يوم نزل الأغا والوالي ونـاديا في الأسواق على المغاربة الحجاج بالخروج من المدينة إلى ناحية العادلية ولا يقيموا بالبلد، وكل من آواهم يستاهل ما يجرى عليه؛ فامتنعوا من الخروج، وقالوا: كيف نخرج إلى العادلية ونموت فيها عطشًا؟ وذهب منهم طايفة إلى إسماعيل كتخدا حسن باشا فأرسل إلى إسماعيل بك بالروضة يترجى عنده فيهم، فامتنع ولم يقبل الشفاعة وحلف أن كل من مكث منهم بعد ثلاثة أيام قتله، فتجمعوا أحزابًا واشتروا أسلحة وذهب منهم طايفة إلى الشيخ العروسي والشيخ محمد بن الجوهري فتكلموا مع إسماعيل بك فنادى عليهم بالأمان.

(وفي أواخره) ورد خبر من دمياط بأن النصارى أخذوا من على ثغر دمياط اثني عشر مركبًا.

واستهل شهر شوال بيوم السبت

(في رابعه) حضر سليم بك من سرحته.

(وفي خامسه) أرسل الأغا بعض أتباعه بطلب شخصي من عسكر القليونجية من ناحية بين السورين بسبب شكوى رفعت إليه فيهما، فضرب أحدهما أحد المعينين فقتله، فقبضوا عليه ورموا عنقه أيضًا بجانبه.

وفيه حضر طايفة العربان الذين نهبوا القافلة إلى مصر، وهم من العبابدة وقابلوا إسماعيل بك وصالحوه على مال وكذلك الباشا، واتفقوا على شيل ذخيرة أمير الحاج وخلع عليهم، ولما نهبت القافلة اجتمع الأكابر والتجار وذهبوا إلى إسماعيل بك وشكوا إليه ما نزل بهم فوبخهم، وأظهر الشماتة فيهم، وقال لهم: أنتم ناس أكابر أنا أطلب العرب لشيل الذخيرة وأنتم تحجزونهم لأنفسكم وترغبونهم في زيادة الأجرة لأجل أغراضكم ومتاجركم، وتعطلوا أشغال الدولة ولا تستأذنوا أحدًا فجزاكم ما حل بكم.

ثم ذهبوا إلى الباشا أيضًا وكلموه فقال لهم مثل ذلك، وقال أيضًا: إنه بلغني أنكم تختلسون الكثير من المحزوم والبضاعة وتأتون بها من غير جمرك ولا عشور، فوقع

لكم ذلك قصاصًا ببركة جدي لأبي شريف وأنتم أكلتم حقي، فأجابه بعضهم وهو السيد باكير وقال له: يا مولانا الوزير، جرت العادة أن التجار يفعلون ذلك ويقولون ما أمكنهم وعلى الحاكم التفتيش والفحص، فاغتاظ من جوابه، وقال: انظروا هذا كيف يجاوبني ويشافهني ويرد على الكلام والخطاب؟ ما رأيت مثل أهل هذه البلدة ولا أقل حياءً منهم.

وصارت يده ترتعش من الغيظ، وخرجوا من بين يديه آيسين، والحاضرون يلطفون له القول ويأخذون بخاطره وهو لا ينجلي عنه الغيظ، وهو يقول: كيف أن مثل هذا العامي السوقي يرد عليَّ هذا الجواب؟ ولولا خوفي من الله لفعلت به وفعلت، فلو قال له: إن حقك هذا الذي تدعيه مكس وظلم أو نحو ذلك. لقتله بالفعل، والأمر لله وحده وانفصل الأمر على ذلك.

(وفي يوم السبت ثامنه) نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة إلى المشهد الحسيني.

(وفي ليلة الثلاثا حادي عشره في ثالث ساعة من الليل) حصلت زعجة عظيمة، وركب جميع الأمرا وخرجوا إلى المتاريس، وأشيع أن الأمرا القبليين عدوا إلى جهة الشرق وركب الوالي والأغا وصاروا يفتحون الدروب بالعتالات، ويخرجون الأجناد من بيوتهم إلى العرضي، وباتوا بقية الليل في كركبة عظيمة، وأصبح الناس هايجين والمناداة متتابعة على الناس والألضاشات والأجناد والعسكر بالخروج، وظن الناس هجوم القبليين ودخولهم المدينة، فلما كان أواخر النهار حصلت سكتة وأصبحت القضية باردة، وظهر أن بعضهم عدى إلى الشرق وقصدوا الهجوم على المتاريس غفلة من الليل فسبق العين بالخبر فوقع ما ذكر، فلما حصل ذلك رجعوا إلى بياضة وشرعوا في بناء متاريس ثم تركوا ذلك وترفعوا إلى فوق، ولم يزل المصريون مقيمين بطرا ما عدا إسماعيل بك فإنه رجع بعد يومين لأجل تشهيل الحاج.

(وفي يوم السبت ثاني عشرينه) خرج سليم بك أمير الحاج بموكب المحمل، وكان مثل العام الماضي في قلة بل أقل بسبب إقامة الأمرا بالمتاريس.

ثم استهل شهر القعدة بيوم الاثنين

في ذلك اليوم رسموا بنفي سليمان بك الشابوري إلى المنصورة وتقاسموا بلاده.

وفيه رجع الأمرا من المتاريس إلى مصر القديمة كما كانوا، ولم يبق بها إلا المرابطون قبل ذلك.

(وفي يوم الثلاثاء) ثار جماعة الشوام وبعض المغاربة بالأزهر على الشيخ العروسي بسبب الجراية، وقفلوا في وجهه باب الجامع وهو خارج يريد الذهاب بعد كلام وصياح

ومنعوه من الخروج، فرجع إلى رواق المغاربة وجلس به إلى الغروب ثم تخلص منهم، وركب إلى بيته ولم يفتحوا الجامع وأصبحوا فخرجوا إلى السوق، وأمروا الناس بغلق الدكاكين، وذهب الشيخ إلى إسماعيل بك وتكلم معه، فقال له: أنت الذي تأمرهم بذلك، وتريدون بذلك تحريك الفتن علينا، ومنكم أناس يذهبون إلى أخصامنا ويعودون، فتبرأ من ذلك. فلم يقبل وذهب أيضًا وصحبته بعض المتعممين إلى الباشا بحضرة إسماعيل بك، فقال الباشا مثل ذلك وطلب الذين يثيرون الفتن من المجاورين ليؤدبهم وينفيهم فمانعوا في ذلك، ثم ذهبوا إلى علي بك الدفتردار وهو الناظر على الجامع، فتلافى القضية وصالح إسماعيل بك وأجروا لهم الأخباز بعد مشقة وكلام من جنس ما تقدم، وامتنع الشيخ العروسي، من دخول الجامع أيامًا، وقرأ درسه بالصالحية.

(وفي يوم الأحد رابع عشره الموافق لثالث عشر مسرى القبطي) أوفى النيل أذرعه وركب الباشا في صبحها وكسر سد الخليج.

(وفي عشرينه) انفتح سد ترعة مويس فأحضر إسماعيل بك عمر كاشف الشعراوي وهو الذي كان تكفل بها؛ لأنه كاشف الشرقية ولامه ونبه للتقصير في تمكينها وألزمه بسدها، فاعتذر بعدم الإمكان وخصوصًا وقد عزل من المنصب وأعوانه صاروا مع الكاشف الجديد، فاغتاظ منه وأمر بقتله، فاستجار برضوان كتخدا مستفحظان فشفع فيه، وأخذه عنده وسعى في جريمته وصالح عليه.

(وفي حادي عشرينه) أحضروا سليمان بك الشابوري من المنصورة.

شهر الحجة

في غرته حضر قليونان روميان إلى بحر النيل ببولاق يشتمل أحدهما على أحد وعشرين مدفعًا والثاني أقل منه اشتراهما إسماعيل بك.

وفيه زاد سعر الغلة ضعف الثمن بسبب انقطاع الجالب.

(وفي رابع عشره) عمل الباشا ديوانًا بقصر العيني وتشاوروا في خروج تجريدة وشاع الخبر بزحف القبليين.

(وفي يوم الأربعاء سادس عشره) عمل الباشا ديوانًا بقصر العيني جمع به سائر الأمرا والوجاقلية والمشايخ بسبب شخص إلجي حضر بمكاتبات من قرال الموسقو ولحضوره نبأ ينبغي ذكره، كما نقل إلينا وهو أن قرال الموسقو لما بلغه حركة العثمنلي في ابتدا الأمر على مصر أرسل مكاتبة إلى أمرا مصر على يد القنصل المقيم بثغر سكندرية

يحذرهم من ذلك ويحضهم على تحصين الثغر ومنع حسن باشا من العبور، فحضر القنصل إلى مصر واختلى بهم وأطلعهم على ذلك فأهملوه ولم يلتفتوا إليه، ورجع من غير رد جواب وورد حسن باشا فعند ذلك انتبهوا وطلبوا القنصل فلم يجدوه وجرى ما جرى وخرجوا إلى قبلي وكاتبوا القنصل، فأعاد الرسالة إلى قراله وركب هجانًا واجتمع بهم ورجع، وصادف وقوع الواقعة بالمنشية في السنة الماضية وكانت الهزيمة على المصريين، وشاع الخبر في الجهات بعودهم.

وقد كان أرسل لنجدتهم عسكرًا من قبله ومراكب ومكاتبات صحبة هذا الإلجي، فحضر إلى ثغر دمياط في أواخر رمضان فرأى انعكاس الأمر فعربد بالثغر وأخذ عدة نقاير كما ذكر ورجع إلى مرساه أقام بها وكاتب قراله وعرفه صورة الحال، وأن من بمصر الآن من جنسهم أيضًا وأن العثمنلي لم يزل مقهورًا معهم، فأجمع رأيه على مكاتبة المستقرين وإمدادهم، فكتب إليهم وأرسلها صحبة هذا الإلجي، وحضر إلى دمياط وأنفذ الخبر سرًّا بوصوله وطلب الحضور بنفسه، فأعلموا الباشا بذلك سرًّا وأرسلوا إليه بالحضور، فلما وصل إلى شلقان خرج إليه إسماعيل بك في تطريدة كأن لم يشعر به أحد، وأعد له منزلًا ببولاق وحضر به ليلًا وأنزله بذلك القناق، ثم اجتمع به صحبة علي بك وحسن بك ورضوان بك وقروا المكاتبات بينهم، فوصل إليهم عند ذلك جماعة من أتباع الباشا وطلبوا ذلك الإلجي عند الباشا وذلك بإشارة خفية بينهم وبين الباشا، فركبوا معه إلى قصر العيني وأرسل الباشا في تلك الليلة التنابيه لحضور الديوان في صبحها، فلما تكاملوا أخرج الباشا تلك المراسلات وقريت في المجلس والترجمان يفسرها بالعربي.

وملخصها خطابًا إلى الأمرا المصرية: إنه بلغنا صنع ابن عثمان الخاين الغدار معكم ووقوع الفتن فيكم، وقصده أن بعضكم يقتل بعضًا ثم لا يبقي على من يبقى منكم ويملك بلادكم ويفعل بها عوايده من الظلم والجور والخراب، فإنه لا يضع قدمه في قطر إلا ويعمه الدمار والخراب، فتيقظوا لأنفسكم واطردوا من حل ببلادكم من العثمانية، وارفعوا بنديرتنا واختاروا لكم رُؤَسَا منكم.

وحصنوا ثغوركم وامنعوا من يصل إليكم منهم إلا من كان بسبب التجارة ولا تخشوه في شيء فنحن نكفيكم مؤونته، وانصبوا من طرفكم حكامًا بالبلاد الشامية كما كانت في السابق، ويكون لنا أمر بلاد الساحل والواصل لكم كذا وكذا مركبًا وبها كذا من العسكر والمقاتلين وعندنا من المال والرجال ما تطلبون وزيادة على ما تظنون.

فلما قري ذلك اتفقوا على إرسالها إلى الدولة فأرسلت في ذلك اليوم صحبة مكاتبة من الباشا والأمرا، وأنزلوا ذلك الإلجي في مكان بالقلعة مكرمًا.

(وفي يوم الاثنين) وجهوا خمسة من المراكب الرومية إلى جهة قبلي وأبقوا اثنين، وأرسلوا بها عثمان بك طبل الإسماعيلي، وعساكر رومية، والله أعلم.

وانقضت هذه السنة.

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر

مات الإمام العلامة أحد المتصدرين وأوحد العلما المتبحرين حلال المشكلات وصاحب التحقيقات الشيخ حسن بن غالب الجداوي المالكي الأزهري، ولد بالجدية في سنة ثمان وعشرين وماية وألف، وهي قرية قرب رشيد وبها نشا، وقدم الجامع الأزهر فتفقه على بلديه الشيخ شمس الدين محمد الجداوي وعلى أفقه المالكية في عصره السيد محمد بن محمد السلموني، وحضر على الشيخ علي خضر العمروسي، وعلى السيد محمد البليدي والشيخ علي الصعيدي.

أخذ عنهم الفنون بالإتقان ومهر فيها، حتى عد من الأعيان ودرس في حياة شيوخه وأفتى وهو شيخ بهي الصورة طاهر السريرة، حسن السيرة، فصيح اللهجة، شديد العارضة يفيد الناس بتقريره الفايق، ويحل المشكلات بذهنه الرايق، وحلقة درسه عليها الخفر، وما يلقيه كأنه نثار جواهر ودرر، وله مولفات وتقييدات وحواش، وكان له وظيفة الخطابة بجامع مرزه جربجي ببولاق، ووظيفة تدريس بالنسانية أيضًا وينزل إلى بلده الجدية في كل سنة مرة، ويقيم بها أيامًا ويجتمع عليه أهل الناحية ويهادونه، ويفصلون على يديه قضاياهم، ودعاويهم وأنكحتهم ومواريثهم ويوخرون وقايعهم الحادثة بطول السنة إلى حضوره، ولا يثقون إلا بقوله، ثم يرجع إلى مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل والقمح وغير ذلك ما يكفي عياله إلى قابل مع الحشمة والعفة.

توفي بعد أن تعلل أشهرًا في أواخر شهر ذي الحجة، وجُهز وصُلي عليه بالأزهر بمشهد حافل، ودفن عند شيخه الشيخ محمد الجداوي في قبر أعده لنفسه، رحمه الله تعالى.

ومات الإمام العلامة الفقيه المحدث النحوي الشيخ حسن الكفراوي الشافعي الأزهري، ولد ببلدة كفر الشيخ حجازي بالقرب من المحلة الكبرى فقرا القرآن وحفظ المتون بالمحلة، ثم حضر إلى مصر وحضر شيوخ الوقت، مثل: الشيخ أحمد السجاعي،

والشيخ عمر الطحلاوي، والشيخ محمد الحفني، والشيخ علي الصعيدي، ومهر في الفقه والمعقول، وتصدر ودرس وأفتى واشتهر ذكره ولازم الأستاذ الحفني، وتداخل في القضايا والدعاوى، وفصل الخصومات بين المتنازعين، وأقبل عليه الناس بالهدايا والجعالات ونما أمره، وراش جناحه وتجمل بالملابس، وركوب البغال، وأحدق به الأتباع واشترى بيت الشيخ عمر الطحلاوي بحارة الشنواني بعد موت ابنه سيدي علي فزادت شهرته ووفدت عليه الناس وأطعم الطعام، واستعمل مكارم الأخلاق، ثم تزوج ببنت المعلم درع الجزار بالحسينية وسكن بها، فجيش عليه أهل الناحية، وأولو النجدة والزعارة والشطارة، وصار له بهم نجدة ومنعة على من يخالفه أو يعانده، ولو من الحكام وتردد إلى الأمير محمد بك أبو الدهب قبل استقلاله بالإمارة وأحبه، وحضر مجالس دروسه في شهر رمضان بالمشهد الحسيني، فلما استبد بالأمر لم يزل يراعي له حق الصحبة، ويقبل شفاعته في المهمات، ويدخل عليه من غير استئذان في أي وقت أراد، فزادت شهرته ونفذت أحكامه وقضاياه، واتخذ سكنًا على بركة جناق أيضًا، ولما بنى محمد بك جامعه كان هو المتعين فيه بوظيفة التدريس والإفتا ومشيخة الشافعية، وثالث ثلاثة المفتين الذين قررهم الأمير المذكور، وقصر عليهم الإفتا، وهم: الشيخ أحمد الدردير المالكي، والشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي والمترجم.

وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها، أنشاها لهم بظاهر الميضاة بجوار التكية التي جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور حصة من النهار في ضحوة كل يوم للإفتاء، بعد إلقايهم دروس الفقه، ورتب لهم ما يكفيهم وشرط عليهم عدم قبول الرشا والجعالات، فاستمروا على ذلك أيام حياة الأمير.

واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ الذي تقدم ذكره في ترجمة يوسف بك، ونوه بشأنه عند الأمرا والناس، وأبرزه لهم في قالب الولاية، ويجعل شعوذته وسيمياه من قبيل الخوارق والكرامات إلى أن اتضح أمره ليوسف بك، فتحامل عليه وعلى قرينه الشيخ المترجم من أجله، ولم يتمكن من إيذائهما في حياة سيده، فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة، وألقاه في بحر النيل، وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والإفتا، وقلد ذلك الشيخ أحمد بن يونس الخليفي وانكسف باله، وخمد مشعال ظهوره بين أقرانه إلا قليلًا حتى هلك يوسف بك قبل تمام الحول، ونسيت القضية وبطل أمر الوظيفة والتكية، وتراجع حاله كالأول ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهورًا وتعلل، وذلك في عشرين شعبان من السنة وصُلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن بتربة المجاورين.

ومن مؤلفاته إعراب الآجرومية وهو مؤلف نافع مشهور بين الطلبة، وكان قوي الباس شديد المراس، عظيم الهمة والشكيمة، ثابت الجنان عند العظايم، يغلب على طبعه حب الرياسة والحكم والسياسة، ويحب الحركة بالليل والنهار ويمل السكون والقرار، وذلك مما يورث الخلل ويوقع في الزلل، فإن العلم إذا لم يقرن بالعمل ويصاحبه الخوف والوجل، ويجمل بالتقوى ويزين بالعفاف ويحلى باتباع الحق والإنصاف، أوقع صاحبه الخذلان وصيره مثلة بين الأقران، كما قال البدر الحجازي رحمه الله تعالى:

إذا بعبد أراد الله نائبة ... أعطاه ما شاء من علم بلا عمل
فعده لاصطياد المال مصيدة ... يعدو به عدو معدود من الهمل
مثل الحمار الذي الأسفار يحملها ... وما استفاد سوى الإجهاد والملل
يقول: بالأمس عند القاض كنت كذا ... عند الأمير وقد أبدى البشاشة لي
وقام لي وبقدري قام أطعمني ... حلوى وألبسني الحالي من الحلل
ومن حكاني والحكام طوع يدي ... وأين مثلي وما في الكون من مثلي
أجيد فقهًا وتفسيرًا ومنطق مع ... علم الحديث وعلم النحو والجدل
وغيرها من علوم ليس من أحد ... يحاول البعض منها غير منخذل
فصال إذ صار بالأشرار متصلًا ... على الأنام صيال الصارم الصقل
له يشار إذا ما سار وهو على ... ركوب جاب سمين في الدواب علي
يقال: هذا فلان والصحاب به ... قد أحدقت ملأت كفيه بالقبل
يصيح إذ رام يقريهم بهمته ... صياح شخص عن المعقول في عقل
يقول: ذا مذهبي أوما فهمت وذا ... بالرد عندي أولى، ليس ذا بجلي
كأنه في الورى قد صار مجتهدًا ... كالشافعي وأبي ثور أو الذهلي
فتاه في تيه وادي العجب ليس له ... إلى هداه سبيل ما من السبل
وصار منجدلًا في المقت ميت هوى ... أثوابه كفنا عدت بلا جدل
فيا لداهية دهياء قد نزلت ... به وزل بها في هوة الزلل
إذ أعقبته عقابًا لا عقيب له ... وعلة ما علاها قط من علل
فحين حلت به حلت حلاه وما ... لمن يحاول عنه الحل من حيل
فعنه فجًّا شنيعًا خذ بعيد مدى ... على متون جياد العزم وارتحل
إذ ذلك الشخص إبليس التعيس ومن ... له بإبليس يا للناس من قبل

إليك يا ملجأ الجاني لجا حسن هو الحجازي الذي قد جال في الوجل
من الدعاء الذي لا نفع فيه ومن فحش المقال وسوء الحال والمحل
وصل رب وسلم ما استنار ضحى على نبيك طه أفضل الرسل
والآل والصحب والأتباع من كملوا ما أوجد الله من عال ومستفل

اللهم الطف بنا ووفقنا وارحمنا وأحسن عاقبتنا وقنا واكفنا شر أنفسنا، يا أرحم الراحمين اللهم آمين.

ومات الشيخ العلامة المتفنن البحاث المتقن أبو العباس المغربي أصله من الصحراء من عمالة الجزاير، ودخل مصر صغيرًا فحضر دروس الشيخ علي الصعيدي فتفقه عليه ولازمه ومهر في الآلات والفنون، وأذن له في التدريس فصار يقري الطلبة في رواقهم، وراج أمره لفصاحته وجودة حفظه، وتميز في الفضايل، وحج سنة اثنتين وثمانين ومائة ألف وجاور بالحرمين سنة، واجتمع بالشيخ أبي الحسن السندي ولازمه في دروسه وباحثه، وعاد إلى مصر وكان يحسن الثنا على المشار إليه، واشتهر أمره وصارت له في الرواق كلمة واحترمه علما مذهبه لفضله وسلاطة لسانه، وبعد موت شيخه عظم أمره حتى أشير له بالمشيخة في الرواق وتعصب له جماعة، فلم يتم له الأمر ونزل له السيد عمر أفندي الأسيوطي عن نظر الجوهرية فقطع معاليم المستحقين، وكان محجاجًا عظيم المراس يتقى شره، توفي ليلة الأربعا حادي عشرين شعبان، غفر الله لنا وله.

ومات الإمام الفقيه العلامة النحوي المنطقي الفرضي الحيسوب الشيخ موسى البشبيشي الشافعي الأزهري، نشا بالجامع الأزهر من صغره وحفظ القرآن والمتون، وحضر دروس الأشياخ كالصعيدي والدردير والمصيلحي والصبان والشنويهي ومهر، وأنجب وصار من الفضلا المعدودين ودرس في الفقه والمعقول واستفاد وأفاد، ولازم حضور شيخنا العروسي في غالب الكتب فيحضر ويملي ويستفيد ويفيد، وكان مهذبًا في نفسه متواضعًا مقتصدًا في ملبسه ومأكله، عفوفًا قانعًا، خفيف الروح لا يمل من مجالسته ومفاكهته، ولم يزل منقطعًا للعلم والإفادة ليلًا ونهارًا، مقبلًا على شانه، حتى توفي — رحمه الله تعالى — حادي عشر شعبان مطعونًا.

ومات العلامة الأديب واللوذعي اللبيب المتقن المتفنن الشيخ محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد المعروف بالشافعي المغربي التونسي نزيل مصر، ولد بتونس سنة اثنتين وخمسين ومائة ألف، ونشأ في قراءة القرآن وطلب العلم، وقدم إلى مصر سنة إحدى وسبعين، وجاور بالأزهر برواق المغاربة، وحضر علماء العصر في الفقه والمعقولات، ولازم

دروس الشيخ علي الصعيدي وأبي الحسن القلعي التونسي شيخ الرواق، وعاشر اللطفا والنجبا من أهل مصر، وتخلق بأخلاقهم، وطالع كتب التاريخ والأدب وصار له ملكة في استحضار المناسبات الغريبة والنكات، وتزوج وتزيا بزي أولاد البلد، وتحلى بذوقهم ونظم الشعر الحسن، فمن ذلك ما أنشدني لنفسه يمدح الرسول ﷺ:

هذا الحمى وعبيره المتعطر ... فعلام دمعك من جفونك يمطر
وأنخ مطاياك التي أوصلتها ... إدلاجها بهجيرها إذ تسعر
فلكم قطعت بها بساط مفاوز ... ونقطت أسطره التي تتعذر
ودفعتها في كل حزن شامخ ... سامي السرى عنه البزاة تقصر
حتى أتت بك قبر أفضل مرسل ... فلها عليك فضائل لا تنكر
عين العناية مهبط الوحي الذي ... جاءت به الرسل الكرام تبشر

ومنها:

ما نال معجزة نبي غيره ... إلا به فهو النبي الأكبر
أدناه بالمعراج خالقه إلى ... حيث الأمين يقول: زد وأقصر
حتى رأى المولى بعيني رأسه ... أرأى السوي المولى بعين تبصر

وله يمدح الشريف مساعد شريف مكة سنة سبع وسبعين بقوله:

لعلياك تأتي عيسها ورجالها ... خفاقًا وتغدو مثقلات رحالها
ولولاك لم تعجم سطور سباسب ... بأقلام عيس قد برتها جبالها
إذا توج الحادي بمدحك لفظه ... نرى الأرض تطوى للركاب رحالها
وإن فكروا في حسن معناك في الدجى ... أضاءت لهم أيمانها وشمالها
لعمري لقد أحييت ما كان دارسًا ... من المكرمات المستطاب نوالها
وقمت لدين الله خير معاضد ... فحاق لأعداك الغداة نكالها

وله مضمنًا بيت المتنبي:

وقالوا: نأى من كنت مغرى بحبه   وتزعمه خلًّا ونعم خليل
ولو كان خلًّا ما نأى عنك ساعة   ولم يرض في شرع الهوى ببديل
فقلت: دعوني لا تهيجوا بلابلي   بقال على ما نابني وبقيل
وإن رمتموا رشدي فقولوا وأقبلوا   فأي فتى يهدى بغير دليل
فقالوا: اقترح صبرًا عليه أو البكا   فقلت: البكا أشفى إذًا لغليلي

وله:

أيد الحق تجده   ملجأ في كل شده
فكفى بالمرء إثمًا   أن يضيع الحق عنده

وله:

أطال اشتياقي قرقف الشفة اللعسا   وأيقظ وجدي سحر مقلته النعسا
وأخمد صبري حين شب جماله   لهيبًا نفت عني حرارته الأنسا
فتنًّا به مذ صاغه الله فتنة   وأصبح يحكي في سما حسنه الشمسا
ومذ سأل العذال عنه لهوتهم   ببيت به لغز به استخونوا الحدسا
فآخره عشر لأوله كما   بدا عد ثانيه لثالثه خمسا

واللغز في اسم محمد، وله غير ذلك، توفي — رحمه الله — يوم الجمعة ثالث شعبان من السنة.

ومات صاحبنا الشاب الصالح العفيف الموفق الشيخ مصطفى بن جاد، ولد بمصر ونشأ بالصحرا بعمارة السلطان قايتباي، ورغب في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها، فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقدوسي حتى مهر فيها وفاق أستاذه وأدرك دقايق الصنعة والتذهيبات والنقوشات بالذهب المحلول والفضة والأصباغ الملونة والرسم والجداول والأطباع وغير ذلك، وانفرد بدقيق الصنعة بعد موت الصناع الكبار، مثل: الدقدوسي وعثمان أفندي بن عبد الله عتيق المرحوم الوالد، والشيخ محمد الشناوي وكان لطيف الذات خفيف الروح محبوب الطباع مألوف الأوضاع ودودًا مشفقًا عفوفًا صالحًا،

ملازمًا على الأذكار والأوراد مواظبًا على استعمال اسم لطيف العدة الكبرى في كل ليلة على الدوام صيفًا وشتاء سفرًا وحضرًا، حتى لاحت عليه أنوار الاسم الشريف وظهرت فيه أسراره وروحانيته، وصار له ذوق صحيح وكشف صريح ومرا واضحة، وأخذ على شيخنا الشيخ محمود الكردي طريق السادة الخلوتية، وتلقن عنه الذكر والاسم الأول وواظب على ورد العصر أيام حياة الأستاذ، ولم يزل مقبلًا على شأنه قانعًا بصناعته، ويستنسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها إلى أن وافاه الحمام، وتوفي سابع شهر القعدة من السنة بعد أن تعلل أشهرًا، رحمه الله وعوضنا فيه خيرًا، فإنه كان بي رءوفًا وعليَّ شفوقًا ولا يصبر عني يومًا كاملًا مع حسن العشرة والمودة والمحبة لا لغرض من الأغراض، ولم أر بعده مثله، وخلف بعده أولاده الثلاثة وهم: الشيخ صالح وهو الكبير وأحمد وبدوي، والشيخ صالح المذكور وهو الآن عمدة مباشري الأوقاف بمصر وجابي المحاسبة، وله شهرة ووجاهة في الناس، وحسن حال عشرة وسير حسن، وفقه الله وأعانه على وقته.

ومات أيضًا الصنو الفريد واللوذعي الوحيد والكاتب المجيد والنادرة المفيد أخونا في الله خليل أفندي البغدادي، ولد ببغداد دار السلام وتربى في حجر والده، ونشا بها في نعمة ورفاهية، وكان والده من أعيان بغداد وعظمايها ذا مال وثروة عظيمة وبينه وبين حاكمها عثمان باشا معاشرة وخلطة ومعاملة، فلما وصل الطاغية طهماز إلى تلك الناحية، وحصل منه ما حصل في بغداد وفر منه حاكمها المذكور، فقبض على والد المترجم، واتهمه بأموال الباشا وذخايره ونهب داره واستصفى أمواله ونواله، وأهلك تحت عقوبته وخرج أهله وعياله وأولاده فارين من بغداد على وجوههم وفيهم المترجم، وكان إذ ذاك أصغر إخوته فتفرقوا في البلاد، وحضر المترجم بعد مدة من الواقعة مع بعض التجار إلى مصر واستوطنها، وعاشر أهلها وأحبه الناس للطفه ومزاياه، وجوَّد الخط على الأنيس والضيائي والشكري ومهر فيه، وكان يجيد لعب الشطرنج ولا يباريه فيه أحد مع الخفة والسرعة وقل من يتناقل معه فيه بالكامل، بل كان يناقل غالب الحذاق بدون الفرزان أو أحد الرخين، ولم أر من ناقله بالكامل إلا الشيخ سلامة الكتبي، وبذلك رغب في صحبته الأعيان والأكابر وأكرموه وواسوه، مثل عبد الرحمن بن عثمان وسليمان بك الشابوري وسليمان جربجي البرديسي، وكان غالب مبيته عنده ولم يزل ينتقل عند الأعيان باستدعا ورغبة منهم فيه مع الخفة واطراح الكلفة، وحسن العشرة ويأوي إلى طبقته ولم يتاهل ويغسل ثيابه عند رفيقه السيد حسن العطار بالأشرقية، وبآخره عاشر

الأمير مراد بك واختص به وأحبه، فكان يجود له الخط ويناقله في الشطرنج، وأغدق عليه ووالاه بالبر فراج حاله، واشترى كتبًا وواسى إخوانه وكان كريم النفس جدًّا، يجود وما لديه قليل ولا يبقي على درهم ولا دينار، ولما خرج مراد بك من مصر حزن لفقده وبعده، وباع ما اقتناه من الكتب وغيرها، وصرف ثمنها في بره ولوازمه وعبه دائمًا ملآن بالمآكل الجافة مثل التمر والكعك والفاكهة يأكل منها، ويفرق في مروره على الأطفال والفقرا والكلاب وكان بشوشًا ضحوك السن دايمًا منشرحًا، يسلي المحزون ويضحك المغبون ويحب الجمال ولا يوخر المكتوبة عن وقتها أينما كان، ويزور الصلحا والعلما ويحضر في بعض الأحيان دروسهم ويتلقى عنهم المسايل الفقهية، ويحب سماع الألحان واجتماع الإخوان ويعرف اللسان التركي، ودخل بيت البارودي كعادته فأصيب بالطاعون وتعلل ليلتين، وتوفي حادي عشرين رجب سنة تاريخه، رحمه الله وسامحه، فلقد كانت أفاعيله وطباعه تدل على جود أصله وطيب أعراقه وأصوله، كما قال الإمام علي — كرم الله وجهه:

إذا رمت تعرف أصل الفتى	أدر لخط وجهك في منظره
فإن لم يبن لك فانظر إلى	أفاعيله فهي من جوهره
فإن لم يبن لك من ذا وذا	فلا تعمدن سوى محضره
فإن المحاضر زين الرجال	بها يعرف النذل من مخبره
بلوت الرجال وعاشرتهم	وكل يعود إلى عنصره

ومات الجناب الأوحد والنجيب المفرد الفصيح اللبيب، والنادرة الأريب السيد إبراهيم بن أحمد بن يوسف بن مصطفى بن محمد أمين الدين بن علي سعد الدين بن محمد أمين الدين الحسيني الشافعي المعروف بقلفة الشهر، تفقه على شيخ والده السيد عبد الرحمن الشيخوني إذ كان إمام والده، وتدرج في معرفة الأقلام والكتابة، فلما توفي والده تولى مكانه أخوه الأكبر يوسف في كتابة قلم الشهر، فلما شاخ وكبر سلمه إلى أخيه المترجم فسار فيه أحسن سير واقتنى كتبًا نفيسة وتمهر في غرايب الفنون وأخذ طريق الشاذلية والأحزاب والأذكار على الشيخ محمد كشك، وكان يبره ويلاحظه بمراعاته وانتسب إليه وحضر الصحيح وغيره على شيخنا السيد (محمد) مرتضى وسمع عليه كثيرًا من الأجزاء الحديثية في منزله بالركبيين وبالأزبكية في مواسم النيل، وكان مهيبًا وجيهًا ذا شهامة ومروة وكرم مفرط وتجمل فخر، عمله فوق همته سموحًا بالعطا متوكلًا، توفي صبح يوم الأربعا غاية شهر شعبان بعد أن تعلل سبعة أيام، وجُهز وصُلي عليه بمصلى شيخون،

ودفن على والده قرب السيدة نفيسة وخلف ولديه النجيبين المفردين حسن أفندي، وقاسم أفندي، أبقاهما الله وأحيا بهما المآثر وحفظ عليهما أولادهما وأصلح لنا الأيام.

ومات الإمام العلامة والجهبذ الفهامة الفقيه النبيه الأصولي المعقولي الورع الصالح الشيخ محمد الفيومي الشهير بالعقاد أحد أعيان العلما النجبا الفضلا، تفقه على أشياخ العصر ولازم الشيخ الصعيدي المالكي ومهر وأنجب ودرس، وانتفع به الطلبة في المعقول والمنقول وألف وأفاد وكان إنسانًا حسنًا جميل الأخلاق مهذب النفس متواضعًا مشهورًا بالعلم والفضل والصلاح لم يزل مقبلًا على شأنه محبوبًا للنفوس حتى تعلل بالبرقوقية بالصحرا، وتوفي بها ودفن هناك بوصية منه، رحمه الله.

ومات صاحبنا الجناب المكرم والملاذ المفخم أنيس الجليس، والنادرة الرئيس حسن أفندي بن محمد أفندي المعروف بالزامك قلفة الغربية، ومن له في أبناء جنسه أحسن منقبة ومزية تربى في حجر والده، ومهر في صناعته، ولما توفي والده خلفه من بعده، وفاقه في هزله وجده وعاشر أرباب الفضايل واللطفا، وصار منزله منهلًا للواردين ومربعًا للوافدين فيتلقى من يرد إليه بالبشر والطلاقة ويبذل جهده في قضا حاجة من له به أدنى علاقة، فاشتهر ذكره وعظم أمره، وورد إليه الخاص والعام حتى أمرا الألوف العظام، فيواسي الجميع ويسكرهم بكأس لطفه المريع مع الحشمة، والرياسة وحسن المسامرة والسياسة، قطعنا معه أوقاتًا كانت في جبهة العمر غرة، ولعين الدهر مسرة وقرة، وفي هذا العام قصد الحج إلى بيت الله الحرام، وقضى بعض اللوازم والأشغال واشترى الخيش وأدوات الأحمال فوافاه الحمام، وارتحل إلى دار السلام بسلام وذلك في أواخر رجب بالطاعون، رحمه الله.

ومات أيضًا الجناب العالي واللوذعي الغالي ذو الرياستين والمزيتين والفضيلتين الأمير أحمد أفندي الروزنامجي المعروف بالصفائي، تقلد وظيفة الروزنامة بديوان مصر عندما كف بصر إسماعيل أفندي، فكان لها أهلًا وسار فيها سيرًا حسنًا بشهامة وصرامة ورياسة، كان يحفظ القرآن حفظًا جيدًا وحضر في الفقه والمعقول على أشياخ الوقت قبل ذلك، وكان يحفظ متن الألفية لابن مالك ويعرف معانيها ويحفظ كثيرًا من المتون ويباحث ويناضل من غير ادعا للمعرفة والعالمية، فتراه أميرًا مع الأمرا وريسًا مع الرؤسا وعالمًا مع العلما وكاتبًا مع الكتاب.

وولداه سليمان أفندي المتوفى سنة ثمان وتسعين، وعثمان أفندي المتوفى بعده في الفصل سنة خمس ومايتين، ووالدتهما المصونة خديجة من أقارب المرحوم الوالد، وكانا

ريحانتين نجيبين ذكيين مفردين، أعقب سليمان محمد أفندي وتوفي في سنة ست عشرة، وهو مقتبل الشبيبة وحسن أفندي الموجود الآن، وأعقب عثمان أحمد وهو موجود أيضًا إلا أنه بعيد الشبه من أبيه، وعمه وأولاد عمه وجده وجدته، وأما ابن عمه حسن أفندي فهو ناجب ذكي بارك الله فيه، ولما تعلل المترجم وانقطع عن النزول والركوب وحضور الدواوين قلدوا عوضه أحمد أفندي المعروف بأبي كلبة على مال دفعه، فأقام في المنصب دون الشهرين ومات أحمد أفندي فسعى عثمان أفندي العباسي على المنصب وتقلده على رشوة لها قدر، وذهب على أحمد أفندي أبو كلبة ما دفعه في الهبا وكانت وفاة أحمد أفندي الصفائي المترجم في عشرين خلت من ربيع الثاني من السنة.

ومات العمدة المفرد والنجيب الأوحد محمد أفندي كاتب الرزقة الأحباسية، وهذه الوظيفة تلقاها بالوراثة عن أبيه وجده وعرفوا اصطلاحها وأتقنوا أمرها، وكان محمد أفندي هذا لا يعزب عن ذهنه شيء يسأل عنه من أراضي الرزق بالبلاد القبلية والبحرية مع اتساع دفاترها وكثرتها ويعرف مظنناتها، ومن انحلت عنه ومن انتقلت إليه مع الضبط والتحرير والصيانة والرفق بالفقرا في عوايد الكتابة، وكان على قدم الخير والصلاح مقتصدًا في معيشته قانعًا بوظيفته لا يتفاخر في ملبس ولا مركب، ويركب دايمًا الحمار وخلفه خادمه يحمل له كيس الدفتر إذا طلع إلى الديوان مع السكون والحشمة، وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات العشر ولم يزل هذا حاله حتى تعلل أيامًا، وتوفي إلى رحمة الله تعالى ثامن من ربيع الثاني، وتقرر في الوظيفة عوضه ابن ابنه الشاب الصالح حمودة أفندي، فسار كأسلافه سيرًا حسنًا، وقام بأعبا الوظيفة حسًّا ومعنًى إلا أنه عاجله الحمام، وانخسف بدره قبل التمام، وتوفي بعد جده بنحو سنتين، وشغرت الوظيفة وابتذلت كغيرها، وهكذا عادة الدنيا.

ومات الجناب السامي والغيث الهاطل الهامي ذو المناقب السنية والأفعال المرضية والسجايا المنيفة والأخلاق الشريفة، السيد السند حامي الأقطار الحجازية والبلاد التهامية والنجدية الشريف السيد سرور أمير مكة، تولى الأحكام وعمره نحو إحدى عشرة سنة، وكانت مدة ولايته قريبًا من أربع عشرة سنة، وساس الأحكام أحسن سياسة وسار فيها بعدالة ورياسة، وأمَّن تلك الأقطار أمنًا لا مزيد عليه، ومات وفي محبسه نيف وأربعماية من العربان الرهاين، وكان لا يغفل لحظة عن النظر والتدبير في مملكته، ويباشر الأمور بنفسه ويتنكر ويعس ويتفقد جميع الأمور الكلية والجزئية، ولا ينام الليل قط فيدور ثلثي الليل ويطوف حول الكعبة الثلث الأخير، ولم يزل يتنفل ويطوف حتى يصلي الصبح

ثم يتوجه إلى داره فينام إلى الضحوة، ثم يجلس للنظر في الأحكام، ولا يأخذه في الله لومة لايم، ويقيم الحدود ولو على أقرب الناس إليه، فعمرت تلك النواحي وأمنت السبل وخافته العربان وأولاد الحرام، فكان المسافر يسير بمفرده ليلًا في خفارته، وبالجملة فكانت أفعاله حميدة وأيامه سعيدة لم يأت قبله مثله فيما نعلم، ولم يخلفه إلا مذمم، ولما مات تولى بعده أخوه الشريف غالب، وفقه الله وأصلح شانه.

ثم دخلت سنة ثلاث ومايتين وألف
(١٧٨٨م)

فكان ابتدا المحرم يوم الخميس، وفيه زاد اجتهاد إسماعيل بك في البناء عند طرا، وأنشأ هناك قلعة بحافة البحر وجعل بها مساكن ومخازن وحواصل، وأنشأ حيطانًا وأبراجًا وكرانك وأبنية ممتدة من القلعة إلى الجبل، وأخرج إليها الجبخانة والذخيرة وغير ذلك.

(وفي تاسعه) سافر عثمان كتخدا عزبان إلى إسلامبول بعرضحال يطلب عسكر وأذن باقتطاع مصاريف من الخزينة.

(وفي رابع عشرينه) سافر إسماعيل باشا الأرنؤد بجماعته ولحقوا بالغلايين، والجماعة القبليون متترسون بناحية الصول وعاملون سبعة متاريس، والمراكب وصلت إلى أول متراس فوجدوهم مالكين مزم الجبل، فوقفوا عند أول متراس ومدافعهم تصيب المراكب ومدافع المراكب لا تصيبهم، وهم متمنعون بأنفسهم إلى فوق، وانخرقت المراكب عدة مرار وطلع مرة من أهل المراكب جماعة أرادوا الكبس على المتراس الأول، فخرج عليهم كمين من خلف مزرعة الذرة المزروع فقتل من طايفة المغاربة جماعة وهرب الباقون، ونصبت روس القتلى على مزاريق ليراها أهل المراكب.

(وفي سادس عشرينه) سافر أيضًا عثمان بك الحسني وامتنع ذهاب السفار وإيابهم إلى الجهة القبلية، وانقطع الوارد وشطح سعر الغلة وبلغ النيل غايته في الزيادة، واستمر على الأراضي من غير نقص إلى آخر شهر بابة القبطي وروى جميع الأراضي.

(وفي سابع عشرينه) حضر سراج من عند القبليين وعلى يده مكاتبات بطلب صلح، وعلى أنهم يرجعون إلى البلاد التي عينها لهم حسن باشا ويقومون بدفع المال والغلال للميري، ويطلقون السبل للمسافرين والتجار فإنهم سئموا من طول المدة ولهم مدة

شهور منتظرين اللقا مع أخصامهم، فلم يخرجوا إليهم فلا يكونون سببًا لقطع أرزاق الفقرا والمساكين، فكتبوا لهم أجوبة للإجابة لمطلوبهم بشرط إرسال رهاين، وهم: عثمان بك الشرقاوي وإبراهيم بك الوالي ومحمد بك الألفي ومصطفى بك الكبير، ورجع الرسول بالجواب وصحبته واحد بشلي من طرف الباشا.

شهر صفر

في غرته حضر جماعة مجاريح.

(وفي ثانيه) حضر المرسال الذي توجه بالرسالة وصحبته سليمان كاشف من جماعة القبليين والبشلي وآخر من طرف إسماعيل باشا الأرنؤدي، وأخبروا أن الجماعة لم يرضوا بإرسال رهاين، ثم أرسلوا لهم علي كاشف الجيزة، وصحبته رضوان كتخدا باب التفكجية وتلطفوا معهم على أن يرسلوا عثمان بك الشرقاوي وأيوب بك فامتنعوا من ذلك، وقالوا من جملة كلامهم: لعلكم تظنون أن طلبنا في الصلح عجز أو أننا محصورون وتقولون بينكم في مصر إنهم يريدون بطلب الصلح التحيل على التعدية إلى البر الغربي حتى يملكوا الاتساع، وإذا قصدنا ذلك أي شي يمنعنا في أي وقت شئنا، وحيث كان الأمر كذلك فنحن لا نرضى إلا من حد أسيوط ولا نرسل رهاين ولا نتجاوز محلنا، فلما رجع الجواب بذلك في سابعه أرسل الباشا فرمانًا إلى إسماعيل باشا بمحاربتهم، فبرز إليهم بعساكره وجميع العسكر التي بالمراكب وحملوا عليهم حملة واحدة، وذلك يوم الجمعة ثامنه فأخلوا لهم وملكوا منهم متراسين؛ فخرج عليهم كمين بعد أن أظهروا الهزيمة فقتل من العسكر جملة كبيرة، ثم وقع الحرب بينهم يوم السبت ويوم الأحد واستمرت المدافع تضرب بينهم من الجهتين والحرب قايم بينهم سجالًا، وكل من الفريقين يعمل الحيل وينصب الشباك على الآخر ويكمن ليلًا، فيجد الرصد ولم ينفصل بينهم الحرب على شي.

(وفي منتصفه) شرع إسماعيل بك في عمل تفريدة على البلاد، فقرروا الأعلى عشرين ألف فضة والأوسط خمسة عشر والأدنى خمسة آلاف، وذلك خلاف حق الطرق وما يتبعها من الكلف، وعمل ديوان ذلك في بيت علي بك الدفتردار بحضرة الوجاقلية وكتبت دفاترها وأوراقها في مدة ثلاثة أيام.

واستهل شهر ربيع الأول

والحال على ما هو عليه وحضر مرسول من القبليين بطلب الصلح ويطلبون من حد أسيوط إلى فوق شرقًا وغربًا ولا يرسلون رهاين، ووصل ساعي من ثغر إسكندرية بالبشارة لإسماعيل كتخدا حسن باشا بولاية مصر وأن اليراق والداقم وصل، والقبجي والكتخدا وأرباب المناصب وصلوا إلى الثغر فردهم الريح عندما قربوا من المرساة إلى جهة قبرص، فشرع عابدي باشا في نقل متاعه من القلعة، ولما حضر المرسول بطلب الصلح رضي المصرلية بذلك، وأعادوه بالجواب.

(وفي رابعه) حضر أحمد أغا أغات الجملية المعروف بشويكار لتقرير ذلك، فعمل عابدي باشا ديوانًا اجتمع فيه الأمرا والمشايخ والاختيارية، وتكلم أحمد أغا وقال: نأخذ من أسيوط إلى قبلي شرقًا وغربًا بشرط أن ندفع ميري البلاد من المال والغلال، ونطلق سراح المراكب والمسافرين بالغلال والأسباب، وكذلك أنتم لا تمنعون عنا الواردين بالاحتياجات إلا ما كان من آلة الحرب فلكم منعه، وبعد أن يتقرر بيننا وبينكم الصلح نكتب عرض محضر منا ومنكم إلى الدولة، وننظر ما يكون الجواب، فإن حضر الجواب بالعفو لنا أو تعيين أماكن لنا لا نخالف ذلك ولا نتعدى الأوامر السلطانية، بشرط أن ترسلوا لنا الفرمان الذي يأتي بعينه نطلع عليه. فأجيبوا إلى ذلك كله، ورجع أحمد أغا بالجواب صبيحة ذلك اليوم صحبة عبد الله جاويش وشهر حوالة والشيخ بدوي من طرف المشايخ، وحضر في أثر ذلك مراكب غلال وانحلت الأسعار وتواجدت الغلال بالرقع وكثرت بعد انقشاعها، ثم وصلت الأخبار بأن القبليين شرعوا في عمل جسر على البحر من مراكب مرصوصة ممتدة من البر الشرقي إلى البر الغربي، وثبتوه وسمروه بمسامير وبراطات وثقلوه بمراس وأحجار مركوزة بقرار البحر، وأظهروا أن ذلك لأجل التعدية، ورجعت المراكب وصحبتها العسكر المحاربون وإسماعيل باشا الأرنؤدي وعثمان بك الحسني والقليونجية وغيرهم، وأشيع تقرير الصلح وصحته.

(وفي عاشره) أخبر بعض الناس قاضي العسكر أن بمدفن السلطان الغوري بداخل خزانة في القبة آثار النبي ﷺ وهي قطعة من قميصه وقطعة عصا وميل، فأحضر مباشر الوقف وطلب منه إحضار تلك الآثار وعمل لها صندوقًا ووضعها في داخل بقجة وضمخها بالطيب، ووضعها على كرسي ورفعها على راس بعض الأتباع وركب القاضي والنايب، وصحبته بعض المتعممين مشاة بين يديه يجهرون بالصلاة على النبي حتى وصلوا بها إلى المدفن، ووضعها في داخل الصندوق ورفعوها في مكانها بالخزانة.

(وفي يوم الاثنين سابع عشره) حضر شهر حوالة وعبد الله جاويش وأخبروا بأنهم لما وصلوا إلى الجماعة تركوهم ستة أيام حتى تمموا شغل الجسر وعدوا عليه إلى البر الغربي، ثم طلبوهم فعدوا إليهم وتكلموا معهم، وقالوا لهم: إن عابدي باشا قرر معنا الصلح على هذه الصورة، وتكفل لنا بكامل الأمور، ولكن بلغنا في هذه الأيام أنه معزول من الولاية، وكيف يكون معزولًا ونعقد معه صلحًا؟ هذا لا يكون إلا إذا حضر إليه مقرر أو تولى غيره يكون الكلام معه، وكتبوا له جوابًا بذلك، ورجع به الجماعة المرسلون، وأشيع عدم التمام فاضطربت الأمور وارتفعت الغلال ثانيًا وغلا سعرها وشح الخبز من الأسواق.

(وفي يوم الأربعا تاسع عشره) عمل الباشا ديوانًا جمع فيه الأمرا والمشايخ والاختيارية والقاضي فتكلم الباشا وقال: انظروا يا ناس هؤلاء الجماعة ما عرفنا لهم حالًا ولا دينًا ولا عقادة ولا عهدًا ولا عقدًا، إنا رأينا النصارى إذا تعاقدوا على شي لا ينقضوه، ولا يختل عنه بدقيقة، وهولا الجماعة كل يوم لهم صلح ونقض وتلاعب، وإننا أجبناهم إلى ما طلبوا، وأعطيناهم هذه المملكة العظيمة وهي من ابتدا أسيوط إلى منتهى النيل شرقًا وغربًا، ثم إنهم نكثوا ذلك، وأرسلوا يحتجون بحجة باردة وإذا كنت أنا معزولًا فإن الذي يتولى بعدي لا ينقض فعلي ولا يبطله، ويقولون في جوابهم: نحن عصاة وقطاع طريق. وحيث أقروا على أنفسهم بذلك وجب قتالهم أم لا؟ فقال القاضي والمشايخ: يجب قتالهم بمجرد عصيانهم وخروجهم عن طاعة السلطان. فقال: إذا كان الأمر كذلك فإني أكتب لهم مكاتبة وأقول لهم: إما أن ترجعوا تستقروا على ما وقع عليه الصلح، وإما أن أجهز لكم عساكر وأنفق عليهم من أموالكم ولا أحد يعارضني فيما أفعله، وإلا تركت لكم بلدتكم وسافرت منها ولو من غير أمر الدولة، فقالوا جميعًا: نحن لا نخالف الأمر، فقال: أضع القبض على نساهم وأولادهم ودورهم، وأسكن نساهم وحريمهم في الوكايل، وأبيع تعلقاتهم وبلادهم وما تملكه نساهم، وأجمع ذلك جميعها وأنفقه على العسكر، وإن لم يكف ذلك تممته من مالي، فقالوا: سمعنا وأطعنا، وكتبوا مكاتبة خطابًا لهم بذلك وختم عليها الباشا والأمرا وأرسلوها.

(وفي يوم الأحد ثالث عشرينه) نزل الأغا ونادى في الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة للأمرا القبليين يردها لأربابها، فإن ظهر بعد ثلاثة أيام عند أحد شي استحق العقوبة وكل ذلك تدبير إسماعيل بك.

(وفي يوم الثلاثا) حضر هجان وباش سراجين إبراهيم بك وأخبر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر، فعمل الباشا ديوانًا في صبحها وذكروا المراسلة

وضمن الباشا غايلتهم وضمن المشايخ غايلة إسماعيل بك وكتبوا محضرًا بذلك، وختموا عليه وأرسلوه صحبة مصطفى كتخذا باش اختيار عزبان، وتحقق رفع الجسر ووردت بعض المراكب وانحلت الأسعار قليلًا.

واستهل شهر ربيع الثاني

فيه حضر شيخ السادات إلى بيته الذي عمره بجوار المشهد الحسيني وشرع في عمل المولد واعتنى بذلك، ونادوا على الناس بفتح الحوانيت بالليل ووقود القناديل من باب زويلة إلى بين القصرين، وأحدثوا سيارات وأشاير ومواكب وأحمال قناديل ومشاعل وطبولًا وزمورًا واستمر ذلك خمسة عشر يومًا وليلة.

(وفي يوم الجمعة) حضر عابدي باشا باستدعا الشيخ له فتغدى ببيت الشيخ، وصلى الجمعة بالمسجد وخلع على الشيخ وعلى الخطيب ثم ركب إلى قصر العيني.

(وفي ذلك اليوم) وصل ططري من الديار الرومية وعلى يده مرسومات فعملوا في صبحها ديوانًا بقصر العيني وقريت المرسومات، وكان مضمون أحدها تقريرًا لعابدي باشا على ولاية مصر.

والثاني: الأمر والحث على حرب الأمرا القبليين وإبعادهم من القطر المصري.

والثالث: بطلب الإفرنجي المرهون إلى الديار الرومية.

فلما قري ذلك عمل عابدي باشا شنكًا ومدافع من القصر والمراكب والقلعة وانكسف بال إسماعيل كتخدا بعد أن حضر إليه المبشر بالمنصب، وأظهر البشر والعظمة وأنفذ المبشرين ليلًا إلى الأعيان ولم يصبر إلى طلوع النهار، حتى أنه أرسل إلى محمد أفندي البكري المبشر في خامس ساعة من الليل وأعطاه ماية دينار، وحضر إليه الأمرا والعلما في صبحها للتهنية، وثبت ذلك عند الخاص والعام، ونقل عابدي باشا عزاله وحريمه إلى القلعة.

(وفي يوم الجمعة ثاني عشره) رجع مصطفى كتخدا من ناحية قبلي وبيده جوابات، وأخبر أن إبراهيم بك الكبير ترفع إلى قبلي وصحبته إبراهيم بك الوالي وسليمان بك الأغا وأيوب بك، وملخص والجوابات أنهم طالبون من حد المنية.

(وفي يوم الأحد رابع عشره) عمل الباشا ديوانًا حضره المشايخ والأمرا فلم يحصل سوى سفر الإفرنجي.

(وفي أواخره) حضر سراج باشا إبراهيم بك وبيده جوابات يطلبون من حد منفلوط فأجيبوا إلى ذلك، وكتبت لهم جوابات بذلك وسافر السراج المذكور.

واستهل شهر جمادى الأولى

في غرته قلدوا غيطاس بك إمارة الحج.

(وفي ثالثه) وصل ططريون من البر على طريق دمياط بمكاتبات مضمونها ولاية إسماعيل كتخدا حسن باشا على مصر، وأخبروا أن حسن باشا دخل إلى إسلامبول في ربيع الأول ونقض ما أبرمه وكيل عابدي باشا وألبس قابجي كتخدا إسماعيل المذكور بحكم نيابته عنه قفطان المنصب ثالث ربيع الثاني، وتعين قابجي الولاية، وخرج من إسلامبول بعد خروج الططري بيومين، وحضر الططر في مدة ثلاثة وعشرين يومًا، فلما وصل الططر سر إسماعيل كتخدا سرورًا عظيمًا وأنفذ المبشرين إلى بيوت الأعيان.

وفيه ورد الخبر بانتقال الأمرا القبليين إلى المنية، وسافر رضوان بك إلى المنوفية وقاسم بك إلى الشرقية وعلي بك الحسني إلى الغربية.

(وفي عشرينه) جمع إسماعيل بك الأمرا والوجاقلية وقال لهم: يا إخواننا إن حسن باشا أرسل يطلب مني باقي الحلوان، فمن كان عنده بقية فليحضر بها ويدفعها. فأحضروا حسن أفندي شقبون أفندي الديوان وحسبوا الذي طرف إسماعيل بك وجماعته فبلغ ثلثماية وخمسين كيسًا، وطلع على طرف حسن بك وأتباعه نحو أربعماية كيس، وعلى طرف علي بك الدفتردار ماية وستون كيسًا، وكانوا أرسلوا إلى علي بك فلم يأت، فقال لهم حسن بك: أي شي هذا العجب، والأغراض بلاد علي بك فارسكور وبارنبال وسرس الليانة حلوانهم قليل، وزاد اللغط والكلام، فقام من بينهم إسماعيل بك ونزل وركب إلى جزيرة الدهب، وكذلك حسن بك خرج إلى قبة العزب، وعلي بك ذهب إلى قصر الجلفي بالشيخ قمر، وأصبح علي بك ركب إلى الباشا ثم رجع إلى بيته، ثم إن علي بك قال: لا بد من تحرير حسابي وما تعاطيته وما صرفته من أيام حسن باشا إلى وقتنا، وما صرفته على أمير الحج تلك السنة، وادعى أمير الحج الذي هو محمد بك المبدول ببواقي، ووقع على الجداوي واجتمعوا ببيت رضوان كتخدا تابع المجنون وحضر حسن كتخدا علي بك وكيلًا عن مخدومه، ومصطفى أغا الوكيل وكيلًا عن إسماعيل بك، وحرروا الحساب فطلع على طرف علي بك ثلاثة وعشرون كيسًا، وطلع له بواق في البلاد نيف وأربعون كيسًا.

شهر جمادى الآخرة

فيه حضر فرمان من الدولة بنفي أربعة أغوات، وهم: عريف أغا وعلي أغا وإدريس أغا وإسماعيل أغا، فحنق لذلك جوهر أغا دار السعادة وشرع في كتابة مرافعة.

(وفي عاشره) وصل فرمان لإسماعيل كتخدا وخوطب فيه بلفظ الوزارة.

(وفي يوم الأحد) عمل إسماعيل باشا المذكور ديوانًا في بيته بالأزبكية وحضر الأمرا والمشايخ وقروا المكاتبة، وفيها الأمر بحساب عابدي باشا، وبعد انفضاض الديوان أمر الروزنامجي والأفندية بالذهاب إلى عابدي باشا وتحرير حساب الستة أشهر من أول توت إلى برمهات؛ لأنها مدة إسماعيل باشا وما أخذه زيادة عن عوايده، وأخذ منه الضربخانة وسلمها إلى خازنداره، وقطعوا مراتبه من المذبح.

(وفي عصريتها) أرسل إلى الوجاقلية والاختيارية فلما حضروا قال لهم إسماعيل باشا: بلغني أنكم جمعتم ثمانماية كيس فما صنعتم بها؟ فقالوا: دفعناها إلى عابدي باشا وصرفها على العسكر، فقال: لأي شي؟ قالوا: لقتل العدو، قال: والعدو قتل؟ قالوا: لا، قال: حينئذ إذا احتاج الحال ورجع العدو طلب منكم كذلك قدرها، قالوا: ومن أين لنا ذلك؟ قال: إذًا اطلبوها منه واحفظوها عندكم في باب مستحفظان لوقت الاحتياج.

وفيه تواترت الأخبار باستقرار إبراهيم بك بمنفلوط وبنى له بها دارًا وصحبته أيوب بك، وأما مراد بك وبقية الصناجق فإنهم ترفعوا إلى فوق.

(وفي يوم الاثنين) حضر حسن كتخدا الجربان من الروم، وكان إسماعيل بك أرسل يتشفع في حضوره بسعاية محمد أغا البارودي وعلى أنه لم يكن من هذه القبيلة؛ لأنه مملوك حسن بك أبي كرش وحسن بك مملوك سليمان أغا كتخدا الجاويشية، ولما حضر أخبر أن الأمرا الرهاين أرسلوهم إلى شنق قلعة منفيين بسبب مكاتبات وردت من الأمرا القبالي إلى بعض متكلمي الدولة مثل: القزلار وخلافه بالسعي لهم في طلب العفو، فلما حضر حسن باشا وبلغه ذلك فنفاهم وأسقط رواتبهم، وكانوا في منزل أعزاز ولهم رواتب وجامكية لكل شخص خمسماية قرش في الشهر.

(وفي عشرينه) تحرر حساب عابدي باشا فطلع لإسماعيل باشا نحو ستماية كيس، فتجاوز له عن نصفها، ودفع ثلثماية كيس، وطلع عليه لطرف الميري نحوها أخذوا بها عليه وثيقة وسامحها الأمرا من حسابهم معه وهادوه وأكرموه وقدموا له تقادم، وأخذ في أسباب الارتحال والسفر وبرز خيامه إلى بركة الحج.

(وفي أواخره) ورد الخبر مع السعاة بوصول الأطواخ لإسماعيل باشا، والبرق والداقم إلى ثغر الإسكندرية.

شهر رجب استهل بيوم السبت

(في ثالثه يوم الاثنين) سافر عابدي باشا من البر على طريق الشام إلى ديار بكر ليجمع العساكر إلى قتال الموسقو، وذهب من مصر بأموال عظيمة، وسافر صحبته إسماعيل باشا الأرنؤدي وأبقى إسماعيل باشا من عسكر القليونجية والأرنؤدية من اختارهم لخدمته وأضافهم إليه.

(وفي عاشره) وصلت الأطواخ والدقام إلى الباشا فابتهج لذلك وأمر بعمل شنك وحراقة ببركة الأزبكية، وحضر الأمرا إلى هناك، ونصبوا صواري وتعاليق وعملوا حراقة ووقدة ليلتين، ثم ركب الباشا في صبح يوم الجمعة وذهب إلى مقام الإمام الشافعي فزاره، ورجع إلى قبة العزب خارج باب النصر، ونودي في ليلتها على الموكب.

فلما كان صبح يوم السبت خامس عشره خرج الأمرا والوجاقلية والعساكر الرومية والمصرلية، واجتمع الناس للفرجة، وانتظم الموكب أمامه، وركب بالشعار القديم، وعلى رأسه الطلخان والقفطان الأطلس، وأمامه السعاة والجاويشية والملازمون، وخلفه النوبة التركية، وركب أمامه جميع الأمرا بالشعار والبيلشانات بزينتهم ونظامهم القديم المعتاد، وشق القاهرة في موكب عظيم، ولما طلع إلى القلعة ضرب له المدافع من الأبراج وكان ذلك اليوم متراكم الغيوم وسح المطر من وقت ركوبه إلى وقت جلوسه بالقلعة حتى ابتلَّت ملابسه، وملابس الأمرا والعسكر وحوايجهم وهم مستبشرون بذلك، وكان ذلك اليوم خامس برمودة القبطي.

(وفي يوم الثلاثا) عمل الديوان وطلع الأمرا والمشايخ، وطلع الجم الكثير من الفقها ظانِّين وطامعين في الخِلَعِ، فلما قري التقرير في الديوان الداخل خلع على الشيخ العروسي والشيخ البكري والشيخ الحريري والشيخ الأمير والأمرا الكبار فقط، ثم إن إسماعيل بك التفت إلى المشايخ الحاضرين وقال: تفضلوا يا أسيادنا حلَّت البركة فقاموا وخرجوا.

(وفي يوم الخميس عشرينه) أمر الباشا المحتسب بعمل تسعيرة وتنقيص الأسعار فنقصوا سعر اللحم نصف فضة وجعلوا الضاني بستة أنصاف والجاموسي بخمسة، فشح وجوده بالأسواق وصاروا يبيعونه خفية بالزيادة، ونزل سعر الغلة إلى ثلاثة ريال ونصف الإردب بعد تسعة ونصف.

(وفي يوم الخميس ثامن عشرينه) ورد مرسوم من الدولة، فعمل الباشا الديوان في ذلك اليوم وقروه وفيه الأمر بقراءة صحيح البخاري بالأزهر والدعا بالنصر للسلطان على الموسقو، فإنهم تغلبوا واستولوا على قلاع ومدن عظيمة من مدن المسلمين، وكذلك

يدعون له بعد الأذان في كل وقت، وأمر الباشا بتقرير عشرة من المشايخ من المذاهب الثلاثة يقرون البخاري في كل يوم ورتب لهم في كل يوم مايتي نصف فضة لكل مدرس عشرون نصفًا من الضربخانة، ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان.

وفيه شرع الباشا في تبييض حيطان الجامع الأزهر بالنورة والمغرة.

(وفي يوم الأحد) حضر الشيخ العروسي والمشايخ وجلسوا في القبلة القديمة جلوسًا عامًّا، وقروا أجزا من البخاري واستداموا على ذلك بقية الجمعة، قرر إسماعيل بك أيضًا عشرة من الفقهاء كذلك يقرون أيضًا البخاري نظير العشرة الأولى، وحضر الصناع وشرعوا في البياض والدهان وجلا الأعمدة وبطل ذلك الترتيب.

شهر شعبان

(في ثانيه) نودي بإبطال التعامل بالزيوف المغشوشة والذهب الناقص وأن الصيارفة يتخذون لهم مقصات يقطعون بها الدراهم الفضة المنحسة، وكذلك الذهب المغشوش الخارج، وإذا كان الدينار ينقص ثلاثة قراريط يكن بطالًا ولا يتعامل به، وإنما يباع لليهود الموردين بسعر المصاغ إلى دار الضرب ليعاد جديدًا فلم يمتثل الناس لهذا الأمر، ولم يوافقوا عليه واستمروا على التعامل بذلك في المبيعات وغيرها؛ لأن غالب الذهب على هذا النقص وأكثر، وإذا بيع على سعر المصاغ خسروا فيه قريبًا من النصف، فلم يسهل بهم ذلك ومشوا على ما هم عليه مصطلحون فيما بينهم.

(وفي أوايله) أيضًا تواترت الأخبار بموت السلطان عبد الحميد حادي عشر رجب وجلوس ابن أخيه السلطان مصطفى مكانه، وهو السلطان سليم خان وعمره نحو الثلاثين سنة، وورد في إثر الإشاعة صحبة التجار والمسافرين دراهم وعليها اسمه وطرته، ودعي له في الخطبة أول جمعة في شعبان المذكور.

(وفي يوم الثلاثاء تاسعه) حضر علي بك الدفتردار من ناحية دجوة وسبب ذهابه إليها أن أولاد حبيب قتلوا عبدًا لعلي بك بمنية عفيف بسبب حادثة هناك، وكان ذلك العبد موصوفًا بالشجاعة والفروسية فعز ذلك على علي بك؛ فأخذ فرمانًا من الباشا بركوبه على أولاد حبيب وتخريب بلدهم، ونزل إليهم وصحبته باكير بك ومحمد بك المبدول، وعندما علم الحبايبة بذلك وزعوا متاعهم وارتحلوا من البلد وذهبوا إلى الجزيرة، فلما وصل علي بك ومن معه إلى دجوة لم يجدوا أحدًا ووجدوا دورهم خالية، فأمروا بهدمها فهدموا مجالسهم ومقاعدهم، وأوقدوا فيها النار، وعملوا فردة على أهل البلد وما حولها من

البلاد، وطلبوا منهم كلفًا وحق طرق، وتفحصوا على ودايعهم وأمانتهم وغلالهم في جيرة البلاد مثل طحلة وغيرها فأخذوها وأحاطوا بزرعهم وما وجدوه بالنواحي من بهايمهم ومواشيهم، ثم تداركوا أمرهم وصالحوه بسعي الوسايط بدراهم ودفعوها، ورجعوا إلى وطنهم ولكن بعد خرابها وهدمها.

وفيه أرسل الباشا سلحداره بخطاب للأمرا القبالي يطلب منهم الغلال والمال الميري حكم الاتفاق.

واستهل شهر رمضان وشوال

في رابعه وصل إلى مصر أغا معين بإجرا السكة والخطبة باسم السلطان سليم شاه، فعمل الباشا ديوانًا وقرا المرسوم الوارد بذلك بحضرة الجمع، والسبب في تأخيره لهذا الوقت الاهتمام بأمر السفر واشتغال رجال الدولة بالعزل والتولية، وورد الخبر أيضًا بعزل حسن باشا من رياسة البحر إلى رياسة البر وتقلد الصدارة، وتولى عوضه قبطان باشا حسين الجردلي، وأخبروا أيضًا بقتل بستنجي باشا.

(وفي أوايله) أيضًا فتحوا ميري سنة خمسة مقدمة معجلة.

(وفي أواخره) حضر عثمان كتخدا عزبان من الديار الرومية وبيده أوامر، وفيها الحث على محاربة الأمرا القبالي والخطاب للوجاقلية وباقي الأمرا، بأن يكونوا مع إسماعيل بك بالمساعدة والإذن لهم بصرف ما يلزم صرفه من الخزينة مع تشهيل الخزينة للدولة.

(وفي عاشره) وصل ططري وعلى يده أوامر منها حسن عيار المعاملة من الذهب والفضة، وأن يكون عيار الذهب المصري تسعة عشر قيراطًا، ويصرف بماية وعشرين نصفًا بنقص أربعة أنصاف عن الواقع في الصرف بين الناس والإسلامبولي بماية وأربعين وبنقص عشرة، والفندقلي بمايتين بنقص خمسة، والريال الفرانسة بماية بنقص خمسة أيضًا، والمغربي بخمسة وتسعين بنقص خمسة أيضًا، وهو المعروف بأبي مدفع والبندقي بمايتين وعشرة بنقص خمسة عشر، فنزل الأغا والوالي ونادى بذلك فخسر الناس حصة من أموالهم.

(وفي غايته) خرج أمير الحاج غيطاس بك بالمحمل وركب الحجاج.

(وفي منتصف شهر القعدة الموافق لعاشر مسرى القبطي) أوفى النيل المبارك أذرع الوفا ونزل الباشا إلى فم الخليج وكسر السد بحضرته على العادة وانقضى هذا العام بحوادثه، وحصل في هذه السنة الازدلاف وتداخل العام الهلالي في الخراجي، ففتحوا طلب

المال الخراجي القابل قبل أوانه لضرورة الاحتياج وضيق الوارد بتعطيل الجهة القبلية واستيلا الأمرا الخارجين عليها، ووجه إسماعيل بك الطلب من أول السنة بباقي الحلوان الذي قرره حسن باشا ثم المال الشتوي ثم الصيفي، وفي أثنا ذلك المطالبة بالفرد المتوالية المقررة على البلاد من الملتزمين، ووجه على الناس قباح الرسل والمعينين من السراجين والدلاة وعسكر القليونجية، فيدهمون الإنسان ويدخلون عليه في بيته مثل التجريدة الخمسة والعشرة بأيديهم البنادق والأسلحة بوجوه عابسة، فيشاغلهم ويلاطفهم ويلين خواطرهم بالإكرام فلا يزدادون إلا قسوة وفظاظة فيعدهم على وقت آخر، فيسمعونه قبيح القول ويشتطون في أجرة طريقهم، وربما لم يجدوا صاحب الدار أو يكون مسافرًا فيدخلون الدار وليس فيها إلا النسا، ويحصل منهم ما لا خير فيه من الهجوم عليهن، وربما نططن من الحيطان أو هربن إلى بيوت الجيران.

وسافر رضوان بك قرابة علي بك الكبير إلى المنوفية وأنزل بها كل بلية، وعسف بالقرى عسفًا عنيفًا قبيحًا يأخذ البلص والتساويف وطلب الكلف الخارجة عن المعقول إلى أن وصل إلى شريد، ثم رجع إلى مولد السيد البدوي بطندتا ثم عاد، وفي كل مرة من مروره يستأنف العسف والجور، وكذلك قاسم بك بالشرقية وعلي بك الحسني بالغربية، وقلد إسماعيل بك مصطفى كاشف المرابط بقلعة طرا، فعسف بالمسافرين الذاهبين والآيبين إلى جهة قبلي فلا تمر عليه سفينة صاعدة أو منحدرة إلا طلبها إليه، وأمر بإخراج ما فيها وتفتيشها بحجة أخذهم الاحتياجات للأمرا القبليين من الثياب وغيرها، أو إرسالهم أشيا أو دراهم لبيوتهم، فإن وَجد بالسفينة شيًّا من ذلك نهب ما فيها من مال المسافرين والمتسببين وأخذه عن آخره، وقبض عليهم وعلى الريس وحبسهم ونكل بهم ولا يطلقهم إلا بمصلحة، وإن لم يجد شيئًا فيه شبهة أخذ من السفينة ما اختاره، وحجزهم فلا يطلقهم إلا بمال يأخذه منهم.

وتحقق الناس فعله فصانعوه ابتدا تقية لشره وحفظًا لمالهم ومتاعهم، فكان الذي يريد السفر إلى قبلي بتجارة أو متاع يذهب إليه ببعض الوسايط، ويصالحه بما يطيب به خاطره ويمر بسلام فلا يتعرض له، وكذلك الواصلون من قبلي يأتون طايعين إلى تحت القلعة ويطلع إليه الريس والمسافرون فيصالحونه، وعلم الناس هذه القاعدة واتبعوها وارتاحوا عليها في الجملة، واستعوضوا الخسار من غلو الأثمان، وكذلك فعل نسا ساير الأمرا القبليين وهادينه وأرشوه عن إرسالهن إلى أزواجهن من الملابس والأمتعة سرًّا، حتى كانوا في الآخر يرسلن إليه ما يردن من إرساله وهو يرسله بمعرفته، وتأتي أجوبتهم على يده إلى بيوتهن خفية واتخذ له يدًا وجميلًا وطوقهم منته بذلك.

وشاع في بلاد الأرنؤد وجبال الروملي رغبة إسماعيل بك في العساكر، فوفدوا عليه بأشكالهم المختلفة وطباعهم المنحرفة وعدم أديانهم وانعكاس أوضاعهم، فأسكن منهم طايفة بالجيزة وطايفة ببولاق وطايفة بمصر العتيقة، وأجرى عليهم النفقات والعلوفات وجلب له الياسيرجية المماليك، فاشترى منهم عدة وافرة وأكثرهم عزق ومشنبون وأجناس غير معهودة واستعملهم من أول وهلة في الفروسية ولم يدربهم في آداب ولا معرفة دين ولا كتاب، كل ذلك حرصًا على مقاومة الأعدا وتكثير الجيش.

وتابع إرسال الهدايا والأموال والتحف إلى الدولة، وأحضر السروجية والصواغ والعقادين، فوضعوا ستة سروج للسلطان وأولاده، وذلك قبل موت السلطان عبد الحميد على طريقة وضع سروج المصريين بعبايات مزركشة وهي مع السرج والقصعة والقربوس مرصعة بالجواهر والبروق والذهب والركابات، واللجامات والبلامات والشماريخ والسلاسل كلها من الذهب البندقي الكسر، والرأس والرشمات كلها من الحرير المصنوع بالمخيش، وسلوك الذهب وشماريخ المرجان والزمرد، وجميع الشراريب من القصب المخيش، وبها تعاليق المرجان والمعادن صناعة بديعة وكلفة ثمينة أقاموا في صناعة ذلك عدة أيام ببيت محمد أغا البارودي، واشترى كثيرًا من الأواني والقدور الصيني الآسكي معدن وملاها بأنواع الشربات المصنوع من السكر المكرر كشراب البنفسج والورد والحماض والصندل المطيب بالمسك والعنبر وماء الورد، والمربيات الهندية مثل: مربى القرنفل وجوزبوا والبسباسة والزنجبيل والكابلي، وأرسل ذلك مع الخزينة بالبحر صحبة عثمان كتخدا عزبان، ومعها عدة خيول من الجياد، وأقمشة هندية وعود وعنبر وطرايف وأرز، وبن، وأفاوية، وما الورد المكرر وغير ذلك، ولم يتفق لأحد فيما تقدم من أمرا مصر أرسل مثل ذلك ولم نسمع به ولم نره في تاريخ، فإن نهاية ما رأينا أن الأشربة يضعونها في ظروف من الفخار التي قيمة الظرف منها خمسة أنصاف أو عشرة، حتى الذي يصنعه شربتلي باشا الذي يأتي من إسلامبول لخصوص السلطان، أما هذه فأقل ما فيها يساوي ماية دينار وأكثر من ذلك.

ذكر من مات في هذا العام

ومات في هذه السنة العلامة الماهر الحيسوب الفلكي أبو الإتقان الشيخ مصطفى الخياط صناعة، أدرك الطبقة الأولى من أرباب الفن مثل: رضوان أفندي ويوسف الكلارجي والشيخ محمد النشيلي والكرتلي والشيخ رمضان الخوانكي والشيخ محمد الغمري والشيخ الوالد حسن الجبرتي، وأخذ عنهم وتلقى منهم، ومهر في الحساب والتقويم وحل الأزياج والتحاويل والحل والتركيب وتحويل السنين وتداخل التواريخ الخمسة، واستخراج بعضها من بعض وتواقيعها وكبايسها وبسايطها ومواسمها ودلايل الأحكام والمناظرات ومظنات الكسوف والخسوف، واستخراج أوقاتها وساعتها ودقايقها مع الضبط والتحرير وصحة الحدس وعدم الخطأ، وأقر له أشياخه ومعاصروه بالإتقان والمعرفة، وانفرد بعد أشياخه ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا، وأجلهم عصرينا وشيخنا العلامة المتقن الشيخ عثمان بن سالم الورداني، أطال الله بقاه ونفع به.

ولازم المترجم المرحوم الوالد مدة مديدة وتلقى عنه وحج معه في سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف، وسمعته يقول عنه: الشيخ مصطفى فريد عصره في الحسابيات، والشيخ محمد النشيلي في الرسميات، وحسن أفندي قطه مسكين في دلايل الأحكام، وكان يستخرج في كل عام دستور السنة من مقومات السيارة ومواقع التواريخ وتواقيع القبط والمواسم والأهلة، ويعرِّب السنة الشمسية لنفع العامة، وينقل منها نسخًا كثيرة يتناولها الخاص والعام، يعملون منها الأهلة وأوايل الشهور العربية والقبطية والرومية والعبرانية والتواقيع والمواسم، وتحاويل البروج وغير ذلك، والتمس منه الأستاذ سيدي أبو الإمداد أحمد بن وفا تحريك الكواكب الثابتة لغاية سنة ثمانين ومائة وألف، فأجابه إلى ذلك واشتغل به أشهرًا، حتى أتم حساب أطوالها وعروضها وجهاتها ودرجات ممرها ومطالع غروبها وشروقها وتوسطها وأبعادها ومواضعها بأفق عرض مصر بغاية التحقيق والتدقيق على أصول الرصد الجديد السمرقندي، وقام له الأستاذ بأوده ومصرفه ولوازم عياله مدة اشتغاله بذلك، وأجازه على ذلك إجازة سنيه، أخبرني من لفظه أنه أقام يصرف من فضل ذلك أشهرًا بعد تمام المطلوب، وله مؤلفات وتحريرات نافعة في هذا الفن منها جداول حل عقود مقومات القمر بطريق الدر اليتيم لابن المجدي، وهو عبارة عن تسهيل ما صنفه العلامة رضوان أفندي في كتابه أسنى المواهب في عشرة كراريس جمع فيه تعديل الخاصة المعدلة بالمركز للوسط، فيجمع مع الوسط في سطر وفي الأصل يجمع في سطرين ولا يخفى ما فيه من سهولة العمل، يعلم ذلك من له دربة بالفن، ولم

يزل مشتغلًا بالنفع والحساب والإفادة مع اشتغاله بصناعة الخياطة، وتفصيل الثياب بين يديه وهو جالس في زاوية المكان يكتب ويمارس مع الطلبة والصناع بوسط المكان يفصلون الثياب ويخيطونها ويباشرهم أيضًا فيما يلزم مباشرته، إلى أن توفي في هذه السنة في بيته جهة الرميلة، وقد جاوز التسعين.

ومات سلطان الزمان السلطان عبد الحميد بن أحمد خان وتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم بن مصطفى، وفقه الله تعالى، آمين.

ودخلت سنة أربع ومايتين وألف (١٧٨٩م)

في المحرم وصلت الأخبار بأن الموسقو أغاروا على عدة قلاع وممالك إسلامية، منها جهات الأوزي وكانت تغل على إسلامبول كالصعيد على مصر، وأن إسلامبول واقع بها غلا عظيم.

(وفي أواخره) حضر واحد أغا وبيده مرسومات بسبب الأمرا القبليين، بأنهم إن كانوا تعدوا الجهات التي صالحوا عليها حسن باشا ولم يدفعوا المال ولا الغلال فلازم من محاربتهم ومقاتلتهم، وإن لم يمتثلوا يخرجوا إليهم ويقاتلوهم فإن السلطان أقسم بالله أنه يزيل الفريقين ولا يقبل عذرهم في التأخير، فقروا تلك المرسومات في الديوان ثم أرسلوها مع مكاتبات صحبة واحد مصرلي وآخر من طرف الأغا القادم بها وآخر من طرف الباشا.

وفي أوائل ربيع الأول

رجع الرسل بجوابات من الأمرا القبليين ملخصها أنهم لم يتعدوا ما حددوه مع حسن باشا إلا بأوامر من عابدي باشا، فإنه حدد لنا من منفلوط، ثم إسماعيل بك بنى حاجزًا وقلاعًا وأسوارًا بطرا، وذلك دليل وقرينة على أن ما ورا ذلك يكون لنا وأنه اختص بالأقاليم البحرية وترك لنا الأقاليم القبلية، ولا مزية للأمرا الكاينين بمصر علينا، فإنه يجمعنا وإياهم أصل واحد وجنس واحد وإن كنا ظلمة فهم أظلم منا، وأما الغلال والمال فإننا أرسلنا لهم جانب غلال فلم ترجع المراكب التي أرسلناها ثانيًا فيرسلوا لنا مراكب ونحن نعبيها ونرسلها، وذكروا أيضًا أنهم أرسلوا صالح أغا كتخدا الجاويشية سابقًا إلى

إسلامبول، ونحن في انتظار رجوعه بالجواب فعند رجوعه يكون العمل بمقتضى ما يأتي به من المرسومات ولا نخالف أمر السلطان.

شهر جمادى الأولى

وردت أخبار بعزل وزير الدولة وشيخ الإسلام وأغات الينكجرية ونفيهم، وأن حسن باشا تولى الصدارة وهو بالسفر وأنه محصور بمكان يقال له إسماعيل؛ لأن الموسقو أغاروا على ما وراء إسماعيل وأخذوا ما بعده من البلاد، ثم إنه هادن الموسقو وصالحهم على خمسة أشهر إلى خروج الشتا وأن السلطان أحضر الأمرا المصرلية الرهاين المنفيين بقلعة ليميا وهم: عبد الرحمن بك الإبراهيمي وعثمان بك المرادي وسليمان كاشف، وأما حسين بك فإنه مات بليميا، ولما حضروا فأنزلوهم في قناقات وعين لهم رواتب ويحضرهم السلطان في بعض الأحيان إلى الميدان، ويعملوا رماحة بالخيول وهو ينظر إليهم ويعجبه ذلك ويعطيهم إنعامًا، وورد الخبر أيضًا أن صالح أغا وصل إلى إسلامبول فصالح على الأمرا القبالي، وتم الأمر بواسطة نعمان أفندي منجم باشا ومحمود بك وأرسلوا بالأوراق إلى حسن باشا فحنق لذلك ولم يمضه، وانحرف على نعمان أفندي ومحمود بك وأمر بعزلهما من مناصبهما ونفيهما وإخراجهما من دار السلطنة، فنفى نعمان أفندي إلى أماسيه، ومحمود بك إلى جهة قريبة من إسلامبول وشاط طبيخهم، وسافر صالح أغا من إسلامبول.

(وفي شهر شعبان) ورد الخبر بموت حسن باشا وكان موته في منتصف رجب، وكأنه مات مقهورًا من الموسقو.

(وفي ثاني عشر رمضان) حصل زلزلة لطيفة في سادس ساعة من الليل.

وفيه أيضًا، وصل ثلاثة أشخاص من الديار الرومية، فأخذوا ودايع كانت لحسن باشا بمصر فتسلموها ممن كانت تحت أيديهم ورجعوا.

(وفي ليلة الجمعة ثالث عشر شوال) قبل الفجر، احترق بيت إسماعيل بك عن آخره.

(وفي خامس عشرينه) عزل حسن كتخدا المحتسب من الحسبة وقلدوها رضوان أغا محرم من وجاق الجاويشية، فأنهى حسن أغا أنه كان متكفلًا بجراية الجامع الأزهر، فإن كان المتولي يتكفل بها، مثله استمر فيها وإلا ردوا له المنصب، وهو يقوم بها للمجاورين كما كان، فلما قالوا لرضوان أغا ذلك، فلم يسعه إلا القيام بذلك، وهي دسيسة شيطانية لا أصل لها فإن أخبار الجامع الأزهر لها جهات بعضها معطل، والناظر عليه علي بك

الدفتردار وحسن أغا كتخداه، يصل ويقطع من أي جهة أراد من الميري، أو من خلافه فدس هذه الدسيسة يريد بها تعجيز المتولي ليرجع إليه المنصب، ومعلوم أن المتولي لم يتقلد ذلك إلا برشوة دفعها، ويلزم من نزوله عنها ضياع غرامته وجرسته بين أقرانه، فما وسعه إلا القيام بذلك وفردها على مظالم الحسبة التي يأخذها من السوقة ويدفعها للخباز، يصنع بها خبزًا للمجاورين والمنقطعين في طلب العلم؛ ليكون قوتهم وطعامهم من الظلم والسحت المكرر، وذلك نحو خمسة آلاف نصف فضة في كل يوم، واشتهر ذلك وعلمه العلما والمجاورون وغيرهم، وربما طالبوه بالمنكسر أو اعتذروا بقولهم: الضرورات تبيح المحظورات.

(وفي ليلة السبت ثالث شهر الحجة الموافق لعاشر مسرى القبطي) أوفى النيل أذرعه وكسر السد بحضرة الباشا والأمرا على العادة وجرى الماء في الخليج.

وفيه وقعت واقعة بين عسكر القليونجية والأرنؤدية بسوق السلاح وقتل بينهم جماعة من الفريقين، ثم تحزبوا أحزابًا، فكان كل من واجه حزبًا من الطايفة الأخرى أو انفرد ببعض منها قتلوه، ووقع بينهم ما لا خير فيه، وداخل الناس الخوف من ذلك، فيكون الإنسان مارًّا بالطريق فلا يشعروا إلا وكرشة وطايفة مقبلة وبأيديهم البنادق والرصاص، وهم قاصدون طايفة من أخصامهم بلغهم أنهم في طريق من الطرق، واستمر هذا الأمر بينهم نحو خمسة أيام، ثم أدرك القضية إسماعيل بك، وصالحهم.

(وفي أواخره) حضر جماعة من الأرنؤد إلى بيت محمد أغا البارودي، وقبضوا منه مبلغ دراهم من علوفتهم، ونزلوا من عند الخليج المرخم، وازدحموا في المركب فانقلبت بهم وغرق منهم نحو ستة أنفار، وقيل: تسعة وطلع من طلع في أسوأ حال.

ذكر من مات في هذه السنة

ومات في هذه السنة العلامة الرحلة الفهامة الفقيه المحدث المفسر المحقق المتبحر الصوفي الصالح الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الشافعي الأزهري، المعروف بالجمل ويعرف أبوه وجده بشتات، ولد بمنية عجيل إحدى قرى الغربية، وورد مصر ولازم الشيخ الحفني فشملته بركته وأخذ عنه طريق الخلوتية ولقنه الأسما، وأذن له واستخلفه وتفقه عليه وعلى غيره من فضلا العصر، مثل: الشيخ عطية الأجهوري ولازم دروسه كثيرًا، واشتهر بالصلاح وعفة النفس، ونوه الشيخ الحفني بشأنه وجعله إمامًا وخطيبًا بالمسجد الملاصق لمنزله على الخليج، ودرس بالأشرفية والمشهد الحسيني في الفقه والحديث

والتفسير وكثرت عليه الطلبة وضبطت من إملايه وتقريراته، وقرأ المواهب والشمايل (للترمذي) وصحيح البخاري وتفسير الجلالين بالمشهد الحسيني بين المغرب والعشا، وحضره أكبر الطلبة، ولم يتزوج وفي آخر أمره تقشف في ملبسه ولبس كسا صوف وعمامة صوف وطيلسانًا كذلك، واشتهر بالزهد والصلاح، ويتردد كثيرًا لزيارات المشايخ والأوليا، ولم يزل على حاله حتى توفي في حادي عشر القعدة من السنة.

ومات الإمام الفاضل العلامة الصالح، المتجرد القانع الصوفي الشيخ علي بن عمر بن أحمد بن عمر بن ناجي بن فنيش العوني الميهي الشافعي الضرير، نزيل طندتا، ولد بالميه إحدى قرى مصر، وأول من قدمها جده فنيش، وكان مجذوبًا من بني العونة العرب المشهورين بالبحيرة، فتزوج بها وحفظ المترجم القرآن، وقدم الجامع الأزهر، وجوده على بعض القرا، واشتغل بالعلم على مشايخ عصره، ونزل طندتا فتديرها ودرس العلم بالمسجد المجاور للمقام الأحمدي، وانتفع به الطلبة وآل به الأمر إلى أن صار شيخ العلما هناك، وتعلم عليه غالب من بالبلد علم التجويد، وهو فقيه مجود ماهر حسن التقرير جيد الحافظة يحفظ كثيرًا من النقول الغريبة، وفيه أنس وتواضع وتقشف وانكسار، وورد مصر في المحرم من هذه السنة ثم عاد إلى طندتا، وتوفي في ثاني عشر ربيع الأول من السنة، ولم يتعلل كثيرًا، ودفن بجانب قبر سيدي مرزوق من أولاد غازي في مقام مبني عليه، رحمه الله تعالى.

ومات الفاضل النحرير الذي وقف الأدب عند بابه، ولاذت أربابه بأعتابه النبيه النبيل واللوذعي الجليل قاسم بن عطا الله المصري الأديب، ولد بمصر وبها نشا وقرا في الفنون على بعض أهل عصره وحفظ الملحة والألفية وغيرهما، واشتهر بفن الأدب والتوشيح والزجل وكان يعرف أولًا بالزجال أيضًا لإتقانه فيه، وصار وحيد عصره في هذه الفنون بحيث لا يحاربه أحد مع ما لديه من الارتجال في الشعر مع غاية الحسن، وأما في فن التاريخ فإليه المنتهى مع السلاسة والتناسب وعدم التكلف فيه.

وكان الشيخ السيد العيدروس — رحمه الله تعالى — يتعجب منه، ويقول: هو ممن يلقنه جني.

ومن نوادره العجيبة هذان البيتان في تاريخ العام الجديد، وهما يشتملان على ستة وثلاثين تاريخًا وهما.

حارست عام اللقا ينجيك لي ملكًا زانت معاليك جرى العام فيك جيلي

تلقى جمال طويل العمر صاينة | يجلو صداك ترى في العز نجل علي

ومدح المرحوم السيد أبا هادي الوفائي بقصايد، طنانة وكناه أبا القبول وقربه إليه، وأدناه ومن مدايحه في المولى المعظم السيد محمد أبي الأنوار بن وفا، حفظه الله تعالى.

لبني الوفا لا شك خير الباب | وبه السرور ونزهة الألباب
باب غدا لأولي الولاية مركزًا | وهو المحيط ومجمع الأقطاب
يا آل طه إن لي في بابكم | خدًّا أمرغه على الأعتاب
ووسيلتي طول المدى بمحمد | نجل الوفا من سائر الأوصاب
السيد المولى السمي لجده الـ | مختار خير العجم والأعراب
العالم العلم المنير ومن له | شرف عليَّ لازم الإيجاب
كشاف كنز العلم خازن دره | روض العلوم ومنهج الطلاب

وله فيه غرر قصايد فريدة ذكرها العلامة السيد حسن البدري العوضي في اللوايح الأنوارية والمدايح الأنوارية.

(ومن فوايده) التي انفرد بها عن أبناء عصره هذه الأبيات الستة:

مولاي حزت مهابة | وبلغت خير مآثر
السعد جاءك مقبلًا | صفو بحسن سرائر
دامت لعزك بهجة | بجمال وقتت باهر
لا تخش كيد حواسد | مولاك أكرم ناصر
كن في سرور آمنًا | وكفيت شر مناظر
قد لاح عزك آهلًا | بعلاك عبد القادر

وجعل لها جدولًا هكذا ونزل فيه الحروف:

م	ا	د	لا	ك	ق	و	ل	ا	ت	ن		د
لا	س	م	خ	ف	لا	ي	ع	ت	ش	ي		ح
ح	د	ل	ك	س	ع	ز	ج	ع	ي	ر		ز

ت	ا	ز	د	و	ك	م	ك	ك	ح	ر	ا
ه	م	ب	و	ا	ه	ا	ق	ه	ا	م	لا
ب	ب	ج	س	ن	ب	ت	لا	ت	د	ا	ع
و	ص	ب	م	و	لا	ب	ف	ج	و	ك	ك
ل	و	م	لا	ف	ع	غ	ب	ا	ك	ي	ب
ت	ح	ل	ا	ت	د	خ	س	و	ك	ش	ا
ي	ن	ق	ر	ر	ل	ر	س	ت	م	م	ق
م	ر	ب	ن	ن	ا	ا	ا	ا	ا	ا	د
ث	ي	ه	ص	ظ	ر	ر	ر	ر	ر	ر	عبد القادر

وطريق استخراج الأبيات من هذا الجدول على طريق المقارعة أن يضع أصبعه على بيت من بيوته، ويعد منه إلى الخامس ويكتب السادس إلى آخره، يخرج له أربعة وعشرون حرفًا فيحصل من مجموعها بيت من هذه الأبيات، ولما وقف على هذه الصفة مفرد عصره الشيخ عبد الله الإدكاوي — رحمه الله تعالى — عمل أبياتًا وجدولًا وسبق به إلى الغاية وهي هذه:

يا سيدا بجماله وبحسنه وكماله
بذ البرية جملة قسرًا بفرط دلاله
لا أنثني عن حسنه إن من لي بوصاله
غصن تثنى معجبًا وأمضني بنباله
ناديته صل آيسا قد مل من بلباله
فأجاب مهلًا إنني أنجيك من عذاله

والجدول على تلو هذه كما ترى:

ي	ب	لا	غ	ن	ف	ا	ذ	ا	ص	ا	ا

ودخلت سنة أربع ومايتين وألف (١٧٨٩م)

س	ا	ن	ن	د	ج	ي	ل	ث	ت	ي	ا
د	ب	ن	ث	ت	ب	ا	ر	ي	ن	هـ	م
ب	ي	ع	ي	ص	هـ	ج	هـ	ن	م	ل	لا
م	ج	ح	ع	ا	ا	ا	م	س	ج	ي	ن
ل	ل	ن	ب	س	ن	هـ	ت	هـ	ا	ا	ي
و	ق	ا	و	ق	ا	ب	س	ن	ا	د	ن
ح	ر	م	م	م	ج	س	ا	ن	ض	ل	ي
ن	ب	ل	ن	م	ك	هـ	ف	ي	ي	ن	م
و	ر	ب	ب	ب	ن	ك	ط	و	ن	ل	ع
م	د	ص	ب	ب	ذ	ا	لا	ا	ا	ا	ا
ل	ل	ل	ل	ل	ل	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ	هـ

واجتمع يومًا في مجلس به جماعة من الأدبا كالشيخ محمد بن الصلاحي والشيخ عامر الزرقاني، وكان الوقت مطيرًا وقد جادت السما فأعطت من قطر السحاب درًّا وعبيرًا، فقال ابن الصلاحي مرتجلًا:

لقدومكم ضحك الغما   م فعلم العين البكا
مــا ذاك إلا أنــه   لنواك كفك قد حكى

فقال المترجم في الحال:

أفديك بالعينين يا   نجل الصلاح مع الذكا
هطل الغمام كأنه   لعزيز جاهك قد شكا

ثم أنشد ابن الصلاحي:

نقط الطل باللآلي عروسًا   جليت من جمالكم في منصه

جعل الله جمعكم جمع تصحيـ ـح ليقضي المحب بالأنس فرصه

وللمترجم تشطير أبيات ابن الصلاحي:

(هات لي قهوة الشفا من شفاهك) أنت زاه والروض حسن انتزاهك
لا تغرنك دلتي يا مفدى (واسقنيها على فخامة جاهك)
(عاطنيها يا أوحد العصر لطفًا وانعطافًا واعطف على أوَّاهك
بالمعالي غدوت حلو المعاني (وبديع المثال في أشباهك)
(يا غزالًا لو صور البدر شخصًا لم يقايسك لا وحق إلهك
وإذا ما وافاك كل مليح (ليضاهيك في البها لم يضاهك)
عاطنيها يا حب جهرًا ولا تخ تر زحافًا عن صبك المتناهك
لا تشافه بها سواي ولا تفـ ـش (ملامًا فلذتي في شفاهك)
(عاطنيها ولا تدع لي حراكًا واتخذها لعفتي عن مياهك
أنا في الصحو لو تنبهت جهدي (لست أقوى على كمال انتباهك)
(هاتها والرخاخ في غفلات) وقاع الرضا زهت من تجاهك
ثم فرزن فأنت أفرس منهم (لا تدعهم فيفتكوا في شياهك)

وكان المترجم في مجلس من الأدباء فكتب إلى ابن الصلاحي يستدعيه الحضور لذلك المجلس ما نصه:

مولاي يا نجل الصلاحي فديت منا بالنواظر
امنن وصحح جمعنا بجميل ذاتك والمآثر

وإذا حضرت تفضلًا فاللطف عادات الأكابر
نثر الغمام على الربا من فيضه يتم الجواهر
ونريد نحظى عند نطق ـك بالفرائد والأزاهر

ودخلت سنة أربع ومايتين وألف (١٧٨٩م)

وكتب للسيد محمد الطنبولي ما نصه:

طلعت أنجم المسرة ترنو بعيون الهوى لبدر علاها
وعليها من الغرام غمام فإذا ما بدا الهلال جلاها
والفتى ابن الصلاح أعظم قدرًا من بدور الوفا وشمس علاها

فكتب ابن الصلاحي مرتجلًا قبل حضوره:

أتاني وذيل الأنجم الزهر يعثر وكف الثريا للفراقد تستر
قد نثر الدر المنظم فازدرى بما كان من در السحائب يقطر
وكيف ودر القطر در مبدد ونظمكم عقد من الروض مثمر
فحرك شوقًا كان من قبل في الحشا كمينًا؛ لأن الشيء بالشيء يذكر
فجئناكم سعيًا على العين لم يكن ليمنعني خوفًا ولا ما يعثر
ولا زال هذا الجمع جمع سلامة وجمع أعاديه قليل مكسر

وقال مشطرًا بيتي ابن الصلاحي:

(لقد حركت نفسي إلى ذلك الحمى) مهامه عيس أنهلتها المهامه
مراحم أبديها بغير مزاحم (منزل تمت لي بهن منازه)
(أنفسي مهلًا ليس بالسعي يبتغى مشارب فيها للرجال مشاره
عليك بحسن الصبر يا نفس إنها (مكارم حلت دونهن المكاره)

وللمترجم قصايد ومقاطيع ومدايح وموشحات وأزجال وتواريخ لا تحصى ولا تسبر ولا تعد ولا تستقصى، وقد تقدم بعض منها في تراجم الممدوحين، ومنها المزدوجة التي مدح بها الأمير رضوان كتخذا عزبان الجلفي، والموشحات المشهورة بين أرباب الفن والأغاني وهو شيء كثير جدًّا.

توفي في يوم الجمعة خامس شوال من السنة وأرخ وفاته العلامة الشيخ عبد الرحمن البشبيشي — رحمه الله تعالى — بقوله:

در نظمي أرخوه قاسم في الخلد يرحل

ومات الخواجا المعظم والناخودة المكرم الحاج أحمد أغا بن ملا مصطفى الملطيلي كان من أعيان التجار المشهورين وأرباب الوجاهة المعتبرين عمدة في بابه عدة لأحبابه، ومن يلوذ بجنابه وينتمي لسدته وأعتابه، محتشمًا في نفسه مبجلًا بين أبناء جنسه، توفي يوم الأربعا ثاني عشرين القعدة ولم يخلف بعده مثله.

ومات صاحبنا النبيه المفوه الفصيح المتكلم الكاتب المنشئ حسين بن محمد المعروف بدرب الشمسي، وهو أحد إخوة حسن أفندي من بيت المجد والرياسة والشرف والفضيلة، وكان من نوادر العصر في الفصاحة واستحضار المسايل الغريبة والنكات والفوايد الفقهية والطبية، وعنده حرص على صيد الشوارد، وأدرك بمصر أوقاتًا ولذات في الأيام السابقة قبل أن يخرجهم علي بك من مصر في سنة اثنتين وثمانين ونفيهم إلى الحجاز، وبعد رجوعهم في سنة سبع وثمانين، ولكن دون ذلك ولم يزل في حلل السيادة حتى تعلل نحو عشرين يومًا، وتوفي في شهر رمضان من السنة، وصُلي عليه بمصلى أيوب بك ودفن عند أسلافه، وخلفه من بعده ابنه حسن جربجي الموجود الآن، بارك الله فيه ورحم سلفه.

ومات العمدة المفضل والملاذ المبجل، الشيخ عبد الجواد بن محمد بن عبد الجواد الأنصاري الجرجاوي الخير الجواد من بيت الثروة والفضل، جدوده مالكية فتحنف، كان من أهل المآثر في إكرام الضيوف والوافدين، وله حسن توجه مع الله تعالى، وأوراد وأذكار وقيام الليل، يسهر غالب ليله وهو يتلو القرآن والأحزاب، وورد مصر مرارًا وفي آخرة انتقل إليها بعياله، واشترى منزلًا واسعًا بحارة كتامة المعروفة الآن بالعينية، وصار يتردد في دروس العلما مع إكرامهم له ثم توجه إلى الصعيد؛ ليصلح بين جماعة من عرب العسيرات فقتلوه غيلة في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

ومات الأمير المبجل صالح أفندي كاتب وجاق التفكجية، وهو من مماليك إبراهيم كتخدا القازدغلي، نشا من صغره في صلاح وعفة، وحبب إليه القراءة وتجويد الخط فجوده على حسن أفندي الضيائي، والأنيس وغيره حتى مهر فيه، وأجازوه على طريقتهم واصطلاحهم، واقتنى كتبًا كثيرة وكان منزله مأوى ذوي الفضايل والمعارف، وله اعتقاد حسن وحب في المرحوم الوالد، ولا ينقطع عن زيارته في كل جمعة مرة أو مرتين، وكان مترهفًا في مأكله وملبسه معتبرًا في ذاته وجيهًا منور الوجه والشيبة، له من اسمه نصيب وعنده حزم، ومماليكه أحمد ومصطفى، تمرض نحو سنة وعجز عن ركوب الخيل وصار

يركب حمارًا عاليًا، ويستند على أتباعه ولم يزل حتى توفي في هذه السنة رحمه الله تعالى، وانقضت هذه السنة.

واستهلت سنة خمس ومايتين وألف
(١٧٩٠م)

(في حادي عشر المحرم) ورد أغا وعلى يده تقرير إسماعيل باشا على السنة الجديدة فعملوا له موكبًا وطلع إلى القلعة، وقرئ المقرر بحضرة الجمع وضربوا له مدافع.

(وفي ذلك اليوم) قبض إسماعيل بك على المعلم يوسف كساب معلم الدواوين وأمر بتغريقه في بحر النيل.

(وفي صبحها) نفوا صالح أغا أغات الأرنؤد قيل إن السبب في ذلك أنه تواطأ مع الأمرا القبالي بواسطة المعلم يوسف المذكور على أنه لم يملكهم المراكب الرومية، والقلاع التي بناحية طرا والجيزة، وعملوا له مبلغًا من المال التزم به الذمي يوسف وكتب على نفسه تمسكًا بذلك.

وفيه كثر تعدي أحمد أغا الوالي على أهل الحسينية، وتكرر قبضه وإيذاؤه لأناس منهم بالحبس والضرب وأخذ المال بل ونهب بعض البيوت، وأرسل في يوم الجمعة ثاني عشرينه أعوانه بطلب أحمد سالم الجزار شيخ طايفة البيومية، وله كلمة وصولة بتلك الدايرة، وأرادوا القبض عليه فثارت طوايفه على أتباع الوالي وقفلوا ومنعوه منهم وتحركت حميتهم عند ذلك، وتجمعوا وانضم إليهم جمع كثير من أهل تلك النواحي وغيرها، وأغلقوا الأسواق والدكاكين وحضروا إلى الجامع الأزهر، ومعهم طبول وقفلوا أبواب الجامع، وصعدوا على المنارات وهم يصرخون ويصيحون ويضربون على الطبول وأبطلوا الدروس، فقال لهم الشيخ العروسي: أنا أذهب إلى إسماعيل بك في هذا الوقت وأكلمه في عزل الوالي وتخلص منهم بذلك، وذهب إلى إسماعيل بك فاعتذر بأن الوالي ليس من جماعته، بل هو من جماعة حسن بك الجداوي وأمر بعض أتباعه بالذهاب

إليه، وإخباره بجمع الناس والمشايخ وطلبهم عزل الوالي فلم يرض بذلك، وقال: إن كان أنا أعزل الوالي تابعي يعزل هو الآخر الأغا تابعه، ويعزل رضوان كتخدا المجنون من المقاطعة ويرفع مصطفى كاشف من طرا ويطرد عسكر القليونجية والأرنؤد، وترددت بينهم الرسل بذلك، ثم ركب حسن بك وخرج إلى ناحية العادلية مثل المغضب، وصار أحمد أغا الوالي يركب بجماعة كثيرة ويشق من المدينة ليغيظ العامة، وكذلك تجمع من العامة خلايق كثيرة ووقع بينه وبينهم بعض مناوشات في مروره وانجرح بينهم جماعة وقتل شخصان، ثم ركب المشايخ وذهبوا إلى بيت محمد أفندي البكري، وحضر هناك إسماعيل بك وطيب خاطرهم والتزم لهم بعزل الوالي، ومر الوالي في ذلك الوقت على بيت الشيخ البكري، وكثير من العامة مجتمع هناك ففزع فيهم بالسيف وفرق جمعهم وسار من بينهم وذهب في طريقه، ثم زاد الحال وكثرت غوغا الناس، ومشوا طوايف يأمرون بغلق الدكاكين واجتمع بالأزهر الكثير منهم، واستمرت هذه القضية إلى يوم الثلاثا ثالث صفر، ثم طلع إسماعيل بك والأمرا إلى القلعة واصطلحوا على عزل الوالي والأغا وجعلوهما صنجقين وقلدوا خلافهما، الأغا من طرف إسماعيل بك والوالي من طرف حسن بك، ونزل الوالي الجديد من الديوان إلى الأزهر وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم، ثم ركب إلى بيته وانفض الجمع وكأنها طلعت بأيديهم، والذي كان راكب حمار ركب فرسًا.

(وفي ليلة الجمعة خامس شهر صفر) غيمت السماء غيمًا مطبقًا، وسحت أمطارًا غزيرة كأفواه القرب، مع رعد شديد الصوت وبرق متتابع متصل قوي اللمعان يخطف بالأبصار مستديم الاشتعال، واستمر ذلك بطول ليلة الجمعة ويوم الجمعة والأمطار نازلة حتى سقطت الدور القديمة على الناس، ونزلت السيول من الجبل حتى ملأت الصحرا وخارج باب النصر وهدمت التراب وخسفت القبور، وصادف ذلك اليوم دخول الحجاج إلى المدينة فحصل لهم غاية المشقة، وأخذ السيل صيوان أمير الحاج بما فيه وانحدر به من الحصوة إلى بركة الحج وكذلك خيام الأمرا وغيرهم، وسالت السيول من باب النصر ودخلت البلد، وامتلأت الوكايل بالمياه وكذلك جامع الحاكم، وقتلت أناس في حواصل الخانات، وصار خارج باب النصر بركة عظيمة متلاطمة بالأمواج، وانهدم من دور الحسينية أكثر من النصف، وكان أمرًا مهولًا جدًّا.

وفيه حصل أيضًا كاينة عبد الوهاب أفندي بشناق الواعظ، وذلك أنه مات رجل من البشانقة من أهل بلده، وكان قد جعله وصيًّا على تركته، فاستولى عليها واستأصلها، وكان للرجل المتوفى شركة بناحية الإسكندرية، فسافر المذكور إلى الإسكندرية وحاز باقي

التركة أيضًا، ورجع إلى مصر وحضر وطالبه بتركة مورثه فأظهر له شيئًا نزرًا فذهب الوارث إلى القاضي، وكلمه في ذلك فقال له: أنا وصي مختار، وأنا مصدق وليس عندي خلاف ما سلمته له، فقال له القاضي: إنه يدعي عليك بكذا وكذا وعنده إثبات ذلك وطال بينهما الكلام، وتطاول على القاضي واستجهله فطلع القاضي إلى الباشا وشكا له فأمر بإحضاره، فحضر في جمع الديوان وناقشوه فلم يتزلزل عن عناده إلى أن نسب الكل إلى الانحراف عن الحق، فحنق الباشا منه وأمر برفعه من المجلس، فقبضوا عليه وجروه وضربوه ورموا بتاجه إلى الأرض وحبسوه في مكان، وصادف أيضًا ورود مكتوب من ناحية المدينة من مفتيها، كان أرسله المذكور إليه لسبب من الأسباب، وذكر فيه الباشا بقوله: التعيس الحربي. وكذلك الأمرا بنحو ذلك، فأرسله المفتي وأعاده على يد بعض الناس إلى إسماعيل بك، وحقدًا منه عليه لكراهة خفية بينهما سابقة وأوصله إسماعيل بك أيضًا إلى الباشا، فازداد غيظًا وأرعد وأبرق، وأحضر بشناق أفندي من محبسه وقت القايلة، وأراه ذلك المكتوب، فسقط في يده واعتذر فلطمه على وجهه ونتف لحيته، وأراد أن يضربه بخنجره فشفع فيه أكابر أتباعه، ثم أخذوه وسجنوه، وأمر بمحاسبته على ما أخذه من التركة، فحوسب وطولب وبقي بالحبس حتى وفى ما طلع عليه وشفع فيه علي بك الدفتردار وخلصه من الترسيم.

(وفي أواخر صفر) قلدوا أحمد بك الوالي المذكور كشوفية الدقهلية، وعثمان بك الحسني الغربية، وشاهين بك شرقية بلبيس، وعلي بك چركس المنوفية، وصار جماعة أحمد بك وأتباعه عند سفرهم يخطفون دواب الناس من الأسواق، وخيول الطواحين ولما سرحوا في البلاد حصل منهم ما لا خير فيه من ظلم الفلاحين، مما هو معلوم من أفعالهم.

(وفي شهر ربيع الأول) كمل بناء بيت إسماعيل بك وبياضه وأتمه على هيئة متقنة وترتيب في الوضع، ونقل إليه قطع الأعمدة العظام التي كانت ملقاة في مكان الجامع الناصري الذي عند فم الخليج وجعلها في جدرانه، وبنى به مقعدًا عظيمًا متسعًا ليس له مثيل في مقاعد بيوت الأمرا في ضخامته وعظمه وهو في جهة البركة، وغرس بجانبه بستانًا عظيمًا، وظن أن الوقت قد صفا له، قال الشاعر:

هذي المنازل قبلنا كم ذا تداولها أناس
كم مدع ملكًا وكم من مدع وضع الأساس

غرسوا وغيرهم اجتنى من بعدهم ثمر الغراس
دول تــمــر كــأنــهــا أضغاث حلم في نعاس

(وفي أواخر شهر جمادى الأولى) أشيع في الناس أن في ليلة السابع والعشرين نصف الليل يحصل زلزلة عظيمة وتستمر سبع ساعات، ونسبوا هذا القول إلى أخبار فلكيين من غير أصل، واعتقده الخاصة فضلًا عن العامة وصمموا على حصوله من غير دليل لهم على ذلك، فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس إلى الصحرا وإلى الأماكن المتسعة مثل بركة الأزبكية والفيل وخلافهما ونزلوا في المراكب، ولم يبق في بيته إلا من ثبته الله وباتوا ينتظرون ذلك إلى الصباح، فلم يحصل شيء وأصبحوا يتضاحكون على بعضهم، كما قيل:

وكم ذا بمصر من المضحكات ولــكــنــه ضَــحِــكٌ كــالــبــكــا

وفيه ابتدأ أمر الطاعون وداخل الناس منه وهم عظيم.

وفيه قلدوا عبد الرحمن بك عثمان وجعلوه صنجق الخزينة وشرعوا في تشهيله، واجتهد إسماعيل بك في سفر الخزينة على الهيئة القديمة ولبس المناصب والسدارة وأرباب الخدم، وقد بطل هذا الترتيب والنظام من نيف وثلاثين سنة، فأراد إسماعيل بك إعادته ليكون له بذلك منقبة ووجاهة عند دولة بني عثمان فلم يرد الله بذلك وعاجله الرجز.

(وفي شهر رجب) زاد أمر الطاعون وقوي عمله بطول شهر رجب وشعبان، وخرج عن حد الكثرة ومات به ما لا يحصى من الأطفال والشبان والجواري والعبيد والمماليك والأجناد والكشاف والأمرا، ومن أمرا الألوف الصناجق نحو اثني عشر صنجقًا ومنهم إسماعيل بك الكبير المشار إليه وعسكر القليونجية والأرنؤد الكاينون ببولاق ومصر القديمة والجيزة، حتى كانوا يحفرون حفرًا لمن بالجيزة بالقرب من مسجد أبي هريرة ويلقونهم فيها، وكان يخرج من بيت الأمير في المشهد الواحد الخمسة والستة والعشرة، وازدحموا على الحوانيت في طلب العدد والمغسلين والحمالين، ويقف في انتظار المغسل أو المغسلة الخمسة والعشرة ويتضاربون على ذلك، ولم يبق للناس شغل إلا الموت وأسبابه فلا تجد إلا مريضًا أو ميتًا أو عايدًا أو معزيًا أو مشيعًا أو راجعًا من صلاة جنازة أو دفن أو مشغولًا في تجهيز ميت أو باكيًا على نفسه موهومًا، ولا تبطل صلاة الجنايز عن

المساجد والمصليات، ولا يصلى إلا على أربعة أو خمسة أو ثلاثة، وندر جدًّا من يشتكي ولا يموت وندر أيضًا ظهور الطعن ولم يكن بحمى بل يكون الإنسان جالسًا فيرتعش من البرد فيدثر فلا يفيق إلا مخلطًا أو يموت من نهاره أو ثاني يوم، وربما زاد أو نقص أو كان بخلاف ذلك، وكان شبيهًا بفصل البقر الذي تقدم (ذكره) واستمر عمله إلى أوايل رمضان ثم ارتفع، ولم يقع بعد ذلك إلا قليلًا نادرًا، ومات الأغا والوالي في أثنا ذلك فولوا خلافهما فماتا بعد ثلاثة أيام فولوا خلافهما فماتا أيضًا، واتفق أن الميراث انتقل ثلاث مرات في جمعة واحدة، ولما مات إسماعيل بك تنازل الرياسة حسن بك الجداوي وعلي بك الدفتردار، ثم اتفقوا على تأمير عثمان بك طبل تابع إسماعيل بك على مشيخة البلد وسكن ببيت سيده، وقلدوا حسن بك قصبة رضوان أمير حاج، ثم إنهم أظهروا الخوف والتوبة والإقلاع وإبطال الحوادث والمظالم، وزيادات المكوس ونادوا بذلك، وقلدوا أمراء عوضًا عن المقبورين من مماليكهم.

(وفي غرة رمضان) حضر ططري وعلى يده مرسوم بعزل إسماعيل باشا، وأن يتوجه في المورة وأن باشة المورة محمد باشا الذي كان بجدة في العام الماضي بعزت هو والي مصر، فعملوا الديوان وقريت المرسومات، فقال الأمرا: لا نرضى بذهابك من بلدنا وأنت أحسن لنا من الغريب الذي لا نعرفه، فقال: وكيف يكون العمل ولا يمكن المخالفة؟ فقالوا: نكتب عرضحال إلى الدولة ونرجو إتمام ذلك، فقال: لا يتم ذلك، فإن المتولي كأنكم به وصل إلى الإسكندرية وعزم على النزول صبح تاريخه ثم إنهم اتفقوا على كتابة عرضحال بسبب تركة إسماعيل بك خوفًا من حضور معين بسبب ذلك، وعين للسفرية الشيخ محمد الأمير.

(وفي يوم الخميس خامس عشر رمضان) نزل الباشا من القلعة وقصد السفر على الفور، وطلب المراكب وأنزل بها متاعه ويرقه، فلما رأوا منه العجلة وعدم التأني وقصدهم تأخيره إلى حضور الباشا الجديد ويحاسب على ما دخل في جهته، فاجتمعوا عليه صحبة الاختيارية وكلموه في التأني فعارضهم وعاندهم وصمم على السفر من الغد، فأغلظوا عليه في القول، وقالوا له: هذا غير مناسب، يقال إن الباشا أخذ مال مصر وهرب! فقال: وأي شيء أخذته منكم؟ وقالوا له: لا بد من عمل حساب فإن الحساب لا كلام فيه، ولا بد من التأني حتى نعمل الحساب، فقال: أنا أبقي عندكم الكتخدا فحاسبوه نيابة عني والذي يطلع لكم في طرفي خذوه منه فلم يرضوا بذلك، فقال: أنا لا بد من سفري إما اليوم أو غدًا، فقاموا من عنده على غير رضا وأرسلوا الوالي والأغا يناديان على ساحل

البحر على المراكب بأن كل من سافر بشي من متاع الباشا أو يأخذ من أتباعه يستاهل الذي يجرى عليه، وطردوا النواتية من المراكب ولم يتركوا في كل مركب إلا شخصًا واحدًا نوتيًّا فقط، وتركوا عند بيت الباشا جماعة حراس.

وفيه حضر خازندار الباشا الجديد وأخبر بوصول مخدومه إلى ثغر الإسكندرية، ومعه خلعة القايممقامية لعثمان بك طبل ومكاتبة إلى الأمرا بعدم سفر الملاقاة وأرباب الخدم على العادة، وأخبر أنه واصل إلى رشيد في البحر بالنقاير فنزل لملاقاته أغات المتفرقة فقط.

وفيه رفعوا مصطفى كاشف من طرا وعملوه كتخدا عثمان بك شيخ البلد.

وفيه أشيع بأن عبد الرحمن بك الإبراهيمي حضر من طرف الشام، ومر من خلف الجبل وذهب إلى سيده بالصعيد.

(وفي غرة شوال يوم الجمعة وليلة السبت) حضر الباشا الجديد إلى ساحل بولاق فعملوا له سقالة، وركب الأمرا وعدوا إلى إنبابة وسلموا عليه، وعدى صحبتهم وركب إلى قصر العيني، وأوكب في يوم الاثنين رابعه في موكب أقل من العادة بكثير إلى القلعة من ناحية الصليبة وضربوا له مدافع من القلعة.

(وفي ذلك اليوم) سافر الشيخ محمد الأمير بالعرضحال وكانوا أخروا سفره إلى أن وصل الباشا الجديد وغيروه بعد أن عرضوا عليه الأمر، ثم إنهم عملوا حساب الباشا المعزول فطلع عليه للباشا المتولي مائتا كيس من ابتدا منصبه، وهو سابع عشر رجب للأمرا مبلغ أيضًا، فسدد ذلك بعضه أوراق وبعضه نقد وبعضه أمتعة وأذنوا له بالسفر، فشرع في نزول متاعه بالمراكب بطول يوم الخميس والجمعة، وأراد أن يسافر يوم السبت، ففي تلك الليلة وصل بشلي من الروم وبيده مرسوم، فعمل الباشا في صبحها ديوانًا حضر فيه المشايخ والأمرا وأبرز الباشا المرسوم فكان مضمونه محاسبة الباشا المعزول من ابتدا شهر توت واستخلاص ما تأداه من ابتدا المدة، فعند ذلك أرسلوا ثانيًا وحجزوا عليه، ونكتوا عزاله من المراكب وحبسوا النواتية، ونادوا عليه ثاني مرة وذلك في سادس عشره.

وفيه تواردت الأخبار بأن الأمرا القبالي تحركوا إلى الحضور إلى مصر، فإنه لما حصل ما حصل من موت إسماعيل بك والأمرا حضر مراد بك من أسيوط إلى المنية، وانتشر باقي الأمرا في المقدمة وعدى بعضهم إلى الشرق ووصلت أوايلهم إلى كفر العياط، وأما إبراهيم بك فإنه لم يزل مقيمًا بمنفلوط ومنتظر ارتحال الحجاج ثم يسير إلى جهة

مصر، فأرسلوا علي بك الجديد إلى طرا عوضًا عن مصطفى كاشف، وأرسلوا صالح بك إلى الجيزة وأخذوا في الاهتمام.

وفيه حفر خندق من البحر إلى المتاريس على البلاد للحفر مع اشتغالهم بأمور الحج، ودعواهم نقص مال الصرة وتعطيل الجامكية المضافة لدفتر الحرمين، وتوجيه المعينين من القليونجية على الملتزمين.

(وفي يوم الأحد رابع عشرينه) حضر السيد عمر أفندي الأسيوطي بمكاتبة من الأمراء القبليين خطابًا إلى شيخ البلد والمشايخ وللباشا سرًّا.

وفيه سافر إسماعيل باشا المنفصل من بولاق بعد أن أدى ما عليه.

(وفي يوم الاثنين خامس عشرينه) خرج المحمل صحبة أمير الحاج حسن بك قصبة رضوان.

(وفي يوم الثلاثا) اجتمعوا بالديوان عند الباشا وقريت المكاتبات الواصلة من الأمرا القبليين، فكان حاصلها أننا في السابق طلبنا الصلح مع إخواننا والصفح عن الأمور السالفة من إسماعيل بك، ولم يطمين لطرفنا وكل شي نصيب والأمور مرهونة بأوقاتها، والآن اشتقنا إلى عيالنا وأوطاننا وقد طالت علينا الغربة وعزمنا على الحضور إلى مصر على وجه الصلح، وبيدنا أيضًا مرسوم من مولانا السلطان وصل إلينا صحبة عبد الرحمن بك بالعفو والرضا، والماضي لا يعاد ونحن أولاد اليوم، وأن أسيادنا المشايخ يضمنون غايلتنا. فلما قريت تلك المكاتبة التفت الباشا إلى المشايخ وقال: ما تقولون؟ فقال الشيخ العروسي: إن كان التفاقم بينهم وبين أمرائنا المصريين الموجودين الآن فإننا نترجى عندهم، وإن كان ذلك بينهم وبين السلطان فالأمر لنايب مولانا السلطان، ثم اتفق الرأي على كتابة جواب حاصله: إن الذي يطلب الصلح يقدم الرسالة بذلك قبل قدومه وهو بمكانه، وذكرتم أنكم تايبون وقد تقدم منكم هذا القول مرارًا ولم نر له أثرًا فإن شرط التوبة رد المظالم، وأنتم لم ترسلوا ما عليكم من الميري في هذه المدة، فإن كان الأمر كذلك فترجعوا إلى أماكنكم، وترسلوا المال والغلال ونرسل عرضحال إلى الدولة بالإذن لكم، فإن الأمرا الذين بمصر لم يدخلوها بسيفهم ولا بقوتهم وإنما السلطان هو الذي أخرجكم وأدخلهم، وإذا حصل الرضا فلا مانع لكم من ذلك، فإننا الجميع تحت الأمر وعلم على ذلك الجواب الباشا والمشايخ وسلموه إلى السيد عمر مكرم وسافر به في يوم الثلاثا المذكور، ثم اشتغلوا بمهمات الحج، وادعوا نقص مال الصرة ستين كيسًا ففردوها على التجار ودكاكين الغورية، وارتحل الحاج من الحصوة وصحبته، وذلك يوم السبت غايته وبات بالبركة وارتحل يوم الأحد غرة ذي القعدة.

(وفي ذلك اليوم) عملوا الديوان بالقلعة ورسموا بنفي من كان مقيمًا بمصر من جماعة القبليين، فنفوا أيوب بك الكبير وحسن كتخدا الجربان إلى طندتا، وكتبوا فرمانًا بخروج الغريب وفرمانًا آخر بالأمن والأمان، وأخذهما الوالي والأغا ونادوا بذلك في صبحها في شوارع البلد، ونبهوا على تعمير الدروب وقفل أبواب الأطراف، وأجلسوا عند كل مركز حراسًا.

(وفي يوم الخميس) نزل الأغا وأمامه المناداة بفرمان على الأجناد والطوايف والمماليك بالخروج إلى الخلا.

وفيه وصل قاصد من الديار الرومية، وهو أغا معين بطلب تركة إسماعيل بك وباقي الأمرا الهالكين بالطاعون، فأنزلوه ببيت الزعفراني وكرروا المناداة بالخروج إلى ناحية طرا، وكل من تأخر بعد الظهر يستحق العقوبة.

(وفي تلك الليلة وقت المغرب) طلع الأمرا إلى الباشا وأشاروا عليه بالنزول والتوجه إلى ناحية طرا فنزل في صبحها، وخرج إلى ناحية طرا كما أشاروا عليه، وكذلك خرج الأمرا وطاف الأغا والوالي بالشوارع وهما يناديان على الألضاشات المنتسبين إلى الوجاقات بالصعود إلى القلعة والباقي بالخروج إلى متاريس الجيزة، وطلع الأوده باشا والاختيارية وجلسوا في الأبواب.

(وفي يوم السبت) أشيع أن الأمرا القبليين يريدون التخريم من ورا الجبل إلى جهة العادلية، فخرج أحمد بك وصالح بك تابع رضوان بك إلى جهة العادلية، وأقاموا هناك للمحافظة بتلك الجهة وأرسلوا أيضًا إلى عرب العايد فحضروا أيضًا هناك.

وفيه وصل القبليون إلى حلوان ونصبوا وطاقهم هناك، وأخذ المصريون حذرهم من خلف متاريس طرا.

(وفي يوم الثلاثاء) توجه المشايخ إلى ناحية طرا وسلموا على الباشا والأمرا ورجعوا، وذلك بإشارة الأمرا ليشاع عند الأخصام أن الرعية والمشايخ معهم، وبقي الأمر على ذلك إلى يوم الثلاثا التالي.

(وفي صبح يوم الأربعا) نزل الأغا والوالي وأمامهم المناداة على الرعية الكافة بالخروج في صبح يوم الخميس صحبة المشايخ ولا يتأخر أحد، وحضر الشيخ العروسي إلى بيت الشيخ البكري وعملوا هناك جمعية، وخرج الأغا من هناك ينادي في الناس، ووقع الهرج والمرج وأصبح يوم الخميس فلم يخرج أحد من الناس، وأشيع أن الأمرا القبليين نزلوا أثقالهم في المراكب وتمنعوا إلى قبلي، ويقولون إن قصدهم الرجوع وبقي الأمر على

السكوت بطول النهار والناس في بهتة، والأمرا متخبلون من بعضهم البعض، وكل من علي بك الدفتردار وحسن بك الجداوي يسيء الظن بالآخر، ولم يخطر بالبال مخامرة عثمان بك طبل ولا الباشا، فإن عثمان بك تابع إسماعيل بك الخصم الكبير، وقد تعين عوضه في إمارة مصر ومشيختها، والباشا لم يكن من الفريقين.

فلما كان الليل تحول الباشا والأمرا وخرجوا إلى ناحية العادلية وأخرجوا شركفلك صحبتهم وجملة مدافع متاريس، فما فرغوا من عمل ذلك إلا ضحوة النهار من يوم الجمعة وهم واقفون على الخيول، فلم يشعروا إلا والأمرا القبالي نازلون من الجبل بخيولهم ورجالهم لكنهم في غاية الجهد والمشقة، فلما نزلوا وجدوا الجماعة والمتاريس أمامهم، فتشاور المصريون مع بعضهم في الهجوم عليهم، فلم يوافق عثمان بك على ذلك وثبطهم عن الإقدام ورجعوا جميع الحملة إلى مصر، ووقفوا على جرايد الخيل، فتمنع القبليون وتباعدوا ونزلوا عند سبيل علام يأخذون لهم راحة حتى يتكاملوا، فلما تكاملوا ونصبوا خيامهم واستراحوا إلى العصر ركب مصطفى كاشف صهر حسن كتخدا علي بك وهو من مماليك محمد بك الألفي وصحبته نحو خمسة مماليك وذهب إلى سيده، ثم ركب محمد بك المبدول أيضًا بأتباعه، وذهب إلى إبراهيم بك، ثم ركب قاسم بك بأتباعه وذهب إلى مراد بك؛ لأنه في الأصل من أتباعه، ثم ركب مصطفى كاشف الغزاوي وهو أخو عثمان بك طبل شيخ البلد وذهب أيضًا إليهم واستوثق لأخيه، فكتب له إبراهيم بك بالحضور فلم يتمكن من الحضور إلا بعد العشا الأخيرة حتى انفرد عن حسن بك وعلي بك.

فلما فعل ذلك وفارقهما سقط في أيديهما وغشي على علي بك ثم أفاق، وركب مع حسن بك وصناجقه وهم: عثمان بك وشاهين بك وسليم بك المعروف بالدمرجي الذي تأمر عوضًا عن علي بك الحبشي ومحمد بك كشكش، وصالح بك الذي تأمر عوضًا عن رضوان بك العلوي، وعلي بك الذي تأمر عوضًا عن سليم بك الإسماعيلي، وذهب الجميع من خلف القلعة على طريق طرا، وذهبوا إلى قبلي حيث كانت أخصامهم، فسبحان مقلب الأحوال، ولما حضر عثمان بك وقابل إبراهيم بك أرسله مع ولده مرزوق بك إلى مراد بك، فقابله أيضًا ثم حضرت إليهم الوجاقلية والاختيارية وقابلوهم وسلموا عليهم، وشرع أتباعهم في دخول مصر بطول ليلة السبت حادي عشرين شهر القعدة، ولما طلع النهار دخلت أتباعهم بالحملات والجمال شي كثير جدًّا، ثم دخل إبراهيم بك وشق المدينة، ومعه صناجقه ومماليكه وأكثرهم لابسون الدروع، ثم دخل بعده سليمان بك والأغا وأخوه

إبراهيم بك الوالي، ثم عثمان بك الشرقاوي وأحمد بك الكلارجي وأيوب بك الدفتردار ومصطفى بك الكبير وعلي أغا وسليم أغا وقائد أغا وعثمان بك الأشقر الإبراهيمي وعبد الرحمن بك، الذي كان بإسلامبول وقاسم بك الموسقو وكشافهم وأغواتهم.

وأما مراد بك فإنه دخل من على طريق الصحرا، ونزل على الرميلة وصحبته عثمان بك الإسماعيلي شيخ البلد وأمراؤه، وهم محمد بك الألفي وعثمان بك الطنبرجي الذي كان بإسلامبول أيضًا وكشافهم وأغواتهم، واستمر انجرارهم إلى بعد الظهر خلاف من كان متأخرًا أو منقطعًا فلم يتم دخولهم إلا في ثاني يوم، وأما مصطفى أغا الوكيل فإنه التجأ إلى الباشا وكذلك مصطفى كاشف طرا، فأخذهما الباشا صحبته وطلعا إلى القلعة ودخل الأمرا إلى بيوتهم، وباتوا بها ونسوا الذي جرى وأكثر البيوت كان بها الأمرا الهالكون بالطاعون، وبقي بها نساؤهم ومات غالب نساء الغايبين، فلما رجعوا وجدوها عامرة بالحريم والجواري والخدم فتزوجوهن وجددوا فراشهم وعملوا أعراسهم، ومن لم يكن له بيت دخل ما أحب من البيوت وأخذه بما فيه من غير مانع، وجلس في مجالس الرجال وانتظر تمام العدة إن كان بقي منها شيء، وأورثهم الله أراضيهم وديارهم وأموالهم وأزواجهم.

(وفي يوم الأحد) ركب سليم أغا ونادى على طايفة القليونجية والأرنؤد والشوام بالسفر ولا يتأخر منهم أحد، وكل من وجد بعد ثلاثة أيام استحق ما ينزل به، ثم إن المماليك صاروا كل من صادفوه منهم أو رأوه أهانوه وأخذوا سلاحه، فاجتمع منهم طايفة وذهبوا إلى الباشا فأرسل معهم شخصًا من الدلاة أنزلهم إلى بولاق في المراكب، وصار أولاد البلد والصغار يسخرون بهم ويصفرون عليهم بطول الطريق، وسكن مراد بك ببيت إسماعيل بك وكأنه كان يبنيه من أجله.

(وفي يوم الاثنين) أيضًا طاف الأغا وهو ينادي على القليونجية والأرنؤد.

(وفي يوم الخميس سادس عشرينه) صعد الأمرا إلى القلعة وقابلوه الباشا وكانوا يروه ولم يرهم قبل ذلك اليوم، فخلع عليهم الخلع، ونزلوا من عنده وشرعوا في تجهيز تجريدة إلى الهاربين؛ لأنهم حجزوا ما وجدوه من مراكبهم وأمتعتهم، وكتب الباشا عرضحال في ليلة دخولهم وأرسله صحبة واحد ططري إلى الدولة بحقيقة الحال، وعينوا للتجريدة إبراهيم بك الوالي وعثمان بك المرادي متقلدًا إمارة الصعيد وعثمان بك الأشقر، وأحضر مراد بك حسن كتخدا علي بك بأمان وقابله وقيده بتشهيل التجريدة وعمل البقسماط ومصروف البيت من اللحم والخبز والسمن وغير ذلك، ووجه عليه المطالب

حتى صرف ما جمعه وحواه وباع متاعه وأملاكه ورهنها واستدان، ولم يزل حتى مات بقهره، وقلدوا علي أغا مستحفظان سابقًا وجعلوه كتخدا الجاويشية.

(وفي حادي عشرين شهر الحجة الموافق لسابع عشر مسرى القبطي) أوفى النيل أذرعه ونزل الباشا إلى قصر السد وحضر القاضي والأمرا، وكسر السد بحضرتهم وعملوا الشنك المعتاد، وجرى الماء في الخليج ثم توقفت الزيادة ولم يزد بعد الوفاء إلا شيًّا قليلًا، ثم نقص واستمر يزيد قليلًا وينقص إلى الصليب، فضجت الناس وتشحطت الغلال وزاد سعرها وانكبوا على الشرا ولاحت لوايح الغلا.

وفيه أيضًا شرع الأمرا في التعدي على أخذ البلاد من أربابها من الوجاقلية وغيرهم وأخذوا بلاد أمير الحاج.

وفيه صالح الباشا الأمرا على مصطفى أغا الوكيل، وأخلوا له داره وقد كان سكن بها عثمان بك الأشقر فأخلاه له إبراهيم بك ونزل من القلعة إليه ولازمه إبراهيم بك ملازمة كلية، وكذلك مصطفى كاشف الذي كان بطرا لازم مراد بك، واختص به وصار جليسه ونديمه.

ذكر من مات في هذه السنة من الأعيان

مات شيخنا علم الأعلام والساحر اللاعب بالأفهام الذي جاب في اللغة والحديث كل فج وخاض من العلم كل لج، المذلل له سبل الكلام الشاهد له الورق والأقلام ذو المعرفة والمعروف، وهو العلم الموصوف العمدة الفهامة والرحلة النسابة، الفقيه المحدث اللغوي النحوي الأصولي الناظم الناثر، الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي، هكذا ذكر عن نفسه ونسبه، ولد سنة خمس وأربعين وماية وألف في بلجرام الهند كما سمعته من لفظه ورأيته بخطه، ونشأ ببلاده وارتحل في طلب العلم وحج مرارًا، واجتمع بالشيخ عبد الله السندي والشيخ عمر بن أحمد بن عقيل المكي وعبد الله السقاف والمسند محمد بن علاء الدين المزجاجي وسليمان بن يحيى وابن الطيب، واجتمع بالسيد عبد الرحمن العيدروس بمكة، وبالشيخ عبد الله ميرغني الطايفي في سنة ثلاث وستين، ونزل بالطايف بعد ذهابه إلى اليمن ورجوعه في سنة ست وستين، فقرا على الشيخ عبد الله في الفقه وكثيرًا من مؤلفاته وأجازه، وقرا على الشيخ عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد، ولازمه ملازمة كلية وألبسه الخرقة، وأجازه بمروياته ومسموعاته، قال: وهو الذي شوقني إلى دخول مصر

بما وصفه لي من علمايها وأمرايها وأدبايها وما فيها من المشاهد الكرام؛ فاشتاقت نفسي لرؤياها وحضرت مع الركب، وكان الذي كان، وقرا عليه طرفًا من الإحيا، وأجازه بمروياته، ثم ورد إلى مصر في تاسع صفر سنة سبع وستين وماية وألف، وسكن بخان الصغة، وأول من عاشره وأخذ عنه السيد علي المقدسي الحنفي من علما مصر.

وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوي والجوهري والحفني والبليدي والصعيدي والمدابغي وغيرهم، وتلقى عنهم وأجازوه وشهدوا بعلمه، وفضله وجودة حفظه، واعتنى بشأنه إسماعيل كتخدا عزبان وولاه بره حتى راج أمره، وترونق حاله واشتهر ذكره عند الخاص والعام، ولبس الملابس الفاخرة، وركب الخيول المسومة، وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمايه، وأكرمه شيخ العرب همام وإسماعيل أبو عبد الله وأبو علي وأولاده نصير وأولاد وافي وهادوه وبروه.

وكذلك ارتحل إلى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة، وباقي البنادر العظيمة مرارًا حين كانت مزينة بأهلها عامرة بأكابرها، وأكرمه الجميع، واجتمع بأكابر النواحي وأرباب العلم والسلوك وتلقى عنهم وأجازوه وأجازهم، وصنف عدة رحلات في انتقالاته في البلاد القبلية والبحرية تحتوي على لطايف ومحاورات ومدايح نظمًا ونثرًا، لو جمعت كانت مجلدًا ضخمًا وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار بن وفا بأبي الفيض، وذلك يوم الثلاثا سابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين وماية وألف، وذلك برحاب ساداتنا بني الوفا، يوم زيارة المولد المعتاد، ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة، وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلدًا، سماه تاج العروس، ولما أكمله أولم وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية، وذلك في سنة إحدى وثمانين وماية وألف وأطلعهم عليه، واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه، ورسوخه في علم اللغة وكتبوا عليه تقاريظهم نثرًا ونظمًا، فمِمَّن قرظ عليه: شيخ الكل في عصره الشيخ علي الصعيدي، والشيخ أحمد الدردير، والسيد عبد الرحمن العيدروس، والشيخ محمد الأمير، والشيخ حسن الجداوي، والشيخ أحمد البيلي، والشيخ عطية الأجهوري، والشيخ عيسى البراوي، والشيخ محمد الزيات، والشيخ محمد عبادة، والشيخ محمد العوفي، والشيخ حسن الهواري، والشيخ أبو الأنوار السادات، والشيخ علي القناوي، والشيخ علي خرايط، والشيخ عبد القادر بن خليل المدني، والشيخ محمد المكي، والسيد علي القدسي، والشيخ عبد الرحمن مفتي جرجا، والشيخ علي الشاوري، والشيخ محمد الخربتاوي، والشيخ عبد الرحمن المقري، والشيخ

محمد سعيد البغدادي الشهير بالسويدي، وهو آخر من قرظ عليه وكنت إذ ذاك حاضرًا وكتبه نظمًا ارتجالًا، وذلك في منتصف جمادى الثانية سنة أربعة وتسعين وماية وألف، وهو:

شرح الشريف المرتضى القاموسا وأضاف ما قد فاته قاموسا
فغدت صحاح الجوهري وغيرها سحر المدائن حين ألقى موسى
إذ قد أبان الدر من صدف النهى في سلك جمهرة اللهى تأنيسا
وبنى أساسًا فائقًا واختار في أتقانه مختاره تأسيسا
فأثار من مصباح مزهر نوره عين الغبي فأبصرته نفيسا
فهو الفريد فلا يثنى جمعه إذ لا يحاك كمثله تدليسا
فلسان نظمي عاجز من مدحه فالله ينشر نثره تقديسا
ويديم مولاي الشريف بعصرنا في كل قطر للهداة رئيسا
وإذا توجه لي بلمحة نظره إني سعيد لا أصير خسيسا
أهدي الصلاة مع السلام لجده هديًا جزيلًا لا يطاق مقيسا
والآل مع صحب وهذا المرتضى ومن ارتضى ومن اصطفاه أنيسا

وقد ذكرت بعض التقريظات في تراجم أصحابها، ومنها تقريظ الشيخ علي الشاوري الفرشوطي أذكره لما فيه من تضمن رحلة المترجم إلى فرشوط، ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، الحمد لله منطق البلغاء بأفصح البيان ومودع لسان الفصيح حلاوة التبيان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه ما تعاقب الملوان، وبعد فإن للعلوم شعبًا وطرايق، وهضابًا وشواهق، يتفرع من كل أصل منه فنون، ومن كل دوحة فروع وغصون، وإن من أجل العلوم معرفة لغات العرب التي تكاد ترقص العقول عند سماعها من الطرب، وكان ممن كيل له ذلك بالكيل الوافر، وطلع في سمايها طلوع البدور السوافر، ومر في ميدانها طلق العنان، وشهد له بالفصاحة القلم واللسان، حلية أبناء العصر والأوان، ونتيجة آخر الزمان، العدل الثبت الثقة، الرضا مولانا السيد الشريف المرتضى، متعنا الله بوجوده، وأطال عمره بمنة وجوده، وقد منَّ الله علينا وشرفنا بقدومه الصعيد، فكان

فيه كالطالع السعيد، فحصل لنا به غاية الفرح وقرت العين به واتسع الصدر وانشرح، وقد أطلعني على بعض شرحه على قاموس البلاغة، فإذا هو شرح حافل ولكل معنى كافل، وقد مدحه جمع من السادة العلما الأعلام خصوصًا شيخنا، وأستاذنا العلامة البطل الهمام خاتمة المحققين بالاتفاق، وأحد الأيمة المجتهدين الحذاق، أستاذنا الشيخ علي الصعيدي العدوي وناهيك به من شاهد، وكل ألف لا تعد بواحد، فهو مولف جدير بأن يثنى عليه، وحقيق بأن تشد الرحال إليه، كيف وهو صياغة نبراس البلاغة، وفارس البداعة والبراعة، الذي قلت فيه حين قدم فرشوط بلدتنا.

قد حل في فرشوطنا كل الرضا   مذ جاءها الحبر النفيس المرتضى
أكرم به من طود فضل شامخ   من نسل نرجوهمو يوم القضا
جاد الزمان بمثله فحسبته   من أجل هذا قد يعود بمن مضى
عجبًا لدهر قد يجود بمثله   ورواؤه قدمًا تولى وانقضى
أحيا فنون العلم بعد فنائها   وأزال غيهبها بتحقيق أضا
لا سيما علم اللغات فإنه   قد شيد الأُسَّ الذي منه نضا
أمست به فرشوط تفخر غيرها   وتبلجت أقطارها حتى الفضا
لما تولى ذاهبًا من عندنا   فكأن في أحشائنا نار الغضى

وقد اجتمع السيد السند العظيم بأمير المنهل العذب الرحيق الذي قصد من كل فج عميق، كهف الأنام الليث الهمام شيخ مشايخ العرب همام، لا زالت همته هامية ودواعيه إلى فعل الخير نامية، فأحله من التعظيم بمكانه الأقصى متأدبًا معه بآداب لا تعد ولا تحصى وهو جدير بذلك.

فما كل مخضوب البنان بثينة   ولا كل مسلوب الفؤاد جميل

أعاد الله علينا من بركاته وصالح دعواته في خلواته وجلواته، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، قائل هذا النظم والنثر العبد الفقير إلى مولاه الغني القدير علي بن صالح بن موسى الشهير بالشاوري جنبه الله شرور نفسه، وجعل يومه خيرًا من أمسه، والله ولي التوفيق.

واستهلت سنة خمس ومايتين وألف (١٧٩٠م)

وكتب للمرحوم الوالد يسأله الإجازات والتقريض بقوله:

أمولاي بحر العلم يا من سناؤه ... يفوق ضياء الشمس في الشرق والغرب
ويا وارث النعمان فقهًا وحكمةً ... وزهدًا له قد شاع في البعد والقرب
عبيدكم الظمآن قد جاء يرتجى ... ملاحظة منها يفوز قضا الإرب
ويسأل في هذا الكتاب إجازة ... بتقريظه حتى يفوق على الكتب
حباكم إله العرش منه كرامة ... وعيشًا هنيئًا في أمان بلا كرب
وقابلكم بالجبر يوم حسابه ... بحسن وجازاكم بفضل وبالقرب
وينصب في الآفاق أعلام علمه ... ويقرن بالتوفيق إخلاصه القلبي
وصلِّ إله العرش ربي على الرضا ... محمدٍ المبعوث للعجْم والعرب
وأتبعه بالآل والصحب كلهم ... نجوم الهدى يحيا بذكرهم قلبي

ولما أنشا محمد بك أبو الدهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر، وعمل فيه خزانة للكتب، واشترى جملة من الكتب، ووضعها بها أنهوا إليه شرح القاموس هذا، وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها، وانفردت بذلك دون غيرها ورغبوه في ذلك، فطلبه وعوضه عنه ماية ألف درهم فضة ووضعه فيها، ولم يزل المترجم يخدم العلم ويرقى في درج المعالي، ويحرص على جمع الفنون التي أغفلها المتأخرون كعلم الأنساب، والأسانيد وتخاريج الأحاديث، واتصال طرايق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين، وألف في ذلك كتبًا ورسايل ومنظومات وأراجيز جمة، ثم انتقل إلى منزل بسويقة اللالا تجاه جامع محرم أفندي بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفي، وذلك في أوايل سنة تسع وثمانين ومايه وألف، وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالأكابر والأعيان فأحدقوا به، وتحببوا إليه واستأنسوا به وواسوه وهادوه، وهو يظهر لهم الغنى والتعفف، ويعظهم ويفيدهم بفوايد وتمايم، ورقى ويجيزهم بقراة أوراد وأحزاب، فأقبلوا عليه من كل جهة وأتوا إلى زيارته من كل ناحية، ورغبوا في معاشرته لكونه غريبًا، وعلى غير صورة العلما المصريين وشكلهم، ويعرف باللغة التركية والفارسية، بل وبعض لسان الكرج فانجذبت قلوبهم إليه وتناقلوا خبره وحديثه، ثم شرع في إملا الحديث على طريق السلف في ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة، وكل من قدم عليه يملي عليه الحديث المسلسل بالأولية وهو حديث الرحمة برواته ومخرجيه، ويكتب له سندًا بذلك وإجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك.

ثم إن بعض علما الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة، فقال لهم: لا بد من قراة أوايل الكتب، واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس تباعدًا عن الناس، فشرعوا في صحيح البخاري بقراة السيد حسين الشيخوني واجتمع عليهم بعض أهل الخطة والشيخ موسى الشيخوني إمام المسجد وخازن الكتب، وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغيرها، وتناقل في الناس سعي علما الأزهر مثل: الشيخ أحمد السجاعي، والشيخ مصطفى الطائي، والشيخ سليمان الأكراشي وغيرهم للأخذ عنه، فازداد شأنه وعظم قدره واجتمع عليه أهل تلك النواحي وغيرها من العامة والأكابر والأعيان، والتمسوا منه تبيين المعاني فانتقل من الرواية إلى الدراية وصار درسًا عظيمًا، فعند ذلك انقطع عن حضوره أكثر الأزهرية، وقد استغنى عنهم هو أيضًا وصار يملي على الجماعة بعد قراءة شي من الصحيح حديثًا من المسلسلات أو فضايل الأعمال، ويسرد رجال سنده ورواته من حفظه ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك، فيتعجبون من ذلك لكونهم لم يعهدوها فيما سبق من المدرسين المصريين، وافتتح درسًا آخر في مسجد الحنفي، وقرا الشمايل للترمذي في غير الأيام المعهودة بعد العصر، فازدادت شهرته وأقبلت الناس في كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته؛ لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم، ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم وعملوا من أجله ولايم فاخرة، فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقري والمستملي وكاتب الأسما فيقرا لهم شيًّا من الأجزا الحديثية كثلاثيات البخاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة، وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده وبناته ونسايه من خلف الستاير، وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي على النسق المعتاد، ويكتب الكاتب أسما الحاضرين والسامعين حتى النسا والصبيان والبنات واليوم والتاريخ، ويكتب الشيخ تحت ذلك صحيح ذلك، وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق، كما رأيناه في الكتب القديمة.

يقول الحقير: إني كنت مشاهدًا وحاضرًا في غالب هذه المجالس والدروس ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة، وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق وأماكن أخر كنا نذهب إليها للنزهة مثل: غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك، فكنا نشغل غالب الأوقات بسرد الأجزا الحديثية وغيرها، وهو كثير بثبوت المسموعات على النسخ وفي أوراق كثيرة موجودة إلى الآن، وانجذب إليه بعض الأمرا الكبار، مثل: مصطفى بك الإسكندراني وأيوب بك الدفتردار، فسعوا إلى منزله وترددوا لحضور مجالس دروسه وواصلوه بالهدايا

الجزيلة والغلال، واشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة، وحضر عبد الرازق أفندي الريس من الديار الرومية إلى مصر، وسمع به فحضر إليه والتمس منه الإجازة وقراءة مقامات الحريري، فكان يذهب إليه بعد فراغه من درس شيخون، ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية.

ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده، وأصعده إليه وخلع عليه فروة سمور ورتب له تعييناً من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسايرة وغلالاً من الأنبار وأنهى إلى الدولة شأنه، فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة وقدرهماية وخمسون نصفاً فضة في كل يوم، وذلك في سنة إحدى وتسعين وماية وألف، فعظم أمره وانتشر صيته وطلب إلى الدولة في سنة أربع وتسعين فأجاب ثم امتنع، وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق، وطار ذكره في الآفاق، وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزاير والبلاد البعيدة، وكثرت عليه الوفود من كل ناحية، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشيا الغريبة، وأرسلوا إليه من أغنام فزان وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل، وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد فوقع لهم موقعًا، وكذلك أرسلوا له من طيور الببغا والجوار والعبيد والطواشية، فكان يرسل من طرايف الناحية إلى الناحية المستغرب ذلك عندها، ويأتيه في مقابلتها أضعافها، وأتاه من طرايف الهند وصنعا اليمن وبلاد سرت وغيرها أشيا نفيسة، وماء الكادي والمربيات والعود والعنبر والعطر شاه بالأرطال.

وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زايد وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى، حتى أن أحدهم إذا ورد إلى مصر حاجًا ولم يزره ولم يصله بشي لا يكون حجه كاملًا، فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه وبلده وخطته وصناعته وأولاده، وحفظ ذلك أو كتبه، ويستخبر من هذا عن ذاك بلطف ورقة، فإذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له: فلان من بلدة كذا، فلا يخلو إما أن يكون عرفه من غيره سابقًا أو عرف جاره أو قريبه، فيقول له: فلان طيب؟ فيقول: نعم سيدي، ثم يسأله عن أخيه فلان وولده فلان وزوجته وابنته، ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها، فيقوم ذلك المغربي ويقعد ويقبل الأرض تارة ويسجد تارة ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح، فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه

من الصباح إلى الغروب، وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيًّا إما موزونات فضة أو تمرًا أو شمعًا على قدر فقره وغناه، وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمايها وأعيانها ويلتمسون منه الأجوبة، فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة، فكأنما ظفر بحسن الخاتمة، وحفظها معه كالتميمة ويرى أنه قد قبل حجة، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته إلى يوم ميعاده.

وقس على ذلك ما لم يقل، وشرع في شرح كتاب إحيا العلوم للغزالي وبيض منه أجزا، وأرسل منها إلى الروم والشام والغرب؛ ليشتهر مثل شرح القاموس ويرغب في طلبه واستنساخه، وماتت زوجته في سنة ست وتسعين، فحزن عليها حزنًا كثيرًا، ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية، وعمل على قبرها مقامًا ومقصورة وستورًا وفرشًا وقناديل، ولازم قبرها أيامًا كثيرة، وتجتمع عنده الناس والقرا والمنشدون ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسو والقهوة والشربات، واشترى مكانًا بجوار المقبرة المذكورة، وعمره بيتًا صغيرًا وفرشه وأسكن به أمها ويبيت به أحيانًا، وقصده الشعرا بالمراثي فيقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه، ورثاها هو بقصايد وجدتها بخطه، بعد وفاته في أوراقه المدشتة على طريقة شعر مجنون ليلى منها قوله:

أعادل من يزرأ كرزئي لا يزل   كئيبًا ويزهد بعده في العواقب
أصابت يد البين المشت شمائلي   وحاقت نظامي عاديات النوائب
وكنت إذا ما زرت زبدا سحيرة   أعود إلى رحلي بطين الحقائب
أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها   من الخفرات البيض غر الكواعب
فتاة الندى والجود والحلم والحيا   ولا يكشف الأخلاق غير التجارب
فديت لها ما يستذم رداؤها   عميدة قوة منكرام أطايب
عليها سلام الله في كل حالة   ويصحبه الرضوان فوق المراتب
مدى الدهر ما ناحت حمامة أيكة   بشجو يثير الحزن من كل نادب

وقوله أيضًا:

يقولون: لا تبكي زبيدة واتئد   وسلِّ هموم النفس بالذكر والصبر

وتأتي لي الأشجان من كل وجهة ... بمختلف الأحزان بالهم والفكر
وهل لي تسلٍّ من فراق حبيبة ... لها الجدث الأعلى بيشكر من مصر
أبى الدمع إلا أن يعاهد أعيني ... بمحجرها والقدر يجري إلى القدر
فإما تروني لا تزال مدامعي ... لدى ذكرها تجري إلى آخر العمر

وقوله أيضًا:

خليلي ما للأنس أضحى مقطعا ... وما لفؤادي لا يزال مروعا
أمن غير الدهر المشت وحادث ... ألم برحلي أم تذكرت مصرعا
وإلا فراق من أليفة مهجتي ... زبيدة ذات الحسن والفضل أجمعا
مضت فمضت عني بها كل لذة ... تقر بها عيناي فانقطعا معا
لقد شربت كأسًا سنشرب كلنا ... كما شربت لم يجد عن ذاك مدفعا
فمن مبلغ صحبي بمكة أنني ... بكيت فلم أترك لعيني مدمعا

وقوله أيضًا:

خليلي هل ذكري الأحبة نافع ... فقد خانني الصبر الجميل العواقب
وهل لي عود في الحمى أم تراجع ... لوصل بتلك الآنسات الكواعب
لقد رحلت عني الحبيبة غدوة ... وسارت إلى بيت بأعلى السباسب
أقول: وما يدري أناس غدوا بها ... إلى اللحد ماذا أدرجوا في السباسب
تأخرت عنها في المسير وليتني ... تقدمت لا ألوي على حزن نادب

وقوله أيضًا:

زبيدة شدت للرحيل مطيها ... غداة الثلاثا في غلايلها الخضر
وطافت بها الأملاك من كل وجهة ... ودق لها طبل السماء بلا نكر
تميس كما ماست عروس بدلها ... وتخطر تيهًا في البرانس والأزر
سأبكي عليها ما حييت وإن أمت ... ستبكي عظام والأضالع في القبر
ولست بها مستبقيًا فيض عبرة ... ولا طالبًا بالصبر عاقبة الصبر

وقوله أيضًا:

نعم الفتاة بها فجعت غديه	وكذلك فعل حوادث الأيام
شدت مطايا البين ثم ترحلت	وتمايلت أكوارها بسلام
رحلت لرحلتها غداة تحملت	أحلامنا من قاعد وقيام
ما خلفت من بعدها في أهلها	غير البكا والحزن والأيتام
يا لهف نفس حسن أخلاق لها	جبلت عليه ووصلة الأرحام
وإطاعة للبعل ثم عناية	صرفت لإطعام ولين كلام
تلك المكارم فابكها ما رنحت	ريح الصبا سحرًا غصون بشام
يا واردًا يومًا على قبر لها	قف ثم راجع من شج بسلام
وقلن لها: قد كنت فيما مضى	تأتي له عند اللقا بمقام
واليوم ما لك قد هجرت فهل لذا	سبب فقولي يا ابنة الأعلام

وغير ذلك تركته خوفًا من الإطالة، وفي هذا القدر كفاية في هذا المقام، ثم تزوج بعدها بأخرى وهي التي مات عنها وأحرزت ما جمعه من مال وغيره، ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام، وكثرت عليه الوفود من ساير الأقطار، وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية، لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في النادر لغرض من الأغراض، وترك الدروس والإقرا، واعتكف بداخل الحريم وأغلق الباب ورد الهدايا التي تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة، وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين إردبًّا من البر وأحمالًا من الأرز والسمن والعسل والزيت وخمسماية ريال نقود وبقج كساوي أقمشة هندية وجوخًا وغير ذلك فردها، وكان ذلك في رمضان، وكذلك مصطفى بك الإسكندراني وغيرهما، وحضر إليه فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما ورجعا من غير أن يواجهاه، ولما حضر حسن باشا على الصورة التي حضر فيها إلى مصر لم يذهب إليه، بل حضر هو لزيارته وخلع عليه فروة تليق به، وقدم له حصانًا معدودًا مرختًا بسرج وعباءة قيمته ألف دينار أعده وهيأه قبل ذلك، وكانت شفاعته عنده لا ترد، وإن أرسل إليه إرسالية في شي تلقاها بالقبول والإجلال وقبل الورقة قبل أن يقراها ووضعها على راسه ونفذ ما فيها في الحال، وأرسل مرة إلى أحمد باشا الجزار مكتوبًا وذكر له فيه أنه المهدي المنتظر، وسيكون له شأن عظيم فوقع عنده بموقع الصدق لميل النفوس إلى

الأماني، ووضع ذلك المكتوب في حجابه المقلد به مع الأحراز والتمايم، فكان يسر بذلك إلى بعض من يرد عليه ممن يدعي المعارف في الجفور والزايرجات ويعتقد صحته بلا شك، ومن قدم عليه من جهة مصر وسأله عن المترجم، فإن أخبره وعرفه أنه اجتمع به وأخذ عنه وذكره بالمدح والثناء أحبه وأكرمه وأجزل صلته، وإن وقع منه خلاف ذلك قطب منه وأقصاه عنه وأبعده، ومنع عنه بره ولو كان من أهل الفضايل، واشتهر ذلك عنه عند من عرف منه ذلك بالفراسة، ولم يزل على حسن اعتقاده في المترجم حتى انقضى نحبهما، واتفق أن مولاي محمدًا سلطان المغرب — رحمه الله — وصله بصلات قبل انجماعه الأخير وتزهده وهو يقبلها ويقابلها بالحمد والثناء والدعا، فأرسل له في سنة إحدى ومايتين صلة لها قدر فردها وتورع عن قبولها وضاعت ولم ترجع إلى السلطان، وعلم السلطان ذلك من جوابه، فأرسل إليه مكتوبًا قرأته وكان عندي ثم ضاع في الأوراق، ومضمونه العتاب والتوبيخ في رد الصلة.

ويقول له: إنك رددت الصلة التي أرسلناها إليك من بيت مال المسلمين، وليتك حيث تورعت عنها كنت فرقتها على الفقرا والمحتاجين فيكون لنا ولك أجر ذلك، إلا أنك رددتها وضاعت، ويلومه أيضًا على شرحه كتاب الإحيا، ويقول له: كان ينبغي أن تشغل وقتك بشي نافع غير ذلك، ويذكر وجه لومه له في ذلك، وما قاله العلما وكلامًا مفحمًا مختصرًا مفيدًا رحمه الله تعالى.

وللمترجم من المصنفات خلاف شرح القاموس وشرح الإحيا تأليفات كثيرة، منها: كتاب الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة — رضي الله عنه — مما وافق فيه الأيمة الستة، وهو كتاب نفيس حافل رتبه ترتيب كتب الحديث من تقديم ما روي عنه في الاعتقاديات، ثم في العمليات على ترتيب كتب الفقه، والنفحة القدسية بواسطة البضعة العيدروسية، جمع فيه أسانيد العيدروس وهي في نحو عشرة كراريس، والعقد الثمين في طرق الإلباس والتلقين، وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق، وشرح الصدر في شرح أسما أهل بدر في عشرين كراسًا، وألفها لعلي أفندي درويش، وألف باسمه أيضًا التفتيش في معنى لفظ درويش، ورسايل كثيرة جدًّا منها رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبي الوفا، وبلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب وأعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام، وزهر الأكمام المنشق عن جيوب الإلهام بشرح صيغة سيدي عبد السلام، ورشفة المدام المختوم البكري من صفوة زلال صيغ القطب البكري، ورشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق، والقول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت، وتنسيق قلايد

المنن في تحقيق كلام الشاذلي أبي الحسن، ولقط اللآلي من الجوهر الغالي، وهي في أسانيد الأستاذ الحفني، وكتب له إجازته عليه في سنة سبع وستين، وذلك سنة قدومه إلى مصر، والنوافح المكية على الفوايح الكشكية، وجزء في حيث نعم الإدام الخل، وهدية الإخوان في شجرة الدخان، ومنح الفيوضات الوفية فيما في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية، وإتحاف سيد الحي بسلاسل بني طي، وبذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود، والمربي الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي، والمقاعد العندية في المشاهد النقشبندية، ورسالة في المناشي والصفين، وشرح على خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني على تفسير سورة يونس وتفسير على سورة يونس مستقل على لسان القوم، وشرح على حزب البر الشاذلي، وتكملة على شرح البكري للفاكهي من أوله، فكمله للشيخ أحمد البكري، ومقامة سماها إسعاف الأشراف، وأرجوزة في الفقه نظمها باسم الشيخ حسن بن عبد اللطيف الحسني المقدسي، وحديقة الصفا في والدي المصطفى، وقرظ عليها الشيخ حسن المدابغي، ورسالة في طبقات الحفاظ، ورسالة في تحقيق قول أبي الحسن الشاذلي، وليس من الكرم إلى آخره، وعقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب صنفها للشيخ عبد الوهاب الشربيني، والتعليقة على مسلسلات ابن عقيلة، والمنح العلية في الطريقة النقشبندية، والانتصار لوالدي النبي المختار، وألفية السند ومناقب أصحاب الحديث، وكشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام، ورفع الشكوى لعالم السر والنجوى، وترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب، ورفع الكلل عن العلل، ورسالة سماها قلنسوة التاج ألفها باسم الأستاذ العلامة الصالح الشيخ محمد بن بدير المقدسي، وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس، فأرسل إليه كراريس من أوله حين كان بمصر، وذلك في سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهوري، ويكتب عليها تقريظًا ففعل ذلك وكتب إليه يستجيزه، فكتب إليه أسانيده العالية في كراسة، وسماها قلنسوة التاج، وأولها بعد البسملة:

الحمد لله الذي رفع متن العلما وشرح بالعلم صدورهم، وأعلى لهم سندًا وصحح الحسن من حديثهم فصار موصولًا غير مقطوع ولا متروك أبدًا، وحمى قلوبهم عن ضعف اليقين في الدين، فلم تضطرب، ولم تنكر الحق بل صارت لإفادته مقصدًا، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله أئمة الهدى وصحبه نجوم الاهتدا ما اتصل الحديث وتسلسل وسلم من العلل والشذوذ سرمدًا، وبعد ...

فهذه قلنسوة التاج صنعت بأفخر ديباج بل غنية المحتاج، وبل صدى المزاج وزهرة الابتهاج، والقصر المشيد بالأبراج والمصباح المغني عن أبي السراج، بل الدرع الموصوف بلآلي عوالي غوالي أحاديث موصولة إلى صاحب الإسرا والمعراج، رصعت باسم الكوكب الوضاح المستنير بأضوا مصباح الفلاح، المتشح بأردية أسرار التحقيق والمتزر بملاءة أنوار التوفيق، المنصف في جدله غير محاب لقريب، والآتي من تقريره بالعجب العجيب، ذي المناقب التي لا يستوعبها البنان واللسان، ولا يبلغ أداء شكره ولو أطلقت اللسان بالثنا عليه على ممر الزمان، صاحبنا الفاضل العلامة الجمال محمد بن بدير الشافعي المقدسي، رحمه الله آمين:

إن الهلال إذا رأيت نموه أيقنت أن سيصير بدرًا كاملا

أضاء الله بدر كماله، وحرس مجده بجلاله، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود.

وكتب في آخرها ما نصه:

أجزت له أبقاه ربي وحاطه بكل حديث حاز سمعي بإتقان
وفقهٍ وتاريخ وشعر رويته وما سمعت أذني وقال لساني
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم بريئًا عن التصحيف من غير نكران
كتبت له خطي واسمي محمد وبالمرتضى عرفت والله يرعاني
ولدت بعام أرخوا (فك ختمه) وبالله توفيقي وبالله تكلاني

وكتب معها جواب كتاب ما نصه:

أمعاطف أغصان النقا تترنح أم القلوب بميلانها إلى المحبوب تتروح؟ ورنات أوتار العيدان بأناة أهل الغرام والشوق، أم هيجان البلابل بسجوع البلابل، وتغريد ذات الطوق أم دعوة روح القدس تهتف بميت فيقوم حيًّا، أم مقدم عيس حبيب أحيا تدانيه عشاق معاليه، وحيا ما هذه إلا صدى تشبيب نسيم بث الشوق وأهدى التحيات كلا بل نفحات عبهر الثنا، وإرسال تحف

التسليمات إلى ممدماء الحب من ميم مد بحره البسيط، والمفيض للمجتدى من رشحات قاموس بره المحيط من نثر لآلئ القول البديع على مفارق مهارق الصباحة والملاحة، ونشر ملاءة الإحسان على غرة طلعة تاج عروس الفصاحة مردى فارس البراعة في الميدان إذا اقتعدها سلهبا سبوحا الممطر غارب النجابة والإتقان، بجلالة قدر تخضع له من الفلك الأطلس برجا، هو الذي إذا قال أقال عثار الدهر، وقال تحت أفياء ظلال دوحة الفخر، وإذا رقم فصفحة الفلك بالزواهر مرقومة، وإذا رسم فجبهة الأسد بآيات الحرس مرسومة، وشاهدي ما شاهدته في كتابه المنيف الواصل إليَّ، وخطابه الشريف الوارد عليَّ، فعين الله على منشي تلك الفصاحة سلمت من الحصر إلا أن وردها الخصر أعيا البدو والحضر، وقد صدر إليه ما أشار على المحب في ختام خطابه، وعرج عليه هضمًا لنفسه فلم يك إلا كالمسلك يتنافس فيه وراد جنابه، ولو أن فيوضات العلوم والمعارف من غير حماكم لا تستماح وممدات المنح والعوارف من غير حبكم لا تستباح، ولكن رأي الإطاعة في ذلك مغنمًا، وتحقق التباطؤ في مثل ذلك مغرمًا، فأشرق أفق سعد القبول بمقياسه، وسعى قلم الإجازة في الخدمة على كراسه، وعطر بيان الأسانيد العوالي فردوس الإسناد بأنفاسه، وهبت غالية نسايم كمايم اللطايف، وهبت بارقة غمايم المشارق والمراشف، وتمايلت أفنان الاتصال برماح علو الإسناد، وسقى قلم التحرير رياض الإجازة من جريال الإمداد فدونكها إجازة خاصة، على مدارج كمالاتك ناصة، كأنها عروس جليت بالتاج وحليت بأفخر ديباج، ولولا مخافة طول العهد والتماس السعد في الحث على إنجاز الوعد، بتنضد تاج الملفقات لكانت مغلقات الكلم المنفرقات بغيث ذكركم المنسجم مجلدات، فهي بطاقة تحمل في كل كلمة غريدة بان، وتنفث السحر في عقد البيان فامتط غارب سنامها، واهتصر ثمرات نظامها، دمت لذروة المعالي متسمًا، ولأنفاس رياض السعادة متنسمًا آمين.

أقول: والشيخ محمد بدير المذكور هو الآن فريد عصره في الديار المقدسة، يبدي ويعيد، ويدرس ويفيد، بارك الله فيه مدى الأيام، وأمتع بوجوده الأنام آمين.

وللمترجم أشعار كثيرة جوهرية النفثات صحاح وعرايس أبيات ذات وجوه صباح، منها قوله من قصيدة يمدح بها الأستاذ العلامة شمس الدين السيد محمد أبا الأنوار بن وفا — أطال الله بقاه — ويذكر فيها نسبه الشريف منها:

مدحت أبا الأنوار أبغي بمدحه وفور حظوظي من جليل المآرب
نجيبًا تسامى في المشارق نوره فلاحت بواديه لأهل المغارب
محمد الباني مشيد افتخاره بعز المساعي وابتذال المواهب
ربيب العلا المخضل سيب نواله سما الندى المنهل صوب السحائب
كريم السجايا الغر واسطة العلا بسيم المحيا الطلق ليس بغاضب
حوى كل عمل واحتوى كل حكمة ففات مرام المستمر الموارب
به ازدهت الدنيا بهاءً وبهجة وزانت جمالًا من جميع الجوانب
مخايله تنبيك عما وراءها وأنواره تهديك سبل المطالب
له نسب يعلو بأكرم والد تبلج منه عن كريم المناسب

وهي طويلة ذكرها في خاتمة رفع نقاب الخفاء، ومن كلامه في مدح المشار إليه قوله:

زار عن غفلة من الرقباء في دجا الليل طيف حب نائي
يا لها زورة على غير وعد نسخت آيها ظلام النائي
بت منها منعمًا في سرور ومحا نورها دجى الظلماء
وتجلى إشراقها بوصال مهديًا للقلوب كل هناء

ويقول في مديحها:

عمدة ماجد مكنى أبا الأنـ ـوار رب الفخار نجل الوفاء
أشرف العالمين أصلًا وفصلًا مفرد العصر نخبة الأصفياء

ويقول فيها:

أشرقت في قلوبنا من سناه نيرات بهية الأضواء
هو روح الإله في كل مجلى هو تاج الجمال للعلياء
هو بدر البدور في كل أوج هو نجم الهدى وشمس الضحاء
هو باب المنى فتوحًا ونصرًا منه تمت مظاهر النعماء
هو رجائي وعدتي ونصيري واعتمادي في شدتي ورخائي

ومدحه صاحبنا يتيمة الدهر وبقية نجباء العصر الناظم الناثر السيد إسماعيل الوهبي الشهير بالخشاب بهذه القصيدة الغراء اللامية، وهي:

ذا المحيا وذاك الفاحم الرجل باء بلبي وتيك الأعين النجل
وبي غزالًا إذا شمس الضحى أفلت أراك شمسًا وجنح الليل منسدل
أغن أغيد وضاح الجبين له خد أسيل وطرف كله كحل
نشوان لم يحتسي صرفًا مشعشعة لكنه بالذي في ثغره ثمل
أقام في كبدي الوجد المضر به حتى تحلل فيما تسفح المقل
وفي الجوانح أذكى صده حرقًا تكاد من حرها الأحشاء تشتعل
حملت فيه الذي تعيا الجبال به وما لقيس بما قاسيته قبل
كم بت فيه وأشواقي تؤرقني ودمع عيني على خديَّ ينهمل
وعاذل جاء يلحاني فقلت له دعني بمدحي إمام العصر أشتغل
محمد المرتضى الراقي ذرى شرف تلوح من دونه الجوزاء والحمل
السيد السند الثبت الموضح ما للعجز قد تركت إيضاحه الأول
صدر الشريعة مصباح البرية من يضيق عن وصفه التفصيل والجمل
أحياء معالم علم كنت أنشدها إنا محبوك فاسلم أيها الطلل
وقام في للإسلام منتصرًا وكاد لولاه يصمى الحادث الجلل
أعيا أكف الكرام الحافظين له في رقم صالح قول إثره عمل
للخط أو لا للخطى راحته فما له عنهما إلا الندى شغل

ومنها:

ضرائب من معال لم يخص بها　　إلاه منها سواه حظه العطل
يا ابن الذي قد غدا جبريل خادمه　　وبشرت قومها قدمًا به الرسل
خذها إليك وإن كانت مقصرة　　حسبي علا أنها حبلي بكم تصل
ما قالها في بني العباس شاعرهم　　أستاذ أهل القريض المادح الغزل
لا زلت مبلغ مثلي ما يؤمله　　وللمروع أمنا إن عرا وجل

فأجابه بقوله:

أعقْد لآلٍ أم نجوم ثواقب　　أم الروض فيه الورق جاءت تخاطب
وإلا عروس في ملاء محاسن　　لها الصون عن عين الحواسد حاجب
وإلا نظام من حبيب ممجد　　أخي الفضل من دانت لديه الغوارب

وهي طويلة، وله أيضًا:

إذا ما هب سلطان المريسى　　وأبدى الجو وجهًا للعبوس
فزعت بمفرد الكافات يأتي　　بجمع حاصل هو كاف كيسي
به أصبحت أرفل في كساء　　به أمسيت في كن نفيس
به تجلى من السمراء كاسي　　إليَّ على يدي غزلان خيس
فأرشف تارة منها وطورًا　　من الثغر الشنيب بلا مقيس

وله في المعنى:

إذا ضم قطر الجو عنا معاشنا　　وهبت رياح بالعشية بارده
قصرت على كاف الكتاب مطالعًا　　ومقتبسًا منه فوايد شارده

وله أيضًا:

قد عد قوم في الشتاء لذائذًا   كافية تكفي لدى الأنواء
كالكيس والكانون والكن الذي   يأوي له العاني وكاس طلاء
ثم الكباب وسادس الكافات من   شمس تضيء دنت وكاف كساء
ولديَّ أن الكيس يجمع كل ما   ذكروا من الأفراد والأجزاء

وله في المعنى:

لكاف الكيس فضل مستمر   يفوق به على الكافات طرا
إذا ظفرت به كفَّاك يومًا   تسنى سائر الكافات قسرا

وله أيضًا في المعنى:

إذا هب سلطان المريسي غدوة   وجلل آفاق السماء سحاب
وضاق لتحصيل الأماني مذاهب   فنعم جليس الصالحين كتاب

وله أيضًا:

كاف الكياسة مع كيس إذا اجتمعا   يومًا لمرء غدا في العصر سلطانا
بالكيس يصبح مقضيًّا حوائجه   وبالكياسة يولي الكيس إحسانا
والكيس منفردًا مضن بصاحبه   والكيس منفردًا يوليه مجانا

وله في إجازة:

أجزت لمن حوى قصب الفخار   وجلى في العلوم فلا مجاري
رواياتي جميعًا عن شيوخ   ثقات أهل فضل واختبار
لهم بين المَلا صيت ومجد   وفخر واعتماد في اشتهار
ومنظومي ومنثوري جميعًا   وإن لم أك أهلًا لاعتبار
وحسن الظن بالإغضا كفيل   ورعي العهد مع بعد المزار

فأنت المفرد العلم المنادى ومثلك من أصاخ إلى اعتذار
ولا تغفل محبك من دعاء بنيل القصد في تلك الديار
ويرجو المرتضى منكم قبولًا عسى يعطي الرضا عند القرار
بجاه المصطفى خير البرايا إمام المراسلين المستجار
على عليائه أزكى سلام وصحب ما أضت شمس النهار

وله في أسماء أهل الكهف بالتركية على الخلاف الوارد فيهم:

بتمليخ مكتليثا مثلين بعده دبر نوش مرثوش أشدًّا للكهف
وخذ شادنوشا سادس الصحب ذاكرًا كفشططيوش في رواية ذي العرف
ثوانس سانينوس مع بطنيوشهم مكر طونش تلك الروايات فاستوفى
وكشفو طط كند سلططنوس هكذا روينا وارنوش على حسب الخلف
وبنيونس كشفيطط أربطانس ومرطوكش عند الأجلة في الصحف
وكلبهم قطمير سابع سبعة فخذ وتوسل يا أخا الكرب والرجف

ومن كلامه أيضًا:

توكل على مولاك واخش عقابه ودوام على التقوى وحفظ الجوارح
وقدم من البر الذي تستطيعه ومن عمل يرضاه مولاك صالح
وأقبل على فعل الجميل وبذله إلى أهله ما اسطعت غير مكالح
ولا تسمع الأقوال من كل جالب فلا بد من مثن عليك وقادح

ونظمه كثير ونثره بحر غزير، وفضله شهير، وذكره مستطير، وكنت كثيرًا ما أجتلي وجه وداده، وأوقد نار الفكرة بقدح وارى زناده، وأستظل بدوحه المريع، وأستمد من بحره السريع، وأسامره بما يذكرنا عهود الرقمتين، وأتنزه من صفات فضله وذاته في الربيعين كما قيل:

وكانت بالعراق لنا ليال سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالي وعنوان المسرة والأماني

وبالجملة فإنه كان في جمع المعارف صدرًا لكل ناد، حتى قوض الدهر منه رفيع العماد، وآذنت شمسه بالزوال، وغربت بعد ما طلعت من مشرق الإقبال، كما قيل:

وزهرة الدنيا وإن أينعت فإنها تسقى بماء الزوال

وقد نعاه الفضل والكرم، وناحت لفراقه حمايم الحرم، وأصيب بالطاعون في شهر شعبان، وذلك أنه صلى الجمعة في مسجد الكردي المواجه لداره فطعن بعد ما فرغ من الصلاة، ودخل إلى البيت واعتقل لسانه تلك الليلة، وتوفي يوم الأحد فأخفت زوجته وأقاربها موته، حتى نقلوا الأشياء النفيسة والمال والذخاير والأمتعة والكتب المكلفة، ثم أشاعوا موته يوم الاثنين، فحضر عثمان بك طبل الإسماعيلي ورضوان كتخدا المجنون، وادعى أن المتوفى أقامه وصيًّا مختارًا وعثمان بك ناظرًا بسبب أن زوج أخت الزوجة من أتباع المجنون يقال له حسين أغا، فلما حضروا وصحبتهما مصطفى أفندي صادق فأخذوا ما أحبوه وانتقوه من المجلس الخارج، وخرجوا بجنازته وصلوا عليه، ودفن بقبر أعده لنفسه بجانب زوجته بالمشهد المعروف بالسيدة رقية، ولم يعلم بموته أهل الأزهر ذلك اليوم، لاشتغال الناس بأمر الطاعون وبعد الخطة، ومن علم منهم وذهب لم يدرك الجنازة.

ومات رضوان كتخدا في إثر ذلك، واشتغل عثمان بك بالإمارة لموت سيده أيضًا، وأهمل أمر تركته فأحرزت زوجته وأقاربها متروكاته ونقلوا الأشيا الثمينة والنفيسة إلى دارهم، ونسي أمره شهورًا، حتى تغيرت الدولة وتملك الأمرا المصريون والذين كانوا بالجهة القبلية، وتزوجت زوجته برجل من الأجناد من أتباعهم، فعند ذلك فتحوا التركة بوصاية الزوجة من طرف القاضي خوفًا من ظهور وارث، وأظهروا ما انتقوه مما انتقوه من الثياب، وبعض الأمتعة والكتب والدشتات، وباعوها بحضرة الجمع، فبلغت نيفًا وماية ألف نصف فضة، فأخذ منها بيت المال شيًّا وأحرز الباقي مع الأول، وكانت مخلفاته شيًّا كثيرًا جدًّا.

أخبرني المرحوم حسن الحريري وكان من خاصته وممن يسعى في خدمته ومهماته، أنه حضر إليه في يوم السبت وطلب الدخول لعيادته، فأدخلوه إليه فوجده راقدًا معتقل اللسان، وزوجته وأصهاره في كبكبة، واجتهاد في إخراج ما في داخل الخبايا والصناديق إلى الليوان، ورأيت كومًا عظيمًا من الأقمشة الهندية والمقصبات والكشميري والفراء من غير تفصيل نحو الحملين وأشيا في ظروف وأكياس، لا أعلم ما فيها، قال: ورأيت عددًا

كثيرًا من ساعات العِبِّ الثمينة مبددًا على بساط القاعة، وهي بغلافات بلادها، قال: فجلست عند رأسه حصة، وأمسكت يده، ففتح عينيه ونظر إليَّ وأشار كالمستفهم عما هم فيه، ثم غمض عينيه وذهب في غطوسه، فقمت عنه، قال: ورأيت في الفسحة التي أمام القاعة قدرًا كثيرًا من شمع العسل الكبير والصغير والكافوري المصنوع والخام وغير ذلك مما لم أره ولم ألتفت إليه، ولم يترك ابنًا ولا ابنة ولم يرثه أحد من الشعرا.

وكان صفته ربعة نحيف البدن ذهبي اللون متناسب الأعضا معتدل اللحية قد وخطه الشيب في أكثرها، مترفها في ملبسه ويعتم مثل أهل مكة عمامة منحرفة بشاش أبيض ولها عذبة مرخية على قفاه، ولها حبكة وشراريب حرير طولها قريب من فتر وطرفها الآخر داخل طي العمامة وبعض أطرافه ظاهر، وكان لطيف الذات حسن الصفات بشوشًا بسومًا وقورًا محتشمًا مستحضرًا للنوادر والمناسبات ذكيًّا لوذعيًّا فطنًا ألمعيًّا، روض فضله نضير، وما له في سعة الحفظ نظير، جعل الله مثواه قصور الجنان وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران.

ومات الإمام العلامة والحبر المدقق الفهامة ذو الفضايل الجمة والتحقيقات المهمة الذكي الألمعي النحوي المعقولي الفقيه النبيه الشيخ عمر البابلي الشافعي الأزهري، تفقه على علما العصر وحضر الشيخ عيسى البراوي والشيخ الصعيدي والشيخ أحمد البيلي والشيخ عبد الباسط السنديوني، وتمهر في العلوم وأقرا الدروس وأخذ طريق الخلوتية على شيخنا الشيخ محمود الكردي، ولقنه الأسما ولازمه في مجالسه وأوراده ملازمة كلية، ولوحظ بأنظاره، وتزوج بزوجة الشيخ أحمد أخي الشيخ حسن المقدسي الحنفي وكانت مثرية، فترونق حاله وتجمل بالملابس وعرفته الناس، وماتت زوجته المذكورة لا عن عَصَبَة فحاز ميراثها والتزم بحصة كانت لها بقرية يقال لها دار البقر، فعند ذلك اتسعت عليه الدنيا، وسكن دارًا واسعة واقتنى الجواري والخدم ومواشي وأبقارًا وأغنامًا واستأجر أرضًا قريبة يزرعها بالبرسيم تغدو إليها المواشي وتروح كل يوم من أيام الربيع، ثم تزوج ببنت شيخه الشيخ محمود بعد وفاته وأقام منعمًا معها في رفاهية من العيش، مع ملازمته للإقرا والإفادة، إلى أن أدركه الأجل المحتوم، وتوفي في هذه السنة بالطاعون، وكان إنسانًا حسنًا جم الفرايد والفوايد مهذب الأخلاق لين الطباع حسن المعاشرة جميل الأوصاف، رحمه الله تعالى.

ومات العمدة الفاضل الواعظ عبد الوهاب بن الحسن البوسنوي السري المعروف ببشناق أفندي، قدم مصر سنة تسع وستين وماية وألف، وعظ بمساجدها وأكرمه الأمرا

للجنسية، ثم توجه إلى الحرمين وقطن بمكة، ورتب له شي معلوم على الوعظ والتدريس، ومكث مدة ثم حصلت فتنة بين الأشراف والأتراك، فنهب بيته وخرج هاربًا إلى مصر فالتجا إلى علمائها، فكتبوا له عرضًا إلى الدولة بمعرفة ما جرى عليه، فعين له شي في نظير ما ذهب من متاعه، وتوجه إلى الحرمين فلم يقر له بمكة قرار، ولم يمكنه الامتزاج مع رئيس مكة لسلاقة لسانه، واستطالته في كل من دب ودج، فتوجه إلى الروم ومكث بها أيامًا حتى حصل لنفسه شيًّا من معلوم آخر، فأتى إلى مكة وصار يطلع على الكرسي ويتكلم على عادته في الحط على أشراف مكة وذمهم والتشنيع عليهم وعلى أتباعهم، وذكر مساويهم وظلمهم، فأمره شريف مكة بالخروج منها إلى المدينة، فخرج إليها وقد حنق غيظًا على الشريف، فلما استقر بالمدينة لف عليه بعض الأوباش ومن ليس له ميل إلى الشريف فصار يطلع على الكرسي ويستطيل بلسانه عليه ويسبه جهرًا وغره مرافقة أوليك معه، وأن الشريف لا يقدر أن يأتي لهم بحركة، فتعصبوا وزادوا نفورًا وأخرجوا الوزير الذي هو من طرف الشريف، وكاتبوا إلى الدولة برفع يد الشريف عن المدينة مطلقًا وأنه لا يحكم فيهم أبدًا، وإنما يكون الحاكم شيخ الحرم فقط، وأرسلوا بالعروض مفتي المدينة، فكتب لهم على مقتضى طلبهم خطابًا إلى أمير الحاج الشامي وإلى الشريف، ولما أحس الشريف بذلك تنبه لهذه الحادثة، وعرف أن أصلها من أنفار بالمدينة أحدهم المترجم، واستعد للقا أمير الحاج بعسكر جرار على خلاف عادته، ورام مناواته إن برز منه شي خلاف ما عهد منه، فلما رأى أمير الحاج ذلك كتم ما عنده، وأنكر أن يكون عنده شي من الأوامر في حقه ومضى لنسكه حتى إذا رجع إلى المدينة تنمر وتشمر، وكاد أن يأكل على يده من التندم والحسرة، وذهب إلى الشام ولما خلت مكة من الحجوج جرد الشريف عسكرًا على العرب فقاتلوه، وصبر معهم حتى ظفر بهم ودخل المدينة فجأة، ولم يكن ذلك يخطر ببالهم قط، فما وسعهم إلا أنهم خرجوا للقايه فآنسهم وأخبرهم أنه ما أتى إلا لزيارة جده عليه الصلاة والسلام، وليس له غرض سواه، فاطمأنوا بقوله وشق سوق المدينة بعسكره وعبيده حتى دخل من باب السلام، وتملى من الزيارة وأقبلت عليه أرباب الوظايف مسلمين فأكرمهم وكساهم.

فلما آنس منهم الغفلة أمر بإمساك جماعة من المفسدين الذين كانوا يحفرون وراه، فاختفى باقيهم وتسللوا وهرب منهم خفية بالليل جماعة، وكان المترجم أحد من اختفى في بيت ثلاثة أيام ثم غير هيئته وخرج حتى أتى مصر، ومشى على طريقته في الوعظ وعقد له مجلسًا بالمشهد الحسيني، وخالط الأمرا وحضر درسه الأمير يوسف

بك ومال إليه وألبسه فروة ودعاه إلى بيته وأكرمه وتردد إليه كثيرًا، وكان يُجِلُّهُ ويرفع منزلته ويسمع كلامه وينصت إلى قوله، ولديه بعض معرفة بالعلم على طريقة بلادهم، واستمر بمصر وسكن بحارة الروم ورتب له بالضربخانة ماية نصف فضة في كل يوم لمصروفه، وصار له وجاهة عند أبناء جنسه إلى أن وقع له ما وقع مع إسماعيل باشا بسبب الوصاية على التركة كما مَرَّ ذلك آنفًا، وحط من قدره وأهانه وحبسه نحو ثلاثة أشهر ثم أفرج عنه بشفاعة علي بك الدفتردار، وانزوى خاملًا في داره إلى أن مات في أوايل شعبان بالطاعون، سامحه الله تعالى.

ومات الجناب المكرم المبجل المعظم جامع المعارف وحاوي اللطايف الأمير حسن أفندي بن عبد الله الملقب بالرشيدي، الرومي الأصل مولى المرحوم علي أغا بشير دار السعادة المكتب المصري اشتراه سيده صغيرًا، وهذَّبه ودرَّبه وشغله بالخط فاجتهد فيه وجوَّده على عبد الله الأنيس، وكان ليوم إجازته محفل نفيس جمع فيه المرءوس والرئيس، ثم زوَّجه ابنته وجعله خليفته، ولم يزل في حال حياة سيده معتكفًا على المشق والتسويد معتنيًا بالتحرير والتجويد، إلى أن فاق أهل عصره في الجودة في الفن وجمع كل مستحسن، ولما توفي شيخ المكتبين المرحوم إسماعيل الوهبي جعل المترجم شيخًا باتفاق منهم لما أعطى من مكارم الشيم، وطيب الأخلاق وتمام المروءة، وحسن تلقي الواردين وجميل الثنا عليه من أهل الدين، وألف من أجله شيخنا السيد محمد مرتضى كتاب حكمة الأشراق إلى كتاب الآفاق جمع فيه ما يتعلق بفنهم مع ذكر أسانيد، وهو غريب في بابه يستوقف الراتع في مربع هضابه، ولم يزل شيخًا ومتكلمًا على جماعة الخطاطين والكتاب وعميدهم الذي يشار إليه عند الأرباب، نسخ بيده عدة مصاحف وأحزاب، وأما نسخ الدلايل فكثرتها لا تدخل تحت الحساب إلى أن طافت به المنية طواف الوداع، ونثرت عقد ذلك الاجتماع، وبموته انقرض نظام هذا الفن.

ومات صاحبنا الأديب الماهر والنبيه الباهر نادرة العصر وقرة عين الدهر عثمان بن محمد بن حسين الشمسي، وهو أحد الإخوة الأربعة أكثرهم معرفة وأغزرهم أدبًا وأغوصهم في استخراج الدقايق واستنتاج الرقايق، وأمهم جميعًا الشريفة رقية بنت السيد طه الحموي الحسيني، ولد المترجم بمصر وربي في حجر أبويه، وتعلق من صغره بمعرفة الفنون الغريبة فنال طرفًا منها حسنًا يليق عند المذاكرة وعرف الفرايض واستخرج منها طرقًا غريبة في استحقاق المواريث في قسم الغرما في شبابيك، وله سليقة شعرية مقبولة، ومما كتبه في عنوان الكتاب:

أدين الله ما لك من نظير   ولا لك في التقى والفضل ثاني
سألت الله أن تبقى بعزم   ولا يثنيك عما شئت ثاني

ثم أتبعه بنثر فقال: حضرة سيدي وقدوتي وعمدتي وعدتي، من أرجو من الله بقاء حياته وأن يعزه بكل حباته، وأن يمن علينا من فضل مزياته خوارق عاداته، آمين يا رب العالمين.

أما بعد فالمتكلم في هذا الجناب كالمهدي للبحر قطره، والمفضل على الشهد قطره، لا زال مولانا معجز أحبابه بمدح أوصافه، ومحفوظًا برعاية الله وأعظم ألطافه، إلى آخر ما قال ومن نظمه:

وأغيدٍ لؤلؤي الجسم ذي هيف   متمم الحسن فيه كم أرى عجبًا
كأنما خاله من نار وجنته   انقض يرشف شهدًا جاوز الشنبا

وقد شطرهما صنوه عثمان الصفائي وسيأتي في ترجمته، رحمهما الله.

وله معرفة باللغة جيدة يطالع كتبها ويحل عقدها، ويسأل عن غرايب الفن، ويغوص بذهنه على كل مستحسن، ولقد نظم فرايض الدين وأسما أهل بدر وغير ذلك.

ومن آثاره قصيدة جيمية في مدح السيد أحمد البدوي قدس الله تعالى سره:

إليك إليك قد زاد احتياجي   ومن نادك يا بدوي فناجي
لقد أعييت مما صاب جسمي   من العصيان واختلف اختلاجي
ذنوب واجترا ليس يحصى   وغير سُو أفعالي مزاجي
وأهواني الهوى فبدا هواني   فهذا الوقت هاو في لجاجي
وقد أسرفت عمري في التلاهي   وضاق بما جنيت له فجاجي
وكم بارزت ربي بالمعاصي   وكان بها التذاذي في هياجي
وكم يومًا أسأت الفعل فيه   وزدت إساءةً جنح الدياجي
فيا أسفي ويا حزني ووجدي   من العصيان قد زاد انزعاجي
ولما قل إسعافي وطبي   ولم ألقى لدائي من علاج
لنحو العيسوي ولعت عيسي   لكي أرجو خلاصي وافتراجي

أنخت ظعون أسقامي وكربي لباب كم له في الناس راجي
فيا بدوي يا قصدي وسؤلي ويا حامي الحمى يوم العجاج
دخيل في حماك وأنت غوث وحاشا أن يخيَّب من يناجي
فأنقذه وسلكه طريقًا إلى التقوى بعز وابتهاج
فعثمان له حسن اعتقاد ولم يصغي لقداح وهاجي

وله غير ذلك كثير، وبالجملة إنه كان من محاسن الزمان، توفي — رحمه الله — في أواخر شعبان مطعونًا، وخلف ولديه محمد جربجي وحسين جربجي أحياهما الله حياة طيبة.

ومات الأجل المبجل بقية السلف ونتيجة الخلف الوجيه الصالح النبيه الشيخ عبد الرحمن بن أحمد شيخ سجادة جده سيدي عبد الوهاب الشعراني، مات أبوه الشيخ أحمد في سنة أربع وثمانين، وتركه صغيرًا دون البلوغ فكفلته أمه، فتولى السجادة الشيخ أحمد من أقاربه وتزوج بأمه وسكن بدارهم، ولما شب المترجم وترشد اشترك معه بالمناصفة، ثم توفي الشيخ أحمد المذكور فاستقل بذلك، ونشأ في عز وعفاف وصلاح وحسن حال ومعاشرة ومودة، وعمر البيت حسًّا ومعنًى، وأحيا مآثر أجداده وأسلافه، وكان شديد الحيا والحشمة والتواضع والانكسار والخشية والحلم والتؤدة ومكارم الأخلاق، ولما تم كماله بدا زواله واخترمته في شبابه يد الأجل، فقطعت شمس عمره منطقة الأمل، وخلف ابنًا صغيرًا يسمى سيدي قاسمًا بارك الله فيه.

ومات أعز الإخوان وأخص الأصدقا والخلان النجيب الصالح والأريب الناجح شقيق النفس والروح، وصحبته باب الخير والفتوح، المتفنن النبيه سيدي إبراهيم بن محمد الغزالي بن محمد الدادة الشرايبي، من أجل أهل بيت الثروة والمجد والعز والكرم، وهو كان مسك ختامهم، وبموته انقرض بقية نظامهم، وقد تقدم استطراد بعض أوصافه في ترجمة المرحوم سيدي أحمد رفيق المرحوم رضوان كتخدا الجلفي، ومنها حرصه على فعل الخير ومكارم الأخلاق وتقديم الزاد ليوم المعاد، والصدقات الخفية والأفعال المرضية التي منها تفقد طلبة العلم الفقرا والمنقطعين ومواساتهم ومعونتهم، وكان يشتري المصاحف والألواح الكثيرة، ويفرقها بيد من يثق به على مكاتب أطفال المسلمين الفقرا معونة لهم على حفظ القرآن ويملا الأسبلة للعطاش، ولا يقبل من فلاحينه زيادة على المال المقرر، ويعانون فقراهم ويقرضهم التقاوي واحتياجات الزراعة وغيرها، ويحسب لهم هداياهم من أصل المال، وكان يتفقه على العلامة الشيخ محمد العقاد المالكي ويحضر

دروسه في كل يوم، وبعد وفاته لازم حضور الشيخ عبد العليم الفيومي، وكان ينفق عليه وعلى عياله ويكسوهم، ولم يزل سمح السجية بسام العشية إلى أن بغته الطاعون حالًا، وكان موته ارتجالًا فنضبت جداوله واستراحت حساده وعواذله، وكان — رحمه الله — حسنة في صحايف الأيام والليالي، وروضة تنبت الشكر في رياض المعالي.

فلو بعت يومًا منه بالدهر كله لفكرت دهرًا ثانيًا في ارتجاعه

ومات أيضًا من بيتهم الأجل المكرم أحمد جلبي بن الأمير علي، وكان شابًّا لطيف الذات مليح الصفات مقبول الطباع مهذب الأوضاع.

ومات أيضًا من بيتهم الأمير عثمان بن عبد الله معتوق المرحوم محمد جربجي، وكان من أكابر بيتهم وبقية السلف من طبقتهم ذا وجاهة وعقل وحشمة وجلالة قدر.

ومات أيضًا من بيتهم الأمير رضوان صهر أحمد جلبي المذكور، وكان إنسانًا لا بأس به أيضًا.

ومات من بيتهم عدد كثير من النسا والصبيان والجواري في تلك الأيام المبددة منهم ومن غيرهم عقد النظام.

ومات الصنو الفريد والعقد النضيد الذكي النبيه من ليس له في الفضل شبيه صاحبنا الأكرم وعزيزنا الأفخم إبراهيم جلبي بن أحمد أغا البارودي، نشأ مع أخويه علي ومصطفى في حجر والدهم في رفاهية وعز، ولما مات والدهم في سنة اثنتين وثمانين وماية وألف وتزوجت والدتهم وهي ابنة إبراهيم كتخدا القازدغلي بمحمد خازندار زوجها، وهو محمد أغا الذي اشتهر ذكره بعد ذلك، فكفل أولاد سيده المذكورين، وفتح بيتهم وعانى المترجم تحصيل الفضايل وطلب العلم، ولازم حضور الدروس بالأزهر في كل يوم، وتقيد بحضور الفقه على السيد أحمد الطحطاوي والشيخ أحمد الخانيونسي، وفي المعقول على الشيخ محمد الخشني والشيخ علي الطحان حتى أدرك من ذلك الحظ الأوفر، وصار له ملكة يقتدر بها على استحضار ما يحتاج إليه من المسايل النقلية والعقلية، وترونق بالفضايل وتحلى بالفواضل إلى أن اقتنصه في ليل شبابه صياد المنية، وضرب سورًا بينه وبين الأمنية.

ومات أيضًا بعده بيومين أخوه سيدي علي، وكان جميل الخصايل مليح الشمايل رقيق الطباع، يشنف بحسن ألفاظه الأسماع، اخترمته المنية وحلت بساحة شبابه الرزية.

ومات الصاحب الأمثل والأجل الأفضل حاوي المزايا المنزه عن النقايص والرزايا عبد الرحمن أفندي بن أحمد المعروف بالهلواتي، كاتب كبير باب تفكشيان من أعيان أرباب الأقلام بديوان مصر، كان اشتغل بطلب العلم ولازم حضور الأشياخ وحصل في المعقول والمنقول ما تميز به عن غيره من أهل صناعته، مع حسن الأخلاق وجميل الطباع وحضر على الشيخ مصطفى الطائي كتاب الهداية في الفقه مشاركًا لنا، وأخذ أيضًا الحديث عن السيد مرتضى وسمع معنا عليه كثيرًا من الأجزاء والمسلسلات والصحيحين وغير ذلك، وألف حاشية على مراقي الفلاح واقتنى كتبًا نفيسة، وكان يباحث ويناضل مع عدم الادعا وتهذيب النفس والسكون والتؤدة والإمارة والسيادة إلى أن أجاب الداعي، ونعته النواعي واضمحل حال أبيه بعده وركبته الديون وجفاه الأخدان والمحبون، وصار بحاله يرثي له الشامت، ويبكي حزنًا عليه من يسمع ذكره من الناعت إلى أن توفي بعده بنحو سنتين.

ومات الأمير المبجل والنبيه المفضل علي بن عبد الله الرومي الأصل مولى الأمير أحمد كتخدا صالح، اشتراه سيده صغيرًا فتربى في الحريم، وأقراه القرآن وبعض متون الفقه وتعلم الفروسية ورمي السهام، وترقى حتى عمل خازندار عنده، وكان بيته موردًا للأفاضل فكان يكرمهم ويحترمهم ويتعلم منهم العلم، ثم أعتقه وأنزله حاكمًا في بعض ضياعه، ثم رقاه إلى أن عمله ريسًا في باب المتفرقة، وتوجه أميرًا على طايفته صحبة الخزينة إلى الأبواب السلطانية مع شهامة وصرامة ثم عاد إلى مصر، وكان ممن يعتقد في شيخنا السيد علي المقدسي ويجتمع به كثيرًا، وكان له حافظة جيدة في استخراج الفروع، وأتقن فن رمي النشاب إلى أن صار أستاذًا فيه، وانفرد في وقته في صنعة القسي والسهام والدهانات فلم يلحقه أهل عصره، وأضر بعينيه وعالجهما كثيرًا فلم يفده، فصبر واحتسب، ومع ذلك فيرد عليه أهل فنه ويسألونه فيه ويعتمدون على قوله، ويجيد القسي تركيبًا وشدًّا ولقد أتاه وهو في هذه الضرارة رجل من أهل الروم اسمه حسن، فأنزله في بيته وعلمه هذه الصنعة حتى فاق في زمن قليل أقرانه وسلم له أهل عصره، وحينئذ طلب منه أن يأذن له فيها واجتمع أهل الصنعة في منزله لحضور هذا المجلس، فأرسل إلى شيخنا السيد مرتضى وطلب منه شيًّا يناسب المجلس، فكتب عن لسانه ما نصه:

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وهدى بفيض فضله إلى الطريق الأقوم، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي الأكرم، الناصر لدين الحق

بالسيف والسنان المقوم، وعلى آله وصحبه ما رمى مجاهد في سبيل الله سهمًا وإلى الجنة تقدم.

أما بعد ...

فيقول الفقير إلى الله تعالى علي بن عبد الله مولى المرحوم أحمد كتخذا صالح غفر الله ذنوبه وستر عيوبه، ورحم من مضى من سلفه وجعل البركة في عقبه وخلفه: اعلموا إخواني في الله ورسوله أن كل صنعة لها شيخ وأستاذ، وقد قالوا: صنعة بلا أستاذ يدركها الفساد، وأن صنعة القوس والنشاب بين الأقران والأصحاب على ممر الأحقاب شريفة وطريقة بين السلف والخلف مقبولة منيفة، إذ بها تعمير باب الجهاد وفتح قلاع أهل الكفر والعناد، وقد أمر الله نبيه في الكتاب بإعداد القوة وفسر ذلك برمي النشاب، حيث قال جل ذكره: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ﴾.

وروى مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر الجُهَني — رضي الله عنه — قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في تفسير هذه الآية: ألا إن القوة الرمي، فكرره ثلاث مرات، وذلك زيادة لبيانه وتفخيمًا لشأنه، والأمر من الله يقتضي الوجوب، وهو فرض كفاية على المسلمين لنكاية أعداء الدين، وثبت أن رسول الله رمى بالقوس وركب الخيل وتقلد بالسيف وطعن بالرمح، وكانت عنده ثلاث قسي: قوس معقبة تدعى بالروحاء، وقوس من شوحط تدعى البيضاء، وأخرى تسمى الصفرا، وثبت أن كل شي يلهو به المؤمن باطل إلا ثلاثًا فذكر إحداهن الرومي بالقوس، وفي الأخبار الصحيحة أن الله تعالى ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه المحتسب فيه الخير، والرامي به والممد له ومنبله، فارموا واركبوا ولأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا.

وروى البخاري عن سلمة بن الأكوع — رضي الله عنه — أن رسول الله مر على نفر من أسلم ينتصلون، فقال: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا.

وورد في فضل الرمي أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر الجهني — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله: «من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا وقد عصى».

وعن أبي هريرة — رضي الله عنه — قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة سلبها».

وروى النسائي عن عمرو بن عقبة — رضي الله عنه — قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى بسهم في سبيل الله بلغ العدو أو لم يبلغ كان له كعتق رقبة».

وصح أن النبي كان يخطب وهو متكي على قوس، وجا جبريل — عليه السلام — يوم أحد وهو متقلد قوسًا عربية، ويروى عن أنس — رضي الله عنه — قال: قال رسول الله: «من اتخذ قوسًا عربية نفى الله عنه الفقر»، والأحاديث في ذلك كثيرة، وفي الكتب شهيرة.

وقد ثبت أن أول من رمى بالقوس العربية آدم — عليه السلام — نزل جبريل — عليه السلام — من الجنة وبيده قوس ووتر وسهمان، فأعطاها له وعلمه الرمي بها ثم صار إلى إبراهيم — عليه السلام — ثم صار إلى ولده إسماعيل — عليه السلام — وإليه ينتهي إسناد شيوخ هذا الفن.

ولما كان الأمر كذلك رغب الراغبون في صنعة القسي، واجتهدوا في تركيبها وأبدعوا في إتقان السهام التي يرمى بها؛ امتثالًا لأمر الله تعالى، وأمر رسوله، وإسعافًا لإخوانهم المسلمين من الغزاة والمجاهدين، وكان من بينهم الرجل الكامل الحسن السمت والشمايل حسن بن عبد الله مولى علي، قد طال اجتهاده في هذه الصنعة من مد القوس وإطلاقها والاختلاس وحمل الأوتار والجلة والكشتوان، وفرض سية القوس من ساير أنواعها العربية المعقبية والواسطية والخرسانية والشامية، وما يتعلق بها من تنجر الخشب وبتركيبه، ونشر اللجام وتوقيعه، والتوقيع والحزم والرقع والتنوير والدهان، مما عليه عمل الأستاذين من سالف الزمان، فلما رأيت من هذا الإتقان في صنعته، والإذعان بحسن معرفته والإحكام مع التفقه في ساير الأوقات لأصول صناعته، صدرت مني هذه الإجازة الخاصة له بشهادة الإخوان في هذه الصنعة الشريفة البيان، كما أجازني به الشيخ الصالح الكامل الماهر البارع المرحوم عبد الله أفندي بن محمد البستوي بحق أخذه لذلك عن شيخه المرحوم الحاج علي الألباني، عن شيخه محمد الأسطنبولي بإسناده المتصل إلى عبد الرحمن الفزاري والإمام صاحب الاختيار مولف الإيضاح المعروف بالطبري، بحق أخذها عن أيمة

هذا الفن المشهورين طاهر البلخي وإسحاق الرفا وأبي هاشم البارودي، بأسانيدهم المتصلة عن شيخ إلى شيخ إلى أن ينتهي ذلك إلى سيدنا إسماعيل — عليه الصلاة والسلام — وحسبك من علو سند ينتهي إلى هذا الإمام، وأوصيه كما أوصي إخواني ونفسي المخالطة بالأدب الجميل وتواضع النفس، وحملها على مكارم الأخلاق، وأن لا يرفع نفسه على أحد وأن لا يحقر أحدًا من خلق الله، وأن يجعل دأبه لزوم الصمت والإدمان والقناعة بالقليل مع المداومة على ذكر الله بالسكينة والوقار، وأن يسمي الله في أول مسكه في صنعته ويستمد من الله القوة والحول، ولا يضجر ولا ييأس من روح الله ولا يسب نفسه ولا قوسه ولا سهامه، ولا يحدث نفسه بالعجز فإنه يصل إلى ما وصل إليه غيره، فإن الرجال بالهمم، ففي الحديث «المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير»، وأن يديم النظر إلى معرفة العيوب العارضة للقسي والسهام وعقد الأوتار ويتعاهد لذلك، وكيفية إزالة العيب إن حدث ويعرف من أي حدث وأن لا يبيع سلاح الجهاد لكافر، ويفتش دين من يشتري إن كان رجلًا أو صبيًّا فيحتاج ذلك إلى إذن والده، فإذا علم إسلامه ووثق فيأخذ عليه العهد أن لا يرمي به مسلمًا ولا معاهدًا ولا كلبًا ولا شيًّا من ذوات الأرواح إلا أن يكون صيدًا أو ما يجب قتله، وأن لا يعلم صنعته إلا لأهله الذي يثق بدينه، فقد روي أنه لا يحل منع العلم من مستحقه، ويجب إعطاؤه بحقه ولا سيما إن كان عارفًا بقدر العلم راغبًا فيه طالبًا لوجه الله تعالى لا للمباهاة والمفاخرة، ويجب عليه أن يروض تلامذته ويؤلف بينهم ويحرضهم على العمل ولا يعاتبهم إلا في خلوة، وهو مع ذلك لازم الهيبة كثير السكوت متأن في الأمور غير عجول للجواب، والتقوى أصل كل شي وهو رأس مال الإنسان، ونختم الكلام بالحمد والثناء للرب المالك المنان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه الأعيان.

وسمع المترجم على شيخنا المذكور أكثر الصحيح بقراءة كل من الشريفين الفاضلين: سليمان بن طه الأكراشي وعلي بن عبد الله بن أحمد، وذلك بمنزله المطل على بركة الفيل، وكذلك سمع عليه المسلسل بالعيد بشرطه وحديثين مسلسلين بيوم عاشورا، تخريج السيد المذكور وأشياء أخر ضبطت عند كاتب الأسما، وأخذ الإجازة من الشيخ إسماعيل بن أبي المواهب الحلبي، وكان عنده كتب نفيسة في كل فن، رحمه الله.

واستهلت سنة خمس ومايتين وألف (١٧٩٠م)

ومات الشاب اللطيف المهذب الظريف الذي يحكى بأدبه سنا الملك أو ابن العفيف محمد بن الحسن بن عبد الله الطيب، أبوه مولى للقاسم الشرايبي مات أبوه في حداثته، وكان مولده سنة أربع وستين وماية وألف، وكفله صهره سليمان بن محمد الكاتب أحد كتاب المقاطعة بالديوان، ونشأ في الرفاهية والنعم، وعانى طلب العلم فنال منه ما أخرجه من ربقة الجهل، وتعلق بالعروض وأخذه عنه الشيخ محمد بن إبراهيم العوفي المالكي فبرع فيه، ونظم الشعر إلا أنه كان يعرض شعره للذم بالتزامه فيه ما لا يلزم، كتب إليه صاحبنا المتقن العلامة السيد إسماعيل بن سعد بن إسماعيل الوهبي المعروف بالخشاب على ديوانه.

قل للرئيس أبي الحسين محمد ... خدن المعالي والسري الأمجد
والحاذق الفطن اللبيب أخي الذكا ... اللوذعي الألمعي الأوحد
ألزمت نفسك في القريض مذاهبًا ... ذهبت بشعرك في الحضيض الأوهد
وتركت ما قد كان فيه لازمًا ... هلا عكست فجئت بالقول السدي
كدرت منه بما صنعت بحوره ... فغدت مشارع ليس يمحوها الصدي
فإذا نظمت فكن لنظمك ناقدًا ... نقد البصير بذهنك المتوقد
أو لا فدع تكليف نفسك واسترح ... من قولهم: ما شعره بالجيد
ولئن عنفت عليك فيما قلته ... فلقد بذلت النصح للمسترشد

فلما قرأها ضحك ولم يزد على أن قال له: أنت في حل، وكان — رحمه الله — قد علق غلامًا من أبناء الكتاب، فكتب إليه أيضًا السيد إسماعيل:

إني أجلك أن تصبو بمبتذل ... على تسنمك العلياء من صغر
أمسك عليك وحاذر من إخاء فتًى ... قميصه مذ نشا ينقد من دبر

وكتب إليه الأديب الماهر طه بن عرفة مقرظًا على ديوانه بيتين في غاية الحسن:

لك لفظ كأنه الدر نظما ... صدف القلب عن سواه مليًّا
لو تجلى منه الجمال الإناثي ... لترضاك للفؤاد صفيًّا

فكتب إليهما بيتًا واحدًا:

إن إسماعيل عندي   مثل أنثى بل وطه

ومن شعره رحمه الله تعالى:

نار الخليل إذا بدت في مهجتي   ورشفت ذاك الثغر برد حرها

ومات الصنو الفريد، والنادرة الوحيد، النبيه اللبيب، والمفرد العجيب الفاضل الناظم الناثر سيدي عثمان بن أحمد الصفائي المصري، تقدم ذكره في ترجمة والده أحمد أفندي، كاتب الروزنامة بديوان مصر، ونشأ هو في ظل النعمة والرفاهية، وقرا النحو والمنطق على كل من الشيخ علي الطحان، والشيخ مصطفى المرحومي حتى مهر فيهما، وكان يباحث ويناضل ويناقش أهل العلم في المسائل العقلية والنقلية، وقرأ علم العروض، وأتقن بحوره ونظم الشعر وجمع الظرف، وكان فيه نوع من الخلاعة واللهو، وله تخميس على البردة جيد، وأشعار كثيرة وله شعر رقيق منه قوله:

نظرت إلى حبي وكنت مفلسًا   فلم أرَ فيه للفلوس سوى السوى
فقلت له: أين الدراهم؟ قال لي: على أنني راض بأن أحمل الهوى

ومن نظمه تشطير بيتين لعثمان الشمسي وهو:

(وأغيدٍ لؤلؤي الجسم ذي هيف)   بوجنة أشرقت منها الفؤاد صبا
البدر طرته والغصن قامته   (متمم الحسن فيه كم أرى عجبا)
(كأنما خاله من نار وجنته)   قد زاد حسنًا ومن أعلى الخدود ربا
وحين خاف اللظى في الخد يحرقه   (انقض يرشف شهدًا جاوز الشنبا

ورأيت له أبياتًا على القصيدة السلملمكية المشهورة وهي:

ليس لي في القريض يا قوم رغبةْ   بعد هذا الذي كساني رعبةْ
أشهد الله أنني تبت عنه   توبة حرمت على المحبه

حيثما فيه شعر نائب قاض | أبعد الناس بالفصاحة نسبه
كان فيه جزاؤه صفع وجه | أو قفًا أو كان قتلًا بحربه
لا جزاه الإله في الناس خيرًا | لا ولا فرج المهيمن كربه
حيث أهدى إلى البرية داء | مستمرًّا أعيا فُحول الأطبه
يا عديم الآراء ما أنت إلا | آدمي برؤية البغل أشبه
كيفما تدعي الفصاحة جهلًا | أوما تدري أنها دار غربه
عش جهولًا أو مت بجهلك حتفًا | يا خبيثًا بأخبث الأرض تربه
فلعمري ما قلته ليس شعرًا | بل نباح وأنت كلبُ ابن كلبه
ثم إني أستغفر الله مما | قد جناه اللسان إن كان سبه

وله في إسماعيل أنفدي الكسار:

يا خليلي أفديك من كدار | كوسج الذقن عاري الذقن شعرا
من يكن قرنه كقرنك هذا | فليكن بيته كإيوان كسرى

ولم يزل رافلًا في حلل السعادة حتى حلت بساحة شبابه الشهادة، وتوفي مطعونًا بمليج وهو ذاهب لموسم المولد الأحمدي بطندتا في شهر رجب، وقد ناهز الأربعين وحضروا به إلى مصر محمولًا على بعير فغسل وكفن ودفن عند والده، رحمه الله.

ومات الخواجا المعظم والتاجر المكرم السيد أحمد بن السيد عبد السلام المغربي الفاسي، نشأ في حجر والده وتربى في العز والرفاهية حتى كبر وترشد، وأخذ وأعطى وباع واشترى وشارك وعامل، واشتهر ذكره وعرف بين التجار، ومات أبوه واستقر مكانه في التجارة، وعرفته الناس زيادة عن أبيه، وصار يسافر إلى الحجاز في كل سنة مقومًا مثل أبيه، وبنى داره ووسعها وأضاف إليها دكة الحسبة التي بجوار الفحامين، وأنشا دارًا عظيمة أيضًا بخط الساكت بالأزبكية، وانضوى إليه السيد أحمد المحروقي وأحبه واتحد به اتحادًا كليًّا، وكان له أخ من أبيه بالحجاز يعرف بالعرايشي من أكابر التجار ووكلايهم المشهورين ذو ثروة عظيمة، فتوفي وصادف وصول المترجم حينئذ إلى الحجاز فوضع يده على ماله ودفاتره وشركاته، وتزوج بزوجته وأخذ جواره وعبيده ورجع إلى مصر، واتسع حاله زيادة على ما كان عليه، وعظم صيته وصار عظيم التجار وشاه البندر، وسلم قياده وزمامه في الأخذ والعطا وحساب الشركا إلى السيد أحمد المحروقي،

وارتاح إليه لحذقه ونباهته ونجابته، وسعادة جده ولم يزل على ذلك حتى اخترمته المنية وحالت بينه وبين الأمنية، وتوفي في شعبان مطعونًا وغسل وكفن وصُلي عليه بالمشهد الحسيني في مشهد حافل بعد العشاء الأخيرة في المشاعل، ودفن عند أبيه بزاوية العربي بالقرب من الفحامين.

والتجأ السيد أحمد المحروقي إلى السيد محمد البارودي كتخدا إسماعيل بك، فسعى إليه وأقره مكانه وأقامه عوضه في كل شيء، وتزوج بزوجاته وسكن داره، واستولى على حواصله وبضايعه وأمواله ونما أمره من حينئذ وأخذ وأعطى ووهب وصانع الأمرا، وأصحاب الحل والعقد، حتى وصل إلى ما وصل إليه وأدرك ما لم يدركه غيره فيما سمعنا ورأينا كما قيل:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها   نم فالمخاوف كلهن أمان

ومات الأمير الكبير إسماعيل بك وأصله من مماليك إبراهيم كتخدا، وانضوى إلى علي بك بلوط قبان فجعله إشراقه وأقره ونوه بشأنه وقلده الصنجقية بعد موت سيدهم، وزوجه بهانم ابنة إبراهيم كتدخا، وعمل لهما مهمًا عظيمًا ببركة الفيل شهرًا كاملًا في سنة أربع وسبعين كما تقدم ذكر ذلك، وكان من المهمات الجسيمة والمواسم العظيمة التي لم يتفق نظيرها بعده بمصر، ولم يزل منظورًا إليه في الإمارة مدة علي بك، وأرسله في سرياته واعتمده في مهماته، وبعثه إلى سويلم بن حبيب بتجريدة، فلم يزل يحاربه حتى هزمه وفر إلى البحيرة فلحقه هناك، ولم يزل يتبعه ويرصده حتى قتله وحضر برأسه إلى مخدومه، وذلك في أواخر سنة اثنتين وثمانين وماية وألف.

وسافر إلى الشام صحبة محمد بك أبي الدهب لمقاتلة عثمان باشا بن العظم، وأغاروا على البلاد الشامية وحاربوا على يافا أربعة أشهر حتى ملكوها، وسافر قبل ذلك في تجاريد الصعيد وحضر غالب مواقف الحروب مع محمد بك ومستقلًّا إلى أن بدت الوحشة بين محمد بك وسيده علي بك، وخرج مع محمد بك إلى الصعيد وجرى بينهما الدم بقتله أيوب بك، فأخرج إليه علي بك جردة عظيمة احتفل بها احتفالًا زايدًا، وأميرها المترجم فلما التقى الجمعان ألقى عصاه وخامر على مولاه، وانضم بمن معه إلى محمد بك فشد عضده وخان مخدومه وحصل ما حصل من تقلبهم واستيلايهم كما ذكر، واستمر مع محمد بك يراعي حرمته ويقدمه على نفسه ولا يبرم أمرًا إلا بعد مشاورته ومراجعته، وتقلد الدفتردارية وأميرًا على الحج سنتين بشهامة وسير حسن، ولما مات

محمد بك لم تطمح نفسه للتصدر في الرياسة والإمارة، بل تركها لأتباعه وقنع بحاله وإقطاعه، ولزم داره التي عمرها بالأزبكية، فناكدوه وطمعوا فيما لديه، وقصد مراد بك اغتياله فخرج إلى خارج وتبعه المغرضون له ويوسف بك وغيره وحصل ما هو مسطر ومشروح في محله من تملكه وقتله يوسف بك وإسماعيل بك الصغير بمساعدة العلوية، ثم غدروا به حتى آل الأمر به إلى الخروج إلى البلاد الشامية وافتراق جمعه، ثم سافر إلى الروم مع بعض أتباعه ومماليكه وذهب منه غالب ما اجتمع لديه من الأموال، وذهب إلى إسلامبول فأقام بها مدة ثم نفوه إلى شنق قلعة، وخرج منها بحيلة تحيلها على حاكمها ثم ركب البحر إلى درنة، ووصل خبر ذلك إلى الأمرا بمصر فخرج مراد بك ليقطع عليه الطريق الموصلة إلى قبلي وأرصد له عيونًا ينتظرونه بالطريق، وأقام على ذلك شهورًا فلم يقفوا له على خبر، وهو يتنقل عند العربان حتى إنه اختفى عند بعضهم نيفًا وأربعين يومًا في مغارة، ثم إنه تحيل وأرسل من ألقى إلى مراد بك أنه مر من الجهة الفلانية بمعرفة الرصد المقيمين، فحنق مراد بك وركب في الحال ليقطع عليه الطريق وتفرَّق الجمع من ذلك المكان، فعند ذلك اجتاز إسماعيل بك ذلك الموضع وعداه في زي بعض العربان وخلص إلى الفضاء الموصل للبلاد القبلية، وذهب مراد بك في نهاية مشواره فلم ير أثرًا لذلك الخبر.

فرجع إلى المكان الذي عرفوه سلوكه فوجد المرابطين على ما هم عليه من التيقُّظ إلى أن تحقق عنده أنه تحيل بذلك، ومرَّ وقت ارتحال مراد بك من ذلك الموضع فرجع بخُفَّيْ حُنَيْنٍ، ولم يَزَلْ حتى كان ما كان، ووصل حسن باشا على الصورة المتقدمة، ورجع إلى مصر وتملَّكها واستقل بإمارتها بعد تغرُّبه تسع سنين ومقاساته الشدايد، وظن أن الوقت قد صفا له واستكثر من شراء المماليك واحترقت داره وبناها أحسن مما كانت عليه، وحصَّن المدينة وسورها من عند طرا والجيزة وحصنها تحصينًا عظيمًا من الجبل إلى البحر من الجهتين، حتى إنه لما أصيب بالطاعون أحضر أمراه، وقال لعثمان بك طبل بحضرتهم: أنت كبير القوم الباقية فافتح عينك وشد حيلك، فإني حصنت لكم البلد وصيرتها بحيث لو ملكتها امرأة لم يقدر عليها عدو، وتمرض يومين ومات في الثالث، سادس عشر شعبان من السنة، وكان أميرًا جليلًا كفؤًا للإمارة جهوري الصوت عظيم الهمة بعيد الغور كبير التدبير، يحب الصلحا والعلما ويتأدب معهم ويواسيهم ويقبل شفاعتهم ويكرمهم، وله فيهم اعتقاد عظيم حسن، ولما مات غسل وكفن وصُلي عليه في مصلى المؤمنين، ودفن بتربة علي بك مع سيدهما إبراهيم كتخدا بالقرب من ضريح الإمام

الشافعي بالقرافة ولم يفلح بعده خليفته عثمان بك، وأضاع مملكته وسلمها لأخصامه وأخصام سيده.

ومات الأمير رضوان بك وهو ابن أخت علي بك الكبير، وأمره وقلده الصنجقية وجعله من الأمرا الكبار، فلما مات خاله واستقل بالمملكة محمد بك انزوى وارتفعت عنه الإمرية وأقام بطالًا هو وحسن بك الجداوي مدة أيام محمد بك، فلما مات محمد بك وظهر بالإمارة إبراهيم بك ومراد بك لم يزل على خموله إلى أن وقع التفاقم بينهم وبين إسماعيل بك، فانضم هو وحسن بك إلى إسماعيل بك وساعداه فرد لهما إمرياتهما ونوه بشأنهما، ثم نافقا عليه وخذلاه عندما سافر معهما إلى قبلي وكانا هما السبب في غربته المدة الطويلة كما ذكر، ثم وقع لهما ما وقع مع المحمدية وذهبا إلى الجهة القبلية وأقاما هناك، فلما رجع إسماعيل بك من غيبته انضم إليهما ثانيًا، ولم يزل معهما وافترق منهما المترجم وحضر إلى مصر وانضم إلى المحمدية، ولما حضر حسن باشا وخرج معهم رجع ثانيًا بأمان، واستمر بمصر حتى حضر إسماعيل بك وحسن بك فأقام معهم أميرًا ومتكلمًا وتصادق مع علي بك كتخدا الجاويشية وعقد معه المؤاخاة، ونزل مارًّا إلى الأقاليم وعسف بالبلاد، ولما سافر حسن باشا وخلا لهما الجو فجر وتجبر، وصار يخطف الناس ويحبسهم ويصادرهم في أموالهم، وتعدى شره لكثير من الفقرا، ولم يزل هذا شأنه حتى أطفأ صرصر الموت شعلته وحل بساحته الطاعون ولم يفلته، وأراح الله منه العباد وكان أشقر خبيثًا.

ومات الأمير الأصيل رضوان بك بن خليل بن إبراهيم بك بلفيا من بيت المجد والعز والسيادة والرياسة، وبيتهم من البيوت الجليلة القديمة الشهيرة بمصر، ولم يكن بمصر بيت عريق في الإمارة والسيادة إلا بيتهم وبيت قصبة رضوان، وجميع أمرا مصر تنتهي سلسلتهم إليهما، وبيت القازدغلية أصل منشئهم ومغرس سيادتهم من بيت بلفيا كما تقدم؛ لأن إبراهيم بك بلفيا جد المترجم مملوك مصطفى بك ومصطفى بك مملوك حسن أغا بلفيا، وهو سيد مصطفى كتخدا القازدغلي ومصطفى هذا كان سراجًا عند حسن أغا ورقاه وأمَّره حتى جعله كتخذا باب مستحفظان، ونما أمره وعظم شانه وباض وأفرخ فجميع طايفة القازدغلية تنتهي نسبتهم إليه كما ذكر ذلك غير مرة، ولما توفي خليل بك والد المترجم في سنة خمس وثمانين بالحجاز في إمارته على الحج وترك أخاه عبد الرحمن أغا وولده رضوان هذا ورجع بالحج عبد الرحمن أغا المذكور، وبعد استقرارهم اجتمعت أعيان بيتهم وأرادوا تقليد عبد الرحمن أغا صنجقًا عوضًا عن أخيه فأبى ذلك،

فاتفقوا على تقليد ابن أخيه رضوان المذكور فكان كذلك، وقلدوه الإمارة وفتح بيتهم وأحيا مآثرهم وانضم إليه أتباعهم وسار سيرًا حسنًا بعقل ورياسة لولا لثغة في لسانه، وتقلد أمير الحج سنة اثنتين وتسعين وماية وألف، وكان كفؤًا لها وطلع ورجع في أمن وراحة ورخا، ولم يزل في سيادته حتى توفي في هذه السنة واضمحل بيتهم بموته وماتت أعيانهم وعظماهم وخرب البيت بالكلية، وانمحت آثارهم وانطفأت أنوارهم، وبطلت خيراتهم وخمدت حركاتهم، ومن جملة ما رأيته من خيراتهم في أيام رضوان بك هذا ماية قاري من الحفظة يقرون القرآن كل يوم في الأوقات الخمسة في كل وقت عشرون قارئًا، وقس على ذلك.

وَأَمُرُّ بالأوطان والسكن الذي قد كنت أعهده بخير وافر
لم ألق غير البوم فيها ساكنًا تبًّا لها من نحس طير واكر

ومات الأمير سليمان بك المعروف بالشابوري، وأصله من مماليك سليمان جاويش القازدغلي فهو خشداش حسن كتخدا الشعراوي، تقلد الإمارة والصنجقية سنة تسع وستين، ونفي مع حسن كتخدا المذكور وأحمد جاويش المجنون كما تقدم في سنة ثلاث وسبعين، فلما كانت أيام علي بك وورد من الديار الرومية طلب الإمداد من مصر للغزو، وأرسل علي بك فأحضر المترجم وقلده إمارة السفر فخرج بالعسكر في موكب على العادة القديمة، وسافر بهم إلى الديار الرومية وذلك سنة ثلاث وثمانين، ورجع بعد مدة وأقام بطالًا محترمًا مرعي الجانب وينافق كبار الدولة، وانضم إلى مراد بك فكان يجالسه ويسامره ويكرمه المذكور، فلما حضر حسن باشا كان هو من جملة المتآمرين، فلما استقر إسماعيل بك في إمارة مصر اعتنى به وقدمه ونظمه في عداد الأمرا لكبر سنة وأقدميته، وكان رجلًا سليم الباطن لا بأس به، توفي بالطاعون في هذه السنة.

ومات الأمير الجليل عبد الرحمن بك عثمان، وهو مملوك عثمان بك الجرجاوي الذي قتل في واقعة قراميدان أيام حمزة باشا سنة تسع وسبعين كما تقدم، فقلدوا عبد الرحمن هذا عوضه في الصنجقية فكان كفوًا لها، وكان متزوجًا ببنت الخواجا عثمان حسون التاجر العظيم المشهور المتوفى في أيام الأمير عثمان بك ذي الفقار، وخلف منها ولده حسن بك وكان المترجم حسن السيرة سليم الباطن والعقيدة محبوب الطباع جميل الصورة وجيه الطلعة، وكان محمد بك أبو الذهب يحبه ويجله ويعظمه ويقبل قوله ولا

يرد شفاعته، وكان يميل بطبعه إلى المعارف ويحب أهل العلم والفضائل، ويجيد لعب الشطرنج.

(ومن مآثره) أنه عمر جامع أبي هريرة الذي بالجيزة على الصفة التي هو عليها الآن، وبنى بجانبه قصرًا وذلك في سنة ثمان وثمانين، ولما أتمه وبيضه عمل به وليمة عظيمة وجمع علما الأزهر في يوم الجمعة، وبعد انقضاء الصلاة صعد شيخنا الشيخ علي الصعيدي على كرسي وأملى حديث: من بنى لله مسجدًا بحضرة الجمع، وكان شيخنا السيد محمد مرتضى حاضرًا وباقي العلما والمشايخ والحقير في جملتهم، وكنت حررت له المحراب على انحراف القبلة ثم انتقلنا إلى القصر ومدت الأسمطة وبعدها الشربات، والطيب وكان يومًا سلطانيًّا، توفي — رحمه الله — في شعبان بمنزله الذي بقيسون جوار بيت الشابوري، ودفن عند سيده بالقرافة.

ومات في أثره ولده حسن بك المذكور، وكان فطنًا نجيبًا ويكتب الخط الجيد ويميل بطبعه إلى الفضايل وذويها، منزهًا عما لا يعنيه من النقايص والرذايل، عوض الله شبابه الجنة.

ومات الأمير سليم بك الإسماعيلي عن مماليك إسماعيل بك قلده الإمارة في سنة إحدى وتسعين، وخرج مع سيده إلى الشام ثم رجع إلى مصر بعد سفر سيده إلى الروم، وأقام بها بطالًا في بيته بجوار المشهد الحسيني ببعض خدم قليلة، ويذهب إلى المسجد في الأوقات الخمسة فيصلي مع الجماعة، ويتنقل كثيرًا ولم يزل على ذلك حتى رجع سيده إلى مصر فرد له إمارته، ورجع إلى داره الكبيرة، وتقلد إمارة الحج في سنة اثنتين ونزل إلى إقليم المنوفية، وجمع المال والجمال ورجع وطلع بالحج وعاد في أمن وأمان، ولم يزل في إمارته حتى توفي بالطاعون في هذه السنة، وكان طوالًا جسيمًا خيره أقرب من شره.

ومات الأمير علي بك المعروف بجركس الإسماعيلي، وهو من مماليك إسماعيل بك أيضًا، وقلده الإمارة في مدته السابقة وأسكنه ببيت صالح بك الذي بالكبش، ولما تغرب سيده حضر إلى مصر وأقام خاملًا وسكن بالكعكيين، وكان لطيفًا مهذبًا خفيف الروح ضحوك السن يحب العلما والصلحا ويتأدب معهم ويكرمهم، ولما مات خشداشه إبراهيم بك قشطة، تزوج بعده بزوجته بنت إسماعيل بك، ولم يزل حتى توفي بعد سيده بأيام قليلة.

ومات الأمير غيطاس بك، وهو من بيت صالح بك تابع مصطفى بك القرد، وكان يعرف أولًا بغيطاس كاشف، تقلد الإمارة في سنة مايتين وتولى إمارة الحج في سنة إحدى

ومايتين، فسار فيها سيرًا حسنًا، وطلع بالحج ورجع مستورًا، واستمر أميرًا إلى أن مات على فراشه بالطاعون في بيته بخط باب اللوق فقلدوا بعده مملوكه صالح إمارته، وهو موجود إلى الآن في الأحيا وكان المترجم أميرًا جليلًا محتشمًا قليل التبسم، من رآه ظنه متكبرًا لسكون جأشه وكان لا بأس به في الجملة.

ومات الأمير علي بك الحسيني وهو من مماليك حسن بك الجداوي قلده الإمارة في أيام حسن باشا، وتزوج بزوجة مصطفى بك الداودية المعروف بالإسكندراني، وكان لطيف الذات جميل الطباع سهل الانقياد قليل العناد، توفي في رجب من السنة بالطاعون، ودفن بالمشهد الحسيني بمدفن القضاة، ووجدت عليه زوجته وجدًا كثيرًا.

ومات الأمير رضوان كتخدا وهو من مماليك أحمد كتخدا المجنون تنقل في المناصب حتى تولى كتخداية الباب بحشمة وشهامة، وعقل وسكون، ولما استقل إسماعيل بك في إمارة مصر نوه بشأنه وأحبه، وصار في تلك الأيام أحد المتكلمين المشار إليهم في الأمر والنهي، ونفاذ الكلمة والرياسة وكان قريبًا إلى الخير، واشتهر أكثر من سيده، وصار له أولاد وعزوة وأتباع ومماليك، وبنى لأكبر أولاده دارًا بدرب سعادة، وسكن هو في بيت أستاذه، توفي في أواخر شهر شعبان، وكذلك أولاده وجواريه ومماليكه وخربت بيوتهم في أقل من شهر.

ومات الأمير عثمان أغا مستحفظان الجلفي، وأصله من مماليك رضوان كتخدا الجلفي، وتربى عند خليل بك شيخ البلد القازدغلي، ولم يزل يتنقل في خدم الأمرا ومعاشرتهم حتى تقلد الأغاوية في أيام إسماعيل بك ثم عزل عنها، وتولاها ثانيًا أيامًا قليلة، ومات أيضًا بالطاعون، وخلف شيئًا كثيرًا من المال والنوال، أخذه جميعه حسن بك الجداوي؛ لأنه كان منضويًا إليه، وفي طريقتهم أنهم يرثون من يكون منتسبًا إليهم أو جارًا لهم، وكان إنسانًا لا بأس به ومحضره خير، ويحب اقتناء الكتب والمسامرة في الأخبار والنوادر مع ما فيه من نوع البلادة.

ومات الأمير المبجل حسن أفندي شقبون كاتب الحوالة، وأصله مملوك أحمد أفندي مملوك مصطفى أفندي شقبون، نشأ في الرياسة وخدمة الوزرا والأكابر، وحاز شيًّا كثيرًا من الكتب النفيسة والتي بخط الأعاجم والفارسية والخطوط التعليق المكلفة والمذهبة والمصورة مثل كليلة ودمنة وشاهنامه وديوان حافظ، والتواريخ التي من هذا القبيل المصور بها صور الملوك البديعة الصنعة والإتقان الغالية الثمن النادرة الوجود، وكان قريبًا إلى الخير محتشمًا في نفسه، توفي أيضًا بالطاعون وتبددت كتبه وذخائره.

ومات الأمير محمد أغا البارودي، وهو مملوك أحمد أغا مملوك إبراهيم كتخدا القازدغلي، رباه سيده وجعله خازنداره، وعقد له على ابنته، فلما توفي سيده في سنة ثمان وثمانين طلقها وتزوج بزوجة سيده هانم بنت إبراهيم كتخدا من الست البارودية، وهي أم أولاده إبراهيم وعلي ومصطفى الذين تقدم ذكرهم، والتي كان عقد عليها كانت من غيرها، فتزوجها حسن كاشف من أتباعهم.

تنبه المترجم وتداخل في الأمرا والأكابر، وانضوى إلى حسن كتخدا الجربان عندما كان كتخدا مراد بك، فقلده في الخدم والقضايا وأعجبه سياسته وحسن سعيه فارتاح إليه، وكان حسن كتخدا المذكور تعتريه النوازل فينقطع بسببها أيامًا بمنزله فينوب عنه المترجم في الكتخداية عند مراد بك، فيحسن الخدمة والسياسة وتنميق الأمور ويستجلب له المصالح، فأحبه وأعجب به وقلده الأمور الجسيمة، وجعله أمين الشون فعند ذلك اشتهر ذكره ونما أمره واتسع حاله وانفتح بيته، وقصدته الناس وتردد إليه الأعيان في قضا الحوايج، ووقفت ببابه الحجاب، واتخذ له ندما وجلسا من اللطفا وأولاد البلد يجلس معهم حصة من الليل ينادمونه ويسامرونه ويضاحكونه ويشرب معهم.

وماتت زوجته ابنة سيد سيده من بنت البارودي فزوجه مراد بك أكبر محاظيه أم ولده أيوب، وأتت إلى بيته بجهاز عظيم، وصار بذلك صهرًا لمراد بك وزادت شهرته ورفعته، فلما حصلت الحوادث ووصل حسن باشا وخرج مراد بك من مصر فلم يخرج معه، واستمر بمصر وقبض عليه إسماعيل بك وحبسه مع عمر كاشف ببيته، ثم نقلهما إلى القلعة بباب مستحفظان مدة، فلم يزل المترجم حتى صالح عن نفسه وأفرج عنه وتقيد بخدمة إسماعيل بك وتداخل معه حتى نصبه في كتخدايته، وأحبه واحتوى على عقله، فسلم إليه قياده في جميع أشغاله وارتاح إليه وجعله أمين الشون والضربخانة وغيرهما، فعظم شأنه وارتفع قدره وطار صيته بالأقاليم المصرية، وكثر الازدحام ببابه وجبيت إليه الأموال وصار الإيراد إليه والمصرف من يده فيصرف جماكي العسكر، ولوازم الدولة وهداياهم ومصاريف العماير والتجاريد واحتياجات أمير الحاج وغير ذلك بتؤدة وزياقة وحسن طريقة من غير جلبة ولا عسف ولا شعور لأحد من الناس بشي من ذلك، وكل شي سأل عنه مخدومه أو أشار بطلبه أو فعله وجده حاضرًا.

ولم يشتغل أمرا الحاج في زمن إسماعيل بك بشي من لوازم الحج، بل كان هو يقضي جميع اللوازم من الجمال والأرحال والقرب والخيش والعليق والذخيرة التي تسافر في البحر والبر وعوايد العرب وكساويهم والهجن والبغال وأرباب الصيت وغير ذلك ليلًا

ونهارًا في أماكن بعيدة عن داره، تحت أيدي مباشريه الذين وظفهم وأقامهم في ذلك، بحيث إذا اقتضى لأحدهم شيًّا أتاه وأسرَّ له في أذنه فيوجهه بطرف كلمة، ولا يشعر أحد من الجالسين معه بشي، وإذا كان وقت خروج المحمل فلا يرى أمير الحاج إلا جميع احتياجاته ولوازمه حاضرة مهيأة على أتم ما يكون وأكمله، وزوج ابنة سيده لخازنداره علي أغا وعمل لهما مهمًّا عظيمًا عدة أيام، وحضر إسماعيل بك والأمرا والأعيان وأرسلوا إليه الهدايا العظيمة، وكذلك جميع التجار والنصارى والكتاب القبط ومشايخ البلدان.

وبعد تمام أيام العرس ولياليه بالسماعات والآلات والملاعيب والنقوط، عملوا للعروس زفة بهيئة لم يسبق نظيرها، ومشى جميع أرباب الحرف وأرباب الصنايع من كل طايفة عربة وفيها هيئة صناعتهم، ومن يشتغل فيها مثل القهوجي بآلته وكانونه، والحلواني والفطاطري، والحباك والقزاز بنوله حتى مبيض النحاس والحيطان والمعاجيني وبياعي البز، وأرباب الملاهي والنسا المغاني وغيرهم، كل طايفة في عربة، وكان مجموعها نيفًا وسبعين حرفة، وذلك خلاف الملاعيب والبهالوين والرقاصين والجنك، ثم الموكب وبعده الأغوات والحريم والملازمون والسعاة والجاويشية، وبعدها عربة العروس من صناعة الإفرنج بديعة الشكل، وبعدها مماليك الخزنة والملبسون الزروخ وبعدهم النوبة التركية والنفيرات.

وكانت زفة غريبة الوضع لم يتفق مثلها بعدها، وبلغ المترجم في هذه الأيام من العظمة ما لم يبلغ أحد من نظرايه، وكان إذا توجهت همته إلى أي شي أتمه على الوجه الذي يريد، ويقبل الرشوة وإذا أحب إنسانًا قضى له أشغاله كاينة ما كانت من غير شي، فلما مات مخدومه إسماعيل بك، وتعين في الإمارة بعده عثمان بك طبل استوزره أيضًا، وسلمه قياده في جميع أموره، وهو الذي أشار عليه بممالأته الأمرا القبليين عندما تضايق خناقه من حسن بك الجداوي ومناكدته له، فكاتبهم سرًّا بسفارته وأطمعهم في الحضور وتمكينهم من مصر، ومات المترجم في أثناء ذلك في غرة رمضان، وذلك بعد إسماعيل بك بأربعة عشر يومًا، وبموته ارتفع الطاعون وقيل شعر:

وإذا كان منتهى العمر موتًا فسواء طويله والقصير

ومات الصنو الوحيد والفريد النبيه محمد أفندي بن سليمان أفندي بن عبد الرحمن أفندي بن مصطفى أفندي ككليويان، ويقال لها في اللغة العامية جمليان، نشأ في عفة وصلاح وخير وطلب العلم، وعانى الجزئيات والرياضيات، ولازم الشيخ المرحوم الوالد

وقرا عليه كثيرًا من الحسابيات والفلكيات والهيئة والتقويم، ومهر في ذلك وانتظم في عداد أرباب المعارف واشترى كتبًا كثيرة في الفن، واستكتب وكتب بخطه الحسن واقتنى الآلات والمستظرفات وحسب وقوم الدساتير السنوية عشرة أعوام مستقبلة بأهلتها وتواريخها وتواقيعها، ورسم كثيرًا من الآلات الغريبة والمنحرفات، وكان شغله وحسابه في غاية الضبط والصحة والحسن، وكان لطيف الذات مهذب الأخلاق قليل الادعاء، جميل الصحبة وقورًا، مات أيضًا بالطاعون في شعبان وتبددت كتبه وآلاته.

ومات أيضًا الخدن الشقيق والمحب الشفيق النجيب الأريب الأمير رضوان الطويل، وهو من مماليك علي كتخدا الطويل، وكان من هذا القبيل متولعًا من صغره بهذا الفن، وقرأ على الشيخ المتقن الشيخ عثمان الورداني وغيره، وأنجب وحسب ورسم واشتغل فكره بذلك ليلًا ونهارًا، ورسم الأرباع الصحيحة المتقنة الكبيرة والصغيرة والمزاول والمنحرفات وغير ذلك من الآلات المبتكرة والرسميات الدقيقة واتسع باعه في ذلك، واشتهر ذكره إلى أن قطفت يد الأجل نواره، وأطفأت رياح المنية أنواره.

ومات الجناب المكرم والاختيار المعظم الأمير إسماعيل أفندي الخلوتي اختيار جاووشان، كان رجلًا من أعيان الاختيارية في وقته، معروفًا صاحب حشمة ووقار ومعرفة بالسياسة وأمور الرياسة، ولم يزل حتى توفي في شهر شعبان سنة خمس ومايتين وألف بالطاعون.

ومات أيضًا الجناب المكرم محمد أفندي باشقلفة، وهو مملوك يوسف أفندي باشقلفة وخشداش محمد أفندي ثاني قلفة، وعبد الرحمن أفندي وكان مليح الذات جميل الصفات، تقلد كتابة هذا القلم عندما تلبس السيد محمد باشقلفة بكتابة الروزنامة، فسار فيها سيرًا حسنًا وحمدت مساعيه إلى أن وافاه الحمام وسارت نواعيه.

ومات أيضًا النبيه اللطيف والمفرد العفيف، أحمد أفندي الوزان بالضربخانة وكان إنسانًا حسنًا جميل الأوضاع مترهف الطباع، محتشمًا وقورًا ودودًا ومحبوبًا لجميع الناس.

سنة ست ومايتين وألف

(استهل شهر محرم بيوم الأربعا) وفيه عينوا صالح أغا كتخدا الجاويشية إلى السفر إلى الديار الرومية وصحبته هدية وشربات وأشيا، وصالح أغا هذا هو الذي بعثوه قبل ذلك لإجرا الصلح على يد نعمان أفندي ومحمود بك وكاد أن يتم ذلك، وأفسد ذلك حسن باشا ونُفي نعمان أفندي بذلك السبب، وذلك قبل موت حسن باشا بأربعة أيام، فلما رجعوا إلى مصر في هذه المرة عينوه أيضًا للإرسالية لسابقته ومعرفته بالأوضاع، وكان صالح أغا هذا عندما حضروا إلى مصر سكن ببيت البارودي وتزوج زوجته، فلما كان خامس المحرم ركب الأمرا لوداعه ونزل من مصر القديمة.

وفيه هبط النيل ونزل مرة واحدة وذلك في أيام الصليب ووقف جريان الخليج والترع وشرقت الأراضي فلم يرو منها إلا القليل جدًّا، فارتفعت الغلال من السواحل والرقع وضجت الناس، وأيقنوا بالقحط وأيسوا من رحمة الله وغلا سعر الغلة من ريالين إلى ستة، وضجت الفقرا وعيطوا على الحكام، فصار الأغا يركب إلى الرقع والسواحل ويضرب المتسببين في الغلة ويسمرهم في آذانهم، ثم صار إبراهيم بك يركب إلى بولاق ويقف بالساحل وسعر الغلة أربعة ريال الإردب، ومنعهم من الزيادة على ذلك فلم ينجع، وكذلك مراد كرر الركوب والتحريج على عدم الزيادة فيظهرون الامتثال وقت مرورهم، فإذا التفتوا عنهم باعوا بمرادهم، وذلك مع كثرة ورود الغلال ودخول المراكب وغالبها للأمرا، وينقلونها إلى المخازن والبيوت.

(وفي أوايل صفر) وصل قاصد وعلى يده مرسوم بالعفو والرضا عن الأمرا فعملوا الديوان عند الباشا وقرءوا المرسوم، وصورة ما بنى عليه ذلك أنه لما حضر السيد عمر أفندي (مكرم) بمكاتبتهم السابقة إلى الباشا، ويترجون وساطته في إجراء الصلح أرسل مكاتبة في خصوص ذلك من عنده، وذكر فيها أن من بمصر من الأمرا لا طاقة لهم

بهم ولا يقدرون على منعهم ودفعهم، وأنهم واصلون وداخلون على كل حال، فكان هذا المرسوم جوابًا عن ذلك وقبول شفاعة الباشا والإذن لهم بالدخول بشرط التوبة والصلح بينهم وبين إخوانهم، فلما فرغوا من قراءة ذلك ضربوا شنكًا ومدافع.

(وفي يوم الثلاثا ثاني عشر صفر) حضر الشيخ الأمير إلى مصر من الديار الرومية، ومعه مرسومات خطابًا للباشا والأمرا، فركب المشايخ ولاقوه من بولاق وتوجه إلى بيته ولم يأت للسلام عليه أحد من الأمرا، وأنعمت عليه الدولة بألف قرش ومرتب بالضربجانة قرش في كل يوم، وقرا هناك البخاري عند الآثار الشريفة بقصد النصرة.

(وفي شهر ربيع الأول) عمل المولد النبوي بالأزبكية وحضر مراد بك إلى هناك واصطلح مع محمد أفندي البكري، وكان منحرفًا عنه بسبب وديعته التي كان أودعها عنده، وأخذها حسن باشا فلما حضر إلى مصر وضع يده على قرية كان اشتراها الأفندي من حسن جلبي بن علي بك الغزاوي، وطلب من حسن جلبي ثمن القرية الذي قبضه من الشيخ ليستوفي بذلك بعض حقه، وطال النزاع بينهما بسبب ذلك، ثم اصطلحا على قدر قبضه مراد بك منهما وحضر مراد بك إلى الشيخ في المولد، وعمل له وليمة، واستمر عنده حصة من الليل، وخلع على الشيخ فروة سمور.

وفيه عملوا ديوانًا عند الباشا وكتبوا عرضحال بتعطيل الميري بسبب شراقي البلاد.

وفيه سافر محمد بك الألفي إلى جهة شرقية بلبيس.

وفيه حضر إبراهيم بك إلى مسجد أستاذه للكشف عليه وعلى الخزانة وعلى ما فيها من الكتب، ولازم الحضور إليه ثلاثة أيام، وأخذ مفتاح الخزانة من محمد أفندي حافظ وسلمه لنديمه محمد الجراحي، وأعاد لها بعض وقفها المرصد عليها بعد أن كانت آلت إلى الخراب، ولم يبق بها غير البواب أمام الباب.

(وفي شهر ربيع الثاني) قرروا تفريدة على تجار الغورية وطيلون وخان الخليلي، وقبضوا على أنفار أنزلوهم إلى التكية ببولاق ليلًا في المشاعل ثم ردوهم، ووزع كبار التجار ما تقرر عليهم على فقرايهم بقوايم وناكد بعضهم بعضًا وهرب كثير منهم، فسمروا دورهم وحوانيتهم وكذلك فعلوا بكثير من مساتير الناس والوجاقلية وضج الخلايق من ذلك.

(وفي مستهل جمادى الأولى) كتبوا فرمانًا بقبض مال الشراقي ونودي به في النواحي، وانقضى شهر كيهك القبطي، ولم ينزل من السماء قطرة ماء فحرثوا المزروع ببعض الأراضي التي طشها الماء، وتولدت فيها الدودة وكثرت الفيران جدًّا حتى أكلت الثمار من

أعلى الأشجار، والذي سلم من الدودة من الزرع أكله الفار، ولم يحصل في هذه السنة ربيع للبهايم إلا في النادر جدًّا، ورضي الناس بالعليق فلم يجدوا التبن وبلغ حمل الحمار من قصل التبن الأصفر الشبيه بالكناسة الذي يساوي خمسة أنصاف قبل ذلكماية نصف، ثم انقطع مرور الفلاحين بالكلية بسبب خطف السواس وأتباع الأجناد، فصار يباع عند العلافين من خلف الضبة كل حفان بنصفين إلى غير ذلك.

وفيه حضر صالح أغا من الديار الرومية.

(وفي شهر شوال) سافر أيضًا بهدية ومكاتبات إلى الدولة ورجالها.

(وفي شهر القعدة) وردت الأخبار بعزل الصدر الأعظم يوسف باشا وتولية محمد باشا ملكًا، وكان صالح أغا قد وصل إلى الإسكندرية فغيروا المكاتبات وأرسلوها إليه.

وفيه حضر أغا بتقرير لوالي مصر محمد عزت باشا على السنة الجديدة، وطلع بموكب إلى القلعة وعملوا له شنكًا.

وفي أواخر شهر الحجة شرع إبراهيم بك في زواج ابنته عديلة هانم للأمير إبراهيم بك المعروف بالوالي أمير الحج سابقًا، وعمر لها بيتًا مخصوصًا بجوار بيت الشيخ السادات، وتغلو في عمل الجهاز والحلي والجواهر وغير ذلك من الأواني والفضيات والذهبيات، وشرعوا في عمل الفرح ببركة الفيل، ونصبوا صواري أمام البيوت الكبار، وعلقوا فيها القناديل ونصبوا الملاعيب والملاهي وأرباب الملاعيب وفردت التفاريد على البلاد، وحضرت الهدايا والتقادم من الأمرا والأكابر والتجار، ودعا إبراهيم بك الباشا، فنزل من القلعة وحضر صحبته خلع وفراو ومصاغ للعروس من جوهر، وقدم له إبراهيم بك تسعة عشر من الخيل منها عشرة معددة، وسبحة لؤلؤ وأقمشة هندية وشبقات دخان مجوهرة، وعملوا الزفة في رابع المحرم يوم الخميس، وخرجت من بيت أبيها في عربة غريبة الشكل صناعة الإفرنج في هيئة كمال من غير ملاعيب ولا خزعبلات، والأمرا والكشاف وأعيان التجار مشاة أمامها.

وفيه حضر عثمان بك الشرقاوي وصحبته رهاين حسن بك الجداوي وهم شاهين بك وسكن في مكان صغير وآخرون.

وفيه وصلت الأخبار بأن علي بك انفصل من حسن بك ومن معه، وسافر على جهة القصير وذهب إلى جدة.

وأما من مات في هذه السنة

مات الإمام الذي لمعت من أفق الفضل بوارقه، وسقاه من مورده النمير عذبه ورايقه، لا يدرك بحر وصفه الإغراق، ولا تلحقه حركات الأفكار ولو كان لها في مضمار الفضل السباق، العالم النحرير واللوذعي الشهير شيخنا العلامة أبو العرفان الشيخ محمد بن علي الصبان الشافعي، ولد بمصر وحفظ القرآن والمتون واجتهد في طلب العلم.

وحضر أشياخ عصره وجهابذة مصره وشيوخه، كما ذكر في برنامج أشياخه، فحضر على الشيخ الملوي شرحه الصغير على السلم، وشرح الشيخ عبد السلام على جوهرة التوحيد، وشرح المكودي على الألفية، وشرح الشيخ خالد على قواعد الإعراب، وحضر على الشيخ حسن المدابغي صحيح البخاري بقراءته لكثير منه، وعلى الشيخ محمد العشماوي الشفا للقاضي عياض وجامع الترمذي وسنن أبي داود، وعلى الشيخ أحمد الجوهري شرح أم البراهين لمصنفها بقراءته لكثير منها، وعلى الشيخ السيد البليدي صحيح مسلم، وشرح العقايد النسفية للسعد التفتازاني وتفسير البيضاوي وشرح رسالة الوضع للسمرقندي، وعلى الشيخ عبد الله الشبراوي تفسير البيضاوي وتفسير الجلالين وشرح الجوهرة للشيخ عبد السلام، وعلى الشيخ محمد الحفناوي صحيح البخاري، والجامع الصغير وشرح المنهج والشنشوري على الرحبية ومعراج النجم الغيطي، وشرح الخزرجية لشيخ الإسلام، وعلى الشيخ حسن الجبرتي التصريح على التوضيح والمطول ومتن الجغميني في علم الهيئة، وشرح الشريف الحسيني على هداية الحكمة، قال: وقد أخذت عنه في الميقات وما يتعلق به وقرأت فيه رسايل عديدة وحضرت عليه في كتب مذهب الحنفية كالدر المختار على تنوير الأبصار وشرح ملامسكين على الكنز، وعلى الشيخ عطية الأجهوري شرح المنهج مرتين بقراءته لأكثره، وشرح جمع الجوامع للمحلي، وشرح التلخيص الصغير للسعد، وشرح الأشموني على الألفية، وشرح السلم للشيخ الملوي وشرح الجزرية لشيخ الإسلام والعصام على السمرقندية، وشرح أم البراهين للحفصي، وشرح الأجرومية لريحان أغا، وعلى الشيخ علي العدوي مختصر السعد على التلخيص، وشرح القطب على الشمسية، وشرح شيخ الإسلام على ألفية المصطلح بقراءته لأكثره، وشرح ابن عبد الحق على البسملة لشيخ الإسلام، ومتن الحكم لابن عطا الله، رحمهم الله تعالى أجمعين.

قال: وتلقيت طريق القوم وتلقين الذكر على منهج السادة الشاذلية على الأستاذ عبد الوهاب العفيفي المرزوقي، وقد لازمته المدة الطويلة، وانتفعت بمدده ظاهرًا وباطنًا.

قال: وتلقيت طريق ساداتنا آل وفا سقانا الله من رحيق شرابهم كوس الصفا عن ثمرة رياض خلفهم، ونتيجة أنوار شرفهم على الأكابر والأصاغر، ومطمح أنظار أولي الأبصار والبصاير أبي الأنوار محمد السادات ابن وفا، نفحنا الله وإياه بنفحات جده المصطفى، وهو الذي كناني على طريقة أسلافه بأبي العرفان، وكتب لي سنده عن خاله السيد شمس الدين أبي الإشراق عن عمه السيد أبي الخير عبد الخالق عن أخيه السيد أبي الإرشاد يوسف عن والده الشيخ أبي التخصيص عبد الوهاب عن ولد عمه السيد يحيى أبي اللطف إلى آخر السند.

هكذا نقلته من خط المترجم رحمه الله تعالى، ولم يزل المترجم يخدم العلم ويدأب في تحصيله حتى تمهر في العلوم العقلية والنقلية، وقرا الكتب المعتبرة في حياة أشياخه، وربى التلاميذ واشتهر بالتحقيق والتدقيق والمناظرة والجدل، وشاع ذكره وفضله بين العلما بمصر والشام، وكان خصيصًا بالمرحوم الشيخ الوالد، اجتمع به من سنة سبعين وماية وألف ولم يزل ملازمًا له مع الجماعة ليلًا ونهارًا، واكتسب من أخلاقه ولطايفه، وكذلك بعد وفاته لم يزل على حبه ومودته مع الحقير، وانضوى إلى أستاذنا السيد أبي الأنوار بن وفا ولازمه ملازمة كلية، وأشرقت عليه أنواره ولاحت عليه مكارمه وأسراره.

ومن تآليفه حاشيته على الأشموني التي سارت بها الركبان، وشهد بدقتها أهل الفضايل والعرفان، وحاشية على شرح العصام على السمرقندية، وحاشية على شرح الملوي على السلم، ورسالة في علم البيان، ورسالة عظيمة في آل البيت، ومنظومة في علم العروض وشرحها، ونظم أسما أهل بدر، وحاشية على آداب البحث، ومنظومة في مصطلح الحديث ستماية بيت، ومثلثات في اللغة، ورسالة في الهيئة، وحاشية على السعد في المعاني والبيان ورسالتان على البسملة صغرى وكبرى، ورسالة في مفعل ومنظومة في ضبط رواة البخاري ومسلم، وله في النثر كعبٌ عليٌّ، وفي الشعر كاس ملي، فمن نظمه في مدح الأستاذ أبي الأنوار بن وفا ويستعطف خاطره عليه لتقصير وانقطاع وقعا منه قوله:

عبيد جنى ذنبًا ورحب الحمى حلا ... فهل من رضا عنه تجود به فضلا
إليك أبا الأنوار قد أبت مخلصًا ... ومن ذا الذي يا سيدي قط ما زلا
أعيذك أن يسعى لبابك عائذ ... وتكسوه من أجل ذنب له ذلا
أعيذك أن ترضى حقارة لائذ ... لسالف جرم تاب منه وإن جلا

إذا أنت بالغفران والصفح لم تجُد ... فمن منه نرجو العفو والصفو والبذلا
وكيف وأنت الصدر من سادة حووا ... مكارم أخلاق العلا ما طووا غِلا
ومن معشرهم نسل أشرف مرسل ... دعا لجميل الصفح أكرِمْ بهم نسلا
أولئك آل المصطفى وبنو الوفا ... كنوز الصفا مزن العلا الذي انهلا
وهم بركات الكون شرقًا ومغربًا ... وغوث اللهافى والهداة لمن ضلا
بهم عند أستاذ الوجود توسلي ... ومن أم سادات الوفا لم يخب أصلا
هو المقصد الأسنى لمن كان آملًا ... هو المنهل الأصفى لمن كان مغتلَّا
هوالكعبة العظمى لحد أولي النهي ... فمَن بيتَه يدخلْ يكن آمنًا جذلا
أجلُّ بني الدنيا وأبهرهم سنى ... وأبهجهم سمتًا وأشرفهم أصلا
وأمضاهمُ عزمًا وأبسطهم يدًا ... وأوفرهم حزمًا وأوسعهم عقلا
وأثبتهم قلبًا وأكلمهم تقًى ... وأبلغهم نطقًا وأفضلهم نبلا
غزير المزايا طيب الخيم خير من ... حططنا بوادي حيه الأقدس الرحلا
همام له ألقى الزمان سلاحه ... وأمسى له دون الورى تبعًا كلا
جواد إذا هلت سماء سماحه ... على ماحلٍ أضحى كأن لم ير المحلا
لحا الله أوقاتًا ببعدي تصرمت ... أبيت ولي قلب بنار النوى يصلى
وأقوام سوء دينهم رفض دينهم ... وديدنهم شحن الصدور بما يلقى
إذا ما دعوا للخير صموا وإن دعوا ... لسيئة مدوا لسانًا يدًا رجلا
ولله أيام بها كنت أجتني ... ثمار الرضا والحظ مجتمع شملا
وأنظم في روضات أنسي بوده ... لآلئ مدح بين منثورها تجلى
أسوِّد أشعاري بسؤدد ذكره ... وأرجع مبيض المحيا بما أولى
فيا ليت شعري هل يعود لي الهنا ... وأحظى بآمالي وأطرح الثقلا
ويا واحد الأعصار لا عصره فقط ... ويا مالكًا مثواه في الفلك الأعلى
أألجفى ولي ود مديد المدى ولي ... إليك انتماء ليس يبلى وإن أبلى؟
أألجفى ولي في ذا الجناب مدائح ... على مدد الأزمان آياتها تتلى؟
وما زهر روض صافحته يد الصبا ... وهادت بريًّا نثره الوعر والسهلا
وغنت على أفنانه ساجعاته ... فنونًا من الألحان تسترق العقلا
وسطرت الأنداء في ورقاته ... أحاديث في الأشجان عن ورقة تملى

بـأبـهـج مـن شـعـر مـدحـتـك طـيـه　　وحاشـى للفظ أنت مغناه أن يعلى
لـقـد قـلـت قـولـي ذا وأعـلـم أنـه　　إذا لـم يـكـن حـظ يـضـيـع وإن جـلا
على أن حظي أن يعود رضاك لي　　وإقبالك الشافي لمن كان معتلًّا
ولا شافعًا لي غير حلمك سيدي　　وأسلافك السادات أسنى الورى فضلا
سـلـمـت ومـا لاقـت عـداك سـلامـة　　وطبت ونال الحاسد الخزي والذلا
ودمت كما ترضى لشانيك غيظة　　ولـلـخـل جـود مـن نـدى دائـم وبـلا
عـلـى جـدك الـهـادي صـلاة إلـهـه　　وتسليمه ما عين استحسنت شكلا
وآل وصـحـب مـا تـرنـح بـالـصـبـا　　معـاطـف أغـصـان ومـا هـيـجـت خـلا

وله قصيدة فريدة مدح في الأستاذ الوالد تقدم ذكرها في ترجمته، وغير ذلك تهنيات بأعياد ومواسم ومراث بعد وفاته، وله ولد فيه تهنية بمولود سنة أربع وسبعين.

نهنيك بالنجل السعيد الذي بدا　　من الغيب بالأفراح والسعد والندا
أتاك فغنى بالهنا بلبل الرضا　　وقام على غصن المسرات منشدا
وأشرق من أفق العلا كوكب المنى　　فأمسى ببشراك الزمان مغردا
فطب سيدي نفسًا بما ترتجي له　　وقر عيونًا بالذي يكمد العدا
فإن لسان المجد قال مؤرخًا　　نهنيك بالنجل السعيد الذي بدا

وله أيضًا قصايد غرا في مدايح الأستاذ أبي الأنوار بن وفا مذكورة في المدايح الأنوارية.

ومن كلامه تهنية للأجل الشيح أبي الفوز إبراهيم السندوبي تابع السيد المشار إليه بقدومه من سفره.

بروحي حبيبًا في محاسنه بدا　　فخرت له أهل المحاسن سجدا
وراح يـثـنـيـه مـدام دلالـه　　فخلناه من راح الدنان تميدا
ومر بنا في عسكر من جماله　　فقطع أحشاء وفتت أكبدا
مليح أعار النيرين سناهما　　وعلم غصن البان كيف تأودا
وشاكي سلاح يرهب الأسد لحظه　　ويرعب خطى القنا والمهندا

وحلوا إذا ما افتر باسم ثغره   أرانا عقيقًا حف درًّا منضدا
كسا الله خديه من الورد حلة   وأسكن في فيه الزلال المبردا
نسيم وغصن رقة ورشاقة   وأما شذا فالروض كلله الندا
فسبحان من سواه للناس فتنة   وصوره في دولة الحسن مفردا
شغفت به قدمًا ولذَّ هواه لي   على رغم غمر لامني فيه واعتدى
وفي حبه أنفقت عمري جميعه   ولم أخش في شرع الصبابة ملحدا
ولم ينسني ذكراه شيء سوى علا   أبي الفوز إبراهيم شمس ذوي الهدى
إمام له في كل مجد وسودد   مآثر لا تستطيع إنكارها العدا
ومولى أجلَّ الله في الناس قدره   وتوجه تاج القبول وأيدا
ونابغة دراكة من بيانه   وآراؤه المعروفة السحر والهدى
جواد له بذل الجزيل سجية   وبحر ندى عن موجه يؤخذ الندا
يرى عرض الدنيا وإن جل باطلا   لهذا يرى للمجتدي الفضل والندا
تسير له قبل الجسوم قلوبنا   فلا تنثني إلا وعنها انجلى الصدا
يمازح عز المجد منه تواضع   ولطف به فيه نسيم الصبا اقتدى
إليه انتهى جمع الفضائل سالمًا   فأصبح للأقران مولى وسيدا
ولا غرو إن حاز الكمال جميعه   فمن يتبع السادات يزداد سوددا
ومن لأبي الأنوار أستاذنا انتمى   ينال من الآمال ما كان أبعدا
هو السيد السامي على أهل عصره   هو السند الحامي إذ عدت العدا
هو الجوهر الفرد الذي بوجوده   تجدد إيوان العلا وتشيدا
هو المقصد الأسنى لمن كان آملًا   هو المنهل الأصفى لمن كان ذا صدى
هو المورد المقصود من كل وجهة   هو الشرف النامي على مدد المدى
محط رحال العارفين وقطبهم   وكعبة أهل الفضل حالًا ومبتدا
همام حباه الله كل حميدة   فأصبح بين العالمين محمدا
وأورثه مولاه شامخ رتبة   لآبائه آل الوفا أبحر الندا
مصابيح مصر بل صباح الوجود بل   حياة الورى أزكى البرية محتدا
كنون المعاني والحقائق والتقى   شموس سماوات الولاية والهدى
خلاصة آل المصطفى ولبابهم   وسر بني الزهراء بضعة أحمدا

همُ بركات الكون شرقًا ومغربًا ... همُ ملجأ العاني إذا خطْب اعتدى
همُ القوم لا ينقاس غيرهمُ بهم ... ومن ذا بسادات يقايس أعبدا
إذا أطلق السادات كانوا بني الوفا ... فيا حبذا فخرًا صميمًا وسوددا
أبا الفوز خذها بالقبول تكرمًا ... وإن كنت كالمهدي إلى الكنز عسجدا
وقابل بحسن العفو سوء قصورها ... فذنب المحب العفو عنه تأكدا
على خيرِ رسلِ اللهِ خيرُ صلاته ... وتسليمه ما شارق غاب أو بدا
وآل وأصحاب وكل متابع ... لمنهاجهم ما ناح طير وغردا
وما المخلص الصبان قال مؤرخًا ... أبو الفوز بشراه السرور مؤبدا

وله في ديباجه سلام:

يا نسيم الصبا تحمل سلامي ... لحبيب به شفاء سقامي
وإليه بلغ تحية صب ... مستهام ما خان عهد الغرام
لم يكن ناسيًا ودادًا قديمًا ... ولا ولا سامعًا ملام لئام
ذو اشتياق إلى لقاء محب ... فاق نورًا على بدور التمام
وجه مولى حاز المحاسن طرًّا ... فهو شمس الكمال بين الأنام

وله أيضًا:

ترحلتم عنا وشطت دياركم ... وبدلتمونا بالصفا غاية الكدرْ
وأعدى علينا الشوق جيش خطوبه ... وأصبح حزب الصبر ليس له أثرْ
فإن تسألوا عنا فإنا لبعدكم ... كجسم بلا روح وعين بلا بصرْ
ولولا رجاء النفس لقيا حبيبها ... لما بقيت منا معان ولا صورْ

وله متغزلًا:

وحق صبح المحيا مع دجى الشعر ... وجنة الخلد مع راح اللمى العطر
ومقلة بفنون السحر قد كحلت ... وقامة رشحتها خمرة الخفر
وعرف عنبر خال وابتسام فم ... من اليواقيت عن ثغر من الدرر

ما غير البعد عهدي في الغرام ولا　　نسيت ودًّا مضى في سالف العصر
لي في المحبة شرع غير منتسخ　　ومذهب في التصابي غير مندثر
إن كنت ملت إلى السلوان يا أملي　　فلا تمتعت من خديك بالنظر
كيف السلو وأنت الروح في جسدي　　والعقل في خلدي والنور في بصري
كيف السلو لظبي ما نظرت له　　إلا رأيت شقيق الشمس والقمر
غصن من البان قد رقت شمايله　　فرق في حبه ذو البدو والحضر
بديع حسن يقول الناظرون له　　تبارك الله ما هذا من البشر
إلى محاسنه تصبو العقول وفي　　هواه يحلو مرير السقم والضجر
شاكي السلاح شديد البأس ذو مقل　　تعد أسهمها في أسهم القدر
ريم، ولكن تخاف الأسد سطوته　　وكل أهل الهوى منه على خطر
يغزو النفوس بجيش من لواحظه　　وعسكر من جمال غير مقتدر
محاسن حار فيها لب ناظرها　　وفتنة دهشت منها ذوو الفكر
كأنما ذاته في لطفها خلقت　　من نفثة السحر أو من نسمة السحر
يغنيك عن كل ذي حسن محاسنه　　ومن يرى العين يستغني عن الأثر
أفديه من رشا ما مثله أحد　　عدمت في حبه حلمي ومصطبري
أطال هجري بلا ذنب أتيت به　　وساءني بعد صفو الود بالكدر
أصغي إلى قول أعدائي وشمتهمُ　　مع أن قول الأعادي غير معتبر
يا أحمد الفعل إلا في تقلبه　　دع التقلب واجبر قلب منكسر
وأحي بالوصل نفسًا فيك ميتة　　وأبر بالود جسمًا من جفاك بري
يا من هو الآية الكبرى لناظره　　رفقًا بصبٍ غدا من أكبر العبر
تكاد تحرقه نيران مهجته　　لولا سخاء سحاب الجفن بالمطر
إن كان عند شك أنني دنف　　فسل دموعي وسل سقمي وسل سهري

وله أيضًا:

أهابك أن أجيبك لا لعجز　　ولكن المحبة أخرستني
وأحتمل المكاره لا لذل　　ولكن الصبابة أحوجتني
وقدري لست تجهله ولكن　　غرامي باعني لك بيع غبن

فكن يا ابن الأكابر أهل عرف ولا تكثر عليَّ من التجني
فلي جسم كساه الشوق سقمًا ولي قلب علاه كل حزن
ولي في مذهب العشاق حال يطول بذكرها شرحي ومتني

وله غير ذلك كثير وفضله شهير.

وكان في مبدا أمره وعنفوان عمره معانقًا للخمول والإملاق متكلًا على مولاه الرزاق، يستجدي مع العفة ويستدر من غير كلفة، وتنزل أيامًا في وظيفة التوقيت بالصلاحية بضريح الإمام الشافعي — رضي الله عنه — عندما جدده عبد الرحمن كتخدا، وسكن هناك مدة ثم ترك ذلك، ولما بنى محمد بك أبو الدهب مسجده تجاه الأزهر تنزل المترجم أيضًا في وظيفة توقيتها وعمر له مكانًا بسطحها سكن فيه بعياله، فلما اضمحل أمر وقفه تركه واشترى له منزلًا صغيرًا بحارة الشنواني وسكن به، ولما حضر عبد الله أفندي القاضي المعروف بططر زاده، وكان متضلعًا من العلوم والمعارف وسمع بالمترجم، والشيخ محمد الجناجي واجتمعا به أعجب بهما وشهد بفضلهما وأكرمهما، وكذلك سليمان أفندي الريس، فعند ذلك راج أمر المترجم وأثرى حاله وتزين بالملابس وركب البغال، وتعرف أيضًا بإسماعيل كتخدا حسن باشا وتردد إليه قبل ولايته، فلما أتته الولاية بمصر زاد في إكرامه وأولاه بره ورتب له كفايته في كل يوم بالضربخانة والجزية، وخرجا من كلاره من لحم وسمن وأرز وخبز وغير ذلك، وأعطاه كساوي وفراء، وأقبلت عليه الدنيا وازداد وجاهة وشهرة، وعمل فرحًا وزوج ابنه سيدي علي فأقبل عليه الناس بالهدايا وسمعوا لدعوته، وأنعم عليه الباشا بدراهم لها صورة، وألبس ابنه فروة يوم الزفاف، وكذا أرسل إليه طبلخانته وجاويشيته وسعاته فزفوا العروس، وكان ذلك في مبادي ظهور الطاعون في العام الماضي، وتوعك الشيخ المترجم بعد ذلك بالسعال وقصبة الرئة حتى دعاه داعي الأنام، وفجأه الحمام ليلة الثلاثا من شهر جمادي الأولي من السنة، وصُلي عليه بالأزهر في مشهد حافل ودفن بالبستان تغمده الله بالرحمة والرضوان، وخلف ولده الفاضل الصالح الشيخ علي بارك الله فيه.

مضت الدهور وما أتين بمثله ولئن أتى لعجزن عن نظرائه

ومات السيد السند الإمام الفهامة المعتمد فريد عصره ووحيد شامه ومصره الوارد من زلال المعارف على معينها، المؤيد بأحكام شريعة جده حتى أبان صبح يقينها، السيد

العلامة أبي المودة محمد خليل بن السيد العارف المرحوم علي بن السيد محمد بن القطب العارف بالله تعالى السيد محمد مراد بن علي الحسيني الحنفي الدمشقي، أعاد الله علينا من بركات علومهم في الدنيا والآخرة، من بيت العلم والجلالة والسيادة والعز والرياسة والسعادة.

والمترجم وإن لم نره لكن سمعنا خبره ووردت علينا منه مكاتبات ووشى طروسه المحبرات، وتناقل إلينا أوصافه الجميلة ومكارم أخلاقه الجليلة، كان شامة الشام وغرة الليالي والأيام، أورق عوده بالشام وأثمر ونشأ بها في حجر والده والدهر أبيض أزهر، وقرا القرآن على الشيخ سليمان الدبركي المصري، وطالع في العلوم والأدبيات واللغة التركية، والإنشا والتوقيع، ومهر وأنجب واجتمعت فيه المحاسن الحسية والمزايا المعنوية مع لطف خلق يسعى اللطف لينظر إليه، ورقيق محاسن يقف الكمال متحيرًا لديه، وأنا وإن لم يقع لي عليه نظر بالعين فسماع الأخبار إحدى الروايتين، ولما توفي والده المرحوم تنصب مكانه مفتي الحنفية بالديار الشامية، ونقيب الأشراف بإجماع الخاص والعام، وسار فيها أحسن سير، وزين بمآثره العلوم النقلية، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية، فكانت تتيه به على ساير البقاع بقاع الشام، ويفتخر به عصره على جميع الليالي والأيام، فلا تزال تصدح وُرْق الفصاحة في ناديها، وتسير الركبان بما فيه من المحاسن رائحها وغاديها، ونور فضله باد وموائده ممدودة لكل حاضر وباد، كما قيل:

كالشمس في أفق السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقًا ومغاربا

وكان — رحمه الله — مغرمًا بصيد الشوارد وقيد الأوابد، واستعلام الأخبار وجمع الآثار، وتراجم العصريين على طريق المؤرخين، وراسل فضلا البلدان البعيدة، ووصلهم بالهدايا والرغايب العديدة، والتمس من كل جمع تراجم أهل بلاده، وأخبار أعيان أهل القرن الثاني عشر بحسب وسع همته واجتهاده، وكان هو السبب الأعظم، الداعي لجمع هذا التاريخ على هذا النسق، فإنه كان راسل شيخنا السيد محمد مرتضى والتمس منه نحو ذلك فأجابه لطلبته ووعده بأمنيته، فعند ذلك تابعه بالمراسلات وأتحفه بالصلات المترادفات، وشرع شيخنا المرحوم في جميع المطلوب بمعونة الفقير، ولم يذكر السبب الحامل على ذلك، وجمع الحقير أيضًا ما تيسر جمعه، وذهبت به يومًا وعنده بعض الشاميين، فأطلعته عليه فسر بذلك كثيرًا وطارحني وطارحته في نحو ذلك بمسمع من المجالس، ولم يلبث السيد إلا قليلًا وأجاب الداعي وتُنوسي هذا الأمر شهورًا، ووصل نعي

السيد إلى المترجم والصورة الواقعة وكانت أوراق السيد مختومًا عليها، فعند ذلك أرسل إلي كتابًا وقرنه بهدية على يد السيد محمد التاجر القباقيبي يستدعي تحصيل ما جمعه السيد من أوراقه وضم ما جمعه الفقير وما تيسر ضمه أيضًا وإرساله، ويقول فيه: وهذا الأمر ما حررنا بخصوصه لأحد من العلما ولا من التجار واعتمدنا على الجناب بذلك اعتمادًا على المحبة الموروثة، ولعلمنا أن جنابكم أولى بذلك من كل أحد، ولا سيما ما بلغنا من أن السيد ترجمكم، وقال في ضمنها: وهو الذي أعانني على ذلك ثم نخبر الجناب أن سعيكم هذا من أعظم المساعي عندنا لكون محبكم في غاية الاشتياق إلى ذلك، فنرجو إرسال ذلك أصلًا أو استكتابًا قبل بيوم وأنا أمتن بذلك، وأسر وأروم إرساله من غير عذر يوجب التأخير ويفضي إلى التكدير؛ لأن بوروده الارتياح وببقايه الالتياح، وهذه همة لا تجحد ولا تنكر ومن الله التسهيل، ومنكم الاهتمام، ولا زلتم بخير وسرور وعافية وحبور، وصحة لا نفاد لغايتها، ومنحة لا غاية لنهايتها، إلى آخر ما قال.

ولما ظفرت بالأوراق التي جمعها السيد المرحوم وهي نحو عشر كراريس ورتبها على حروف التهجى، وسماه المعجم المختص، ذكر فيه شيوخه ومن أخذ عنه أو ساجله أو جالسه من رفيق وصاحب وصالح، وقال: أو من المشاهير، وقد أذكر فيه من أحبني في الله وأحببته، أو استفدت منه شيًّا أو أنشدني شيًّا أو كاتبني أو كاتبته، أو بلوت منه معروفًا وكرمًا. إلى آخر ما قال، إلا أن الكراريس المذكورة لم تكمل وترك في الحروف بياضات كثيرة وغالب ما فيها آفاقيون من أهل المغرب والروم والشام والحجاز بل السودان، والذين ليس لهم شهرة ولا كثير بضاعة من الأحيا والأموات، وأهمل من يستحق أن يترجم من كبار العلما والأعاظم ونحوهم، فلما رأيت ذلك وعلمت سببه وتحققت رغبة الطالب لذلك جمعت ما كنت سودته وزدت فيه، وهي تراجم فقط دون الأخبار والوقايع، وفي أثنا ذلك ورد علينا نعي المترجم، ففترت الهمة وطرحت تلك الأوراق في زوايا الإهمال مدة طويلة، حتى كادت تتناثر وتضيع، إلى أن حصل عندي باعث من نفسي على جمعها مع ضم الوقايع والحوادث والمتجددات على هذا النسق، ومن واهب القوى أستمد المعونة، ووجدت في أوراق شيخنا السيد المرحوم مكتوبًا من مراسلات المترجم في خصوص ذلك، أرسله إليه بعد سفره ورجوعه من إسلامبول، فأحببت ذكره لما فيه من الاطلاع على حسن منثوره وصورته:

أحمد الله على كل حال في حالتي المقام والترحال، وأصلي على نبيه وآله الطاهرين وأصحابه السامين بالفضايل والفواضل والظاهرين، وأهدي السلام العاطر

الذي هو كنفح الروض باكره السحاب الماطر، والتحايا المتأرجة النفحات الساطعة اللمحات، النافحة الشميم، الناشية من خالص صميم، وأبدي الشوق الكامن وأبثه، وأسوق ركب الغرام وأحثه إلى الحضرة التي هي مهب نسايم العرفان والتحقيق ومصب مزن الإتقان والتدقيق، ومطلع شمس الإفادة والتحرير، ومنبع مياه البلاغة والتقرير، وموئل العايذ ومطمح اللايذ، وكعبة الطايف ومنتدى التحف واللطايف، ومجمع مجرى العمل والعلم، وملتقى أنهر الملاطفة والرأفة والحلم، وروض المكارم والوريق الوارف، وحوض العوارف والمعارف، المنهل الصافي، والظل السابغ الضافي، صانها الله من البوايق وحماها وحرس من الخطب الفادح حماها، ولا برح السعد مخيمًا في رباعها، واليمن والأمن مقيمين في بقاعها.

هذا وإن عطف مولانا الأستاذ عنان الاستفسار والاستخبار عن حليف آثاره وأليف نظامه ونثاره، وسمير تذكاره في ليله ونهاره، والمشتاق لمرآه والواله بهواه، والمقيم على عهده والمتمسك بوثيق وده، والمتمسك بعرف نده، والصايغ عقود تمداحه في مسايه وصباحه، فهو بمنه تعالى رهين صحة وعافية، وقرين نعم وآلاء وافية، يستأنس بأخبارك ويتوقع ورود رسايلك وآثارك، وقد مضت مدة ولم يجر بين البين ماء محاورة ومراسلة، وأدى هذا الجدب لقحط غلال المواصلة، وعلى كل حال فالقصور من الجانبين، واعتقاد ذلك يحسم مادة العتاب بين المحبين، ثم الباعث لتحرير الأسطار وتنميقة الاعتذار وإجراء فيض النفس المدرار تفقد الأحوال، واستدعا المراسلة ببليغ تلك الأقوال، وللشغل الشاغل الذي ما تحته طايل اقتضى تأخير المراسلة لهذا الحين، والتقصي من الجواب عن استنشاق أوراد رياحين، والله يشهد أن غالب الأوقات ذكراك نقل وأقوات، وقلبك شاهد على ما أقول، وحجة المحبة ثابتة بأقوى دليل ونُقول.

ولقد كنت حرضت الأستاذ لأبرح وجوده للسايل نفعًا وللدهر لما يقول مجيبًا سمعًا لجمع تراجم المصريين والحجازيين، ومن للأستاذ الوقوف على ترجمته وحاله من أهل الأمصار من أبناء القرن الثاني عشر، ووعد — حفظه الله — بالإنجاز ولسبب الشواغل الطارئة في هذه السنين الموجبة لتكدير الأفكار، ورخص أسعار الأشعار وإخلاق برد الفضايل وذاك الشعار أوجب

قطع المراسلة وتأخير المطلوب والمأمول، ولم يفز المحب بمرام من ذلك ومسول، ولما كنت في الروم قبل ذلك العام جرى ذكر الأستاذ لدى حضرة أحد رؤسايها الأجلة الصناديد القروم، فأطال بالمدح وأطنب ثم جرى ذكر التاريخ وفقدانه في هذا الوقت وعدم الرغبة إليه من أبناء الدهر مع أنه هو المادة العظمى في الفنون كلها فتأوه تأوه حزين.

وكان بمجلسه أحد الأفاضل المولعين باقتناص الأخبار فقال: إن الأستاذ أبا الفيض مرتضى — بلغه الله مرامه وقرن بالنجاح آماله وبالسعود أيامه — قد باشر تأليف تاريخ عظيم بإشارة هذا وأشار إلي.

فقلت: نعم، قد كنت حرضت الأستاذ بجمع ذلك، ولا أدري كيف فعل؟ هل أوقد في الطروس تلك المصابيح والشعل أم عاقه الزمن بأحوال؟

قال: لا، بل اجتهد وأحسن وأفاد وأتقن، وقد رأيت شعرًا لطيفًا عربه من شعر الوزير الكبير المقتول إسماعيل باشا الريس، وذكره في ترجمته ثم إنه أطال على الأستاذ في الثنا، وأطال طرف المدح في حلبة ذلك المجلس إلى المسا، فسرني هذا الخبر الطاري من ذلك الرجل الإخباري، وطرت بأجنحة السرور والأماني، وقلت: قد صافاني زماني، ولما عدت بلدتي دمشق دامت معمورة وبالخيرات مغمورة، وقعت بأشراك الشواغل المتبادرة، وتركت من الفنون كل نادرة، وحرصت على تدبير أمورها خوف القال والقيل، وصرفت أوقاتي للإضاعة حتى في المقيل، وأروم من واهب النعم ومسدي الخير ومسدي الكرم أن يهبني لطفًا في مسعاي والأمور، وعونًا في نظام الجمهور إنه خبير بصير، وإليه المصير، وكان هذا الشغل الشاغل سببًا أعظم لتأخير المراسلة والاستخبار من الأستاذ عن إتمام التراجم وتحصيلها، والآن بادرت لنسخ هذه الأسجاع بيد اليراع، وحررته عجلًا ورقمته خجلًا فالمأمول تبييض مسودات التراجم وإرسالها حتى نكمل بها مادة التاريخ، ويحسن توجهاتكم القلبية مع هذه الأشغال الدنيوية، بلغ من التراجم نحو ثلاثة مجلدات ضخام ونحوها وزيادة باقية في المسودات، هذا ما عدا تراجم أبنا العصر وشعرايه الذين في الأحيا ومن نظمتني وإياه الأقدار، وامتدحتني بنظام أو نثار، فتراجمهم وآثارهم مجموعة بمجلد آخر، وعلى كل حال فالأستاذ له الفضل التام في هذا المقام، وإن شا الله تعالى بآثاره يتم الكتاب على أحسن نسق ونظام، وجل

القصد أن يكون هذا الأود المحب مشمولًا بالأدعية الصالحة لتنطق بالثنا منه كل جارحة، والمأمول ستر عواره المتبادر، والإغماض عما أظهره الفكر القاصر والذهن الفاتر، وألقته أفواه المحابر على صفحات الدفاتر، ولك الثنا العاطر، والسلام الوافر، والشوق المتكاثر، من القلب والخاطر، ما همى وادق وذر شارق وصدح يمام، وناح حمام، وسح ركام وفاح خزام والسلام.

وتاريخه في أواخر ربيع الثاني سنة مايتين وألف، وما أدري ما فعل الدهر بتاريخه المذكور؛ لأنه انتقل المترجم بعد ذلك لأمور أوجبت رحلته منها إلى حلب الشهبا، كما ذكر لي ذلك في مراسلاته في سنة خمس ومايتين وألف، وهناك عصفت رياح المنية بروضه الخصيب، وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب، فاحتضر وأحضر بأمر الملك المقتدر، لا زال جدثه روضة من رياض الجنان، ولا برح مجرى لجداول الرحمة والرضوان، وذلك في أواخر صفر من هذه السنة وهو مقتبل الشبيبة، ولم يخلف بعده في الفضايل والمكارم مثله.

وسهم الرزايا بالنفايس مولع

ومات الإمام المفوه من غذي بلبان الفضل وليدًا، وعد لبيدٌ إذا قيس بفصاحته بليدًا، من له في المعالي أرومة وفي مغارس الفضل جرثومة، الحسين بن النور علي بن عبد الشكور الحنفي الطايفي الحريري الفقه والإنشا، ويعرف بالمتقي من أولاد الشيخ علي المتقي مبوب الجامع الصغير من أكبر أصحاب الشيخ السيد عبد الله ميرغني، ولد بالطايف وبها نشا وتكمل في الفنون العرفانية وتدرج في المواهب الإحسانية، وأحبه السيد عبد الله وتعلق بأذياله وشرب من صفو زلاله، فنام وهام وقطع ريقه الأوهام، وأخذ بالحرمين من عدة علما كرام، وشارك في العلوم ونافس في المنطوق والمفهوم، إلا أنه غلب عليه التصوف وعرف منه ما فيه الكمال والتصرف، وبينه وبين شيخنا العيدروس مودة أكيدة، ومحبة عتيدة، ومحاورات ومذكرات وملاطفات ومصافاة، وقد ورد علينا مصر في سنة أربع وسبعين وماية وألف، وسكن ببيت الشيخ محسن على الخليج، وكان يأتيه السيد العيدروس والسيد مرتضى وغيرهم، فأعاد روض الأنس نضيرًا وماء المصافاة نميرًا، ودخل الشام وحلب وبها أخذ عن جماعة أشيا، منهم: السيد إسماعيل المواهبي فقد عده من شيوخه، أثنى عليه ودخل بلاد الروم وأنعم بالمروم، وعاد إلى الحرمين وقوض عن الأسفار الخيام.

ثم قطن بالمدينة المنورة وكتب إليه الشيخ السيد العيدروس وهو بالطايف يستدعيه لبستان يسمى الشريعة فقال:

أحسين كأس الأنس داير ولنا الصفا واف ووافر
راقت لنا خمر الصفا فزماننا زاه وزاهر
أحسين روح مهجتي من راح قربك لي وبادر
أحسين سحبًا في النوى عنكم لنظم الأنس ناثر
أحسين عين الما بكت شوقًا لكم يا ذا المفاخر
هذي الأزاهر مزقت أكمامها فارْع الأزاهر
هذي الغصون تضاربت من بعدكم فالروض حاضر
هذه الشريعة أنسها الســ ـاري لكم بالقرب آمر
فاقرب ولا تشطح ببعــ ـد بواطن فالشرع ظاهر
هيا فلي شوق غدا مثلًا من الأمثال ساير

فأعاد المترجم الجواب وقال:

ما أنس رنات المزاهر والروض بالأفراح زاهر
وسنى عقود علقت في جيد غيد والجآذر
والدر في في من أحب منظمًا فاق الجواهر
والوصل بعد القطع من سام الربا سامي المفاخر
كلا ولا عطر العرو س كذا المحاظي في المحاظر
أشهى وأبهى من سنى نظم لطي الأنس ناثر
ألفاظه تحكي الشمو س ونورها باه وباهر
فيه المفصل مجمل يبدو لأرباب البصاير
أغنت عن التوضيح والتــ ـسهيل هاتيك الأشاير
وكست براعته العبا رة بهجة والأمر ظاهر
في طرسه طرر سمت حسنًا على طرز الحراير
تحكي العيون عيونه سيناته تحكي الضفاير
ألفاته تحكي القدو د رشاقة ولها تناظر

إلى أن قال:

آيـــات فـــخـــر بـــيِّـــنـــا	ت أولًا وكـــذاك آخـــر
ويـــؤم أربـــاب الـــنـــهـــا	ية والنهى عن كل كابر
يـتـلـونـهـا جـمـلًا فـيـتـــ	ــلـو من مفصله الأوامر
أعني الوجيه ابن النبيــ	ــه ابن النبيه بلا مناكر
المصطفى بن المصطفى بــ	ــن المصطفى حامي العشاير
لا غـــرو فـــي حـــوز لـــه	فخرًا بحسن السمت فاخر
إذا جـده شـمـس الـشـمـو	س العيدروس أبو المظاهر
مـــا إن لـــه مـــن ســـاحـــل	وبذاك قد عقدت خناصر
أوصـافـهـا عـنـهـا الـبـديــ	ــع وإن يكن سحبان قاصر

وللسيد العيدروس قصيدة بائية أرسلها له، وهي بليغة مطولة وغير ذلك مطارحات كثيرة.

وللمترجم مؤلفات حسان، وكلها على ذوق أهل العرفان، منها المنظومة التي تعرف بالصلاتية عجيبة، وشرحها مزجًا كأصلها على لسان القوم، ولما حج الشيخ التاودي بن سودة كتبها عنه، ووصل بها المغرب ونوه بشأنها، حتى كتبت منها عدة نسخ، ونوه بشأن صاحبها حتى عين له سلطان المغرب بصرة في كل سنة تصل إليه مع الركب، والناس في المترجم مختلفون.

فمنهم من يصفه بالبراعة والكمال، وأوليك الذين رأوا كلامه فبهرهم نظامه، ومنهم من يصفه بالحلول عن ربقة الانقياد، ويرميه بالحلول والاتحاد، وهو — إن شاء تعالى — يبرأ مما نسب إليه.

ولما اجتمع به العلامة محمد بن يعقوب بن الفاضل الشمشاري ونزل في منزله، فكان أنيسًا له في ساير أحواله وأكيله ونزيله، قال اختبرته حق الاختبار فلم أجد له إلا لسانًا وهو مثار، وبعد أشهر تبرم عن ملازمته واتخذ له حجرة في الحرم، وعزل نفسه عنه فالتزم، وحكى لي من أموره أشيا غريبة، والمترجم معذور فإن ساداتنا المغاربة ليس لهم تحمل في سماع كلام مثل كلامه؛ لأنهم ألفوا ظاهر الشريعة، ولم يدخل على أذهانهم نوادر أهل العرفان، ولا تسوروا حصونها المنيعة، ولأهل الروم فيه اعتقاد جميل ومواهبهم تصل إليه في كل قليل، وكان له ولد يسمى جعفرًا ورد علينا مصر في سنة

خمس وثمانين، وأقام معنا برهة يغدو إلينا، ويبيت ويروح لزيارة بعض أحباب أبيه بمصر، ويذهب معنا لبعض المنتزهات إذ ذاك، ولم يزل حتى اخترمته المنية، سامحه الله، لم يخلف بعده مثله.

سنة سبع ومايتين وألف

استهل المحرم بيوم الخميس، والأمر في شدة من الغلا وتتابع المظالم وخراب البلاد، وشتات أهلها وانتشارهم بالمدينة حتى ملوا الأسواق والأزقة رجالًا ونسا وأطفالًا يبكون ويصيحون ليلًا ونهارًا من الجوع ويموت من الناس في كل يوم جملة كثيرة من الجوع.

وفيه أيضًا هبط النيل قبل الصليب بعشرة أيام، وكان ناقصًا عن ميعاد الري نحو ذراعين فارتجت الأحوال، وانقطعت الآمال، وكان الناس ينتظرون الفرج بزيادة النيل، فلما نقص انقطع أملهم واشتد كربهم، وارتفعت الغلال من السواحل والعرصات، وغلت أسعارها عما كانت وبلغ الإردب ثمانية عشر ريالًا، والشعير بخمسة عشر ريالًا، والفول بثلاثة عشر ريالًا، وكذلك باقي الحبوب، وصارت الأوقية من الخبز بنصف فضة، ثم اشتد الحال حتى بيع ربع الويبة بريال، وآل الأمر إلى أن صار الناس يفتشون على الغلة فلا يجدونها، ولم يبق للناس شغل ولا حكاية ولا سمر بالليل والنهار في مجالس الأعيان وغيرهم إلا مذاكرة القمح والفول والأكل ونحو ذلك، وشحت النفوس واحتجب المساتير، وكثر الصياح والعويل ليلًا ونهارًا، فلا تكاد تقع الأرجل إلا على خلايق مطروحين بالأزقة، وإذا وقع حمار أو فرس تزاحموا عليه وأكلوه نيًّا ولو كان منتنًا، حتى صاروا يأكلون الأطفال، ولما انكشف الماء وزرع الناس البرسيم ونبت أكلته الدودة، وكذلك الغلة فقلب أصحاب القدرة الأرض وحرثوها وسقوها بالماء من السواقي والنطالات والشواديف، واشتروا لها التقاوي بأقصى القيم وزرعوها فأكله الدود أيضًا، ولم ينزل من السما قطرة ولا أندية ولا صقيع، بل كان في أوايل كيهك شرودات وأهوية حارة ثقيلة، ولم يبق بالأرياف إلا القليل من الفلاحين وعمهم الموت والجلأ.

(وفي أواخر شهر ربيع الأول) حضر صالح أغا إلى الديار الرومية وعلى يده مرسومات بالعفو عن الأمرا وثلاث خلع إحداها للباشا والأخريين لإبراهيم بك ومراد بك،

فاجتمعوا بالديوان وقروا المرسومات، وضربوا مدافع وأحضر صحبته صالح أغا وكالة دار السعادة، وانتزعها من مصطفى أغا واستولى على ملايلها.

وفيه وصلت غلال رومية وكثرت بالساحل فحصل للناس اطمينان وسكون ووافق ذلك حصاد الذرة، فنزل السعر إلى أربعة عشر ريالًا الإردب، وأما التبن فلا يكاد يوجد، وإذا وجد منه شي فلا يقدر من يشتريه على إيصاله لداره أو دابته بل يبادر لخطفه السواس وأتباع الأجناد في الطريق، وإذا سمعوا واستشعروا بشي منه في مكان كبسوا عليه وأخذوه قهرًا، فكان غالب مونة الدواب قصب الذرة الناشف، ويسرح الكثير من الفقرا والشحاذين في نواحي الجسور، فيجمعون ما يمكنهم جمعه من الحشيش اليابس والنجيل الناشف، ويأتون به ويطوفون به في الأسواق ويبيعونه بأغلى الأثمان، ويتضارب على شراه الناس وإن صادفهم السواس والقواسة خطفوه من على روسهم وأخذوه قهرًا.

وفيه وصلت الأخبار بأن علي بك الدفتردار لما سافر من القصير طلع على المويلح، وركب من هناك مع العرب إلى غزة، وأرسل سرًّا إلى مصر، وطلب رجلًا نصرانيًّا من أتباعه، فذهب إليه صحبة الهجان بمطلوبات وبعض احتياجات، ولما وصل إلى جهة غزة أرسل إلى أحمد باشا الجزار (والي عكا) يعلمه بوصوله، فأرسل لملاقاته خيلًا ورجالًا، فذهب إليه وصحبته نحو الثلاثين نفرًا لا غير، فلما وصل إلى قرب عكا خرج إليه أحمد باشا ولاقاه ووجهه إلى حيفا، ورتب لهم بها رواتب.

وأما مراد بك فإنه خرج إلى بر الجيزة من أول السنة، وجلس في قصر إسماعيل بك الذي عمره هناك، واشتغل بعمل جبخانة وآلات حرب وبارود وجلل وقنابر، وطلب الصناع والحدادين وشرع في إنشاء مراكب وغلايين رومية، وزاد في بنا القصر ووسعه، وأنشا به بستانًا عظيمًا وغير ذلك، وسافر عثمان بك الشرقاوي إلى ثغر الإسكندرية، وجبى الأموال في طريقه من البلاد.

(وفي يوم الأربع سابع عشرين ربيع الآخر، وخامس كيهك القبطي) أمطرت السماء مطرًا متوسطًا، وفرح به الناس.

(وفي يوم السبت غرة جمادى الأولى) عدى مراد بك من بر الجيزة، فدخل إلى بيته وأخبروا عن عثمان بك الشرقاوي أنه رجع إلى رشيد ثم في رابعه حضر المذكور إلى مصر.

(وفي ليلة الخميس) خرج مراد بك وإبراهيم بك وباقي أمراهم إلى جهة العادلية فأقاموا أيامًا قليلة، ثم ذهب مراد بك إلى ناحية أبو زعبل، وكذلك إبراهيم بك الوالي وصحبته جماعة من الأمرا إلى ناحية الجزيرة، وفي وقت خروجهم نهب أتباعهم ما

صادفوه من الدواب وصاروا يكبسون الوكايل التي بباب الشعرية، ويأخذون ما يجدونه من جمال الفلاحين السفارة وحميرهم نهبًا.

فأما مراد بك فإنه لما وصل إلى أبو زعبل وجد هناك طايفة من عرب الصوالحة في خيشهم لاجنية لهم، فنهبهم وأخذ أغنامهم ومواشيهم، وقتل منهم نحو خمسة وعشرين شخصًا ما بين غلمان وشيوخ، وأقام هناك يومًا وقبض على مشايخ البلد أبو زعبل، وحبسهم وقرر عليهم غرامة أحد عشر ألف ريال، ولم يقبل فيهم شفاعة أستاذهم وشتمه وضربه بالعصا، وأما عرب الجزيرة فإنهم ارتحلوا من أماكنهم.

(وفي شهر شعبان) وقع الاهتمام بسد خليج الفرعونية بسبب احتراق البحر الشرقي ونضوب مائه، وظهرت بالنيل كيمان رمل هايلة من حد المقياس إلى البحر المالح، وصار البحر الغربي سلسول جدول تخوضه الأولاد الصغار، ولا يمر به إلا صغر القوارب، وانقطع الجالب من جميع النواحي إلا ما تحمله المراكب الصغار بأضعاف الأجرة، وتعطلت دواوين المكوس، فأرسلوا إلى سد الترعة رجلًا مسلماني، وصحبته جماعة من الإفرنج، وأحضروا الأخشاب العظيمة ورتبوا عمل السد قريبًا من كفر الخضرة، وركبوا آلات في المراكب ودقوا ثلاث صفوف خوابير من أخشاب طوال، فلما أتموا ذلك كانت الصناع فرغت من تطبيق ألواح في غاية الثخن شبه البوابات العظام، وهي مسمرة بمسامير عظيمة ملحومة بالرصاص وصفايح الحديد مثقوبة بثقوب مقاسة على ما يوازيها من نجوش منجوشة بالخوابير المركوزة في الماء، فإذا نزلوا ببوابة ألحموها بتلك الخوابير وتبعتهم الرجال بالجوابي المملوة بالحصا والرمل من أمام ومن خلف، وتبع ذلك الرجال الكثرة بغلقان الأتربة والطين ففعلوا ذلك حتى قارب التمام، ولم يبق إلا اليسير ثم حصل الفتور في العمل بسبب أن المباشر على ذلك أرسل لمراد بك بالحضور ليكون إتمامها بحضرته، ويخلع عليه ويعطيه ما وعده به من الأنعام، فلم يحضر مراد بك وغلبهم الماء وتلف جانب من العمل.

وكان أيوب بك الصغير حاضرًا وفي نفسه أن لا يتم ذلك لأجل بلاده فأصبح مرتحلًا، وتركوا العمل وانفض الجمع، وقد أقام العمل في ذلك من أوايل شعبان إلى أواسط شوال، ثم نزل إليها جماعة آخرون وطلبوا جملة مراكب موسوقة بالأحجار وشرعوا في عمل سد المكان القديم عن فم الترعة، ودقوا أيضًا خوابير كثيرة وألقوا أحجارًا عظيمة، وفرغت الأحجار فأرسلوا بطلب غيرها فلم تسعفهم القطاعون فشرعوا في هدم الأبنية القديمة والجوامع التي بساحل النيل، وقلعوا أحجار الطواحين التي بالبلاد القريبة من العمل،

واستمروا على ذلك حتى قويت الزيادة ولم يتم العمل، ورجعوا كالأول وذهب في ذلك من الأموال والغرامات والسخرات وتلف من المراكب والأخشاب والحديد ما لا يحد ولا يعد.

(وفي أوايل شوال) ورد الخبر بأن علي بك سافر من عند أحمد باشا الجزار إلى إسلامبول صحبة قبجي معين، فلما قرب من إسلامبول أرسلوا مَن وجهه إلى برصا ليقيم بها ورتبوا له كفايته في كل شهر خمسماية قرش رومي.

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر

مات السيد الإمام العارف القطب عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن إبراهيم بن حسن بن محمد أمين بن علي ميرغني بن حسن بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن يحيى بن عيسى بن أبي بكر بن علي بن محمد بن إسماعيل بن ميرخورد البخاري بن عمر بن علي بن عثمان بن علي المتقي بن الحسن بن علي الهادي، أن محمد الجواد الحسيني المتقي المكي الطايفي الحنفي الملقب بالمحجوب، ولد بمكة وبها نشا وحضر في مباديه دروس بعض علمايها كالشيخ النخلي وغيره.

واجتمع بقطب زمانه السيد يوسف المهدلي، وكان إذ ذاك أوحد عصره في المعارف فانتسب إليه ولازمه حتى رقاه، وبعد وفاته جذبته عناية الحق وأرته من المقامات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فحينئذ انقطعت الوسايط وسقطت الوسايل فكان أويسيًّا تلقيه من حضرة جده ﷺ كما أشار إلى ذلك شيخنا السيد مرتضى عندما اجتمع به بمكة في سنة ثلاث وستين وماية وألف، وأطلعه على نسبه الشريف وأخرجه إليه من صندوق، قال: وطلبت منه الإجازة وإسناد كتب الحديث.

فقال: عني عنه.

قال: فعلمت أنه أويسي المقام، ومدده من جده — عليه الصلاة والسلام — وانتقل إلى الطايف بأهله وعياله في سنة ست وستين وشرف تلك المشاهد ومآثره شهيرة ومفاخره كثيرة، وكراماته كالشمس في كبد السماء، وكالبدر في غيهب الظلماء، وأحواله في احتجابه عن الناس مشهورة، وأخباره في زهده عن الدنيا على ألسنة الناس مذكورة.

ومن مؤلفاته: كتاب فرايض وواجبات الإسلام لعامة المؤمنين. وقد كتب على ظهرها بخطه الشريف:

فروض الدين أنواع وهذا الدر صافيها
فعض بناجذ فيها وقل: يا رب صافيها

وهذه النبذة عجيبة في بابها جامعة مسايل العقايد والفقه، وشرحها شيخنا المذكور شرحًا نفيسًا، ومنها سواد العين في شرف النبيين، ولها قصة في ضمنها كرامة، قال في آخرها إنه فرغ من تأليفها في رجب سنة سبع وخمسين وماية وألف، ومنها السهم الراحض في نحر الرافض، وهذه ألفها بعد خروجه من مكة لقصة جرت بينه وبين أهلها في جمادى سنة ست وستين وماية وألف، ومنها الفروع الجوهرية في الأيمة الاثني عشرية، ومنها الدرة اليتيمة في بعض فضائل السيدة العظيمة، ألفها في سنة أربع وستين وماية وألف وكتبه بخطه الشريف على ظهرها.

لـلـه در مـؤلـف درست به درر الملا
كم درة يتمت به حتى أفاقت للألى
يارب فاعلُ مقامه كالدر في تاج العلا

ومن مؤلفاته: الكوكب الثاقب وشرحه وسماه رفع الحاجب عن الكوكب الثاقب.

وله ديوانان متضمنان لشعره: أحدهما المسمى بالعقد المنظم على حروف المعجم. والثاني عقد الجواهر في نظم المفاخر ومنها المعجم الوجيز في أحاديث النبي العزيز ﷺ اختصره من الجامع وذيله، وكنوز الحقايق والبدر المنير، وهو في أربع كراريس، وقد شرحه العلامة سيدي محمد الجوهري وقراه دروسًا، ومنها شرح صيغة القطب بن مشيش ممزوجًا، وهو من غرايب الكلام، ومنها مشارق الأنوار في الصلاة والسلام على النبي المختار، توفي — رضي الله عنه — في هذه السنة.

ومات الشيخ الفاضل الصالح أحمد بن يوسف الشنواني المصري الشافعي المكنى بأبي العز المكتب الخطاط، ويعرف أيضًا بحجاج، وأمه الشريفة خاصكية ابنة القاضي جلبي بن أحمد العراقي من ذرية القطب شهاب الدين العراقي، دفين شنوان الغرف بالمنوفية، حفظ القرآن وجوده على الشيخ المقري حجازي بن غنام تلميذ الزميلي، وجود الخط المنسوب على الشيخ أحمد بن إسماعيل الأفقم، ومهر فيه وأجيز، فنسخ بيده كثيرًا من المصاحف ونسخ الدلايل، والكتب الكبار، منها الإحياء للغزالي والأمثال للميداني، وانتفع الناس به طبقة بعد طبقة، وفي غضون ذلك تردد على جملة من الشيوخ كالشهابين

الملوي والجوهري، وأخذ عنهما أشيا، والشمس الحفني والشيخ حسن المدابغي ومحمد بن النعمان الطائي في آخرين، وأحبوه وجاور بالحرم سنة ثم عاد إلى مصر ولازم معنا كثيرًا على شيخنا السيد مرتضى في حضور الحديث، فسمع البخاري بطرفيه، ومسلمًا بطرفيه وسنن أبي داود إلى قريب ثلثيه، وغالب الشمايل للترمذي، وثلاثيات البخاري، وثلاثيات الدارمي، والحلية لأبي نعيم من أوله إلى مناقب العشرة، وأجزا كثيرة بحدودها في ضمن إجازته بأسانيدها، وكان نعم الرجل صحبة وديانة وحفظًا للنوادر من الأشعار والحكايات، فمن ذلك ما سمعته من لفظه قال: أنشدني رجل من المغاربة بمكة، وقد أنسيت اسمه للتقي السبكي يمدح الإمام الغزالي وكتابه الإحياء.

لمحمد بن محمد بن محمد — فضل على العلماء بالتمكين
أحيا علوم الدين بعد مماتها — بكتابه إحيا علوم الدين

وأنشدني أيضًا للإمام الغزالي يمدح الإمام الشافعي، رضي الله تعالى عنهما:

إن المذاهب خيرها وأجلها — ما قاله الحبر الإمام الشافعي
فاخترت مذهبه وقلت بقوله — ورجوته يوم القيامة شافعي

وأصيب المترجم بكريمتيه، عوضه الله دار الثواب من غير سابقة عذاب ولا عتاب، توفي سابع عشرين جمادى الأولى من السنة.

ومات الإمام الفقيه المحدث البارع المتبحر عالم المغرب الشيخ أبو عبد الله محمد بن الطالب بن سودة المري الفاسي التاودي، ولد بفاس سنة ثمان وعشرين وماية وألف وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الناصري شارح الاكتفا والشفا ولامية الزقاق وغيرها، والشهاب أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي قرا عليهما الموطأ وغيره، والشهاب أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي قرا عليه المنطق والكلام والبيان والأصول والتفسير والحديث، وكان في أكثرها هو القاري بين يديه مدة مديدة، وأذن له في إقرا الصحيح في حياته فألقى دروسًا بين يديه، وكان يوده ويسر به ويقدمه على ساير الطلبة، ولما توفي ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة خمسة وخمسين وماية وألف بالطاعون، تزاحم ذوو الوجاهات فيمن يلحده في قبره فكان الشيخ هو المتولي لذلك دون غيره، وتلك كرامة له ورضوا بذلك.

قال: وكلَّمته يومًا في شأن الحج متمنيًا له ذلك.

فقال لي مشيرًا إلى شيخه سيدي عبد العزيز الدباغ: إن الناس قالوا لي: جعلناك في حق فلا تخرج من هذه البلدة وأنت ستحج وأعطيك ألف دينار وألف مثقال إن شاء الله تعالى.

قال: ولم تك نفسي تحدثني بالحج يومئذ، ولم يخطر بالبال.

ومنهم الفقيه المتواضع صاحب التآليف أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس لازمه مدة وقرا عليه كتبًا، منها: رسالة ابن أبي زيد ومختصر خليل ثلاث ختمات مع مطالعة شروح وحواش والحكم والشمايل (للترمذي)، وجميع الصحيح من غير فوت شي منه.

ومنهم حافظ المذهب الفقيه القاضي أبو البقا يعيش بن الزغاوي الشاوي، قرا عليه رجز بن عاصم ولامية الزقاق وطرفًا من الصحيح، توفي سنة خمسين وماية وألف، كان منزله بالدوخ في أطراف المدينة، فنزل به اللصوص ليلًا فدافع عن حريمه وقاتلهم حتى قتل شهيدًا، رحمه الله.

ومنهم قاضي الجماعة ومفتي الأنام أبو العباس أحمد بن أحمد الشدادي الحسني، قرا عليه المختصر الخليلي من أوله إلى الوديعة أو العارية، وسمع عليه بعض التفسير من أوله.

ومنهم الفقيه الزاهد القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد التماق، قرا عليه رسالة ابن أبي زيد والحكم والتفسير من أوله إلى سورة النسا.

ومنهم الإمام الناسك الزاهد أبو عبد الله محمد بن جلون، قرا عليه الآجرومية وختم عليه الألفية مرتين والمختصر الخليلي من أوله إلى اليمين، ولم يكن له نظير في الضبط والاتقان والتحرير، وهو أول شيخ أخذ عليه، وذلك قبل البلوغ وكان إذا قام من درسه عرض على نفسه ما قاله فيجده لا يدع منه حرفًا واحدًا.

ومنهم سيبويه زمانه أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن الجندوز، قرا عليه الألفية فكان يملي من حفظه في أثنايه الشروح والحواشي وشروح الكافية والتسهيل والرضى والمعنى والشواهد وغير ذلك مما يستجاد ويستغرب، وقرا عليه السلم والتخليص، ومن إنصافه أنه لما قرب أواخره بلغه أن الشيخ ابن مبارك يريد أن يقراها فقام مع جماعة وذهب إليه ليسمع منه، وهذا من حسن إنصافه واعترافه بالحق.

ومنهم أبو العباس أحمد بن علال الوجاري قرا عليه الألفية بلفظه ثلاث مرات وشيًّا من التسهيل والمغني، وقد ذكر له بعض الشيوخ عن ابن هشام أنه قرا الألفية ألف مرة، فقال له بعض من سمعه: وكم قرأتها؟ قال: أما الماية فجزتها فهولا عشرة شيوخ، كذا لخصتها من إجازة المترجم للشيخ أحمد بن علي بن عبد الوهاب بن الحاج الفاسي في تاسع جمادى الثانية سنة ثلاث وألف، وعقد وحج المترجم فقدم مصر سنة إحدى وثمانين ورجع سنة اثنتين وثمانين وماية وألف درسًا حافلًا بالجامع الأزهر برواق المغاربة، فقرا الموطأ بتمامه وحضره غالب الموجودين من العلما، وأجاد في تقريره وأفاد، وسمع عليه الكثير أوايل الكتب الستة والشمايل والحكم وغيرها وأجاز، ولقي بمكة أبا زيد عبد الرحمن بن أسلم اليمني، وأبا محمد حسين بن عبد الشكور صاحب الشيخ عبد الله الميرغني، والشيخ إبراهيم الزمزمي وغيرهم، وبالمدينة أبا عبد الله محمد بن عبد الكريم السمان، وأبا الحسن السندي، وعبد الله جعفر الهندي وغيرهم وأجازوه وأجازهم، وعاد إلى مصر واجتمع بأفاضلهم كالجوهري والصعيدي، وحسن الجبرتي والطحلاوي، والسيد العيدروس، والشيخ محمود الكردي، وعيسى البراوي، والبيومي والعريان وعطية الأجهوري، وكان صحبته ولداه سيدي محمد وهو الأكبر، وسيدي أبو بكر خالي العذار جميل الصورة، وتردد على الشيخ الوالد كثيرًا، وتلقى عنه بعض الرياضيات، وترك عنده ولديه المذكورين مدة إقامته بمصر، فكنا نطالع معهما سوية صحبة الشيخ سالم القيرواني، والشيخ أحمد السوسي ونسهر غالب الليل نراعي المطالع والمغارب وممرات الكواكب بالسطح حذا خيط المساترة، ونراجع الشيخ فيما يشكل علينا فهمه، وهو معنا في ناحية أخرى، وأوقفت سيدي أبا بكر على طريق رسم ربع الدايرة المقنطر والمجيب، وتوفي سيدي محمد بفاس سنة ثلاث وتسعين وماية وألف، وأرخه أخوه سيدي أبو بكر بقوله كما أملانيه من لفظه لما حضر صحبة الركب سنة خمس ومايتين وألف.

في رجب عام زج لحْدا تفديه نفسي لو كان يفدا

ومن تآليف المترجم حاشية على البخاري في أربعة مجلدات، وحاشية على الزرقاني شارح خليل، وشرحان على الأربعين النووية، ومناسك حج، وشرح الجامع لسيدي خليل، وشرح تحفة ابن عاصم في القضاء، والأحكام والمنحة الثابتة في الصلاة الفايتة، وفتح المتعال فيما ينتظم منه بيت المال، وحاشية على ابن جزي المفسر، وحاشية على البيضاوي لم تكمل، وشرح المشارق للصاغاني ومنظومة فيما يختص بالنسا أولها:

الحمد لله العلي الصمدِ ثم صلاته على محمدِ
وبعد فالقصد بهذا النظم تحصيل نبذة من المهم

إلى أن قال:

الـدم صـفـرة وكـدرة تـرى من قبل من تحمل حيض قد جرى
مـثـل أقـل الـطـهـر والـمـعـتـادة عـادتـهـا تـمـكـث مـع زيـاده
ثـلاثـة إن لـم تـجـاوز أكـثـره وبـعـد طـاهـر لـدى مـن حـرره

إلى آخرها، وكلفه سلطان المغرب خطة القضا في سنة ثلاث ومايتين وألف، فقبلها كرهًا، وكانت فتاويه مسددة، وأحكامه مؤيدة مع غاية التحرز والصيانة والإتقان، وبالجملة فكان عين الأعيان في عصره ومصره شهير الذكر وافر الحرمة مهيب الصورة يغلب جلاله على جماله، قليل التبسم، ولما توفي مولاي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده فاجتمع الخاصة والعامة على رأي المترجم، فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمر بشرط السير على الخلافة الشرعية والسنن المحمدية، وبايعه الكافة بعده على ذلك، وعلى نصرة الدين وترك البدع والمظالم والمكوس والمجارم، وكان كذلك، ولم يزل المترجم على طريقته الحميدة حتى توفي في هذه السنة، وتوفي بعده ابنه سيدي أبو بكر في سنة عشر ومايتين وألف.

ومات الإمام العلامة والوجيه الفهامة الشيخ أحمد بن محمد بن جاد الله بن محمد الخناني المالكي البرهاني، وجده الأخير يعرف بأبي شوشة، وله مقام يزار بأم خنان بالجيزة، نشا في طلب العلم وحضر أشياخ الوقت، ولازم السيد البليدي وصار معيدًا لدروسه بالأزهر والأشرفية، وانتفع بملازمته له انتفاعًا كليًّا، وانتسب إليه وأجازه إجازة مطولة بخطه ونوه بشأنه، فلما توفي شيخه المذكور تصدر لإقرا الحديث مكانه بالمشهد الحسيني، واجتمع عليه الناس وحضره من كان ملازمًا لحضور شيخه من تجار المغاربة وغيرهم، واعتقدوا صلاحه وتحبب إليهم وواسوه بالصلات والزكوات والنذور، وواظب الإقرا بالأزهر أيضًا، وزيارة مشاهد الأوليا وإحيا لياليها بقراة القرآن والذكر، ويقوم دايمًا من الثلث الأخير من الليل ويذهب إلى المشهد الحسيني ويصلي الصبح بغلس في جماعة وزاد اعتقاد الناس فيه، واتسعت دنياه مع المداومة على استجلابها وإمساكها، وبآخره اشترى دارًا عظيمة بحارة كتامة المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الأزهر، وانتقل إليها

وسكنها، وكان يخرج لزيارة قبور المجاورين في كل يوم جمعة قبل الشمس، فنزل العرب في بعض الجميع إلى بين الكيمان فأراد الهروب وكان جسيمًا فسقط من على بغلته على خربته فانكسر زره، وحمل إلى داره وعالج نفسه شهورًا حتى عوفي قليلًا، ولم يزل تعاوده الأمراض حتى توفي رحمه الله، وما رأيته قط إلا وهو يتلو قرآنًا أو يطالع كتابًا، سامحه الله تعالى.

ومات الإمام الفاضل الصالح النجيب المفوه الناجح الشيخ محمد بن داود بن سليمان بن أحمد بن خضر الخربتاوي المالكي الأزهري، قرا على والده، وحضر دروس شيخنا الشيخ علي العدوي الصعيدي وبه تخرج وأنجب في العلوم، وله سليقة جيدة في النثر والنظم، وحصل كتبًا نفيسة المقدار زيادة على الذي ورثه من والده، وله محبة في آل البيت ومدايح كثيرة وهو ممن قرظ على شرح القاموس لشيخنا السيد محمد مرتضى تقريظًا بديعًا وهو:

> أحمد من أبدى من صنايع الحكم محكم المصنوعات، وأسدى من سوابغ النعم أنواع المبدعات، سبحانه من إله أفاض علينا جوده وأفضاله، وأزال عن قلوبنا رين الرين والجهالة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذي خص بجوامع الكلم ومجامع الحكم، وعموم الرسالة ﷺ وعلى آله وأصحابه ذوي الإحسان والجلالة، وبعد فلما مَنَّ الله على العبد الضعيف بالإطلاع على هذا الشرح الشريف المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس الذي ألفه أعلى أرباب الكمال والكلام لسان الحق الناطق ببيان الحلال والحرام يد الزهادة ومنهج الطريقة، فهو السري بل البرهان على الحقيقة، من سلك مسالك التحقيق، وتتبع مواضع الفصل والتدقيق، حتى فاز من بغيته بالسهم المعلى وجليت عليه غواني المعاني فتملى وتحلى، أعني به سيدي ومولاي ومالك أزمة ولاي، من هو لِي عمدتي ومعيني السيد محمد مرتضى الحسيني أدام الله للعالمين أنسه، وأشرق عليهم في هذا الوجود بجوده شمسه، وكان — حفظه الله — قد أشار بوقوفي على هذا الطراز المحلى والقدح المعلى، وأن أكتب عليه بما تسمح به القريحة الخايفة لقصورها من الفضيحة، فنظرت فعلمت أن ذلك سبيل ليس لمثلي أن يسلكه، ولا لمن كان على قدري أن يقود زمامه ويملكه، سيَّما وقد قرظ عليه فحول الأيمة الأعيان الذين تعقد عليهم الخناصر في كل زمان ومكان، فأحجمت من ذلك إحجامًا مخافة

واحتشامًا، ثم علمت أن أمره قد ورد على سبيل الإيجاب، وأن قاضي الإنصاف لا يرضى إلا بشهادة الحق وقول الصواب، فأقدمت بعد الجموح، ودخلت إلى رحبات التوكل من باب الفتوح، وتأملت ما فيه من العجب العجاب، وتذكرت قول العلي الوهاب في محكم الكتاب: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وقلت فيه الحال معتمدًا على الملك المتعال:

تاج العروس الذي أبداه سيدنا   المرتضى العالم النحرير ذو الهمم
لما بدا أرخص التيجان كلهم   لما حوى من عظيم الفخر والشيم
وأجمع أهل الهدى أن لا نظير له   من التآليف في عُرْبٍ وفي عجم

ثم غلب عليَّ الرشد أن أحذو حذو شيخنا محيي النفوس سيدي العيدروس، فقلت وعلى الله توكلت:

صاح إن شئت كل علم نفيس   فانظرن ما حواه تاج العروس
شرح شيخ الإسلام تاج المعالي   مرتضى العارفين رأس الرءوس
سيد الأكملين أعظم شهم   حاز فضلًا قد جل عن تقييس
شرحه الجامع المهذب أبدى   من خبايا العلوم ما قد تنوسي
قلت لما رأيته: يا ابن ودي   نشر روض أم ذاك عطر عروس
أم حياة النفوس من أسكرتني   بسلاف من ريقها المأنوس
بنت سبع وأربع وثلاث   إن تجلت أزرت ضياء الشموس
قال: هذي لآلئ قد جلاها   ماجد عارف زكي الغروس
بحر بر البيان رب المعاني   حبر علم البديع محيي النفوس
وهو نجل الزهراء وابن حسين   وعلي أكرمْ بهم من هموس
وهو في الزهد كابن أدهم حقًّا   وهو في العلم كالإمام السنوسي
يا ابن طه يا مرتضى يا كريمًا   دعوة دعوة تزيل نحوسي
نجدة نجدة فقد ضاق صدري   من زمان مقلب معكوس
ليس يخفاك والدي وعلاه   في مقام التأليف والتدريس
وعلو الإسناد ذاك شهير   عند أهل الكمال بالعيدروسي

سيدي والدي صديقي عزيزي   من على بابه طروق الرءوس
فبحق الشيخين يا خير شهم   دعوة عليها تضيء شموسي
أنت حصني الحصين يا ابن حسين   في مقامي ورحلتي وجلوسي
كيف أخشى العدا وأنت ملاذي   أو أخاف الردى وأنت أنيسي
دمت في عزة وفتح ونصر   من إله مهيمن قدوس
وصلاة مع السلام دوامًا   تغش طه النبي تاج العروس
ما غدا قائلًا أسير ذنوب: صاح إن شئت كل علم نفيس

وفي آخره كتبه خجلًا وجلًا مرتجي غفر المساوي الفقير الحقير محمد بن داود الخبرتاوي المالكي، في عاشر شهر رجب الفرد سنة أربع وثمانين وماية وألف.

ولم يزل المترجم مقبلًا على شأنه مواظبًا على دروسه، حتى توفي في هذه السنة، رحمه الله.

ومات الأجل الصالح الناسك المسلك العارف الشيخ محمد بن عبد الحافظ أفندي أبو ذاكر الخلوتي الحنفي أخذ الطريق عن السيد مصطفى البكري والشيخ الحفني، وحضر الفقه على العلامة الشيخ محمد الدلجي، والشيخ أحمد الحماقي وأدرك الإسقاطي والمنصوري، ولم يتزوج قط، وكف بصره سنة إحدى وثمانين وماية وألف، وانقطع في بيته إحدى وعشرين سنة بمفرده، وليس عنده قريب ولا غريب، ولا جارية ولا عبد ولا من يخدمه في شي مطلقًا، وبيته متسع جهة التبانة، وبابه مفتوح دايمًا وعنده الأغنام والدجاج والأوز والبط، والجميع مطلوقون في الحوش وهو يباشر علفهم وإطعامهم وسقيهم الماء بنفسه، ويطبخ طعامه بنفسه، وكذلك يغسل ثيابه واشتهر في الناس بأن الجن تخدمه؛ وليس ببعيد لأنه كان من أهل المعارف والأسرار.

ويأتي إليه الكثير من الطلبة للأخذ عنه والتلقي منه، وكان له يد طولى في كل شي، ومشاركة جيدة في العلوم والمعارف والأسما والروحانيات والأوفاق واستحضار تام في كل ما يسال عنه، وعنده عدة كثيرة من السنانير ويعرفها بالواحدة بأسمايها وأنسابها وألوانها، ويقول: هذه تحفة بنت بستانة، وهذه كمونة بنت ياسمين، وهذه فلانة أخت فلانة، إلى غير ذلك. توفي — رحمه الله تعالى — في شهر شوال من هذه السنة.

ومات الإمام العلامة والرحالة الفهامة المتقدم الشيخ مصطفى المرحومي الشافعي ولد بمحلة المرحوم بالمنوفية، وقرأ القرآن وحفظه وجوده، وحضر إلى مصر وحفظ المتون وتفقه على الأشياخ المتقدمين كالدفري والمدابغي والشيخ علي قايتباي والملوي والحفني

وغيرهم، ومهر في المعقول والمنقول، وأملى الدروس بالأزهر وجامع أزبك وانتفع به الناس، وكان يتردد إلى بيوت بعض الأعيان ويحبونه ويكرمونه ويستفيدون من فوايده ونوادره، وكان له حافظة واستحضار للمناسبات والأشعار واللطايف لا يمل حديثه ومفاكهته، توفي في هذه السنة، رحمه الله.

ومات الإمام العلامة الفقيه النحوي الأصولي الجدلي النحرير الفصيح المتقن المتفنن الشيخ علي الشهير بالطحان الأزهري المصري، حضر شيوخ العصر ولازم الشيخ الملوي والجوهري وكان معيدًا لدروس الأخير وبه تخرج، وكان يقرا الكتب ويقرر الدروس بدون مطالعة، إلا أنه كان يغلب عليه الملل والسآمة وحب البطالة غالب أيامه، ولا يتعفف عن الدنيا من أي وجه كان، ويطلبها وإن قلت، وكانت سليقته جيدة في النثر والنظم، وله منظومة في الفقه، ومنظومة في المنطق ومنظومتان في التوحيد كبرى وصغرى، ومنظومة في العروض، ومنظومة في البيان، ومنظومة في الطب، وله لاميتان على محاكاة لامية بن الوردي كبرى وصغرى، وحاشية على شرح الملوي على السمرقندية، توفي في أواخر شعبان من السنة.

ومات الإمام العلامة النبيه الوجيه الفاضل المستعد الشيخ يوسف بن عبد الله بن منصور السنبلاويني الشهير برزة الشافعي، تفقه على بلديه الشيخ أحمد رزة، وحضر دروس الشيخ الحفني، والشيخ البراوي، والشيخ عطية والشيخ الصعيدي وغيرهم من الأشياخ، وأنجب ودرس وأفاد ولازم الإقرا، وكان إنسانًا وجيهًا محتشمًا ساكن الجأش وقورًا بهي الشكل قانعًا بحاله لا يتداخل كغيره في أمور الدنيا، مجمل الملابس لا يزيد على ركوب الحمار في بعض الأحيان لبعض الأمور الضرورية، ولم يزل حتى تعلل وتوفي في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

ومات العلامة المفيد المفوه المجيد الشيخ عبد الرحمن بن علي بن الإمام العلامة عبد الرءوف البشبيشي، نشأ في حجر والده وحفظ القرآن وحضر الأشياخ، وتفقه في مذهب أبيه وجده، وهم شافعيون واجتمع بالشيخ الوالد ولازمه ملازمة كلية وحضر عليه في مذهب أبي حنيفة، وحفظ كثيرًا من الفروع الغريبة في المذهب والرياضيات، وأقراني في حال الصغر شيًّا من القرآن وحروف الهجا، وكان به بعض رعونة فانتقل إلى مذهب أبي حنيفة وأخبر الوالد بذلك يظن سروره في انتقاله، فلامه على فعله وسمعته يقول له:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وانحط قدره عنده من ذلك الوقت، وذلك بعد موت والده في سنة سبع وثمانين وماية وألف، وأملق حاله وتكدر باله وسافر بآخرة إلى دمياط وأقام بها مدة يفتي على مذهب الحنفية، وراج أمره هناك لشغور الثغر عن مثله ثم قدم مصر لأمر عرض له فأقام بمصر، وأراد بيع داره ليصرف ثمنها في شئونه فلم يجد من يشتريها بالثمن المرغوب، وكان إنسانًا حسنًا يذاكر بفوايد مع حسن المعرفة وصحة الذهن، وربما تعلق ببعض فنون غريبة ولذا قل حظه، وأنشدني لنفسه أبياتًا مدح بها قاضي الثغر واسمه محمد نصري، وبيت تاريخها هذا:

رجاء مذهب النعمان أرخ   بشرع محمد نصري مقدم

وهما تاريخان كما ترى، توفي — رحمه الله — في هذه السنة وحيدًا في داره وهو جالس.

ومات المجذوب المعتقد السيد علي البكري أقام سنينًا متجردًا ويمشي في الأسواق عريانًا ويخلط في كلامه، وبيده نبوت طويل يصحبه معه في غالب أوقاته، وقد تقدم ذكره وذكر المرأة التي تبعته المعروفة بالشيخة أمونة، وكان يحلق لحيته، وللناس فيه اعتقاد عظيم وينصتون إلى تخليطاته ويوجهون ألفاظه ويؤولونها على حسب أغراضهم ومقتضيات أحوالهم ووقايعهم، وكان له أخ من مساتير الناس فحجر عليه ومنعه من الخروج وألبسه ثيابًا ورغب الناس في زيارته وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته، فأقبل الناس عليه من كل ناحية وترددوا لزيارته من كل جهة، وأتوا إليه بالهدايا والنذور، وجروا على عوايدهم في التقليد، وازدحم عليه الخلايق وخصوصًا النسا فراج بذلك أمر أخيه، واتسعت دنياه ونصبه شبكة لصيده ومنعه من حلق لحيته فنبتت وعظمت وسمن بدنه وعضم جسمه من كثرة الأكل والراحة، وقد كان قبل ذلك عريانًا شقيانًا يبيت غالب لياليه بالجوع طاويًا من غير أكل بالأزقة في الشتا والصيف، وقيد به من يخدمه ويراعيه في منامه ويقظته وقضا حاجتِه، ولا يزال يحدث نفسه ويخلط في ألفاظه وكلامه وتارة يضحك وتارة يشتم، ولا بد من مصادفة بعض الألفاظ لما في نفس بعض الزايرين وذوي الحاجات، فيعدون ذلك كشفًا واطلاعًا على ما في نفوسهم وخطرات قلوبهم، ويحتمل أن يكون كذلك فإنه كان من البله المجاذيب المستغرقين في شهود حالهم، وسبب نسبتهم هذه أنهم كانوا يسكنون بسويقة البكري لا أنهم من البكرية، ولم يزل هذا حاله حتى توفي في هذه السنة واجتمع الناس لمشهده من كل ناحية، ودفنوه بمسجد الشرايبي

بالقرب من جامع الرويعي في قطعة من المسجد، وعملوا على قبره مقصورة ومقامًا يقصد للزيارة، واجتمعوا عند مدفنه في ليال وميعادات وقرًّا ومنشدين وتزدحم عنده أصناف الخلايق ويختلط النسا بالرجال، ومات أخوه أيضًا بعده بنحو سنتين.

ومات الوجيه المكرم والنبيه المفخم مصطفى بن صادق أفندي اللازجي الحنفي، ولد سنة أربع وسبعين وماية وألف ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن وبعض المتون في صغره، وحفظ البرجلي والشاهدي ومهر في اللغة التركية وتفقه على أبيه، وقرا عليه علم الصرف وحضر على بعض الأشياخ، ولازم الشيخ محمد الفرماوي وأخذ عنه النحو، وقرأ عليه مختصر السعد وغيره برواق الجبرت بالأزهر، ثم تصدر للإفادة والمطالعة لطلبة الأتراك المجاورين برواق الأروام، ولبس له تاجًا وفراجة، وعمل له مجلس وعظ على كرسي بالجامع المؤيدي، وذلك قبل نبات لحيته، وكان وسيمًا جسيمًا بهي الطلعة أبيض اللون رابي البدن فاجتمع لسماع وعظه ومشاهدة ذاته كثير من أبناء العرب والأتراك والأمرا والأجناد، فيقرر لهم بالعربي والتركي بفصاحة وطلاقة لسان، وممن كان يحضره علي أغا مستحفظان وهام فيه وأحبه وصار يتردد إليه كثيرًا، ويذهب هو أيضًا إلى داره كثيرًا كما قيل في المعنى.

بروحي واعظًا كالبدر حسنًا	بديع ملاحة ساجي اللواحظ
ولا عجب به إن همت وجدًا	فكم قد هام ذو وجد بواعظ

وكان والده متوليًا على وقف إسكندر ومشيخة التكية بباب الخرق، فكان هو المتكلم على ذلك عوضًا عن أبيه، واتفق أنه حاسب المباشر على ذلك، وهو الشيخ أحمد الصفطه وطالبه بما تأخر عليه فماطله فأغرى به علي أغا المذكور، فطلب الشيخ أحمد المذكور ونكل به وأشهره وعلقه على شباك السبيل بباب الخرق بقاووقه وهيئته، واجتمع الناس للفرجة عليه يومًا كاملًا ثم أطلقه فاشتهر أمر المترجم وهابه الناس، وأكثر من الترداد إلى بيوت الأمرا وعظموه وأحبوه وأكرموه، لاتحاد الجنسية وارتباط الحيثية، ولما توفي مصطفى أفندي شيخ رواقهم انتبذ هو لطلب المشيخة، وذهب إلى مراد بك فألبسه فروة على مشيخة الرواق فتعصب أهل الرواق وأبوا مشيخته عليهم لحداثة سنه، واجتمعوا وذهبوا إلى مراد بك فزجرهم ونهرهم وطردهم فرجعوا بقهرهم وسكتوا، واستمر شيخًا عليهم يأتي إلى الرواق في كل يوم ويقرأ لهم الدرس كما كان من قبله، واشتهر ذكره وعظمت لحيته وصار ذا وجاهة عظيمة وسكن دارًا عظيمة جهة التبانة من وقف

رواقهم، ودعا إليه الأعيان والأكابر، وعمل لهم ولايم وقدم لهم التقادم والهدايا، واحتفل به مصطفى أغا الوكيل وسعى له في أشغاله وكاتب الدولة في شأنه فأرسلوا له مرتبًا بالضربخانة وقدره ماية وخمسون نصفًا في كل يوم، واتسع حاله وأقبلت عليه الدنيا من كل جهة، ومات أبوه في سنة أربع ومايتين وألف، وكان ذا مكنة وحرص، فأحرز مخلفاته أيضًا وباع تركته وكان سليط اللسان في حق الناس، فاتفق له أنه لما حضر حسن باشا إلى مصر فحضر مرة إلى زيارة المشهد الحسيني، وجلس مع الشيخ السادات والشيخ البكري فدخل عليهم المترجم فجلس هنيهة ثم قام، فسأل عنه حسن باشا فأخبره الشيخ السادات عن أحواله وتكلمه في حق الناس؛ فأمر بنفيه فانزعج عليه والده، ثم ذهب إلى حسن باشا وكلمه فرق له ورحم شيبته وأمر برد ابنه، فرجع من ليلته ولم يزل يسعى ويتحيل حتى أحضر حسن باشا إلى داره وجدد معه صداقة وصحبة حتى كاد يأخذه صحبته، ولم يزل في فوعته وفورته حتى غار ماء حياته وانغلق عن الفتح باب قبره عند مماته، وهو مقتبل الشبيبة في هذه السنة.

ومات الشيخ المحترم المبجل الشيخ أحمد بن الإمام العلامة سالم النفراوي المالكي، نشا في حجر والده في رفاهية وتنعم ورياسة، ولما مات والده تعصب له الشيخ عبد الله الشبراوي وحاز له وظايف والده وتعلقاته وأجلسه للإقرا في مكان درس أبيه، وأمر جماعة أبيه بالحضور عليه وكان الشيخ علي الصعيدي من أكبر طلبة أبيه فتطلع للجلوس في محله، وكان أهلًا لذلك فعارضه الشيخ الشبراوي وأقصاه وصدر ولده لذلك مع قلة بضاعته ولثغة في لسانه، فحقد ذلك في نفس الشيخ الصعيدي سنينًا وكان المترجم ذا دهاء ومكر وتصدى للقضايا والدعاوي، واتخذ له أعوانًا واشتهر ذكره، وعد من الكبار وترددت إليه الأمرا والأعيان، وصار ذا صولة وهيبة، ولما ظهر شأن علي بك كان يرعى له حقه وحالته التي وجده عليها ويقبل شفاعته ويكرمه حتى إنه كان يأتي إليه بداره التي بالجيزة فلما مات علي بك، وانتقلت الرياسة إلى محمد بك وكان له عناية بالشيخ الصعيدي ويسمع لقوله، وكان السيد محمد بدوي بن فتيح القباني مباشر لمشهد الحسيني يعلم كراهة الشيخ الصعيدي الباطنية للمترجم فيرصد الوقت الذي يحضر فيه الشيخ الصعيدي عند الأمير، ويفتح مذاكرته والتكلم في حقه فيساعده الشيخ ويظهر المكمون في نفسه من المترجم، ويذكرون مساويه وقبايحه وما بيده من الوظايف بغير حق وما تحت نظارته من الأوقاف المتخربة حتى أوغروا صدر الأمير عليه فنزع منه وظايفه وفرقها على من أشاروا عليه بتقليده إياها وأهانه، فعند ذلك تسلطت

عليه الألسن وكثرت فيه الشكاوى، وتجاسر عليه الأنذال، وتطاول عليه الأرذال، وهدموا بيته الذي بالجيزة؛ لأنه كان تعدى في بنايه وأخذ قطعة من الطرق التي يسلك منها الناس، فعند ذلك خمل ذكره وبرد أمره، استمر على ذلك حتى توفي في هذه السنة، غفر الله له وسامحه بمنه وكرمه.

سنة ثمان ومايتين وألف

فيها أوفى النيل أذرعه في سادس عشر المحرم الموافق لثامن عشر مسرى القبطي وأول برج السنبلة، وفيها انحلت الأسعار وبورك في رمي الغلال حتى أن الفدان الواحد زكا بقدر خمسة أفدنة، وبلغ النيل إلى الزيادة المتوسطة وثبت إلى أول بابَه، وشمل الماء غالب الأرض بسبب التفات الناس لسد المجاري وحفر الترع وإصلاح الجسور.

(وفي أوايل شهر صفر) وصل قابجي من الديار الرومية بطلب مال المصالحة والحلوان، فأنزلوه في دار وهادوه ورتبوا له مصروفًا.

(ومن الحوادث) أن الناس انتظروا جاويش الحاج وتشوقوا لحضوره، ولم يذهب إليهم في هذه السنة ملاقاة بالوش ولا بالأزلم، وأرسل إبراهيم بك هجانًا يستخبر عن الحجاج فذهب ورجع ليلة الثالث والعشرين من شهر صفر، وأخبر أن العرب تجمعوا على الحج من ساير النواحي عند مغاير شعيب، ونهبوا الحجاج وكسروا المحمل وأحرقوه، وقتلوا غالب الحجاج والمغاربة معهم، وأخذوا أحمالهم ودوابهم ونهبوا أثقالهم وانجرح أمير الحج وأصابه ثلاث رصاصات، وغاب خبره ثلاثة أيام ثم أحضره العرب وهو عريان في أسوأ حال، وأخذوا النسا بإجمالهن، والذي تبقى منهم أدخلوه إلى قلعة العقبة وتركهم الهجان بها من غير ماء ولا زاد، فنزل بالناس من الغم والحزن تلك الليلة ما لا مزيد عليه، ثم إنهم عينوا محمد بك الألفي وعثمان بك الأشقر ليسافرا بسبب ذلك، فخرجا في يوم الخميس سابع عشرين صفر وخطف أتباعهم في ذلك اليوم ما صادفوه من الجمال والبغال والكعك والعيش من الباعة، وفي يوم خروجهم وصل جماعة من الحجاج ودخلوا في أسوأ حال من العري والجوع والتعب، فلما وصلوا إلى نخل تلاقوا مع باقي الحجاج على مثل ذلك، ووجدوا أمير الحاج وذهب إلى غزة وصحبته جماعة من الحجاج وأرسل يطلب الأمان، ولم يزوروا المدينة في هذه السنة وأرسل من صرة المدينة اثنين وثلاثين

ألف ريال مع عرب حرب، وضاع في هذه الحادثة من الأموال والمحزوم شي كثير جدًّا، وأخبروا أن موسم هذا العام كان من أعظم المواسم لم يتفق مثله من مدة مديدة.

(وفي يوم الاثنين غرة ربيع الأول) دخل باقي الحجاج على مثل حالة من وصل منهم قبل ذلك.

(وفي صبحها يوم الثلاثا) عملوا الديوان بالقلعة واجتمع الأمرا والوجاقلية والمشايخ وقري المرسوم الذي حضر بصحبة الأغا، فكان مضمونه طلب الحلوان والخزينة، وقدر ذلك تسعة آلاف وأربعماية كيس وعشرة آلاف وخمسة وأربعون نصفًا فضة تسلم ليد الأغا المعين من غير تأخير.

وفيه عملوا على زوجات أمير الحاج ثلاثين ألف ريال، وأرسلوا إلى بيت حسن كاشف المعمار فأخذوا ما فيه من الغلال وغيرها؛ لأنه قتل في معركة العرب مع الحجاج، وألبسوا زوجته الخاتم قهرًا عنها ليزوجوها لمملوك من مماليك مراد بك، وهي بنت علي أغا المعمار، ووجدت على زوجها وجدًا عظيمًا، وأرسلت جماعة لإحضار رمته من قبره الذي دفن فيه في صندوق على هيئة تابوت.

وفيه شرع الأمرا في عمل تفريدة على البلاد بسبب الأموال المطلوبة وقرروها: «عالٍ وهو أربعماية ريال ووسط ثلثماية والدون ماية وخمسون»، وكتبوا أوراقها على الملتزمين ليحصلوها منهم.

(وفي يوم الخميس) سافر حسن كتخدا أيوب بك بأمان لعثمان بك ليحضره من غزة، ووصل المتسفرون بجثة حسن كاشف المعمار.

(وفي عشرين جمادى الأولى) وصل عثمان بك طبل الإسماعيلي أمير الحاج إلى مصر مكسوف البال ودخل إلى بيته.

وفيه حضر الصدر الأعظم يوسف باشا إلى الاسكندرية؛ ليتوجه إلى الحجاز فاعتنى الأمرا بشأنه وأرسلوا له ملاقاة وتقادم وهدايا وفرشوا له قصر العيني، ووصل إلى مصر وطلع من المراكب إلى قصر العيني وأرسلوا له تقادم وضيافات ثم حضروا للسلام عليه في زحمة وكبكبة، فخلع على إبراهيم بك ومراد بك خلعًا ثمينة، وقدم لهما حصانين بسرجين مرختين، ثم نزل له الباشا المتولي محمد عزت باشا بعد يومين وسلم عليه ورجع القلعة، وأقاموا لخفارته عبد الرحمن بك الإبراهيمي، جلس بالقصر المواجه لقصر العيني وقد تخيلوا من حضوره وظنوا ظنونًا.

(وفي يوم الأحد ثالث جمادى الثانية) طلع يوسف باشا إلى القلعة باستدعاء من الباشا المتولي، فجلس عنده إلى بعد الظهر ونزل في موكب حافل إلى محله بقصر العيني،

وأرسل له إبراهيم بك ومراد بك مع كتخدايهم هدية وهي: خمسماية إردب قمح وماية إردب أرز وتعبيات أقمشة هندي وغير ذلك، وأقام بالقصر أيامًا وقضوا أشغاله وهيئوا له اللوازم والمراكب بالسويس، وركب في أواسط جمادى الثانية وذهب إلى السويس ليسافر إلى جدة من القلزم، وانقضت هذه السنة وحوادثها واستهلت الأخرى.

وأما من مات فيها من الأعيان ومن سارت بذكرهم الركبان

فمات نادرة الدهر وغرة وجه العصر، إنسان عين الأقاليم فريد عقد المجد النظيم، جامع الفضايل والمحاسن، ومظهر اسم الظاهر والباطن، من لبس رداء النجابة في صباه، ولاح عنوان المكارم على صحايف علاه، ولم تقصر عليه أثواب مجده التي ورثها عن أبيه وجده، فعلى جبينه نور النسب يخبر أن خلف الدخان لهب، شعر:

مستيقظ الحزم واري العزم ثاقبه   همومه حين يتلوهن همات
صافي الطوية من غل يكدرها   وأول المجد أن تصفو الطوايات

الحسيب النسيب والنجيب الأريب السيد محمد أفندي البكري الصديقي، شيخ سجادة السادة البكرية ونقيب السادة الأشراف بمصر المحمية، تقلد بعد والده المنصبين وورث عنه السيادتين، فسار فيهما سيرة الملوك ونثر فرايد المكارم من أسلاك السلوك، فجوده حدث عن البحر ولا حرج، وبراعة منطقه تنتج سلب الألباب والمهج، مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الأبصار، وفيض نوال تضطرب لغيرتها منه البحار، وقد اجتمع فيه من الكمال ما تضرب به الأمثال، وأخباره غنية عن البيان مسطرة في صحف الإمكان، زمانه كأنه عروس الفلك، فكم قال له الدهر: أما الكمال فلك، ولم يزل كذلك إلى أن آذنت شمسه بالزوال وغربت بعدما طلعت من مشرق الإقبال، وقطفت زهرة شبابه وقد سقتها دموع أحبابه، ورثاه الألمعي الفاضل السيد عبد الله المرازيقي وأرخه بقوله:

لقد مات من كانت موارد فضله   تعم جميع الخلق في القرب والبعد
محمد البكري من فاز وارتقى   كما بشر التاريخ في جنة الخلد

وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع الثاني، وخرجوا بجنازته من بيتهم بالأزبكية، وصُلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن عند أجداده بجوار الإمام الشافعي رضي الله عنه، وبالجملة فهو كان مسك الختام، قلما تسمح بمثله الأيام، ولما مات تولى سجادة الخلافة البكرية ابن خاله سيدي الشيخ خليل أفندي، وتقلد النقابة السيد عمر أفندي الأسيوطي، شعر.

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفِّرِ

ومات علامة العلوم والمعارف، وروضة الآداب الوريقة، وظلها الوارف جامع المزايا والمناقب شهاب الفضل الثاقب الإمام العلامة الشيخ أحمد بن موسى بن داود أبو الصلاح العروسي الشافعي الأزهري، ولد سنة ثلاث وثلاثين وماية وألف، وقدم الأزهر فسمع على الشيخ أحمد الملوي الصحيح بالمشهد الحسيني، وعلى الشيخ عبد الله الشبراوي الصحيح والبيضاوي والجلالين، وعلى السيد البليدي البيضاوي في الأشرفية، وعلى الشمس الحفني الصحيح مع شرحه للقسطلاني ومختصر ابن أبي جمرة والشمايل وابن حجر على الأربعين والجامع الصغير.

وتفقه على كل من الشبراوي والعزيزي والحفني والشيخ علي قايتباي الأطفيحي والشيخ حسن المدابغي والشيخ سابق والشيخ عيسى البراوي والشيخ عطية الأجهوري.

وتلقى بقية الفنون عن الشيخ علي الصعيدي لازمه السنين العديدة وكان معيدًا لدروسه، وسمع عليه الصحيح بجامع مرزه ببولاق، وسمع من الشيخ ابن الطيب الشمايل لما ورد مصر متوجهًا إلى الروم، وحضر دروس الشيخ يوسف الحفني والشيخ إبراهيم الحلبي وإبراهيم بن محمد الدلجي، ولازم الشيخ الوالد وأخذ عنه وقرا عليه في الرياضيات والجبر والمقابلة وكتاب الرقايق للسبط وقولي زاده على المجيب وكفاية القنوع والهداية وقاضي زاده وغير ذلك، وتلقن الذكر والطريقة عن السيد مصطفى البكري ولازمه كثيرًا، واجتمع بعد ذلك على ولي عصره الشيخ أحمد العريان، فأحبه ولازمه واعتنى به الشيخ وزوجه إحدى بناته وبشره بأنه سيسود ويكون شيخ الجامع الأزهر، فظهر ذلك بعد وفاته بمدة لما توفي شيخنا الشيخ أحمد الدمنهوري، واختلفوا في تعيين الشيخ فوقعت الإشارة عليه واجتمعوا بمقام الإمام الشافعي — رضي الله عنه — كما تقدم واختاروه لهذه الخطة العظيمة، فكان كذلك، واستمر شيخ الجامع على الإطلاق وريسهم بالاتفاق يدرس ويعيد ويملي ويفيد، ولم يزل يراعي للحقير حق

الصحبة القديمة والمحبة الأكيدة، وسمعت من فوايده كثيرًا ولازمت دروسه في المغني لابن هشام بتمامه، وشرح جمع الجوامع للجلال المحلى، والمطول وعصام على السمرقندية، وشرح رسالة الوضع وشرح الورقات وغير ذلك.

وكان رقيق الطباع مليح الأوضاع لطيفًا مهذبًا إذا تحدث نفث الدر، وإذا لقيته لقيت من لطفه ما ينعش ويسر، وقد مدحه شعرَا عصره بقصايد طنانة، ومن كلامه ما كتبه مقرظًا على رياض الصفا لشيخنا السيد العيدروس هذان البيتان:

أخي طالعنْ في رياض الصفا   وكن واردًا في مياه الوفا
وقل: يا إلهيَ سلِّم لنا   وجيهًا حباه كمال اصطفا

وكتب على تنميق السفر له مضمنًا ما نصه:

كتاب على السحر البيان قد انطوى   وحكمة شعر منه تبدو فضائله
وتنميق أسفار لحضرة سيد   هو البحر علمًا وافر العقل كامله
إذا رمت أسرار البلاغة فهي في   قصائده الحسنى التي لا تماثله
عرائس أفراح وعقد جمانها   بمختصر المدح المطول قائله
وإني وإن كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه أوائله

وكتب على النفحة ما نصه:

نفحة المولى الوجيه العيدروس   نشرها يحيا به موت النفوس
عطر باهي وذاك عرفه   ذكر الأرواح عهدًا قد تُنُوسي
جمعت من غرر العرفان ما   فاق أبهى درر العقد النفيس

وله أيضًا وقد كتب على تنميق الأسفار له:

ألاح برق المنا عن ضوء إسفار   أم أشرق الكون من تنميق أسفار
أم اليواقيت قد جاءت منظمة   في عقد در بدا في بعض أسفار
إني لأقسم بالرحمن مدحي عبـ   ـده الذي سره بين الورى ساري

العيدروسي ذو الفضل الجليل وذو الـ ـمجد العلي وسر الخالق الباري
إن الذي صاغه من نور تكرمة من جوهر عزلًا من نظم أشعار

وله أيضًا عليه:

أسرٌّ لائح ساري سرَى في نوره الساري
ونور باهر باه به زند الهوى واري
وبدر سره زاه بدا في حسن أسفار
وعقد الجوهر المكنو ن أم تنميق أسفار
كتاب بل عباب فيـ ـه فلكٌ للهوى جاري

ومن كلامه يمدح الأستاذ عبد الخالق بن وفا:

شموس لها أفق السعادة مطلع أبت في سوى برج السعادة تطلع
معارج فضل ليس يرقى سنامها سوى مفرد في عزه ليس يشفع
سما أفقها السامي أولو المجد والوفا وصد سواهم عن سناها وصدعوا
كواكب هدي قد أضاء بنورهم سبيل لمن يبغي الرشاد ومهيع
هم السادة الأمجاد والقادة الألى بكل كمال جلببوا وتدرعوا
هم الشاربو راح التقرب والصفا وكاسهم الأصفى مدى الدهر مترع

وهي طويلة:
ومما ينسب إليه هذا التوشيح:

ماس غصن البان زاهي الخد وتثنى معجبا
بين أفنان النقا والرند وأثيلات الربا
خلت بدرًا فوق غصن مائس
قد أمالته نسيمات الصبا

وهو مشهور غاية الاشتهار في الأغاني والأوتار فلا حاجة إلى ذكره بتمامه، وسمعته مرة يقول: ما زلت أنظم الشعر حتى ظهر الشيخ قاسم الأديب ببلاغته فعند ذلك تركته،

ولم تزل كوس فضله على الطلبة مجلوة، حتى ورد موارد الموت فبدلت بالكدر صفوه وأي صفا لا يكدره الدهر؟

ودعاه الله تعالى بجوار الجنان وتلقاه جدثه بروح رحمة ورضوان، وذلك في حادي عشرين شعبان، وصُلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن بمدفن صهره الشيخ العريان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ومن تآليفه شرح على نظم التنوير في إسقاط التدبير للشيخ الملوي، وهو نظم وحاشية على الملوي على السمرقندية وغير ذلك.

وخلف أولاده الأربعة كلهم فضلا أذكيا نبلا، أحدهم الذي تعين بالتدريس في محله بالأزهر العلامة اللوذعي والفهامة الألمعي شمس الدين السيد محمد، وأخوه النبيه الفاضل المتقن شهاب الدين السيد أحمد، وأخوه الذكي اللبيب والفهيم النجيب السيد عبد الرحمن، والنبيه الصالح والمفرد الناجح السيد مصطفى، بارك الله فيهم.

ولما توفي المترجم — رحمه الله — رثاه صاحبنا العلامة والعمدة الفهامة السيد إسماعيل الوهبي الشهير بالخشاب بقوله:

وصدع أركان العلا وتقوضت ... لذاك عروش الغير ثم جوانبه
وغادر ضوء الصبح أسود حالكًا ... كأن الدجى ليست تزول غياهبه
ألم تر أن الأرض مادت بأهلها ... وأن الفرات العذب قد غص شاربه
سطت نوب الأيام بالعلم الذي ... تزال به عن كل شخص نوائبه
عجبت لهم أني أقلوا سريره ... وقد ضم طودا أي طود يقاربه
وكيف ثوى البحر الخضم بحفرة ... وضاق بجدواه الفضا وسبابه
خليلي قومًا فابكيا لمصابه ... بمنهل دمع ليس ترقا سواكبه
لقد آد إذ أودى وأعقب مذ مضى ... أسى يجعل الأحشا جذاذًا تعاقبه
وأي شهاب ليس يخبو ضياؤه ... وأي حسام لا تفل مضاربه
وأي فتى أيدي المنية أفلتت ... وأي فتى وافته يومًا مآربه
وماذا عسى تبغى من الدهر بعدما ... أصمَّت وأصمَت كل قلب مصائبه
يعز علينا أن نراه ببرزخ ... تمازج ترب الأرض فيه ترايبه
سقى قبره الغيث الملث وأمطرت ... عليه من الرضوان سحًا سحايبه
تغير وجه الدهر وازور جانبه ... وجاءت بأشراط المعاد عجايبه
وكدر صفو العيش وقع خطوبه ... وقد كان وردًا صافيات مشاربه

فما لي لا أذري المدامع حسرة ... وأفق سماء المجد تهوى كواكبه
وما لي لا أبكي على فقد ذاهب ... موصلة لله كانت مذاهبه
إمام هدى للهدي كان انتدابه ... فلا كان يوم فيه قامت نوادبه
أغرسني شمس الضحى دون وجهه ... وفوق مناط الفرقدين مراتبه
حليف ندى كالسيل سيب يمينه ... وكالبحر تجري للعفاة مواهبه
أخو ثقة بالله في كل موطن ... على أنه ما انفك خوفًا يراقبه
له عفو ذي حلم ورأي أخي نهًى ... يضيء لدى محلولك الخطب ثاقبه
على نهج أهل الرشد عاش وقد مضى ... مطهرة أردانه وجلابـبه
فمن ذا الذي ندعو لكل ملمة ... ونرجو إذا ما الأمر خيفت عواقبه
ومن ذا الإيضاح المسائل بعده ... وحل عرا ما قبل أعيت مطالبه
لقد هد ركن الدين حادث فقده ... وشابت له من كل طفل ذوايبه
وحل بفردوس الجنان منعمًا ... ولاقته فيه حوره وكواعبه

ومات الخواجة المعظم والملاذ المفخم جايز رتب الكمال وجامع مزايا الإفضال سيدي الحاج محمود بن محرم، أصل والده من الفيوم واستوطن مصر وتعاطى التجارة وسافر إلى الحجاز مرارًا، واتسعت دنياه وولد له المترجم فتربى في العز والرفاهية، ولما ترعرع وبلغ رشده وخالط الناس وشارك وباع واشترى وأخذ وأعطى وظهرت فيه نجابة وسعادة، حتى كان إذا مسك التراب صار ذهبًا، فانجمع والده وسلم له قياد الأمور، فاشتهر ذكره ونما أمره وشاع خبره بالديار المصرية والحجازية والشامية والرومية، وعرف بالصدق والأمانة والنصح، فأذعنت له الشركا والوكلا ووثقوا بقوله ورأيه، وأحبه الأمرا المصرية وتداخل فيهم بعقل وحشمة وحسن سير وفطانة ومداراة وتؤدة وسياسة ولطف وأدب وحسن تخلص في الأمور الجسيمة، وعمر داره ووسعها وأتحفها وزخرفها وأنشأ بها قاعة عظيمة وأمامها فسحة مليحة الشكل، وحول القاعة بستان بديع المثال، وهي مطلة عليه من الجهتين.

وزوج ولده سيدي أحمد الموجود الآن وعمل له مهمًا عظيمًا دعا إليه الأكابر والأعيان والتجار، وتفاخر فيه إلى الغاية، وعمر مسجدًا بجوار بيته بالقرب من حبس الرحبة، فجاء في غاية الإتقان والحسن والبهجة، ووقف عليه بعض جهات ورتب فيه وظايف وتدريسًا، وبالجملة كان إنسانًا حسنًا وقورًا محتشمًا جميل الطباع مليح الأوضاع، ظاهر العفاف كامل الأوصاف، حج في هذه السنة من القلزم ورجع في البر مع الحجاج في إمارة

عثمان بك الشرقاوي على الحج في أحمال مجملة وهيئة زايدة مكملة، فصادفتهم شوبة حر شديد فقضي عليه فيها، ودفن بالخيوف، ولم يخلف في بابه مثله، رحمه الله.

وللعلامة الشيخ مصطفى الصاوي مدايح في المترجم فمن ذلك قوله في التهنئة بالفرح:

بشرى بأفراح المنى والمنن ... لاحت علينا بالسرور الحسن
ومعاهد الأكوان فاحت بالشذا ... مسكًا وطيبًا في العلا والسكن
وذكا نسيم الأنس من نفحاته ... فسرى إلى أرواحنا والبدن
وغصون أزهار التهاني أزهرت ... فتزينت روضاتها بالفتن
وشموس صفو الحظ فيها أشرقت ... في طالع السعد العلي المقترن
وثغور وجه المكرمات تبسمت ... حتى أمالت مائسات الغصن
وطيور أرواح الهنا قد غردت ... غنت بلحن ما به من لحن
يا صاح ذا داعي المسرة والهنا ... قد صاح يشدو في العلا بالعلن
هي ساحة الجود الجواد المرتقي ... للجود والكرم البهي والقمن
في ساحة قد سح غيث هباتها ... بيضًا وصفرًا غاليات الثمن
حسن الفعال صفاته ممدوحة ... بالفيض والإحسان فالوصف سني
وجزيل إعطاء بجود مكارم ... وجميل ذات مثلها لم يكن
أخلاقه في الخلق أهدت عطفه ... لطفًا لرقة لطفه المستكن
ساحاته للاجتماع مواسم ... ورحاب رحب بل أمان أمن
راحاته للطالبين مريحة ... فله اليد العليا بفرض السنن
أفراحه للوافدين مقاصد ... فيها عطا يكفي فقيرًا وغني
قد عطرت كل الحمى بعبيرها ... طيبًا وشكرًا باللسان اللسن
فرَحٌ به فرح القلوب وغوثها ... والغيث بالقطر الغزير الهتن
عرس به غرس الثناء بدوحة ... فيها المواهب ضمن أعلى سنن
فلك الهنا في مصرنا بمكارم ... سارت بها الركبان فوق البدن
تفديك من ريب الزمان حواسد ... من كل ذي جسد قبيح ودني
وإليك أهدي مصطفى من فكره ... تحفًا تزف على طويل الزمن
من حسنها لاح الهناء مورخا ... فرح السرور مع الندى من حسن

وله فيها أيضًا تهنئة بعيد النحر وهو قوله:

زمان التهاني في حمى الحي مشهود ... وأنس الهنا من واثق العهد معهود
وطيب الشذا في الكون فاح نسيمه ... عبير ربيع عطره المسك والعود
وشمس الأماني أشرقت في بروجها ... فوفق المنى في طالع السعد مسعود
وثغر وجوه الأنس أصبح ضاحكًا ... وغيث الأماني للبشائر مورود
فيا صاح داعي الصفو قد صاح في العلا ... تبسمت الأيام والبشر معمود
بساحة محمود الفعال فوصفه ... حميد عليه باللوا المدح معقود
جليل جميل الذات في الحسن كامل ... فمن نوره حسنًا ضيا البدر مخمود
جزيل العطايا في علا الجود مفرد ... وحيد وللإحسان والخير مقصود
كريم المزايا والمكارم والبها ... مليح السجايا للمحامد موفود
عظيم مهاب شرف الله قدره ... فأوصافه الإحسان والمجد والجود
جواد إذا قسناه بالبحر في الندى ... فإن الندى يرتاح والبحر مجهود
لقد ساد أقرانا وأبدى مآثرًا ... وأسدى هبات فيضها منه ممدود
وحاز اليد العليا فإن بسطت له ... يد من فقير فهو بالرفد مرفود
ينادي كمال المكرمات ببابه ... لباغي الندى أقبل ففقرك مردود
بساحته الأيام عيد مواسم ... فناظره في ليلة القدر موعود
فإني وإن بالغت في الحمد والثنا ... لأعجزني في المدح حد ومحدود
فيا سيدًا دامت عليه سيادة ... وخير مليك بالسعادة موعود
ويا بهجة الأعياد يا تحفة الورى ... ويا نخبة الآباء والد ومولود
فما العيد إلا أن تراك عيوننا ... بعز وإكرام وعيشك مرغود
وهذي سيوف العزِّ قمْ وانحر العدا ... فهن الفدا فاعلم فشانيك مفقود
فتفديك من ريب الزمان حواسد ... ولكن خير الناس من هو محسود
وفي قابل نرجو تكون ملبيًا ... تحج ببيت الله ثم تعود
فدم وابق واسلم كل عام مع الهنا ... وعش مطمئنًّا أنت للفضل مقصود
ووافاك داعي السعد لاح مؤرخًا ... فيا سعدنا عيد المسرة محمود

وله فيه غير ذلك.

ومات الأمير حسن كاشف المعمار، وأصله مملوك محمود بك وأعطاه لعلي أغا المعمار، أخذه صغيرًا ورباه ودربه في الأمور وزوجه ابنته، وعمل لزواجهما مهمًا وولايم، ولما مات سيده قام مقامه وفتح بيته ووضع يده على تعلقاته وبلاده ونما أمره وانتظم في سلك الأمرا المحمدية لكونه في الأصل مملوك محمد بك وخشداشهم، وكان ريسًا عاقلًا ساكن الجأش جميل الصورة واسع العينين أحورهما، ولما حج في هذه السنة وخرجت عليهم العرب ركب وقاتلهم حتى مات شهيدًا، ودفن بمغاير شعيب ونهب متاعه وأحماله وحزنت عليه زوجته الست حفيظة ابنة علي أغا حزنًا شديدًا، وأرسلت مع العرب ونقلته إلى مصر ودفنته عند أبيها بالقرافة، وزوجته المذكورة هي الآن زوجة لسليمان بك المرادي.

ومات الأمير شاهين بك الحسني، وقد تقدم أنه كان حضر إلى مصر رهينة، وسكن ببيت بالقرب من الموسكي، وهو مملوك حسن بك الجداوي أمَّره أيام حسن باشا، وسكن ببيت مصطفى بك الكبير الذي على بركة الفيل المعروف سابقًا بشكريره، وصار من جملة الأمرا المعدودين، ولما مات إسماعيل بك وحصل ما تقدم من قدوم المحمديين وخروجهم، فحضر المترجم صحبه عثمان بك الشرقاوي رهينة عن سيده وأقام بمصر، وكان سبب موته أن إنسانًا كلمه عن أصول الصبغة التي تنبت بالغيطان ولها ثمر يشبه عنب الذيب في عناقيد يصنع منه الفراشون مياه القناديل في المواسم والأفراح، وإن مَن أكل من أصولها شيًّا أسهله إسهالًا مفرطًا ولم يذكر له المسكن لذلك، ولعله كان يجهله فأرسل من أتى له بشي منها من البستان وأكل منه فحصل له إسهال مفرط حتى غاب عن حسه ومات، وتسكين فعلها إذا بلغت غايتها أن يمتص شيًّا من الليمون المالح، فإنها تسكن في الحال ويفيق الشخص كأن لم يكن به شي.

ومات الأمير أحمد بك الوالي بقبلي وهو أيضًا مملوك حسن بك الجداوي، وقد تقدم ذكره ووقايعه مع أهل الحسينية وغيرهم في أيام زعامته.

سنة تسع ومايتين وألف

لم يقع بها شيء من الحوادث الخارجية سوى جور الأمرا وتتابع مظالمهم، واتخذ مراد بك الجيزة سكنًا وزاد في عمارته واستولى على غالب بلاد الجيزة بعضها بالثمن القليل، وبعضها غصبًا، وبعضها معاوضة، واتخذ صالح أغا أيضًا له دارًا بجانبه وعمرها وسكنها بحريمه ليكون قريبًا من مراد بك.

(وفي سابع عشرين المحرم الموافق لعشرين شهر مسرى القبطي) أوفى النيل أذرعه وكسر السد في صبحها بحضرة الباشا والأمرا وجرى الماء في الخليج.

(وفي شهر صفر) ورد الخبر بوصول صالح باشا والي مصر إلى إسكندرية وأخذ محمد باشا في أهبة السفر، ونزل وسافر إلى جهة إسكندرية.

(وفي عشرين شهر ربيع الأول) وصل صالح باشا إلى مصر وطلع إلى القلعة.

(وفي أواخره) ورد الخبر بوصول تقليد الصدارة إلى محمد باشا عزت المنفصل عن مصر وورد عليه التقليد وهو بإسكندرية، وكان صالح أغا الوكيل ذهب صحبته ليشيعه إسكندرية فأنعم فرمان مرتب على الضربخانة باسم حريمه ألف نصف فضة في كل يوم.

(وفي ليلة السبت خامس عشر ربيع الثاني) أمطرت السماء مطرًا غزيرًا قبل الفجر وكان ذلك آخر بابه القبطي.

(وفي شهر الحجة) وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوي له حصة في قرية بشرقية بلبيس حضر إليه أهلها وشكوا من محمد بك الألفي، وذكروا أن أتباعه حضروا إليهم وظلموهم وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه، واستغاثوا بالشيخ؛ فاغتاظ وحضر إلى الأزهر وجمع المشايخ وقفلوا أبواب الجامع وذلك بعدما خاطب مراد بك وإبراهيم بك فلم يبديا شيًّا، ففعل ذلك في ثاني يوم وقفلوا الجامع وأمروا الناس بغلق الأسواق والحوانيت، ثم ركبوا في ثاني يوم واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم وذهبوا

إلى بيت الشيخ السادات، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة بحيث يراهم إبراهيم بك وقد بلغه اجتماعهم، فبعث من قبله أيوب بك الدفتردار فحضر إليهم وسلم عليهم ووقف بين يديهم وسألهم عن مرادهم!

فقالوا له: نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع، وإبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعتموها وأحدثتموها.

فقال: لا يمكن الإجابة إلى هذا كله، فإننا إن فعلنا ذلك ضاقت علينا المعايش والنفقات.

فقيل له: هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس، وما الباعث على الإكثار من النفقات وشرا المماليك، والأمير يكون أميرًا بالإعطا لا بالأخذ.

فقال: حتى أبلغ، وانصرف ولم يعد لهم بجواب.

وانفض المجلس وركب المشايخ إلى الجامع الأزهر، واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية وباتوا بالمسجد.

وأرسل إبراهيم بك إلى المشايخ يعضدهم ويقول لهم: أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطري ومرادي، وأرسل إلى مراد بك يخيفه عاقبة ذلك.

فبعث مراد بك يقول: أجيبكم إلى جميع ما ذكرتموه إلا شيئين ديوان بولاق وطلبكم المنكسر من الجامكية، ونبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم، وندفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثًا، ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمايهم فذهبوا إليه بالجيزة فلاطفهم والتمس منهم السعي في الصلح على ما ذكر، ورجعوا من عنده وباتوا على ذلك تلك الليلة.

وفي اليوم الثالث حضر الباشا إلى منزل إبراهيم بك، واجتمع الأمرا هناك وأرسلوا إلى المشايخ فحضر الشيخ السادات والسيد النقيب والشيخ الشرقاوي والشيخ البكري والشيخ الأمير، وكان المرسل إليهم رضوان كتخدا إبراهيم بك فذهبوا معه ومنعوا العامة من السعي خلفهم، ودار الكلام بينهم وطال الحديث وانحط الأمر على أنهم تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلما عليهم، وانعقد الصلح على أن يدفعوا سبعماية وخمسين كيسًا موزعة، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ويصرفوا غلال الشون وأموال الرزق، ويبطلوا رفع المظالم المحدثة والكشوفيات والتفاريد والمكوس ما عدا ديوان بولاق، وأن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال الناس، ويرسلوا صورة الحرمين والعوايد المقررة من قديم الزمان، ويسيروا في الناس سيرة حسنة، وكان القاضي حاضرًا بالمجلس فكتب

حجة عليهم بذلك وَفَرْمَنَ عليها الباشا وختم عليها إبراهيم بك وأرسلها إلى مراد بك فختم عليها أيضًا، وانجلت الفتنة، ورجع المشايخ وحول كل واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة، وهم ينادون حسب ما رسم ساداتنا العلما بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطالة من مملكة الديار المصرية، وفرح الناس وظنوا صحته وفتحت الأسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر، ثم عاد كل ما كان مما ذكر وزيادة، ونزل عقيب ذلك مراد بك إلى دمياط وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك.

ذكر من مات في هذه السنة

ومات الإمام العلامة والرحالة الفهامة بقية المحققين وعمدة المدققين الشيخ المعمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الوهاب السمنودي المحلي الشافعي، من بيت العلم والصلاح والرشد والفلاح وأصلهم من سمنود، ولد هو بالمحلة وقدم الجامع الأزهر وحضر على الشمس السجيني والعزيزي والملوي والشبراوي، وتكمل في الفنون الغريبة وتلقى عن السيد علي الضرير والشيخ محمد الغلاني الكشناوي مشاركًا للشيخ الوالد، والشيخ إبراهيم الحلبي، وعاد إلى المحلة فدرس في الجامع الكبير مدة، ثم أتى إلى مصر بأهله وعياله ومكث بها وأقرا بالجامع الأزهر درسًا، وتردد إلى الأكابر والأمرا وأجلوه، وقرا في المحمدية بعد موت الشنويهي في المنهج وانضوى إلى الشيخ أبي الأنوار السادات، ويأتي إليه في كل يوم، وكان إنسانًا حسنًا بهي الشكل لطيف الطباع عليه رونق وجلالة، جميل المحادثة حسن الهيئة.

توفي بعد أن تعلل دون شهر عن مئة وست عشرة سنة كامل الحواس إذا قام نهض نهوض الشباب ودفن ببستان المجاورين، وكان يتكتم سني عمره، رحمه الله.

ومات الإمام العلامة واللوذعي الفهامة رئيس المحققين وعمدة المدققين النحوي المنطقي الجدلي الأصولي الشيخ أحمد بن يونس الخليفي الشافعي الأزهري من قرابة الشهاب الخليفي، ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف كما سمعته من لفظه، وقرا القرآن وحفظ المتون، وحضر على كل من الشبراوي والحفني وأخيه الشيخ يوسف والسيد البليدي والشيخ محمد الدفري والدمنهوري وسالم النفراوي والطحلاوي والصعيدي، وسمع الحديث على الشهابين الملوي والجوهري، ودرس وأفاد بالجامع الأزهر، وتقلد وظيفة الإفتا بالمحمدية عندما انحرف يوسف بك على الشيخ حسن الكفراوي كما تقدم؛ فاتخذ الشيخ أحمد أبا سلامة أمينًا على فتاويه لجودة استحضاره في الفروع الفقهية.

وله مؤلفات، منها: حاشية على شرح شيخ الإسلام على متن السمرقندية في آداب البحث، وأخرى على شرح الملوي في الاستعارات، وأخرى على شرح المذكور على السلم في المنطق، وأخرى على شرح شيخ الإسلام على آداب البحث، وأخرى على شرح الشمسية في المنطق، وأخرى على متن الياسمينية في الجبر والمقابلة، وشرح على أسماء التراجم ورسالة في قولهم واحد لا من قلة وموجود لا من علة، ورسالة متعلقة بالأبحاث الخمسة التي أوردها الشيخ الدمنهوري، ولازم الشيخ الوالد مدة وتلقى عنه بعض العلوم الغريبة وكملها بعد وفاته على تلميذه محمود أفندي النبشي، وكان جيد التقرير غاية في التحرير، ويميل بطبعه إلى ذوي الوسامة والصور الحسان من الجدعان والشبان، فإذا رجع من درسه خلع زي العلما ولبس زي العامة وجلس بالأسواق وخالط الرقاق والرفاق، ويمشي كثيرًا بين المغرب والعشاء بالتخفيفة نواحي داره جهة بين السيارج وغيرها ويُرى في بعض الأحيان على تلك الصورة في الأوقات المذكورة في نواح بعيدة عن داره، وسافر مرة إلى جهة قبلي في سفارة بين الأمرا أيام عابدي باشا، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي في أوايل رجب من هذه السنة، سامحه الله.

ومات العمدة الجليل والنبيه العلامة الفقيه المفوه الشريف الضرير السيد عبد الرحمن بن بكار الصفاقسي، نزيل مصر قرا في بلاده على علما عصره ودخل كرسي مملكة الروم فأكرم، وانسلخ عن هيئة المغاربة ولبس ملابس المشارقة مثل التاج والفراجة وغيرها وأثرى، وقدم إلى مصر وألقى دروسًا بالمشهد الحسيني وتأهل وولد له، ولديه فضيلة ونجابة واتحد بشيخ السادات الوفائية السيد أبي الأنوار، فراج حاله وزادت شوكته على أبناء جنسه، وتردد إلى الأمرا وأشير إليه ودرس كتاب الغرر في مذهب الحنفية، وتولى مشيخة رواق المغاربة بعد وفاة الشيخ عبد الرحمن البناني، وسار فيها أحسن سيرة مع شهامة وصرامة وفصاحة لفظ في الإلقا، وكان جيد البحث مليح المفاكهة والمحادثة واستحضار اللطايف والمناسبات، ليس فيه عربدة ولا فظاظة ويميل بطبعه إلى الحظ والخلاعة وسماع الألحان والآلات المطربة، توفي — رحمه الله — في هذه السنة، وتولى بعده على مشيخة رواقهم الشيخ سالم بن مسعود.

ومات الفقيه العلامة الصالح الصوفي الشيخ أحمد بن أحمد بن أحمد السماليجي الشافعي الأحمدي المدرس بالمقام الأحمدي بطندتا، ولد ببلده سماليج بالمنوفية وحفظ القرآن وحضر إلى مصر وحضر على الشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الخشني والشيخ أحمد الدردير، ورجع إلى طندتا فاتخذها سكنًا وأقام

بها يقري دروسًا ويفيد الطلبة ويفتي على مذهبه ويقضي بين المتنازعين من أهالي البلاد، فراج أمره واشتهر ذكره بتلك النواحي، ووثقوا بفتياه وقوله وأتوه أفواجًا بمكانه المسمى بالصف فوق باب المسجد المواجه لبيت الخليفة، وتزوج بامرأة جميلة الصورة من بلد الفرعونية وولد له منها ولد سماه أحمد، كأنما أفرغ في قالب الجمال وأودع بعينيه السحر الحلال، فلما ترعرع حفظ القرآن والمتون وحضر على أبيه في الفقه والفنون وكان نجيبًا جيد الحافظة يحفظ كل شيء سمعه من مرة واحدة، ونظم الشعر من غير قراءة شي في علم العروض، أول ما رأيته في سنة تسع وثماني وماية وألف في أيام زيارة سيدي أحمد البدوي، فحضر إلي وسلم عليَّ وآنسني بحسن ألفاظه وجذبني بسحر ألحاظه، وطلب مني تميمة فوعدته بإرسالها وأبطأت عليه فكتب إليَّ أبياتًا في ضمن مكتوب أرسله إليَّ وهي:

يا أيها المولى الهما … م ومن رقى رتب العلا
يا مفردًا في عصره … ومفضلًا بين الملا
يا يوسف العصر الذي … عنه فؤادي ما سلا
يا عبد رحمن الورى … يا ذا المحاسن والحلا
يا ابن الجبرتيِّ الذي … أعطيت ذكرًا أجملا
مني إليك تحية … ما حن مشتاق إلى
جمالك الفرد الذي … به المعنى اشتغلا
أو لاح نجم في الدجى … أو سار ركب في الفلا
هذا وقد واعدتني … بتميمة تسمو على
حرز الأمانيِّ التي … ما مثلها حرز حلا
فاسمح وجد يا سيدي … وانعم بها تفضلا
ولا تطع في صبك الـ … مضنى الشجي عذلا
وامنن برد جوابه … فالجسم منه انتحلا
والطرف أمسى ساهرًا … والصبر عنه ارتحلا
والبعد قد أورثه … سقمًا فلا حول ولا

ولما بلغ زوَّجه والده بزوجين في سنة واحدة، ولم يزل يجتهد ويشتغل حتى مهر وأنجب ودرس لجماعة من الطلبة وحضر إلى مصر مع والده مرارًا، وتردد علينا واجتمع

بنا كثيرًا في مواسم الموالد المعتادة إلى أن اخترمته في شبابه المنية، وحالت بينه وبين الأمنية، وذلك في سنة ثلاث ومايتين، وخلف ولدًا صغيرًا استأنس به جده المترجم، وصبر على فقد ابنه وترحم، وتوفي هو أيضًا في هذه السنة، رحمهما الله تعالى.

ومات الأجل المعظم والملاذ المفخم الأمير حسين بن السيد محمد الشهير بدرب الشمسي القادري، وأبوه محمد أفندي كاتب صغير بوجاق التفكجيان، وهو ابن حسين أفندي باش اختيار تفكجيان تابع المرحوم حسن جوربجي تابع المرحوم رضوان بك الكبير الشهير صاحب العمارة، ولما مات والد المترجم اجتمع الاختيارية وقلده ابنه المذكور منصب والده في بابه، وكان إذ ذاك مقتبل الشبيبة، وذلك في سنة ثلاث وستين وماية وألف، ونوه بشأنه وفتح بيت أبيه وعد في الأعيان واشتهر ذكره، وكان نجيبًا نبيهًا ولم يزل حتى صار من أرباب الحل والعقد وأصحاب المشورة، ولما استقل علي بك بإمارة مصر أخرجه هو وإخوته من مصر ونفاهم إلى بلاد الحجاز، فأقاموا بها سبع سنوات إلى أن استقل محمد بك أبو الدهب بالإمارة فأحضرهم وأكرمهم ورد إليهم بلادهم، فاستمروا بمصر لا كالحالة الأولى مع الوجاهة والحرمة الوافرة، وكان إنسانًا حسنًا فطنًا يعرف مواقع الكلام ويكره الظلم، وهو إلى الخير أقرب، واقتنى كتبًا كثيرة نفيسة في الفنون وخصوصًا في الطب والعلوم الغريبة، ويسمح بإعارتها لمن يكون أهلًا لها، ولما حضرته الوفاة أوصى أن لا يخرجوا جنازته على الصورة المعتادة بمصر، بل يحضرها ماية شخص من القادرية يمشون أمامه في المشهد وهم يقرون الصمدية سرًّا لا غير، وأوصى لهم بقدر معلوم من الدراهم فكان كذلك.

ومات الأمير محمد أغا بن محمد كتخدا أباظة، وقد تقدم أنه كان تولى الحسبة في أيام حسن باشا وسار فيها سيرًا بشهامة وأخاف السوقة وعاقبهم وزجرهم، واتفق أنه وزن جانبًا من اللحم وجده مع من اشتراه ناقصًا، وأخبره عن جزاره فذهب إليه وكملها بقطعة من جسد الجزار، ثم انفصل عن ذلك وعمل كتخدا عند رضوان بك إلى أن مات رضوان بك، ولم يزل معدودًا في عداد الأمرا الأكابر إلى أن توفي في هذه السنة.

ومات العمدة الصالح الورع الصوفي الضرير الشيخ محمد السقاط الخلوتي المغربي الأصل خليفة شيخنا الشيخ محمود الكردي، حضر إلى مصر وجاور بالأزهر وحضر على الأشياخ في فقه مذهبه وفي المعقول، وأخذ الطريق على شيخنا الشيخ محمود المذكور، ولقنه الأسما على طريق الخلوتية والأوراد والأذكار، وانسلخ من زي المغاربة وألبسه الشيخ التاج، وسلك سلوكًا تامًّا ولازم الشيخ ملازمة كلية بحيث إنه لا يفارق منزله في

غالب أوقاته، ولاحت عليه الأنوار وتحلى بحلل الأبرار، وأذن له الشيخ بالتلقين والتسليك، ولما انتقل شيخه إلى رحمة الله تعالى صار هو خليفته بالإجماع من غير نزاع وجلس في بيته وانقطع للعبادة، واجتمع عليه الجماعة في ورد العصر والعشا، ولقن الذكر للمريدين وسلك الطريق للطالبين وانجذبت القلوب إليه واشتهر ذكره وأقبلت عليه الناس، ولم يزل على حسن حاله حتى توفي منتصف شهر ربيع الأول، وصُلي عليه بالأزهر في مشهد حافل.

ومات الذمي المعلم إبراهيم الجوهري رئيس الكتبة الأقباط بمصر، وأدرك في هذه الدولة بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة مع طول المدة بمصر ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم، وأول ظهوره من أيام المعلم رزق كاتب علي بك الكبير، ولما مات علي بك والمعلم رزق ظهر أمر المترجم ونما ذكره في أيام محمد بك، فلما انقضت أيام محمد بك وترأس إبراهيم بك قلده جميع الأمور، فكان هو المشار إليه في الكليات والجزئيات حتى دفاتر الروزنامة والميري وجميع الإيراد والمنصرف وجميع الكتبة والصيارف من تحت يده وإشارته، وكان من دهاقين العالم ودهاتهم لا يعزب عن ذهنه شي من دقايق الأمور، ويداري كل إنسان بما يليق به من المداراة ويحابي ويهادي ويبعث الهدايا ويواسي ويفعل ما يوجب انجذاب القلوب والمحبة، ويهادي ويبعث الهدايا العظيمة والشموع إلى بيوت الأمرا، وعند دخول رمضان يرسل إلى غالب أرباب المظاهر ومَن دونهم الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوي وعمرت في أيامه الكنايس وديور النصارى وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان، ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلال، وحزن إبراهيم بك لموته، وخرج في ذلك اليوم إلى قصر العيني حتى شاهد جنازته وهم ذاهبون به إلى المقبرة، وتأسف على فقده تأسفًا زايدًا وكان ذلك في شهر القعدة من السنة.

سنة عشرة ومايتين وألف

لم يقع بها شي من الحوادث التي يعتنى بتقييدها سوى مثل ما تقدم من جور الأمرا والمظالم (وفيها في غرة شهر الحجة)، عزل صالح باشا ونزل إلى قصر العيني ليسافر فأقام هناك أيامًا وسافر إلى إسكندرية.

ذكر من مات في هذه السنة

ومات بها الإمام العلامة المفيد الفهامة عمدة المحققين والمدققين الصالح الورع المهذب الشيخ عبد الرحمن النحراوي الأجهوري الشهير بمقري الشيخ عطية، خدم العلم وحضر فضلا الوقت ودرس وتمهر في المعقول والمنقول، ولازم الشيخ عطية الأجهوري ملازمة كلية، وأعاد الدروس بين يديه واشتهر بالمقري وبالأجهوري لشدة نسبته إلى الشيخ المذكور، ودرس بالجامع الأزهر وأفاد الطلبة، وأخذ طريق الخلوتية عن الشيخ الحفني ولقنه الأذكار وألبسه الخرقة والتاج وأجازه بالتلقين والتسليك، وكان يجيد حفظ القرآن بالقراءات ويلازم المبيت في ضريح الإمام الشافعي في كل ليلة سبت، يقرأ مع الحفظة بطول الليل وكان إنسانًا حسنًا متواضعًا لا يرى لنفسه مقامًا، يحمل طبق الخبز على رأسه ويذهب به إلى الفران ويعود به إلى عياله، فإن اتفق أن أحدًا رآه ممن يعرفه حمله عنه، وإلا ذهب به ووقف بين يدي الفران حتى يأتيه الدور ويخبزه له، وكان كريم النفس جدًّا يجود وما لديه قليل، ولم يزل مقبلًا على شأنه وطريقته حتى نزلت به الباردة وبطل شقه الشلل النصفي، واستمر على ذلك نحو السنة، وتوفي إلى رحمة الله تعالى، غفر الله له.

ومات العمدة العلامة والرحالة الفهامة الفقيه الفاضل، ومن ليس له في الفضل مناضل، الشيخ حسن بن سالم الهواري المالكي أحد طلبة شيخنا الصعيدي لازمه في دروسه العامة وحصل بجده ما به ناموس جاهه أقامه، وبعد وفاة شيخه ولي مشيخة رواق الصعايدة وساس فيهم أحسن سياسة بشهامة زايدة مع ملازمته للدروس، وتكلمه في طايفة مع الريس والمرءوس، وكان فيه صلابة زايدة وقوة جنان وشدة تجاري، واشترى خرابة بسوق القشاشين بالقرب من الأزهر وعمرها دارًا لسكنه وتعدى حدوده وحاف على أماكن جيرانه، وهدم مكتب المدرسة السنانية وكان مكتبًا عظيمًا ذا واجهتين وعامودين وأربع بوايك وزاوية، جداره من الحجر النحيت عجيبة الصنعة في البروز والإتقان، فهدمه وأدخله في بنائه من غير تحاش أو خشية لوم مخلوق أو خوف خالق، وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة وطلب العلم، يسخِّرون من يمر بهم من حمير الترابين وجمال الأعيان المارين عليهم فيستعملونها في نقل تراب الشيخ لأجل التبرك إما قهرًا أو محاباة، ويأخذ من مياسير الناس والسوقة دراهم على سبيل القرض الذي لا يرد، وكذلك المون حتى تممها على هذه الصورة وسكن فيها وأحدق به الجلاوزة من الطلبة يغدون ويروحون في الخصومات والدعاوى، ويأخذون الجعالات والرشوات من المحق والمبطل، ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه ولو عظيمًا من غير مبالاة ولا حيا، ومن اشتد عليهم اجتمعوا عليه من كل فج حتى بوابين الوكايل وسكان الطباق وباعة النشوق، وينسب الكل إلى الأزهر، ومن عذلهم أو لامهم كفروه ونسبوه إلى الظلم والتعدي والاستهزا بأهل العلم والشريعة، وزاد الحال وصار كل من رويسا الجماعة شيخًا على انفراده يجلس في ناحية ببعض الحوانيت يقضي ويأمر وينهي، وفحش الأمر إلى أن نادى عليهم حاكم الشرطة فانكفوا ومرض شيخهم بالتشنج شهورًا، وتوفي في هذه السنة، رحمه الله تعالى.

ومات الإمام الفقيه العلامة والفاضل الفهامة عثمان بن محمد الحنفي المصري الشهير بالشامي، ولد بمصر وتفقه على علما مذهبه كالسيد محمد أبي السعود والشيخ سليمان المنصوري والشيخ حسن المقدسي والشيخ الوالد، وأتقن الآلات ودرس الفقه في عدة مواضع وبالأزهر، وانتفع به الناس وقرا كتاب الملتقى بجامع قوصون، وكان له حافظة جيدة واستحضار في الفروع ولا يمسك بيده كراسًا عند القراة، ويلقي التقرير عن ظهر قلب مع حسن السبك، وألف متنًا مفيدًا في المذهب، ثم حج وزار قبر النبي ﷺ وقطن بالمدينة وطلب عياله في ثاني عام، وباع ما يتعلق به وتجرد على المجاورة، ولازم

قراة الحديث والفقه بدار الهجرة وأحبه أهل المدينة، وتزوج وولد له أولاد، ثم تزوج بأخرى، ولم يزل على ذلك حتى توفي إلى رحمة الله تعالى في هذه السنة.

ومات العمدة الفاضل المفوه النبيه المناضل الحافظ المجود الأديب الماهر صاحبنا الشيخ شمس الدين بن عبد الله فتح الفرغلي المحمدي الشافعي السبرباي، نسبة إلى سبرباي قرية بالغربية قرب طندتا، وبها ولد ونسبه يرجع إلى القطب سيد الفرغلي المحمدي من ولد سيدنا محمد بن الحنفية صاحب أبي تيج من قرى الصعيد، وتفقه على علما عصره وأنجب في المعارف والفهوم وعانى الفنون فأدرك من كل فن الحظ الأوفر، ومال إلى فن الميقات والتقاويم فنال من ذلك ما يرومه، وألف في ذلك وصنف زيجًا مختصرًا دل على سعة باعه، ورسوخه في الفن ومعرفة القواعد والأول ودقايق الحساب، ونهج مسلك الأدب والتاريخ والشعر ففاق فيه الأقران، ومدح الأعيان وذكرت كثيرًا من أشعاره في بعض تراجم الممدوحين، ومنها المزدوجة المسماة بنفحة الطيب في محاسن الحبيب التي نظمها باسم الأمير حسن بك رضوان، وقد ذكرتها في ترجمة الأمير المذكور، وصاحبناه وساجلناه كثيرًا عندما كان يأتينا مصر وبطندتا في الموالد المعتادة، فكان طودًا راسخًا وبحرًا زاخرًا مع دماثة الأخلاق، وطيب الأعراق، ولين العريكة، وحسن العشرة، ولطف الشمايل والطباع وكان يلي نيابة القضاء ببلده، وبالجملة فكان عديم النظير في أقرانه لم أر من يدانيه في أوصافه الجميلة، وله مصنفات كثيرة منها: الضوابط الجلية في الأسانيد العلية ألفه سنة ست وسبعين وماية وألف، وذكر فيه سنده عن الشيخ نور الدين أبي الحسن سيدي علي بن الشيخ العلامة أبي عبد الله سيدي محمد العربي الفاسي المغربي الشهير بالسقاط، وسليقته في الشعر عذبة رايقة وكلامه بديع مقبول في ساير أنواعه من المدح والرثا والتشبيب والغزل والحماسة والجد والهزل، وله ديوان جمع فيه أمداحه ﷺ وسماه عقود الفرايد، وقد قرظ عليه الشيخ عبد الله الإدكاوي في سنة تسع وسبعين وماية وألف بقوله:

هكذا من أراد نظم الفرايد ... أو نحا نحو حوك برد القصايد
هكذا هكذا عقود المعاني ... لا عقود المخدرات الخرايد
تلك صواغها البنان وهذي ... صاغها فكر شمس فضل الأماجد
فرغلي الأروم نامي ذرا المجـ ... ـد بديع الفهوم سامي المشاهد
الأريب الذي أتاح له الله ... المعاني لذي العقول مصايد

واللبيب الذي لقد قيد الله   له في فريضه كل شارد
من معان لو حاز منها أبو الطيـ   ـب معنى لقال: حزت المحامد
أو نحا نحوها الوليد لقلنا: والدًا صرت يا سني الموارد
أو شذا مثلها حبيب لحاز الـ   ـحسن طرًّا وقد سما للفراقد
أين منها بدايع ابن سنا الـ   ـملك حسنًا ورونقًا ومقاصد
أين منها ما زخرفوه من القو   ل وقالوا: هنا محط الفوايد
ذاك والله ضاع وصفًا وهذا   ضاء إذ ضاع منى أسنى العوايد
بمديح الذي قد اختاره الله   رئيسًا على جميع الأعابد
أحمد المصطفى الطهور فأم   خير أم ووالد خير والد
صلوات مطيبات توالى   تربه ما صلى وسلم عابد
وتعم الآل الكرام والصحا   ب جميعًا ما خر لله ساجد

وله في رثاء شيخه القطب الحفنى قصايد طنانة، وله جملة أراجيز منها أرجوزة في تاريخ وقايع علي بك ومحمد بك سمعت من لفظه جملة منها، وله قصيدة من بحر الطويل ضمنها ما وقع للأمير مصطفى بك مولى محمد بك في سنة أربع وتسعين في طريق الحجاز، حين ولي أميرًا على الحج وهي بديعة سلسلة النظم حاوية وقايعه التي جرت له مع العربان، ولحلاوتها أوردت منها جملة وسماها تغريد حمام الأيك فيما وقع لأمير اللوا مصطفى بك وهي هذه:

إمارة حج البيت في سالف العصر   هي المنصب الأعلى وحقك في مصر
وخدمة وفد الله — جل جلاله —   هي النعمة العظمى لمغتنم الأجر
تنافس فيها الأولون وعظموا   إمارتها في الخافقين مدى الدهر
وقام بها الأهلون وافتخرت بها   ملوك بني عثمان في البر والبحر
وهان على الحجاج من فقد مالهم   وما عندهم إنفاقه أنفس العمر
وطاب لهم نوم العقنقل بعدما اسـ   ـتراحوا على تلك الأرايك بالقصر
ولذَّ لهم بعد الفرات ودجلة   ونيل الهنا شرب الأجاج مع المر
وصاموا وهاموا في جَمال حبيبهم   وظلوا سكارى لا بكاس ولا خمر
وأقلقهم صوت المنادي فأعلنوا   إجابته في عالم الغيب والذر

وفي عالم الملك المشاهد طلقوا ... منامهم شوقًا إلى البيت والحجر
وشدوا على العيس الرحال وأخلصوا ... سرائرهم لله في السر والجهر
وساروا وزند الشوق بين ضلوعهم ... له شرر أذكى لهيبًا من الجمر
وخلوا ديار الأنس بعد مسيرهم ... يغرد فيها بلبل الدوح والقمري
وفيها من الغادات كل خريدة ... إذا ابتسمت تغنيك عن طلعة الفجر
وحجوا وطافوا البيت سبعًا وعرفوا ... وزاروا رسول الله ثم أبا بكر
وعادوا إلى الأوطان ليس عليهم ... ذنوب ولا إثم كما جاء في الذكر
وفي عام ألف ثم ثم وماءة ... وأربعة من بعد تسعين في الحصر
تولى أمير الحج مفرد عصره ... كريم السجايا ذو المهابة والفخر
أمير اللوا كنز الصفا مصطفى الوفا ... مبيد العدا بالمرهقات وبالسمر
بديع الحلى مولى الأمير محمد ... أبي الذهب المحفوف بالعز والنصر
أمير اللوا من كان سلطان عصره ... فريدًا وحيدًا بالتكلم في مصر
وكان كبدر التم في أفق العلا ... وكان هلال السعد في غرة الدهر
فسار على نهج العلا مصطفى الوفا ... وشيد أركان الإمارة بالفخر
وشد جواد العزم والحزم والقوى ... وعظم شأن الحج في ذلك العصر
وأنفق أموالًا عليه كثيرة ... وفاز بتحصيل الثواب مع الأجر
وقضى شؤونا بالحجاز تعلقت ... وأحكمها بالعقل والنقل والفكر
وقد وضع الأشياء طرًّا محلها ... ودبرها تدبير مجتهد حبر
وجهز ما يحتاجه من ذخائر ... ووجهها نحو السويس على الظهر
وسير منها جانبًا نحو جدة ... وأرسل باقيها إلى ينبع البر
وقرر حقًّا في الوظائف أهلها ... وقلد أجياد المناصب بالدر
وأمسى خلي البال بعد اشتغاله ... وأصبح بعد الكل في راحة السر
وقد عملت أرباب دولة عزه ... على كل أمر مقتضاه بلا نكر
وفي شهر شوال المبارك زينت ... لموكبه أطلال مصر من الفجر
وسرت به الآفاق وابتهجت به ... جميع القرى والسعد وافى مع البشر
وأضحت بقاع الأرض مخضرة الربا ... وأضحت رياض الزهر مبهجة الثغر
وسلمه شيخ الكفانة محملًا ... قد افتخرت مصر به غاية الفخر

ونالت بنو عثمان حظًّا به على ... جميع ملوك الأرض في البر والبحر
وسار به كالبدر عند تمامه ... وأتباعه الأمجاد كالأنجم الزهر
وماس به يهتز في حلة البها ... على صافن مثل النسيم إذا يسري
وبين يديه الدفتدار من كل جانب ... أحاطت به مثل الكواكب بالبدر
بأسلحة كالبرق تخطف عمر من ... دنا نحوه بالسوء والغدر والشر
وما زال يسعى مع سلامة ربه ... بمحمل طه ذي الفتوحات والنصر
إلى أن دنا من حصوة طاب ريحها ... ونسمتها تشفي العليل من الضر
وأنزله فيها وبات بها وقد ... دعته إلى مصر دواعي الهوى العذري
وأصبح فيها قائمًا هائمًا له ... حنين إلى الحورا وشوق إلى بدر
وبات بها والقلب خيم باللوى ... وأم القرى ذات الفضائل والفخر
وأصبح منها سائرًا متوكلًا ... على الله رب البيت والركن والحجر
وفي بركة الحج الشريف أتى بها ... محط رحال الوفد من سائر القطر
أقام بها حتى انقضت يا أولي النهي ... مهماته طرًّا وأعلن بالشكر
وغلق واستوفى جميع الذي له ... وللعرب العربا من الذهب التبر
وغلق أيضًا بعد ذا مال صرة ... أعدت لأشراف الحجاز مدى الدهر
وأقبلت الحجاج من كل جانب ... عليه وأضحى ملجأ العبد والحر
وفي سابع العشرين دقت طبوله ... وسار كبدر التم في رابع العشر
وصحبته الحجاج طرًّا بأصرهم ... وزوار طه ملجأ الناس في الحشر
وودعه شيخ الكنانة قائلًا: ... تعود إلينا بالسلامة والجبر
وتنظر مصر في السرور وفي الهنا ... ونحن بخير سالمين من الضر
وبالحج فافعل كلما أنت أهله ... من الخير والإحسان والحلم والبر
ولا تنسنا في البيت من صالح الدعا ... وفي حجر إسماعيل يا طيب النشر
وفي عرفات والمحصب من منى ... وفي الروضة الغرا تجاه أبي بكر
وفي ينبع مع بدر والقاع فاحترس ... من العرب العرباء في الورد والصدر
ولا تأمن الصفرا ونقب عليهما ... فإنهما يا ذا العلا بقعة الشر
وكل قليل يا أمير اللوى لنا ... فوجه بشيرًا عاقلًا كاتم السر
ومن بعد ذا كل الصناجق أقبلت ... تميس دلالًا في ثياب الهوى العذري

وعـانـقـهـم مـذ عـانـقـوه وودعـوا وأدماعهم فوق المحاجر كالقطر

وأحبابه طرًّا تقول له مع السلامة يا ذا العز والمجد والقدر وهي طويلة. توفي المترجم في شهر ربيع الأول من السنة ببلده ودفن هناك، رحمه الله تعالى.

سنة إحدى واثنتي عشرة ومائتين وألف
(١٧٩٦م)

لم يقع فيهما من الحوادث التي تتشوف لها النفوس أو تشتاق إليها الخواطر، فتقيد في بطون الطروس سوى ما تقدمت إليه الإشارة من أسباب نزول النوازل وموجبات ترادف البلاء المتراسل، ووقوع الإنذارات الفلكية والآيات المخوفة السماوية، وكلها أسباب عادية وعلامات من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات فبالنظر في ملكوت السماوات والأرض يستدلون، وبالنجم هم يهتدون، فمن أعظم ذلك حصول الخسوف الكلي في منتصف شهر الحجة ختام سنة اثنتي عشرة بطالع مشرق الجوزاء المنسوب إليه إقليم مصر، وحضر طايفة الفرنسيس أثر ذلك في أوايل السنة التالية كما سيأتي خبر ذلك مفصلًا إن شاء الله تعالى.

ذكر من مات في هذين العامين ممن له ذكر وشهرة

مات العمدة العلامة والفقيه الفهامة الشيخ علي بن محمد الأشبولي الشافعي، كان والده أحد العدول بالمحكمة الكبرى، وكان ذا ثروة وشهرة، ولما كبر ولده المترجم حفظ القرآن والمتون، واشتغل بالعلم، وحضر الدروس وتفقه على أشياخ الوقت، ولازم الشيخ عيسى البراوي، وتمهر في المعقول، وأنجب وتصدر ودرس وانتظم في سلك الفضلا والنبلا، وصار له ذكر وشهرة ووجاهة، ومات والده فأحرز طريفه وتالده وكان لأبيه دار بحارة كتامة المعروفة بالعينية بقرب الأزهر، وأخرى عظيمة بقناطر السباع على الخليج، وأخرى بشاطي النيل بالجيزة، فكان ينتقل في تلك الدور ويتزوج حسان النسا مع ملازمته للإقرا والإفادة، وحدثته نفسه بمشيخة الأزهر وكان بيده عدة وظايف وتداريس مثل

جامع الآثار والنظامية، ولم يباشرها إلا نادرًا، ويقبض معلومها المرتب لها، ولم يزل حتى تعلل وتوفي سنة إحدى عشرة وماية وألف.

ومات الأديب الماهر الصالح الجليس الأنيس السيد إبراهيم بن قاسم بن محمد بن محمد بن علي الحسين الرويدي المكتب المكنى بأبي الفتح، ولد بمصر كما أخبر عن نفسه سنة سبع وعشرين وماية وألف، وحفظ القرآن وجوده على الشيخ الحجازي غنام، وجود الخط على الشيخ أحمد بن إسماعيل الأفقم على الطريقة المحمدية، فمهر فيه وأجازه فكتب بخطه الحسن الفايق كثيرًا من المصاحف والأحزاب والدلايل والأدعية، وأشير إليه بالرياسة في الفن، وكان إنسانًا حسنًا متمشدقًا يحفظ كثيرًا من نوادر الأشعار وغرائب الحكايات وعجائب المناسبات وروايتها على أحسن أسلوب، وأبلغ مطلوب، وسمعت كثيرًا من إنشاده لم يعلق بذهني منها شي، وقد تفرد بمحاسن لم يشاركه فيها أهل عصره منها صحة الوضع وتكملة على أصوله بغاية التحرير، توفي سنة إحدى عشرة، رحمه الله تعالى.

ومات النبيه الأريب والفاضل النجيب الناظم الناثر المفوه إسماعيل أفندي بن خليل بن علي بن محمد بن عبد الله الشهير بالظهوري المصري الحنفي المكتب، كان إنسانًا حسنًا قانعًا بحاله يتكسب بالكتابة وحسن الخط، وقد كان جوَّده وأتقنه على أحمد أفندي الشكري، وكتب بخطه الحسن كثيرًا من الكتب والسبع المنجيات، ودلاليل الخيرات والمصاحف، وكان له حاصل يبيع به بن القهوة بوكالة البقل بقرب خان الخليلي، وله معرفة جيدة بعلم الموسيقى والألحان وضرب العود، وينظم الشعر وله مدايح وقصايد وموشحات، فمن ذلك قوله تهنئة للأمير حسن بك رضوان بقدومه إلى مصر من نفيته بالمحلة الكبرى وهي قوله:

تهن بعود الملك والجاه والنصر	وبالفوز والعلياء والعز والفخر
ومس ميس تيه في ملابس عزة	بعودك للأوطان منشرح الصدر
لئن ساء فعل الدهر قدمًا فطالما	أسر بأخرى من قبول ومن جبر
وأعطى بلا من وأخلف ما مضى	وأسعف بالحسنى وأذهب للضر
لقد ضحكت مصر إذا ما حللتها	وأضحت بها الأرجاء باسمة الثغر
وغنت بها الأطيار من فرح بها	وقهقهة قمريها على ساحة النهر
وغضت عيون النرجس الغض من حيا	وضرح فيها الورد خدًّا من التبر

وجر نسيم الروض ذيلًا مبللًا ... فخاح عبير من شذاه الذي يسري
لك الله مولى لا نظير لمثله ... تعلمني أوصافه النظم كالدر
أمير على كل الأنام بأسرهم ... همام كريم مفرد الدهر والعصر
له عزمات في السماكين قدرها ... تسير بها الركبان في المهمة القفر
وشدة عزم ذللت كل شامخ ... وأدنت له ما يشتهي صحة الفكر
وأصبحت الأيام من جود كفه ... مرنحة الأعطاف في الحلل الخضر
لقد كنت أبكي قبل هذا فراقه ... كما بكت الخنساء يومًا على صخر
فلما أتى بين الأنام بشيره ... وأذهب من بشراه لي غلة الصدر
جعلت مرامي نعته ومديحه ... وكررته في النظم عندي وفي النثر
إليك عروسًا بالبديع تتوجت ... وجاءتك تسعى في ملابسها الزهر
ممنعة إلا إليك، فإنها ... أتت دون كل الناس بالحمد والشكر
فدم حسنًا في منزل العز راقيًا ... مدى العمر ما غنى على العود من قمري
فقد جاء تاريخًا بمجدك كاملًا ... هنيئًا بإقبال السرور مع الدهر

وكان بعض أدبا مصر ألف مجموعًا في الألغاز؛ ليعارض به بعض العصريين على طريق الإيجاز والإعجاز فما أجابه أحد لذلك، فطلب من المترجم تقريظًا على حواشيه ليصون طلعته من عاذله وواشيه فكتب عليه:

لله دَرُّكَ من بليغ ماهر ... جمع المعاني في بديع كتابه
سحر العقول بلفظه وبلطفه ... وأبان في معناه عن أنسابه
كلم كنظم العقد يحسن تحته ... معناه حسن الماء تحت حبابه
أعددت للبلغاء تأليفًا غَدَا ... في فنه يسمو على أترابه
وأراك نلتَ من الحجا حظًّا غدا ... لا يستطاع وصوله من بابه
أوفت بك الهمم العلية منزلًا ... مستصعبًا صعبًا على خُطَّابه
والله يرعى سرح كل فضيلة ... حتى يروجه على أربابه
ألبست عصرك من بيانك حلة ... فمشى اختيالًا في بَهَا أثوابه
يا من له قلم جرى من ثغره الشـ ... ـهد الشهي سوى سواء لعابه
تربى على تلك المعاني أنها ... أشفت فؤادًا ذاب من أوصابه

عرفت بلاغتك العميدة عندما اسـ ـتذللْت صعب القول من أهضابه
وظلمت لغزك إذ صبوت رياضة رجلًا تعطَّل من حلى آدابه
فلذا أجاب مقصرًا عن شأوه إذ كان يعجز عن بلوغ ثوابه

فأجاب ذلك الشاعر بقصيدة وأطال فيها ومطلعها:

لله ثغر شفَّني برضا به كيما أفوز بنشق عرف رضابه

فكتب إليه المترجم ثانيًا معرضًا له بقصيدته قوله:

هذا الأديب اللوذعي ترى به جمل الفضائل وهي من أترابه
وله المقال المستجاد بأسره وسواه نحثو وجهه بترابه
ولقد رشفت زلال معنى لفظه والغير يقنعه لموع سرابه
فاعجبْ له من شاعر متقادر سل المنام بلطفه وسرى به
أنسى البدائع من بديع نكاته قسمت بلاغته على إعرابه
وأتى بكل غريبة في نظمه منسوبة المعنى إلى أعرابه
لله أبيات أتت من نحوه أشفت فؤادًا ذاب من أوصابه
قد كان أفناه النوى وأباده مما يلاقي من مرارة صابه
وأتى بتنجيس يرق لطافه وروى المعالي وهي من ألقابه
فاعجب لسحر كلامه كيف اغتدى مستعذبًا عندي لما ألقى به
يا من إذا عد الورى قلنا لهم: لا نرتضي أنَّا نرى ألفًا به
كيف الفداء وقد طربت عشية من قربه لما بدا إلفي به
يا فاضلًا بعدت مرامي عزمه وغدا تغزله ببدء خطابه
وبدأته بالماهر الندب الذكي وأجابني ثغر شفى برضابه
إني أعيذك أن تعود لمثلها إذ ذاك خلق لست من أصحابه
وإذا أتتك من القريظ مقالة وأبيت عنها فلتكن من بابه
وله الإله يديم حظًّا شامخًا ما حن مشتاق إلى أحبابه

وله موشحة على وزن موشحة الأديب العلامة ابن خطيب وأريا الأندلسي، وهي:

ليت شعري يا أخلاء الهوى   هل أرى بدري بحاني مؤنسي
أم أقاسي عن زمان قد قسا   ورمى أحشاي سهمًا عن قسي

دور

يا سقى الله زمانًا قد مضى   في مغالي مصر في عيش خصيب
حيث بدري قد قضى لي ما قضى   بالتداني إذا غفت عين الرقيب
شب من تذكارها نار الغضى   في فؤادي وتلافا في النحيب
واعترتني دهشة حين جرى   من دموعي سائلًا في الغلس
وغدا قلبي كليمًا مذ سرى   بارق في نحو ذاك المكنس

دور

يا رياضًا حسنها زاه يشيق   جاد في مثواك منهل السحاب
كم مضى لي فيك من معنى أنيق   حين كان اللهو مزهى الجناب
هل ترى عيني محياك الشريق   لابسًا برد التهاني والشباب
وأرى بدري يناجيني على   ذلك البسط الشهي السندس
وأحلى صبر دهري بالمنى   من معاه زاهيات الملبس

دور

قد شربنا الصد كأسًا مترعًا   حين صد الظبي عنا ونفر
غصن بان غصنه قد أينعا   مثمر بالدل حينا والخفر
وجهه الفتان أمسى مبدعًا   كل معنى رائق يسبي الفكر

دور

يثني ما إن تبدى معجبًا   بالعيون الفاتكات النعس
ينهب الأرواح منا لاهيًا   لم يراقب في ضعاف الأنفس

دور

كيف لي صبر إذا اللاحي لحى   في حبيب حسنه فاق الهلال
بدر تم مخجل شمس الضحى   جؤزري اللحظ ممشوق الدلال
ما سقى الصب هواه فصحا   من غرام قد عراه وخيال
يوسف العصر معسول اللما   كاحل الطرف شهي اللعس
ترك الصب كليمًا عندما   جال في النفس مجال النفس

وقال متشوقًا إلى مصر وكان بقرية أطواب من أعمال الصعيد:

سلام على مصر سلام شج حنا   تبلغها أيدي النسيم لها عنا
وأزكى تحيات على الروضة التي   عليها لسان الجون بالمزن قد أثنى
وحيا إلهي نيلها وظلالها   وخلجانها والقرط إذا شنقت أذنا
ومقياسها مني إليه رسالة   معنبرة الأرجاء عاطرة عرنا
وجبهتها والمنتهى ذكر أنه   فوالله لَهْيَ الخلد بل أشبهت عَدْنا
وفي مشتهاها تشتهي النفس لذة   ومن صدرها عين الرقيب همت مزنا
ميادين لذات وأقصى مآرب   وغايات آمال لمن هام أو أنا
فكم نلت فيها من سرور وبغية   إذ العيش طلق والهوى ضاحك سنا
وليلًا تنافيها وطيب حديثنا   وجيب الدجى ينشق عن بدرها دجنا
وقضبانها إذ هبت الريح ميلت   هياد بهاتيها فتزهى بها حسنا
وقمريها إذ قام في الدوح راقيًا   على منبر الأشجار في عوده غنا
أأيامنا ما كنت إلا منازها   بساحاتها والقصف إذ كان ما كنا
تنكرت يا أيام من ذا الذي وشى   إليك بسوء ما الذي قد جرى منا
لئن كان ذنبي عندك الفهم والحجا   فجهلي أحرى فارجعي لست أستغنى
إرادة حظي أتعبتني ومن يكن   يحاول حظًّا حال من دونه الأدنى
قلتني مصر وهي أرضي وشعبتي   وداري وشوقي والمآلف والمغنى
وأنزلني طول النوى دار غربة   بغربي مصر أشتكي الهم والحزنا
أقمت بأطواب ثلاثين ليلة   أقاسي بها الأوصاب واخترتها سجنا
كأن نبي الله يوسف قد بقت   عليه ليال رام يقتصها منا
فيعقوب أحزاني أقام بأضلعي   يراعي بشيرًا أو يحاوله أذنا

أردد عيني في خلال ديارها فأنظر أهليها وقد ملئوا جبنا
فأقضي أسى يملا القلوب تحسرًا على فائت قد مر خسر ولا أغنى
لك الله قلبًا ما أشدك قسوة وأصبر في البلوى وأكرم في الحسنا
وأعدى إلى الأعدا وسلمًا إلى الرضا وعبدًا إلى المعروف إن جاد أو ضنا
ولولا الذي لاقيت ما كنت أشتكي ولكن لياليـنا أساءت بنا الظنا

وقال أيضًا:

وجاد الحيا أطلالهم وربوعهم وروى ثراهم من دموعي وعبرتي
ولا زال ثغر البرق مبتسمًا لهم يبلغهم عني رسالة لوعتي
أأحبابنا هل تسألوا الركب إن سرى عن الكبد الحراء أين استقرت
وما كيف حالي واللجاجة والهوى وما للنوى حتى رمتني بغربتي
فهل سبقت مني إلى الدهر خطة فلا توبة تمحو ذنوبي وعثرتي
أبى الله ما ذنبي إليه سوى الحجا وذلك عند الدهر أكبر خطتي
رمتني أيدي البين عن سهم قوسها أصابت فؤادي الهائم المتشتت
ولم ترع حقي للوداع بوقفة أبث لها للربع جهد صبابتي
وقفت على ربع الأحبة خاضعًا وفي رسمها أبكي ضحى وعشية
فلم أر فيها غير نؤيٍ مهدم خلا من أهاليه لقلة عشقة
خليلي قومًا واسألا الروضة التي بها اخضل نبت في عرار وزهرة
وأدوا بها حق البطالة والصبا وميلوا إلى الخلخال والقرط بالتي
وفي المنتهى بالمشتهى لا تذكروا حديث النقى شوقًا فليس بسنتي
وللرصد حيوه مع اللهو ساعة فذلك أقصى ما يبرد غلتي
لقد بعث الأرواح من بعد موتها نسيم سراياه بوفد أحبتي
فلله ما أحلى وأملح ليلها إذ العيش طلق ضاحك بمسرتي
ومقياسها يا صاح لا تنس فضله بدا مثل شيخ لابسًا لعمامتي
ويأتي إليه النيل كبرًا وعزةً فيصغر ذلًّا من أصابعه التي
يكسب تلك الأرض حسنًا ونضرة فتحكي عروسًا في ملابس خضرة
فوالله مذ فارقت مصر وأهلها بكيت على أهلي وداري وجيرتي

وسودني طول النوى بعد صفرة وبدلني بعد البياض بحمرة
وأنزلني حظي بأطواب قرية أقمت بها ما بين يوم وحدأة
أقضي نهاري صامتًا ومكربًا ويجمعني ليلي وهمي وفكرتي
ولم أر فيها حلة أستظلها سوى زفرات من هجير بشعلة
ولم ألق فيها واحدًا أستجيره ولا فاضلًا أمليه حسن شجيتي
لك الله قلبًا كيف يبقى على الأسى وتعسًا على الضراء كيف استقرت
قضاء من الرحمن لا شك واقع فأولى له التسليم في كل حالة
ومن يرعه مولاه يؤتيه سؤله ويحظى بقرب من نعيم وجنة
وأزكى سلام يعبق الكون نشره على السيد الماحي لكل ضلالة
كذا الآل والأصحاب ما دنف شدا سلام على مصر ديار أحبتي

وقال — سامحه الله تعالى:

هل العيش إلا في اكتساب مآثم أو العمر إلا في اقتناء محارم
أو الغنم إلا في ارتكاب كبيرة أو السكر إلا في ارتشاف مباسم
سقى الله أيام البطالة أدمعًا من العين تجري كالغيوث السواجم
زمان به كان السرور بخنصري ختامًا وكان الظبي فيه منادمي
إذ العيش طلق والرياض بواسم عن النور لكن من شفاه الكمائم
وسيري إلى تلك الدساكر سحرة وغنمي بها من طيبات مواسم
وجرِّي ذيول التيه في عرصاتها جهارًا وضمي للقدود النواعم
خليلي لو وافيتمو حق صحبتي لكنتم رفاقي بين تلك المعالم
فحيا الحيا دار الأحبة ما شدا على الدوح مطراب الأصائل هائم
لقد طال ما نازعت فيها زجاجة تضمنت الأفراح من عهد آدم
معتقة صاغ المزاج لرأسها أكاليل من در كدور دراهم
إذا ما جلاها مخطف الخصر في الدجا وغنى عليها مثل شدو الحمائم
أبحت طريفي في هواه وتالدي وصيرته مولى عليَّ وحاكمي

واتفق أن بعض الجهلة لبس عمامة ودخل على السيد عبد الرحمن العيدروس، فقال السيد: حمل الثور جوزة السرطان، فلم يتيقظ ذلك الشيخ لما أبداه السيد، وظن أن ذلك مدح له فضمن هذا الشطر بعض شعراء المحلة الكبرى يخاطب فيها السيد العيدروسي، فلما بلغ المترجم ذلك قال على روي ما قاله ذلك الشاعر المحلي:

يا أديبًا قد حاز رق المعاني وبليغًا أبدى فنون البيان
وظريفًا يسمو بكل نكات من بديع تزرى بعقد الجمان
فقت نعتًا وفي وصف شيخ جهول أنفت منه أنفس الثقلان
يدعي الشيخ أنه صار فردًا قلت صدقًا لكن على الصبان
وتراه مع الغباوة والجهـ ـل كثير الفضول والهذيان
يتمادى على الضلال بوجه أسود كالغداف بالبطلان
ليس يدري ماذا يقال إليه أمن الشعر أم من القرآن
ورآه أديبنا العيدروسي لابسًا عمة ككرب الزمان
فابتداه بنصف بيت لطيف حمل الثور جوزة السرطان
فانثنى ضاحكًا وأظهر بشرًا وغدا لائمًا لذاك البنان
ليته لو رمى العمامة بحرًا ليرى الدلو بركة الحيتان
فهو عندي كعقرب أو كجدي لا كليث في سنبل الميزان
وإذا ما نظرت يومًا إليه قلت: كبش قد حل في كيوان

وله في اسم حسن:

أفديه من أهيف جلت محاسنه عن الشبيه وأضحى قده غصنا
أقول لما أتاني زائرًا فرحًا مستبشرًا باللقا: أحسنت يا حسنا

وله في مفن اسمه وفى:

أفدي الذي سحر الألباب منطقه وفي جراح الهوى قلب الكليم شفى
أقول لما شجتني حسن نغمته: يا ليت من كنت أهواه أتى ووفى

وله تشطير لبيتي بعض القدماء:

(بالله يا قبر هل زالت محاسنه)　　أم كيف رونقه والحسن والجور
وحسن طرته ما شأن حالتها　　(وهل تغير ذاك المنظر النضر)
(يا قبر لا أنت لا روض ولا فلك)　　يشوقنا منك ما نرجو وننتظر
ولست في الحسن معشوقًا إلى أحد　　(حتى تجمع فيك الحسن والقمر)

وله أيضًا تشطير على بيتين أنشدهما له الشيخ محمد الكراني الشاعر، رحمه الله وهما:

خبراني عن قهقهات القناني　　أنا منها في غاية الإيهام
أترى ضحكها لبسط الندامى　　أم بكاءً على فراق المدام

فقال مشطرًا:

(خبراني عن قهقهات القناني)　　وابتهاج الربا بصوب الغمام
واهتزاز الغصون في الروض لينًا　　(أنا منها في غاية الإيهام)
(أترى ضحكها لبسط الندامى)　　أم سرور الجميع شمل الكرام
أم خطا بالبلبل الدوح غنى　　بكاء على فراق المدام

وللمترجم مقامة وقصيدة يداعب الشيخ علي عنتر الرشيدي أعرضنا عنهما لما فيهما من الهجو والذم وله غير ذلك، توفي — رحمه الله تعالى — سنة إحدى عشرة ومايتين وألف.

ومات الأجل الأمثل والوجيه الأوحد المبجل حسين أفندي قلفة الشرقية والده الأمير عبد الله من مماليك داود صاحب عيار، وتربى المترجم عند محمد أفندي البرقوقي وزوجه ابنته، وعانى قلم الكتابة واصطلاح كتابة الروزنامة ومهر في ذلك، فلما تولى محمد أفندي كتابة الروزنامة قلده قلفة الشرقية ولم تطل مدة محمد أفندي، ومات بعد شهرين؛ فاستولى المترجم على تعلقاته وراج أمره واشترى بيتًا جهة الشيخ الظلام، وانتقل إليه وسكن به وساس أموره واشتهر ذكره، وانتظم في عداد الأعيان واقتنى السراري والجواري والمماليك والعبيد، وكان إنسانًا لا بأس به جميل الأخلاق حسن العشرة مع

الرفاق مهذب الطباع لين العريكة، واقفًا على حدود الشريعة، لا يتداخل فيما لا يعنيه مليح الصورة والسيرة، توفي — رحمه الله — أيضًا سنة إحدى عشرة ومايتين وألف.

ومات العمدة العلامة النبيه الفهامة بضعة السلالة الهاشمية، وطراز العصابة المطلبية الفصيح المفوه السيد حسين بن عبد الرحمن بن الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن حمادة المنزلاوي الشافعي خطيب جامع المشهد الحسيني، وأم أبيه السيد عبد الرحمن السيدة فاطمة بنت السيد محمد الغمري، ومنها أتاه الشرف حضر على الشيخ الملوي والحفني والجوهري والمدابغي والشيخ علي قايتباي والشيخ البسيوني والشيخ خليل المغربي، وأخذ أيضًا عن سيدي محمد الجوهري الصغير والشيخ عبد الله إمام مسجد الشعراني والشيخ سعودي الساكن بسوق الخشب، وتضلع بالعلوم والمعارف وصار له ملكة وحافظة ولسانة واقتدار تام واستحضار غريب، وينظم الشعر الجيد والنثر البليغ وأنشأ الخطب البديعة، وغالب خطبه التي كان يخطب بها بالمشهد الحسيني من إنشائه على طريقة لم يسبق إليها، وانضوى إلى الشيخ أبي الأنوار السادات، وشملته أنواره ومكارمه ويصلي به في بعض الأحيان ويخطب بزاويتهم أيام المواسم، ويأتي فيها بمدائح السادات وما تقتضيه المناسبات وله منظومة بليغة في سلسلة السادة الوفائية سماها السيد حسن بن علي العوضي بعقد الصفا، في ذكر سلسلة ساداتنا بني الوفا، وذكرها في كتابه مناهل الصفا، يقول في أولها ما نصه:

سماء بها الزهر الأزاهر تشرق ... بأنوارها قد نار غرب ومشرق
وزانت صفا مرآتها وهي حفظها ... لمسترق قد جاء للسمع يسرق
إذا مد كف النحو نحو سمائها ... يكف بشهب للمعاند تحرق
فما هي إلا عرش كنز حقائق ... بها الحق مشهود لمن يتحقق
رياض معانيها بهن نوافح ... لأزهار أسرار بها الطيب ينشق
فكم أورقت فيها غصون وكم حلت ... بها ثمرات للمحقق ترزق
يلعلعها غنت فِصَاحُ بلابل ... فأعربت الألحانَ والحانُ مطرق
رعى الله ما قد راق منها وما حلا ... وأعلى سماء برقها متألق
حمى الله مرقاها ومعراج قدسها ... بكوكبها السامي الذي ليس يلحق

إلى آخرها وهي طويلة وله غير ذلك سامحه الله تعالى، توفي في منتصف شهر شعبان من السنة، غفر الله لنا وله ولوالدينا وللمسلمين بمنه وكرمه آمين.

وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء ليلة الثلاثا المبارك عشرين خلت من شهر ذي الحجة الحرام، سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢م) من الهجرة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة والتحية، كاتبه محمد.